شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : محمود درويش
سكرتير التحرير : الياس خوري

٨٦ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٩

شهرية فكرية لمعالجة أحداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة
تصدر عن مركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية

جميع الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبيها ولا تعكس بالضرورة آراء منظمة التحرير الفلسطينية ولا المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين ٠

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني
(متفرع من السادات) ، رأس بيروت ـ لبنان ، ص٠ب ١٦٩١
تلفون : التحرير والتوزيع ٣٥١٢٦٠ ٠
برقيا : مرابحاث ، بيروت ٠

مدير التوزيع : **غازي دانيال**

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٦٠ ل٠ل٠ في لبنان وسوريا ، ٧٥٠ ل٠ل٠ في سائر الاقطار العربية ، ١٠٠ ل٠ل٠ في اوروبا ، ١٢٥ ل٠ل٠ في بقية بلدان العالم ٠

الاشتراك السنوي (بريد عادي) : ٦٥ ل٠ل٠ في جميع الدول غير العربية ٠

الغلاف للفنان
محمد القاسمي

محتويات

الصفحة

٤ رسالة الاخ ياسر عرفات في الذكرى الرابعة عشرة لانطلاقة الثورة الفلسطينية ·

١١ حديث مع ياسر عرفات : ثورتنا كلمة سر الامة ·

٣٠ معن بشور : حقائق وحدوية في الثورة الفلسطينية ·

٣٨ حازم صاغية : عناوين حول لبنان وفلسطين من ضمن منظور التحرر القومي ·

٤٣ فايز صايغ : السياسة الامريكية في عهد كارتر ، والصراع العربي الاسرائيلي ·

٦٠ اديب ديمتري : هزيمة العقل وجذور الصهيونية ·

٧٨ سمير كرم : « الدولية الاشتراكية » اطار للتراجعات النظرية والسياسية ·

٩٤ الياس شوفاني : مع المبعدين ·

١٠٨ مكرم يونس : المشروعات الاسرائيلية لتوطين اللاجئين (٦٧-٧٨) ·

الصفحة

١٢٧ احمد صدقي الدجاني : منظمة التحرير الفلسطينية والحوار العربي الاوروبي ٠

١٤٤ تقارير : ١ ـ الهلال الاحمر الفلسطيني ٠ ٢ ـ مؤسسة « صامد » ٠

١٥٦ مراجعات : [محمد حسنين هيكل] حديث المبادرة ، حليم احمد٠ [صادق العظم] زيارة السادات وبؤس السلام العادل ، أمير أحمد ٠

١٦٨ شهريات : ١ ـ المقاومة الفلسطينية ، بلال الحسن ٠ ٢ ـ المناطق المحتلة ، عبد الحفيظ محارب ٠ ٣ ـ اسرائيليات ، حنه شاهين ٠ ٤ ـ قضايا دولية ، س٠ك٠ ٥ ـ قضايا عسكرية ، محمود عزمي ٠

٢٠٦ يزهار سميلانسكي : خربة خزعة ٠

٢٢٥ جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية من ١٨/٩ـ١٣/ ١٩٧٨/١٢ ، محمد قدوره ٠

رسالة الأخ ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية
لمنظمة التحرير الفلسطينية القائد العام لقوات
الثورة الفلسطينية في الذكرى الرابعة عشرة
لانطلاقة الثورة الفلسطينية .

عام الجمر والنار
عام النور والأمل

ايها الاخوة رفاق الدرب الطويل

ايها الشعب الصامد المثابر

ايها الابطال في خنادق الثورة

مر العام الرابع عشر من عمر ثورتنا المظفرة ، لتدخل عامها الخامس عشر مزهوة بأكاليل الغار والانتصارات على جباهها ، ليسجل شعبنا في كتاب التاريخ ملاحم جديدة لنصره المؤزر الحتمي الاكيد ٠

مر هذا العام بتحدياته الشرسة ومؤامرته الخطرة ٠ مؤامرة فرض شروط الاستسلام على شعبنا وامتنا العربية ، تلك الشروط الصهيونية الامبريالية الامريكية التي يريدونها وصمة عار وذل لاجيالنا المقبلة تحت اعقاب الغزاة الحديدية ، ونير وسيطرة خططهم واطماعهم التوسعية الامبريالية الصهيونية الهمجية ٠

لقد تتابعت الاحداث في هذا العام ، وتتابعت معها القرارات التاريخية الثورية الحاسمة في مواجهتها ٠

اتخذ ثوارنا الابطال قرارهم الحاسم الثوري بالصمود ضد القـــرار العسكري الامريكي الاسرائيلي في الجنوب اللبناني جنبا الى جنب مـــع رفاقنا واخوتنا في السلاح من المقاتلين اللبنانيين الوطنيين الشـــرفاء ، لنسجل سويا انتصارا عسكريا عظيما لامتنا العربية طوال ثمانية ايـــام بلياليها ضد ما يقارب ثلث الجيش الاسرائيلي المدعوم بأحدث الاسلحـــة الامريكية واكثرها فتكا ، بل والمحرمة دوليا وانسانيا ، وتكسرت عـــلى صخرة البطولة والشجاعة والفداء والتضحية ، المؤامرة الخطرة لابـــادة الثورة وابادة قواتها وابادة قيادتها ــ وذهبت مع دخان المدافع مقولـــة بيرجنسكي « وداعا لمنظمة التحرير » باعتبارها كانت الضوء الاخضر لهذه الحملة العسكرية الاسرائيلية الهمجية ٠

وبقيت الثورة خفاقا علمها ، قويا وجودها ، ثابتا جنانها باعتبارهـــا الحقيقة الثابتة الاصيلة في هذه المنطقة المهمة والحساسة والمليئـــــة بالمؤامرات والمحفوفة بالاخطار ٠

ثم كان القرار الثوري الحاسم في تثبيت دعائم الثورة وكسر مخـــطط ضربها من الداخل ، حيث تفتتت على فولاذ هذا الاتون الثوري الاصيـــل جميع المحاولات وكل الضربات بما فيها محاولات التصفية واعمـــــال الاغتيالات ٠ وخرجت الثورة كأقوى ما تكون ايمانا وثباتا ورسوخا ، امام هذه التحديات المتعددة والمتنوعة الاشكال والغايات ، وليبقى القرار الثوري قرارا ثوريا فلسطينيا دونما تبعية او خضوع ٠

وجاء القرار الثوري الحاسم الثالث ٠ القرار القنبلة الموقوتة التـــي فجرها شعبنا العظيم داخل ارضنا المحتلة في وجه ظلام مؤامرة كامب ديفيد ومؤامرة الحكم الذاتي ، وذلك عندما اطلق صيحة الحقيقة ، وصيحـــة الوجدان ، وصيحة الضمير الثوري ، وصيحة الارادة الفلسطينية ، بادانته لهذه المؤامرة ومواجهة جميع اشكالها وصورها واتجاهاتها ومراميهـــا واهدافها ٠

ليس هذا فحسب ، ولكنه اتبع ذلك بهذا التصعيد العسكري المستمـــر والمتفجر لعمله النضالي وكفاحه المسلح من دون كلل او ملل ، وطبقا لخطة مدروسة وتخطيط ثوري ، متحديا كل امكانيات العدو وحلفائه وعملائـــه ، وليسجل بهذا مزيدا من الانتصارات والملاحم والاساطير البطولية لشعبنا وامتنا وتاريخنا ٠

خرج شعبنا بمعجزته هذه ليتردد صوتها عاليا في المنطقة كلها ، وليذهل العالم بهذا الصمود وذاك التحدي ، وهذا الفهم العميق والثابت لابعـــاد الموقف ٠ وليعطي الصورة الراسخة الواضحة لديمومة الثورة العارمة في

حنايا هذا الشعب العظيم ، شعب المعجزات ، شعب العطاء السخي ، شعب الشهداء والمقاتلين ، شعب القرار الفلسطيني المستقل والارادة المستقلة ، شعب التضحيات الجسام ، شعب الوعي الصادق ، وشعب الوعد الامين ٠

ثم كانت هنالك قرارات اخرى عديدة ، مهمة ومصيرية في ابعادهـــا السياسية والثورية وعلى مختلف الاصعدة ، وفي شتى المجالات ٠ فكانت قرارات الصمود والتصدي ، ودورها الفاعل فيها ٠ وكان دورنا فـــي التحالف الاستراتيجي وفي الفرز الثوري لمعسكر الاعـداء والاصدقاء في المنطقة العربية ومنطقة الشرق الاوسط وفي الساحة الدولية ٠

لقد كانت مواقفنا واضحة في انطلاقتنا الاصيلة والثابتة مع الثـــوار والشرفاء ومع المجاهدين والصامدين في كل بقعة ثورية حقيقية ٠

وكانت وقفتنا المبدئية والقومية ، مع كل موقف وحدوي في امتنا العربية، وخاصة ما جاء فيها في مشرقنا العربي ، وعلى ساحة التماس مع العدو في الجبهة الشمالية ٠

كل هذا من خلال مفاهيم واضحة وثابتة ومبدئية ، نعطيها وتعطينـا ، ندعمها وتدعمنا ، نقويها وتقوينا ، وليصب هذا كلـه في المجـرى الكبير للعنفوان الثوري الجارف ضد جميع اشكال القهر والظلم والاضطهـــاد والعبودية ٠ ضد الامبرياليين الجدد والقدامى ٠ ضد صهاينة الداخـــل والخارج ، ضد الاستعمار القديم والحديث ٠

لذا كانت هذه القرارات الثورية الحاسمة في هذا المعترك وهذه الدوامة، وسط رمال الشرق الاوسط المتحركة والخطيرة ، تمثل هذه الاصالة الثورية والشفافية المستقبلية والرؤى الصادقة والارادة الحديديـة النضاليـــة ، والايمان الراسخ العميق ٠

لهذا كانت المسيرة بكل ابعادها الحضارية والانسانية ، وعلى مختلـف الاصعدة ، فلسطينيا وعربيا ودوليا ، وبكل ما حفلت به من انفجار ثـوري هادر حمل من التغييرات ورياح التغيير في هذه المنطقة الشيء الكثيـــر والكثير جدا ٠ بعضها في مجرى التطور التقدمي ومع تيار التاريخ ومصيره الازدهار والفوز ، وبعضها ضد مجرى التاريخ وضد منطق التطور وهذه مصيرها الهزيمة والفشل ٠

وكان طائر البجع الفلسطيني وسط هذا كله عاملا ديناميكيا في صنع هذه القفزات التقدمية الفاعلة والنشطة ، ومرفرفا بجناحيه بين حلفائه في الدول الاشتراكية ورفاقه في دول عدم الانحياز واشقائه في الدول الاسلامية ٠

من ايران ، البركان الهادر في آسيا ، الى الثوار الاحرار في افريقيا ، الى الاصدقاء العديدين في امريكا اللاتينية ٠

قابضا بيد فولاذية على جذوره العميقة في اعمق اعماق الوطن ، واعمق اعماق التراب الفلسطيني ، مستمدا من هذا التراث للثورة الحق من جبل الرحمة في عرفات ، وانبلاج الحقيقة من مهد الرسالة ، لتتجاوب معه اصوات المضطهدين والمناضلين والمجاهدين بين جنبات الاقصى والصخرة والقيامة في القدس الحبيبة الاسيرة المكبلة ٠

ان معنى هذا كله ومغزاه ومحتواه هو الدعم الكبير من معسكر الاصدقاء والحلفاء والاشقاء ، وجميع القوى الديمقراطية والتقدمية ، وهو الذي يصب في الحتمية الثورية للنصر الاكيد ٠

ايها الاخوة الاحبة ،

يا شعبنا البطل ،

السنة الرابعة عشرة بما فيها من مفاجآت وبما فيها من عطاء وبما فيها من افاق وبما فيها من احداث ، سارت جميعها تخترق الصعاب وتصنع الملاحم ، وتشق الدرب وتطرق ابواب المجد ، وتكتب التاريخ بأحرف من نور ونار ، وثورة وايمان ، واصالة وعنفوان ، وحنكة وحكمة ٠

واستطاعت ان تحيل الحصار المضروب حول الثورة ، والذي يريد تصفيتها او اضعافها او احتواءها ، الى متراس ضارب بقوة دفاعا عن هذه الثورة وشعبها ومكتسباته ووجوده واهدافه ٠

ليس هذا فحسب ، وانما تمكنت ان تحقق المزيد من خطوات التوحيد والوحدة بين صفوفها ، وترص سواعدها باعتبارها الركيزة الهامة ومعيارا اساسيا لقدرتها على المواجهة والصمود والتصدي ٠ وحدة شعبها اينما تواجه في اماكن تجمعاته ، داخل الوطن وخارجه ، معبرا بذلك عن ذاته الثورية واصالته العربية وجذوره القومية ، بارادة صلبة وعزيمة جبارة ، ومشكلا بوحدة قواه المقاتلة تحت هذا العلم الخفاق مزيجا فريدا في الالتحام والتكامل ٠

وهنا لا بد لنا من ان نؤكد على اهمية الالتزام الديمقراطي قولا وعملا ، فكرا وممارسة ، وان نعي ان الديمقراطية التزام وعطاء من اجل الثورة وفي سبيل الشعب ، وليست مدخلا او وسيلة لتحقيق بعض الذات او بعض المكاسب التنظيمية الضيقة هنا او هنالك ، على حساب المبادىء والمثل

والاهداف ، وعلى حساب هذا الشعب البطل العظيم ٠

سنة بعد سنة ، والثورة تكبر ، تشتد وتتألق، وتصبح الثورة الفلسطينية ظاهرة ، رغم كل الحسابات والتوقعات للمخططات المشبوهة المعادية ، كبيرة بحجم الوجود ، واضحة بقوة الحقيقة ، دافعة في المسار التاريخي والتطور الطبيعي والحتمي ، الرسالة الحضارية والتقدمية لمسيرة الثورات ضد جميع اشكال الظلم والقهر والاستبداد ، نارا على رأس علم ، ونورا يهديها ، تتجمع حول مشاعل الثوار في فوهات بنادقهم ٠ وتصبح الثورة ، ثورتنا العملاقة ، هذه ، نقطة الانعطاف في هذا المجرى الحضاري والتقدمي في هذه المنطقة ، بكل ما تعنيه هذه المنطقة لاعدائنا ، في موقعها الاستراتيجي ومخزونها النفطي واحتياطيها الاقتصادي ٠ ولذا كان علينا ان نفهم السبب الدفين لهذا التكالب الشرس الذي يحاول ان يضرب الثورة ويقضي عليها ، لتبقى هذه المنطقة فريسة سهلة ، ولتستمر هذه الارض ميدانا يمارس فيه اعداؤنا خبراتهم الجهنمية لنهب خيراتنا وثرواتنا من دون رقيب او حسيب ، بل بمساعدة العملاء في امتنا العربية ، الذين اعمتهم العمالة فراحوا يفرشون الارض ٠٠ ارضنا الطاهرة المقدسة باتفاقات ومعاهدات مسمومة يسير عليها اعداء امتنا الى قلب هذه الامة ، يغرزون فيها خناجرهم المسمومة ويفرضون عليهم سيطرتهم الكاملة ، تحت شعارات السلام المزيف المبرمج والمخطط له ، والذي يشكل خطرا داهما ليس على فلسطين وحدها ، وليس على شعبنا الفلسطيني فقط ، وليس ضد ثوارنا الابطال بمفردهم ٠٠٠ ولكن ضد كل امتنا العربية ومستقبلها ومصيرها ٠٠ وضد هذه المنطقة المسماة في عرفهم منطقة الشرق الاوسط ٠٠٠ وبالتالي ما يشكل كل هذا من اثار عديدة وخطيرة على مجمل السلام العالمي ٠

وهنا لا بد ان تنطلق صيحتنا لكي يسمعها العالم اجمع ، وبالذات الاحصنة الخشبية التي تجر عربة كامب ديفيد ٠ وانني اطلقها باسم شعبنا وثواره وباسم جماهير امتنا العربية وشرفائها وباسم الاحرار والشرفاء في العالم اجمع ، انه لا سلام ولا امن ولا حل ولا استقرار في هذه المنطقة بالقفز على جوهر المشكلة والاساس فيها ، بالقفز على حقوق شعبنا الفلسطيني الوطنية الثابتة ، بما فيها حقه في العودة وتقرير المصير واقامة دولته الوطنية المستقلة فوق ترابه الوطني، تحت قيادته الوحيدة منظمة التحرير الفلسطينية ، والتي اعترف بها على كافة المستويات الصديقة والحليفة والعربية والدولية ٠

ونحن في هذا انما نشق طريقنا مع جميع هؤلاء الشرفاء والاشقاء والحلفاء والاصدقاء نحو السلام العادل والوطيد في الشرق الاوسط ٠ سلام دائم بعدالته ٠ سلام وطيد مع الحقيقة والاصالة والطمأنينة المستمرة

فيه ، وليس سلام الاقوياء على الضعفاء · وليس سلام املاء شـــروط الاستسلام وفرض الهيمنة والسيطرة من خلال احلام الامبراطوريـــات الواهية واحلام المستعمرين ومستوطناتهم وحدود الامن ومصادر الميـــاه المؤدية الى منابع النفط ·

وليكن واضحا وضوح دم الشهداء ، ان ثورتنا العملاقة لم تنهزم امام هذا العدو الصهيوني ، امام آلته العسكرية الامبريالية · فلماذا نخضـــع لشروطه ونركع مع الراكعين لاوامر الاستسلام التي يفرضها عليهم · انها ثورة شامخة كالطود ، ثابتة كجبال بلادنا ، قوية بشعبها وثوارها ·

ولن ترهبنا الحملات العسكرية المستمرة ولا الغارات الجوية ولا البطش ولا الارهاب والقهر ولا الفاشيون والنازيون الجدد ·

فان نصرنا الحتمي آت طال الزمن ام قصر ، شاء اعداؤنا ام ابـوا · فهذه ارادة التاريخ ، ارادة الدم والساعد العربي الفلسطينـــي ، ارادة الكبرياء في امتنا العربية ، ارادة الانتصار لكل ما هو شريف وشجـــاع وعادل في البشرية التقدمية جمعاء ·

هذه الحقائق يجب ان يعيها من يرسمون او يحاولون ان يرسموا خرائط المنطقة · خرائطها السياسية الجديدة او يحاولون ان يثبتوا تحالفـــات مقبلة متلونة ·

يجب ان يرسخ في اذهانهم ان كانت تستجيب او تصيخ السمع ، ان هذه المخططات للتصفية وللسيطرة والهيمنة وسحق الاوطان واستعبـاد الشعوب على مائدة كامب ديفيد او بلير هاوس لن تمر الا على اجســـاد المناضلين والشرفاء والثوار في امتنا العربية ، وجميع المجاهدين الصادقين في هذه المنطقة برمتها ·

هذه ملامح سريعة وصورة عجلى لما نحن فيه وما نحن مقبلون عليه في عامنا الخامس عشر لثورتنا الجبارة العملاقة بمسيرتها الطويلة الشاقة ·
عام الجمر والنار ، عام النور والامل ·
عام الاحداث والمفاجآت المهمة ·
فهلا وعينا هذه المسؤوليات واثقالها ؟·
وهلا وعينا هذه التوقعات واحتمالاتها ؟ ·

يا شعبنا العظيم ··· يا شعب المعجزة المستمرة ··· يا شعبنا البطل والرمز والمثل والهدف · الطريق طويل وصعب وشاق · ولكن دائما وابدا هذا هو طريق الحرية والحياة والمجد والكرامة ·

حنانيك يا شعبنا وانت تحتضن مواكب الشهداء الابرار فيك ٠

حنانيك يا شعبنا وانت ترنو الى معتقليك واسراك بزهوهم وكبريائهم ٠

حنانيك يا شعبنا وانت تصنع المجد حولك ٠

حنانيك يا شعبنا وانت تشق الظلمات الى النور بخطواتك الجبارة ٠

حنانيك يا شعبنا وانت تصنع المعجزة كل يوم مع ثوارك ٠

حنانيك يا شعبنا وانت تسطر الملحمة في كل منعطف مع مناضليك ٠

وسنبقى معا كتفا الى كتف وساعدا الى ساعد حتى اسوار القـــدس ليرتفع عليها علم واحد ، علم ثورتنا وعلم امتنا العربية بألوانه الزاهيـــة الاربعـــة ٠

وانها لثورة حتى النصر .

اخوكم : ابو عمار

١٩٧٩/١/١

ياسر عرفات
يتحدث الى "شؤون فلسطينية" في ذكرى الانطلاقة :

ثورتنا : كلمة سرّ الأمّة

□ في عيد الثورة ، نود ان نسال قائد الثورة : ماذا تحقق من الحلم ؟

● ونحن نقتحم العام الخامس عشر من عمر ثورتنا ، لا بد لنا ان نتذكر ان كثيرين قد تحدونا وشككوا في امكانية صدور البلاغ الخامس عشر ، واذا بهذه الثورة التي يقودها شعبها المعطاء ، تحقق القدرة على الحياة وعلى صياغة المعجزة · اني انظر الى الوراء قليلا واقرأ كلمات جون فوستر دالاس عن مصير الشعب الفلسطيني التي قال فيها ان من سوء حظ هذا الشعب انه يعيش بين الارجل · لا يستطيع دالاس الان ان يرى نهوض هذا الشعب بثورته التي تعتبر ، بعد الثورة الفيتنامية ، اهم واضخم ثورة في ايامنا · انها ثورة المستحيل التي واجهت وتواجه من صعوبة الظروف الموضوعية ما لم تواجهه اية ثورة حتى الان ، وواجهت من المؤامرات ما لم تواجهه اية ثورة حتى الان · وتصدت لضربات اضطرت امامها ان تحارب على اكثر من جبهة · فاية ثورة اخرى حاربت على كل هذه الجبهات كما تحارب الثورة الفلسطينية ؟

وهذه بعض عناوين ما حققته الثورة في مسيرة الدم والتضحية : لقد انتقل شعبنا من رقم في دائرة من دوائر الامم المتحدة ، ومن همسة دبلوماسية مترددة في اروقة من اروقتها ، ومن ملف في لجنة من لجانها ، اسمها هيئة الغوث الدولية ، الى شعب ثائر ، يحول التعامل مع الواقع الجديد الذي صاغه في هذه المنطقة من العالم ، الى شرط لتحديد وجهة التطور في اتجاه الحرب او السلام ·

لقد تحولنا من طوابير من اللاجئين تقف امام عطايا وكالة الغوث : كيس طحين ، حفنة فاصولياء ، علبة سردين ، بطانية ٠٠ الى طوابير من المقاتلين لا تكتب التاريخ الجديد لفلسطين فقط ، وانما تحدد وجهة الامة العربية في السيطرة على مستقبلها الحر ٠ ولم يقدم الثائر الفلسطيني اغناء لتجربة العمل العربي الثوري فحسب ، بل اغنى المسيرة الثورية العالمية بتجربة ثورية فريدة ٠ ودعني اتذكر ٠٠

□ اخ ابو عمار ٠٠ انك تجرف اسئلتنا ايضا ؟

● لا بأس ، فالمائدة كلها انقلبت ٠ اتذكر انني كنت في الخليل في عام ١٩٦٤ ، وكنت اشارك مع بعض الاخوان في صناعة اول لغم من البارود والديناميت الذي يستعمل في المحاجر والكسارات ، للقيام بعملية تعلن بداية الانفجار في الصخر الجاثم على صدور شعبنا، وعلى قضيتنا، وعلى اسم فلسطين ٠ كان من المفروض ان يقوم بالعملية محمد شرف احد اخواننا الذين استشهدوا فيما بعد ٠

□ من كنت يومئذ ؟

● كان لي اسم مستعار هو الدكتور ٠ وكان رفيقي يقول لي : يا دكتور ، اريد ان اسألك : انك تكلمني عن الثورة منذ شهور ، وها انت منهمك منذ ثلاثة ايام في صناعة لغم واحد ٠ فما هي هذه الثورة ؟ قلت له : يا محمود ! نحن لا نصنع لغما لاعلان الثورة ، بل نصنع صاعقا سيفجر المنطقة العربية ٠

□ هل فجرتها ؟

● انظر الى التحولات الجذرية في المنطقة العربية وعلى مستوى القضية الفلسطينية ، وعلى المستوى العالمي ، خلال مسيرة الاربعة عشر عاما ٠ كيف كنا وكيف اصبحنا ٠ كيف كان الواقع العربي وكيف صار ٠ لقد استطعنا من خلال شلال الدم الذي لم يتوقف طيلة ١٤ سنة ان نقلب المعادلات ٠ كل ذلك بفضل العطاء السخي الذي قدمه شعبنا ، في الداخل والخارج ٠ لقد مر على التحقيق الاسرائيلي ٢٣٠ الف شخص حسب احصائية اسرائيلية ، مما يدل على مدى التفاف شعبنا حول ثورته ومشاركته في مسيرتها ، وعلى القدرة غير المتناهية للعطاء فيه ٠ اضافة الى الدعم الذي يقدمه ابناء امتنا العربية الذين تمثل الثورة بوصلة مستقبلهم ، بغض النظر عن بعض المكدرات التي تحصل بيننا وبين اخوتنا

في المنطقة العربية ، فهذه الثورة تمثل ، كما اقول دائما ـ الوجدان العربي والضمير العربي في هذه اللحظة التاريخية الحاسمة من تاريخ امتنا العربية المعاصر ٠

وعلى المستوى العالمي ـ اننا نحظى بدعم وتضامن عالميين منقطعي النظير ، حتى اصبح الادراك العالمي غير قابل للتردد في ان فلسطين هي جوهر الصراع في هذه المنطقة ، وان الموقف منها هو الذي يحدد خيار السلام او الحرب ٠ ان ثورتنا هي اول ثورة تدخل الامم المتحدة ٠ كانت الامم تعنى بالدول ، فجاءت الثورة الفلسطينية وكسرت القاعدة ، ودخلنا هيئة الامم المتحدة اعضاء مراقبين ، اضافة الى كوننا اعضاء عاملين في جامعة الدول العربية ٠ قبل الثورة كانت فلسطين عبارة عن عضو مراقب في الجامعة العربية ، وعبارة عن رقم في احد ملفات الامم المتحدة ٠ ونحن اعضاء عاملون في دول عدم الانحياز ، وفي مكتب التنسيق لدول عدم الانحياز ٠ وفي بلغراد ، انتخبت فلسطين اخيرا احد النواب السبعة في دول عدم الانحياز ٠ ونحن اعضاء مراقبون في منظمة الوحدة الافريقية ٠ ونحن اعضاء عاملون في مجموعة الدول الاسلامية ٠ وآخر شيء البيان السوفياتي ـ الفلسطيني هل تفهم يا اخي ما معنى ذلك ؟ فللمرة الاولى يصدر الاتحاد السوفياتي ، وهو احدى القوتين الكبريين في هذا العصر ، بيانا مشتركا مع الثورة الفلسطينية متمثلة في منظمة التحرير الفلسطينية ، وذلك في زيارتي الاخيرة للاتحاد السوفياتي ٠ لقد كانت البيانات السابقة بيانات صحفية ، اما هذه المرة فقد صدر بيان رسمي مشترك ٠

بهذه الرؤية ، وبهذا المعيار ٠٠ معيار ما حققته الثورة من تحولات في الواقع العربي ، وفي الادراك والموقف العالميين ، وما حققته من انقلاب في الذات الفلسطينية ، وما خلقته من قيم ثورية جديدة في عملية تحويلها الفرد الفلسطيني من لاجيء الى مقاتل يبادر الى صنع مصيره بيده ، وبارادته الحرة ، وما احدثته من ثورة في المفاهيم والاشكال على مستوى الثقافة والفكر ، ومن اطلاق لطاقات شعبنا الابداعية ، بهذا المعيار تمكن المراجعة الصحيحة والدقيقة لمسيرة ثورتنا ٠ ومن المؤسف ان بعض الناس لا يرى الا الاشياء والمظاهر الهامشية من خطأ هنا الى مخالفة هناك ، او من خلال بعض اجهزة الاعلام من صحافة واذاعة تشوش وتدس علينا من دون انقطاع ، ولا يدقق في الابعاد الاستراتيجية التي خلقتها الثورة بخطاها الدؤوبة والمتلاحقة ٠ ولنتذكر قول الجنرال جياب ـ ان مجموع الانتصارات الصغيرة تشكل في مجموعها الانتصار الكبير ٠ وما معنى هذا التضامن العالمي مع شعبنا ؟ ان الناس لا تتضامن مع اشباح او مع نكرات ٠ الناس تتضامن فقط مع قوة فاعلة ومؤثرة لا

يستطيع ان يتجاهلها احد · هذا ما اعني بكلامي عن الرقم الفلسطيني الصعب ، الرقم الاساسي في معادلة الشرق الاوسط · قبل اربع عشرة سنة ، كان اي شرطي يحكم المخيم الفلسطيني في اية منطقة عربية · واليوم صارت الثورة الفلسطينية نقطة التغير الاساسية في المنطقة العربية ، وصار العالم كله ، ما عدا القوى ـ الامبريالية والصهيونية ، يتضامن مع الشعب الفلسطيني · وتلك هي اولى بشائر النصر ·

□ هل لنا ان نعرف من هو ياسر عرفات قبل نكبة ١٩٤٨ · ما هي بطاقته الشخصية ؟

● لا تحرجني بهذا السؤال · من العيب ان نتكلم عن انفسنا · من العيب وممنوع في الثورة ان نفعل ذلك · فالحديث فقط عن الشهداء الابطال صناع الانتصارات والمجد ·

□ نحن نحاول ان نتابع تطور وعي ، من النكبة ، الى العمل الطلابي ، الى المشاركة في العمل العربي من اجل فلسطين ، حتى تبلور العمل الفلسطيني المستقل· لذلك نسال عن بداية نشاطكم السياسي في المرحلة الاولى من النكبة ·

● عملت مع جيش الجهاد المقدس الذي كان يقوده البطل الشهيد عبد القادر الحسيني مدة من الزمن · ولكن ، كرست نشاطي بعد ذلك في المخابرات العسكرية لجيش الجهاد المقدس · كنت اعمل في جمع الاسلحة التي تركتها الحرب بين الحلفاء والمحور في الصحراء الغربية ومناطق قتال اخرى ، وارسلها انا واخواني الى القاهرة لكي ترسل الى فلسطين · في تلك الفترة فاجأتني المؤشرات الاولى لوعي المؤامرة الضخمة بكل ابعادها، وذلك من خلال تجربتي الشخصية التي اتاحها لي وجودي في الاستخبارات العسكرية لجيشنا الفلسطيني · واذكر ان نقاشا حصل بين الضباط ، وكنت وقتئذ ضابطا صغيرا ، حول دخول الجيوش العربية الى فلسطين · كنت من الناس الذين عارضوا ذلك الدخول · بالطبع لم يكن لرأيي قيمة، ولكنني احسست بالمؤامرة ·

□ لماذا عارضت دخول الجيوش العربية ؟

● كانت قوات الجهاد المقدس هي القوات الفلسطينية · اما جيش الانقاذ فهو مؤلف من القوات المتطوعة العربية التي دخلت فلسطين ، وكنا جميعا معها ، ولكن شعرنا ان هناك شيئا ، ان وراء الاكمة ما وراءها عندما بدأ الحديث عن دخول القوات النظامية ·

اليك هذا المثال : كنت في يوم من الايام مـــع بعض اخواني نشتري سلاحا قديما ، فوجدنا دبابة قديمة من الدبابات الالمانية ، وكان تاجـــر الخردة في القاهرة يريد التخلص من الدبابة فاشتريناها · وبذلنا كـــل الجهود لنوصلها الى فلسطين ، ولكن دون طائل · لم نجـد اية وسيلـة لايصال دبابة خردة الى فلسطين ، على الرغم من تسكعنا حوالي الشهـر على ابواب الجامعة العربية ولم نتمكن من ارسال الدبابة ، في الوقت الذي كانت فيه الاذاعات العربية تقول كلاما اخر · ولا استطيع الان ان احصي الصعوبات التي كنا نواجهها لارسال الاسلحة القديمة التي كنا نشتريهـا من البدو في الصحراء ، فكل العراقيل كانت توضع ، من جميع الجهات ، امام وصول هذه الاسلحة الى ارض المعركة · فكيف تخوض الدول التـي تمنعنا من جمع الاسلحة حربا حقيقية ؟· وانا لا انسى القرار الذي صدر بتسليم الاسلحة ، في بير زيت وغيرها ، الاسلحة التي تخص الجهـــاد المقدس ، وسجن المتطوعون الآخرون في الجنوب · لم تكن المسألة ، اذن ، مجرد احساس بالمؤامرة ، بل كنت شاهدا على المؤامرة ، فالسلاح الـذي كنا نشتريه بحلي نسائنا كانت قد صدرت اوامر بتسليمه · لقـــد كانـت نظريتنا انا وبعض المعارضين ، ان هذه الجيوش التي ستدخل ستدخل بأمر وتنسحب بأمر بعد ان ينام الشعب على احلام قوتها ·

□ ماذا كنت تفعل يومها ؟

● كنت طالبا في القاهرة · وهناك اجتمعنا في دار الشبان المسلمين ودار الاخوان المسلمين ، والذي جمعنا هو الاخ حامد ابو ستة الذي قـال لنا : لا علم والوطن محتل · وقال : احرقوا الكتب فحرقناها لنلتحـــق بالنضال والحرب ، ثم كان ما كان فلجأنا بعد النكبة الى العمل في اطـار رابطة الطلاب الفلسطينيين · وتلاحظـون ان كثيـرا مـن كـوادر الثورة الفلسطينية مر في رابطة الطلاب هذه ، حين كنا قد فقدنا كل شيء ·

□ كيف تشكلت الرابطة ، ومن شكلها ؟

● كانت الرابطة موجودة قبلنا · وكان اول رئيس لها هو عبد القادر الحسيني عندما كان طالبا في الجامعة الاميركية · بعـــد ذلك تعثرت الرابطة · وحين اصبحت رئيسا لها حصلت على الشرعية · والسبب فـي ذلك يعود الى علاقتي مع قادة الثورة المصرية في ٢٣ يوليو ·

□ متى نشأت هذه العلاقة ؟

● اثناء اشتراكي في حرب القناة ضد الانجليز · وقد اشتركت في هذه الحرب عندما كنت طالبا في الجامعة ، واشتركت في كل النشاطات من التدريب الى القتال الى الاتصالات مع الضباط الاحرار ورجال الاحزاب في مصر · وقد كانت لنا اتصالات دائمة مع هؤلاء الضباط ، ومع الاخوان المسلمين ، ومع حزب مصر الفتاة ، والوفد · وكانت مصر حينئذ في حالة مخاض نتجت عنها ثورة ٢٣ يوليو · وقد ساهمت في هذه المرحلة بامكانياتي المتواضعة كمناضل فلسطيني من الامة العربية · وحين انتخبت رئيسا لرابطة الطلبة الفلسطينيين سنة ١٩٥٢ ، طلبنا من محمد نجيب ان يكون رئيس شرف للرابطة · وقد بقيت صورته معلقة في مكتب الرابطة حتى غادرتها سنة ١٩٥٦ على الرغم من انه لم يكن رئيسا · نحن لم ننزل صورته عن الجدار ابدا ، وتلك قصة مشهورة عن مواقفنا المبدئية ، اثناء هذه الفترة ، كمجموعة طلابية مناضلة ·

كانت احداث غزة تشدنا ، فقد كانت غزة تغلي بالانتفاضات · ولم يكن مجرد مصادفة ذلك الترابط بين ما كان يحدث في القاهرة بين جموع الطلبة الفلسطينيين وبين الانتفاضة التي قام بها المعلمون ورابطة المعلمين في غزة، اضافة الى نشاط الشباب الثوري الذي كان يقوم بعمليات عسكرية سنة ١٩٥٤ في غزة ، وكان اخوكم ابو جهاد وراء هذا النشاط مع اخوانه ·

□ من جيش الجهاد المقدس ، الى وعي المؤامرة ، الى اليأس ، فالانبعاث في النشاط الطالبي ، وهبات غزة ، كيف كانت البداية في ولادة فتح ؟

● لم تولد « فتح » في الفكرة اولا · لقد ولدت في رحم امة وفي رحم شعب · من الظلم ان نقول ان ياسر عرفات او اخوانه هم الذين انشأوا « فتح » ، فهي التي كانت هاجس جيل باكمله · فمن الغليان ، الذي كان يعتمل فيرحم الشعب ، من المخاض الذي وجد تعبيرا عنه في انتفاضة غزة ، وتحركات ، من رابطة الطلبة الفلسطينيين والمعلمين ، من تظاهرات تمبلر الى مخاض تجربة الوحدة الى حرب ٥٦ ، من هذا الاتون المشتعل كله ولدت فتح ·

علينا ان نتذكر الشباب الثوري الذي كان يعمل في غزة سنة ١٩٥٤ ، ويقوم ببعض العمليات الفدائية · لنذكر ان الرئيس جمال عبد الناصر قد اتخذ قرارا بتشكيل مجموعات للفدائيين ، عندما لاحظ ان هنالك شيئا يغلي بعمل فدائي غير مسيطر عليه في غزة · وهنا نجد الرابط بين رابطة الطلاب الفلسطينيين في القاهرة ، باعتبارها الاطار الذي بقي يعمل

كمؤسسة في اعوام التيه الاولى ، وبين غزة التي بقيت تحمل اسم فلسطين · صحيح ان الضفة الغربية موجودة بكل الانتفاضات المتعددة التي فجرتها لكنهم حاولوا تحريرها من اسم فلسطين ، انما المنطقة الوحيدة التي ظلت تحمل اسم فلسطين هي غزة ·

وعلينا ان نتذكر كم كابدنا لادخال ما يمكن ادخاله من الطلاب الفلسطينيين في الكلية العسكرية · وكيف ساعدتنا صلتنا الجديدة مع الضباط الاحرار من تحقيق هذه الامكانية ، بجانب المجموعات الفلسطينية الاخرى في كلية ضباط الاحتياط المصريين ·

وحين جاءت سنة ١٩٥٦ وبعد حرب السويس وبما كانت تحمله من نهوض عربي على المستوى القومي ، لم نكن نرى على مستوى البعد الوطني [الفلسطيني] عملا قوميا ملموسا ينسجم مع هذا النهوض · لقد كانت اليقظة القومية كبيرة ، ولم يكن العمل من اجل فلسطين يحتل المرتبة الاولى من الالويات القومية · وكانت اللحظة الفارقة عندما قال جمال عبد الناصر لوفد من غزة انه لا يملك خطة لفلسطين « والذي يقول ان عنده خطة لفلسطين يضحك عليكم » · وهكذا حين بدانا نتجمع تحت جناح حركة فتح ـ الفكرة كنا نعلم انه لا يوجد عمل عربي من اجل فلسطين · اي ان المناخ الموضوعي الذي اولد الفكرة هو غياب عمل قومي حقيقي لفلسطين كما عبر عن ذلك بصراحة الرئيس عبد الناصر · لقد كانت ولادة الفكرة استجابة لغياب العمل العربي الثابت المكرس للقضية الفلسطينية من جهة ، وانسجاما مع حالة النهوض القومي الذي عم المنطقة العربية ، وتعبيرا عن المخاض الوطني الفلسطيني الذي هو جزء من العمل القومي · ولا انفصام بين الجزء والكل · لذلك ليس قوميا من يفرط بجزء من الوطن او يبخل عليه او يتهرب منه تحت شعار شمولية الكل ·

كنا نجتمع بعد حرب ١٩٥٦ · وبدأت فكرة « فتح » ترتدي طابع النضج · لم تكن « فتح » موجودة حتى الان · كنا نواة حركة فلسطينية هدفها تحرير بلادنا بالطرق المتعارف عليها لدى جميع الامم ، وفي الوعي العام العالمي بالنسبة لمضمون حركة التحرير · كانت بداية التجمع في غزة وفي مصر ، ثم في سوريا ، حيث جرت العلاقة مع اخواننا الفلسطينيين في سوريا في عامي ٥٧ و ٥٨ عبر قنوات الطلبة والخريجين ثم تبعتها العلاقة مع اخوتنا في الاردن · في ذلك الوقت ، وقت النهوض العربي والمخاض الفلسطيني ، كان ابناء شعبنا الفلسطيني يتكلمون عن الناصرية ، وعن القوميين العرب ، وعن البعثيين ، وعن الاخوان المسلمين وعن الشيوعيين وعن ··· وعن ، ولم يكن للعمل الفلسطيني وعاء وطني ، ولم يكن هنالك عمل مكرس لفلسطين · لم نجد في كل هذه الاحزاب والحركات السياسية من يضع فلسطين رقما اولا في عمله القومي · لم تكن الاولوية

لفلسطين · وهنا ، ادركنا ضرورة وحتمية بلورة نشاط محدد مكرس للهم الفلسطيني ، في دائرة المنطلق القومي · لم تكن الاقليمية هي التي تنشط حوافزنا الوطنية ، بل ادراك جوهر الصراع على المستوى الحضاري والقومي المتمحور في القضية الفلسطينية ، فلا بد للشعب الفلسطيني ان يؤسس اطاره التنظيمي في سياق حركة النهوض العربي ، لتلبية المهام الوطنية الفلسطينية المباشرة · تصوروا الان لو ان الثورة الفلسطينية لم تبدأ ، اكانت فلسطين قادرة على اعلان انها الجوهر ؟ وهكذا تمت بلورة فكرة البحث عن الخاص الفلسطيني في العام القومي ، وولدت المسيرة الفلسطينية بزخم متناسق في جدلية العلاقة بين الخاص والعام ·

بدأت الاتصالات الاولى في الكويت ، حيث يوجد تجمع فلسطيني كبير على مساحة ضيقة تسهل الاتصالات فيها ، وحيث توفرت القدرة المالية لدى الطليعة · وكانت في قطر حركة اخرى اندمجت معنا في اللحظات الاولى من خلال اخيكم ابو مازن واخيكم الشهيد ابو يوسف النجار واخيكم الشهيد كمال عدوان ، وكثيرين غيرهم ، وذهبت الى السعودية ، بطريقة التهريب ، للاتصال باخوتنا هنالك ، وفعلا اتصلت بأخيكم الشهيد عبد الفتاح محمود وغيره ·

□ كيف اخترتم اسم الحركة ؟

● هي حركة التحرير الوطني الفلسطيني ، اختصارها « حتوف » وهي ليست كلمة مناسبة · حذفنا الواو فصارت « حتف » وهي ليست مناسبة لان شعارنا « ثورة حتى النصر » وليس « ثورة حتى الاستشهاد » ولذلك قلبنا الحتف ، فصارت فتح · اي قلبناها الى الفتح المبين ·

في ذلك الوقت لم تكن فتح الحركة الوحيدة · كانت توجد حركات كثيرة ، وهذا ما كنت اعنيه بقولي لك ان المخاض لم يكن فتحويا فقط ، بل كانت هناك كثير من النويات في سوريا وفي القدس · وبما ان فتح كانت النواة الاكبر فقد اندمجت فيها نويات اخرى كثيرة منذ اللحظة الاولى ، وبعضها رفض الاندماج وانتظر ، وبعضها لم يندمج ·

□ من اين جاء التأييد الاول ؟

● من الجزائر · بدأت صلتنا بالثورة الجزائرية ، وانا اسمي تلك المرحلة بمرحلة البعد الجزائري · وكان اول اتصال مع محمد خيضر ، فقد جاء الى الخليج واجرى اتصالات واسعة مع الفلسطينيين ، ومنهم ابو رؤوف ، وهناك قال لنا كلمته الشهيرة : لو كنت فلسطينيا ومعي قنبلة

لفجرت نفسي وفجرت العالم ٠

اول مكتب لفتح كان مكتب الجزائر ، وبموافقة الثورة الجزائرية ، كان ابو رؤوف مسؤولا عنه ٠ وكان يقع في شارع فيكتور هيجو ، ثم استلمه الاخ ابو جهاد ٠ ومن المصادفات الغريبة ان هذا المكان الذي ما زال مركز الثورة الفلسطينية في العاصمة الجزائرية كان تابعا لقائد فرنسي يستخدم قبوه لتعذيب الجزائريين ، ومن المصادفات الغريبة ايضا ان هذا القائد الفرنسي كان يهوديا ٠

[وفي عام ١٩٦٢ بدأنا باصدار صحيفتنا الاولى « فلسطيننا » بمساعدة الاخ توفيق خوري ، وهو لبناني ، وكان هاني الفاخوري احد المسؤولين عن تحريرها] ٠

ومن الجزائر انفتحنا على العالم ، وجرى اول لقاء بيننا وبين جيفارا في الجزائر ، حيث التقى به ابو جهاد ٠ ثم التقى بشو ان لاي ، ووجه الينا الدعوة لزيارة الصين فذهبنا انا وابو جهاد في عام ١٩٦٤ ٠ وحين فتحنا خرائطنا وقلنا لهم اننا نريد ان نعمل ثورة لم يصدقونا ، وقالوا : من الصعب ان تنجح هذه الثورة ، لان الظروف الموضوعية المحيطة بكم لا تسمح بذلك ٠ قلنا لهم ان المسألة جادة رغم كل الصعوبات ٠ ومن الصين توجه ابو جهاد الى هانوي وكوريا ٠

□ وماذا كان موقف جمال عبد الناصر من الحركة ؟

● كانت اجهزة عبد الناصر تقدم له تقارير ضدنا ٠ وتوهمه اننا نعمل ضد عبد الناصر ٠ ويومها طرحوا الاعتراضات الثلاثة المعروفة : التوقيت، والتنسيق ، والتوريط ٠ كان ذلك بعد الانطلاقة في عام ١٩٦٥ ٠ ولم يقدم لنا اي دعم رسمي من مصر الا بعد حرب ١٩٦٧ ٠

ومن المهم ان نذكر ، لفهم الجو المحيط بعبد الناصر ، ان القرار الذي صدر عن القيادة العربية المشتركة برئاسة علي علي عامر قد اعتبر نشاط العاصفة خارجا عن القانون ولا بد من مواجهته ٠ وصدر قرار بملاحقة ومطاردة رجال العاصفة ٠ ومن غريب المصادفات انني كنت اثناء العدوان الثلاثي على مصر من ضمن قيادة علي عامر الموجودة في الزقازيق في المنطقة الشرقية، وهو الذي اصدر القرار فيما بعد بملاحقة رجال العاصفة٠

□ متى قابلت عبد الناصر اول مرة ؟

● حاولنا الكثير ٠ ولكن لم يتم اللقاء الا بعد هزيمة ١٩٦٧ ٠ كنا اول من ذهب اليه كثوار بعد هذه الهزيمة ، وقلنا له اننا في فتح نضع انفسنا

تحت تصرف مصر وعبد الناصر · واذا خسرنا المعركة فذلك لا يعني اننا خسرنا الحرب · ومنذ ذلك الحين تولدت بيننا علاقة حميمة ، في الوقت الذي كانت السكاكين تنهال عليه بلا رحمة ·

□ اين كان ابو عمار حين تمت العملية الاولى التي اعلنت ميلاد الثورة الفلسطينية ؟

● كنت في القدس ·

□ لماذا كان اليوم الاولى من الشهر الاول هو الموعد ؟ هل لذلك دلالة او معنى خاص ؟ او ظرف سياسي معين ؟

● كان من المفروض ان نبدأ في سنة ١٩٦٤ · كان في القيادة اتجاهان : الاول يستعجل الانطلاقة · والثاني : يدعو الى الانتظار · وفي عام ١٩٦٤ اجتمع المجلس العسكري سرا ، في القدس مرة وفي عمان مرتين · وصوت اعضاء المجلس على عدم الموافقة على الانطلاقة سنة ١٩٦٤ · كان الوقت اواخر آب (اغسطس) وبداية ايلول (سبتمبر) حيث كان مؤتمر القمة الثاني منعقدا في الاسكندرية ·

كان اعضاء المجلس العسكري الذين يؤيدون اقتراح تأجيل الانطلاقة يقولون انا في حاجة الى ٥٠٠ قطعة سلاح لكي نبدأ ، و ٥٠ الى ٦٠ الف دينار · وكنت انا وابو ماهر ، عضو القيادة المركزية ، من انصار الاستعجال · وحينما اختلفنا رفعنا الامر الى اللجنة المركزية التي اخذت بوجهة نظر الاخرين · وهنا ، اذكر هواري بومدين ، قابلته في وزارة الدفاع عام ٦٤ وقال لي : اذهب واطلق طلقة واحدة ثم عد الي ·

وحين كنا نتناقش داخل الحركة : ننطلق او لا ننطلق ، كان مؤتمر القمة الثاني يقر تشكيل جيش التحرير الفلسطيني · كانت وجهة نظرنا ان الثورة لا تأتي بأوامر أو تعليمات · ولكن اكثرية اعضاء القيادة كانت تريد التريث ·

وهنا اذكر ابو يوسف يرحمه الله · كنا جالسين على الشاطيء الكويتي سألته : ما رأيك في ان نبدأ الانطلاقة ؟ نعمل عملية عسكرية نختار اسما لها · اذا نجحت تتبناها فتح ، واذا لم تنجح يكون الذين قاموا بها « شوية » شباب متحمسين ، وتستمر فتح في الاعداد الى ان تصبح الظروف مهيأة · وافق ابو يوسف ، وجاء ابو جهاد من الجزائر ، والاخوة الآخرون من امكنة متعددة ، وتم الاتفاق على ذلك · وعين ابو يوسف

قائدا عاما للقوات ، وكنت انا قائد المجلس العسكري ٠

انني اذكر نتفا فقط هنا وهنالك ، ولا اسجل تاريخا للثورة ٠ حتى لا يعتب علي أحد في هذه العجالة من الامثلة ٠

كانت عناصرنا في ذلك الوقت تجوب الارض المحتلة ٠ وكنا واضعين مشروع المياه القطري نصب اعيننا ٠ وحصل اول اشتباك مع القوات الاسرائيلية في ١٩٦٤/٨/١٧ في منطقة بيسان ٠

كانت سنة ١٩٦٤ سنة خطيرة ٠ كاد الاسرائيليون ان يلقوا القبض على الكثيرين منا ، بل كادوا ان يلقوا القبض على ابو اياد في رام الله ٠ وهنا اتذكر نقطة هامة : صحيح اننا قررنا ان تكون الانطلاقة في ١٩٦٥/١/١، ولكن بعض الاخوان كان قد اقسم ان نفجر الثورة في ١٩٦٤ ، ولذلك كانت اول عملية في دير نحاس الساعة ١١ مساء يوم ١٩٦٤/١٢/٣١ ، وقد استشهد احد شبابنا وهو الشهيد رمضان البنا تحت التعذيب في السجون الاسرائيلية ، وهو الذي كان قد أشرف على العملية ، ومن الذين اقسموا على ان تبدأ الانطلاقة عام ١٩٦٤ ٠

□ **اعلان الثورة في منطقة حساسة ، مليئة بالتناقض وآبار النفط والمصالح الاميركية ، كان بمثابة اعلان الحرب على المستحيل ٠ فكيف حددتم منذ البداية مسالة التحالفات ؟**

● كان هذا السؤال واردا منذ البداية ٠ وكانت الجزائر اول من تحالف معنا واعطانا الدعم السياسي والاعلامي ٠ ولكن الجزائر بعيدة ، ولا بد لنا من حلفاء على خط التماس ٠ وقد وجدنا هذا الدعم في سوريا التي اقمنا معها علاقة خاصة بعد الثامن من اذار ٠ وانا اعتبر هذه العلاقة بين الثورة الفلسطينية وبين حزب البعث علاقة استراتيجية ذات اهمية خاصة ، لانها تتحقق على خط التماس ٠ وقد أمن الحزب بحركتنا ، وكان دعمه مظلة حماية لنا في تحركنا السياسي والعسكري ٠

اود ان اذكر في هذا السياق ان حافظ الاسد كان يهرب لنا بعض الاسلحة من دون علم قيادته ٠ ان العلاقة مع سوريا قد اعطت الزخم للثورة الفلسطينية ، خاصة وانه لم يكن من الممكن التحرك من لبنان علانية وكذلك من الاردن٠ فكانت سوريا نقطة الانطلاق٠ والنقطةالمحورية٠

وعلى مستوى الامة ، كنا نعرف ان حركتنا هي المعبرة عن نبض الامة العربية وعن طموحها في الحرية والتحرر ، وانها ستلتف حولنا ، ولن تبخل علينا بأي دعم ٠ وعلى المستوى العالمي ، كنا نعرف ايضا ان مسيرتنا هي جزء قوي من مسيرة احرار العالم ، والعالم لا يحترم الضعفاء ٠

□ **هل تصورتم ، حين اطلقتم الرصاصة الاولى ، ان تواجهوا هذا العدو الكبير من الاعداء، فمنذ عام ٦٥ الى الان وانتم تخوضون حروبا، في طريقكم الى فلسطين؟**

● بصراحة ، لا · لم اتصور اننا سنخوض كل هذه الحروب · كنت اتصور اننا سنواجه صعوبات كبيرة وشديدة في طريق التحرير ، ولكن لم اتصورها بهذا العنف وهذه الشراسة ·

الان يمكنني ان اقول ما معنى الثورة الفلسطينية ، وما معنى شراسة الهجوم ، فبعد هذه التجربة العريضة نستطيع ان نعرف ان الثورة الفلسطينية تمثل هذا التحول الحضاري في المنطقة العربية ، ومن هنا يتكاثر علينا الاعداء ، وهم الامبريالية العالمية والصهيونية وعملاؤهما في منطقتنا العربية · ان الحكاية ليست حكاية قطعة ارض نأخذها فينتهي الامر · وما هو سبب هذه الشراسة في الهجوم ؟ السبب هو معرفتهم (اي الاعداء) لحقيقة ما تمثله الثورة الفلسطينية من مستقبلية لا تخص الفلسطينيين وحدهم ، او مستقبل نتائج التغيير التي تخلقها الثورة باعتبارها نقطة التغيير الحضاري في هذه المنطقة العربية · من هنا تنشأ شراسة هجوم الاعداء الذين يفعلون كل شيء للحيلولة دون الميلاد العربي الجديد ، وما يمثله من آيات التحدي الحضاري· وفي المقابل كان التصميم الفولاذي والرائعمن شعبنا · لذلك لم يتوقف شلال الدم لحظة واحدة ·

لا تتصور مدى التأثر الذي اصابنا حين سقط اول شهيد · وحين سقط اربعة شهداء في عملية واحدة كانت الضربة قاسية ، وكنت مع اخواني كأن على رؤوسنا الطير · والان ، لا نستطيع تماما ان نحصي شهداءنا وضحايانا وخسائرنا · كم خسرنا في معركة العرقوب الاولى والثانية ؟ كم خسرنا في القواعد المنشأة في ١٩٦٧ داخل الارض المحتلة ؟ لقد دمرت ٣٤ قاعدة لنا ، وانشأنا قواعد جديدة للانطلاق ولاستمرار الثورة · كم خسرنا في الحرب الاخيرة في جنوب لبنان · حين نرى هذه القائمة الطويلة من الشهداء ندرك معنى شلال الدم · ومن المؤسف ان اكثر من نصف شهدائنا سقط فيالمعارك الجانبية للدفاع عنالثورة وعناستمرارها·

□ **لحظات الخطر الحقيقي ، هل مرت الثورة بها الى درجة تبعث على القلق الشديد ؟**

● نعم · كانت هنالك لحظات خطر · ولكن لم افقد ايماني ولا مرة ·

□ اخ ابو عمار ، بماذا تؤمن ؟

● انا رجل مؤمن بكل المعنى الديني ، ولم يهتـز هذا الايمان ابدا ولا لحظة من اللحظات ٠

وانا اؤمن بشعبي ، ولم افقد هذا الايمان ابدا ولا لحظة من اللحظات٠ هذا الشعب يعطي ما يفوق السؤال ٠ ولا مرة راهنا عليـــه الا وكـان مستعدا ٠ ان لبعض الشعوب قيادة تتقدمها ، اما الشعب الفلسطيني فانه كان دائما ، وعلى مجرى تاريخه اهم من القيادة ٠

□ متى كانت لحظات الخطر الحقيقي ؟

● دعني اعدل التعبير ، سمها لحظات القلق الشديـــد ٠ وهي كانت كثيرة : في عمان ، في جرش ، في عجلون ، وعندما طلعنا الى جبـــل الشيخ وقلت كلمتي الشهيرة ٠٠ يا سارية الجبل ٠٠٠ الجبل جبل الشيخ ٠٠ جبل الشيـــخ ٠

وفي بيروت كانت لحظة خطر ٠ وفي حرب الجنوب ايضا ٠ لكن ، وفي كل مرة ، تخرج الثورة اقوى مما كانت ٠ وقد سمى صديق سوفياتي هذه المسألة بالظاهرة الفلسطينية ٠ قال لي انه كان يتحدث مع مفكر اميركي عن الشرق الاوسط ، ولا يمكن لاحد ان يتكلم عن الشرق الاوسط دون ان يتكلم عن الثورة الفلسطينية التي اتفقنا على تسميتها بالظاهرة الفلسطينية التي تتعدى كل حسابات اجهزة الكمبيوتر ، فكلما اشارت العقول الحاسبة الى ان الثورة انتهت تتقدم الثورة بقوة اكبر ٠

□ ما هو سرهـــا ؟

● كما قلت قبل قليل : شعبنا احسن من قيادته ٠ قدرة هـذا الشعب على العطاء ، وعلى تجاوز الاخطار ، وعلى مواجهة التحديات هو ســـر الثورة ٠ خذ كامب ديفيد مثالا ٠ كنت قلقا من كامب ديفيد وتأثيراته على اهلنا في الارض المحتلة ٠ ولكن المفاجأة كانت اكبر مـن التوقـــع ، واذ بالقنبلة الزمنية الفلسطينية هي اهلنا في الارض المحتلة ٠ خذ مثالا آخر : اهلنا في فلسطين المحتلة ١٩٤٨ ، كل حسابات الكمبيوتر تقول انهم قـد لانوا امام شراسة المعاملة الاسرائيلية والاساليب الشيطانية في تطويقهـم واحكام الحصار حولهم ، واذ بهم اكثر مجموعاتنا الفلسطينية التصاقـا بالارض وقدرة على التحدي والاستهزاء بالعدو ٠

□ هل تتوقع مزيدا من المعارك الجانبية بعد اتفاقيات كامب ديفيد ؟

● ما زلت اقول ان المعارك الجانبية لا تتوقف ، لان المعركة ليست معركة خاصة بالشعب الفلسطيني · الثورة الفلسطينية هي « كلمة سر » الامة ، هي نقطة التغيير ، واشارة المنعطف التاريخي · ولذلك لن تتوقف قوى الامبريالية والصهيونية المتضررة بهذا التغيير عن محاولة القضاء علينا · واذا لم تنجح في تحقيق هذا الهدف ، فمن مصلحتها على الاقل ان تؤخر مسيرتنا باشغالنا بحروب جانبية · ان الحروب والمعارك الجانبية قد اثرت كثيرا على مسيرة الثورة ، على الرغم من انها زادتها صقلا وتجارب وساهمت في احتكام الاطراف الى مصداقية التجربة ، واوضحت حدود التحالف ، واسقطت اقنعة · كان لا بد ان يحدث ذلك ، لان الثورة الفلسطينية ليست ثورة فلسطينية فقط ، وانما هي فلسطينية الوجه ، عربية العمق والقلب ، عالمية الابعاد ·

□ كيف تحدد هذا البعد العالمي في تقاطعه العربي ؟

● الثورة الفلسطينية اليوم برؤياها الاستراتيجية الصحيحة استطاعت ان تحتل مواقعها في العالم باعتبارها ثورة تحرر عربية ، وباعتبار هذه الحركة جزءا لا يتجزأ من الحركة الثورية في العالم · وهو مصدر فخر وقوة لنا ان نلعب هذا الدور · وفي هذا الزمن الذي تتحمل فيه الثورة الفلسطينية مسؤولية طليعية وقياديه في المنطقة العربية ، في التغيير الذي يغير في العالم ، تتكامل لها كل الابعاد ·

□ فتح هي العمود الفقري للثورة الفلسطينية التي تحتل هذا الموقع في حركة الثورة في العالم · كيف يحدد الاخ ابو عمار ، على المستوى النظري وعلى المستوى العملي ، طبيعة فتح الثورية ؟

● طبيعة اصدقائنا وحلفائنا وطبيعة اعدائنا هي التي تحدد تقدميتنا · وعملية تغيير الواقع التي تقوم بها الثورة في مواجهتها الامبريالية الاميركية والصهيونية تحدد على المستوى العملي هذه الطبيعة ·

□ هل هذه التحالفات ثابتة ؟

● اكثر شيء ثابت في هذه المنطقة العربية هو تحالفات الثورة الفلسطينية ·

□ اخ ابو عمار ! انك تسير الى فلسطين ، فهل تسير في خط مستقيم ؟

● هل مشيت في حقل الغام ؟

□ لا ٠

● انا مشيت ٠ المشي في حقل الالغام لا يكون مستقيما ، والا انفجرت الالغـــام ٠

□ اخ ابو عمار ! باي معيار تحاكم السياسة العربية ؟

● بالموقف من فلسطين ٠ وليس هذا الكلام شوفينيا ٠ في لحظة مـن اللحظات كان الموقف من السيد المسيح هو الموقف من الثورة الحقيقية في العالم ٠ وفي لحظة من اللحظات كان الموقف من محمد (صلعم) معيار الموقف الصادق ٠ وفي لحظة من اللحظـــات كان الموقف من التفكيـــر الاشتراكي هو معيار التقدم ٠ لنذكر فيتنام ، كان الوقوف معها يشكـــل الموقف الثوري العالمي وفي وقت كان الموقف من الثورة الجزائرية هو المعيار في امتنا العربية ٠ والموقف من الثورة الفلسطينية اليوم هو امتحـــان لمصداقية اي موقف ثوري ، واي موقف انساني ٠

□ بعد كامب ديفيد ، وبعد اخراج مصر من المعركة ، طرحت قمة دمشق مسالـة الخيارات الاستراتيجية ٠ وفي قمة بغداد ، التي عقدت تحت شعار الحـد الادنى ، توجت العلاقة الجديدة بين سوريا والعراق ، وبين منظمة التحريـــر الفلسطينيـــة والعراق والاردن ٠ كيف تقيمون هذا المؤتمر ، والى ايـــن وصلت الخيـــارات الاستراتيجيـة ؟

● في مؤتمر الصمود والتصدي في دمشق قلنا ان هنالك خيـــارات واضحة امام امتنا العربية ٠ وقلنا ان الخلل الاستراتيجي الذي حدث في المنطقة نتيجة خروج مصر من المعركة لا بد ان يعوض بقوة العرب مـــن جهة ، وبالقوة الحليفة من جهة اخرى ٠ القوة الحليفـــة ليست اميركـا بالطبع ٠ القوة الحليفة هي اصدقاؤنا الاشتراكيون وفي مقدمتهم الاتحاد السوفياتي ٠ وفي مؤتمر بغداد لم يتغير هذا الفهم ، بضرورة حشد اكبـر قدر من امكانيات العرب الذاتية وحلفائهم الاستراتيجيين ٠

في بغداد حدث النجاح الذي لم يكن يتوقعه الكثيرون ، فقبل المؤتمر كان اللقاء السوري ــ العراقي الذي قدم تعويضا كبيرا عن الخلل الاستراتيجي

بدخول الجيش العراقي طرفا مباشرا في الصراع يدعم سوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية ٠

كل ذلك يقدم تعويضا ، بنسبة كبيرة ، للامكانيات العربية ، ولكن لا نستطيع الغاء التعويض الاخر الذي يجب ان يتم من خلال حلفائنا العالميين ٠ ما هي نسبة حاجتنا اليهم ؟ ذلك ما تقرره الايام القادمة ٠ لا شك ان هنالك كثيرين في المنطقة العربية ضد هذه العلاقة ، وخاصة الدول التي لا علاقات بينها وبين الاتحاد السوفياتي ٠

□ اذن ، ماذا تبقى من الخيارات ، واية صيغة حل تتحرك السياسة العربية في اتجاهها ، هل هي شيء من جنيف ، ام هي شيء من اللاسلم واللاحرب ؟

● اولا يجب ان نعرف ان كامب ديفيد قضى على جنيف ، واعطى القرار ٢٤٢ صيغة جديدة متغيرة الى الاسوأ ٠ كان كامب ديفيد عبارة عن شروط وضعها بيغن ، وجملها كارتر ، ووقع عليها السادات ٠ الكل يعرف مساوىء كامب ديفيد من اضفاء الشرعية على الاحتلال الاسرائيلي، الى تهويد القدس ، الى اعادة سيناء منقوصة السيادة ، الى التدخل في السيادة المصرية داخل القاهرة ٠ فالحوار الدائر الان هو حول موقف مصر ، بعد التوقيع على معاهدة الصلح حول المادة (٦) واهمها التزاماتها العسكرية في الجامعة العربية ، وفي معاهدة الدفاع العربي المشترك ، بينما رئيس اركان مصر هو رئيس اركان الجامعة العربية ٠ اي ان الخيار المعروض على النظام المصري الان ، وكشرط للتوقيع على المعاهدة مع اسرائيل ، هو ان يختار بين اسرائيل وبين الامة العربية ٠

معنى ذلك ان اتفاقية كامب ديفيد تمس السيادة المصرية على القاهرة ذاتها ٠ واقرب مثال على ذلك انه عندما صوتت مصر في اليونيسكو ، وقبل ان توقع في بلير هاوس ، ضد تهويد القدس ، وعندما صوتت في الامم المتحدة مع فلسطين ، احتجت اسرائيل ٠

هذه هي حقيقة التسوية التي اوضحتها اتفاقيات كامب ديفيد ، فهل هناك تسوية اخرى مطروحة على الاطراف الاخرى لكي يصبح الخيار الاستراتيجي اقل الحاحا ؟

لا شيء اخر مطروح حتى الان ٠ لا شيء خارج هذا الاطار الذي حددوه للتسوية ٠ وحين فعلوا ذلك قالوا بوضوح ان لا شيء خارج الاطار ، لا شيء خارج الصلح بشروط المنتصر (وهو لم ينتصر) على المهزوم (وهو ليس بمهزوم) ٠

ونحن لم تنتصر علينا اسرائيل لكي نقبل هذا الصلح المهزوم · وانا دائم القول انه لم يسجل على الثورة الفلسطينية انها هزمت امام الاسرائيليين · في حرب الجنوب · وفي الكرامة · والعرقوب الاولى والثانية والثالثة ، ومارون الرأس ، والخيام وجنوب البحر الميت ، في طول ارضنا المحتلة وعرضها لم نهزم في معركة عسكرية مع اسرائيل ، فلماذا اقبل بشروطها وبشروط الاميركيين ؟

ان الخيار الوحيد امام الامة العربية هو ان تعد نفسها للمواجهة الواضحة · ولن تستطيع المواجهة الا بالشروط التي وضعها مؤتمر الصمود والتصدي في دمشق : ملء الخلل الاستراتيجي وبناء القوة العربية من خلال التعاون والتنسيق مع الحلفاء الاشتراكيين ·

على مستوى الثورة الفلسطينية : لم نوقف ، ولا نوقف ، ولن نوقف القتال · منذ ١٤ سنة والقتال مستمر · ان معدل عملياتنا العسكرية حوالي عمليتين في اليوم ، وهذا العمل على المستوى العسكري ليس هينا · وهي تشغل ١١١ الف جندي وشرطي ورجل امن وحرس وطني حسب احصائياتهم · ولكن يجب ان نضع في اعتباراتنا ان مناورات اعدائنا كثيرة ، وهم الان يتفننون في المناورة تلو المناورة من الترهيب الى الترغيب وعلى كافة المستويات ·

□ لنعد الى « فتح » ، هل لنا ان نسالك كيف تطورت واستطاعت ان تشكل مكانتها القيادية في الثورة · وما هي ؟ حركة ، ام جبهة ، ام نواة حزب ؟

● فلسطينية « فتح » هي تكريس لعروبتها وقوميتها · وكما قلت في بداية حديثي ان العمل الفلسطيني هو عملية تخصص في اطار النضال في داخل الامة العربية · ولقد تميزت فتح في رؤيتها لمستقبل الصراع ، وفي قدرتها على التعامل مع الواقع الملموس بعقلية جديدة واعية ، وعلى الرغم من كل ما يواجهها من مخاطر · نحن قلنا بضرورة التخصص في العمل النضالي على الساحة الفلسطينية من اجل فلسطين · كان ذلك بمثابة جريمة كبرى في الماضي · ولكن التجربة والاحداث اثبتت صدق هذه الرؤية في هذا المجال · وقلنا انها غير خاضعة ولا تابعة ولا موجهة الا لارادة الشعب الفلسطيني · كان ذلك يعتبر اقليمية في لحظة من اللحظات، خاصة في زمن المد الجماهيري العربي ، ولكن حين يعلن عبد الناصر — كما ذكرت — عن عدم وجود خطة لتحرير فلسطين ، فانه يضيف سببا جديدا لضرورة القيام بعمل وطني هدفه الاول العمل الفلسطيني · بعد ذلك اقترحنا اسلوبا جديدا للنضال وكان فهمنا كالاتي : من البندقية ومن فوهة البندقية ترسم الخارطة السياسية الجديدة في المنطقة العربية · ثبت

ان ذلك صحيح ، فما من شعار رفعته فتح الا واصبح شعار الامة العربية· « الكفاح المسلح » اصبح شعارا في الامة العربية · الثورة الجماهيرية ، او ثورة الجماهير اصبحت شعارا للامة العربية ···

ونحن نفهم ان فلسطين طريق الوحدة ، وليست الوحدة طريق فلسطين·

ونحن نفهم ان الصراع مع اسرائيل انما هو صراع بين امتنا العربية وبين العدو الصهيوني الذي هو جزء لا يتجزأ من الامبريالية العالمية ، ونفهم اهدافه التوسعية ، ونحن نفهم ان الذي يريد ان يقارع الامبريالية العالمية يجب ان يقارعها في فلسطين اولا في هذه المرحلة ، وفي هذه المنطقة ·

ونحن نفهم انه لا تنمية جذرية في المنطقة العربية ما دام التحدي الصهيوني قائما ·

وعلى صعيد الفكر الفلسطيني طرحنا فكرة الدولة الديمقراطية ، وهي اول مشروع حل حضاري يقدم ، وبرؤيا انسانية ، لحل المشكلة · واول طرح عربي لها ·

بعد ذلك قلنا السلطة الوطنية والدولة الفلسطينية على اي جزء محرر من التراب الفلسطيني ·

وهكذا استطاعت الحركة ان تجسد آمال شعب ، وان تؤطر هذه الامال ضمن مفاهيم ثورية ، ومؤسسات نضالية على مختلف الاصعدة ، من النشاط الاقتصادي الذي تقوم به « صامد » الى العمل الانساني الذي تقدمه جمعية الهلال الاحمر الفلسطيني ، الى العمل الدبلوماسي في هيئة الامم المتحدة ، الى النشاط العسكري الذي كانت قمته الحرب الخامسة في الجنوب اللبناني ، التي واجهت فيها الثورة الفلسطينية ، مع حلفائها اللبنانيين ، حوالي ثلث الجيش الاسرائيلي ، الى العمل السياسي داخل الساحة العربية · وللثورة دورها البارز في حل المشكلات العربية الداخلية وفي التوسط ، مثل دورها في حل المشكلات ما بين مصر وليبيا ، بين العراق والكويت ، بين اليمنين ، وبين السعودية وابو ظبي والامارات · وفي العمل النضالي على الساحة الدولية ·

□ عن التركيب والبناء الداخليين لفتح ·

● الخطأ الذي يرتكبه بعض الناس هو انهم يحاسبون « فتح » بالمقاييس الحزبية ، وهذا ظلم · حتى التنظيمات الاخرى ، التي اكن لها الاحترام ، لها اهتماماتها ، ويأتي اهتمامها بالحرب بعد فتح ، التي تحمل العبء

الاساسي في الحرب · ان ثورة تحارب وتخوض مثل هذه الحرب لا بد ان تنعكس الاثار العسكرية على مظاهرها التنظيمية ·· نحن لم نتوقف عن القتال ، وهذا مفخرة لنا ، معنى ذلك ان الاولوية عندنا للقتال وللعمل العسكري · وهذا يأخذ من رصيد اي عمل اخر · اعترف بان هنالك مشكلة تنظيمية ، ولكن ضغط المعارك يؤثر على المشكلة التنظيمية ، والا فسيكون حلها على حساب العمل العسكري · بينما الاحزاب تستطيع حل مشكلاتها التنظيمية بسهولة ·

ويجب ان تعرفوا ان فتح حركة تقدمية ، وليست جبهة او حزبا · انها حركة التحرير الوطني الفلسطيني وتمثل شمولية الشعب الفلسطيني بكل مشكلاته · ان فتح رقم لا يقبل القسمة ولا الجمع ولا الطرح · انما يقبل التفاضل والتكامل ·

□ هل ترون ان الظروف الان اكثر ملاءمة للوحدة الوطنية ؟ وباي معيار تحاكمون مختلف المنظمات الفلسطينية ؟

● بمدى ارتباطها بمصلحة الشعب الفلسطيني ، والتزامها باهداف نضاله · نحن نسعى الى ان نشكل جبهة قاعدتها البرامج المرحلية التي نتفق عليها داخل منظمة التحرير · ولذلك نحن ندعو الى الوحدة وليس الى التوحيد · ومن هنا اهمية ما استطاعت فتح ان تعمقه بمفاهيمها في الساحة الفلسطينية · ولا شك ان المصالحات العربية تساعد الان على الوحدة ، لانها تخفف المشكلات داخل الساحة الفلسطينية ·

[أجرى الحديث : محمود درويش ·
بالاشتراك مع : احمد عبد الرحمن ·]

معـن بشـور

حقـائق وحدويـة في الثورة الفلسطيـنيـة

بعد مرور ١٤ عاما على ولادة الثورة الفلسطينية المعاصرة ، يمكننا ان نقول انه اذا كان صمود هذه الثورة واستمرارها ، رغم كل ما احيط بها من دسائس ومؤامرات ، هو دليل راسخ على القوة الموضوعية لوحدة النضال العربي ، فان نضال شعب فلسطين من خلال ثورته المسلحة كان قوة رئيسية من القوى التـي تشكل الحركة التاريخية للوحدة العربية ٠

ذلك ان هذه الثورة ، التي اضطرتها ظروف التشرد والتشتت ، ان تنطلق من خارج الارض المحتلة ، وان تبقي على وجودها المسلح الرئيسي في هذا القطـر العربي او ذاك ، ما كان ممكنا لها ان تستمر وتصمد كل هذه السنوات لو لـم تجد في الجماهير العربية وقواها القومية والوطنية سياجا منيعا ، لم تجده في العديد من الانظمة والحكومات العربية ٠

كما ان هذه الثورة التي ولدت في اجواء التراجع الوحدوي الذي شهدتـه مرحلة الستينات بعد انفصال ١٩٦١ ، والتي توجتها هزيمة الخامس من حزيران، لم يكن لها ان تحظى بهذا الالتفاف الجماهيري الكبير لو لم تجد فيهـا امتنـا العربية قوة قومية هامة فيها الكثير من ملامح الثار لجريمة الانفصال من القوى التي صنعتها ونفذتها (الاستعمار ، الصهيونية والقوي المرتبطة بهما) ، بل فيها ايضا الكثير من ملامح المرد على هزيمة حزيران ذاتها ٠

ويوم جددت الثورة الفلسطينية انطلاقاتها في آب ١٩٦٧ ، ولم تكن قـد مرت اسابيع على الهزيمة ، لم تفعل ذلك استجابة لحاجات فلسطينية بحتـة ، لان الظروف الفلسطينية لم تكن بعد مهيأة لتجديد انطلاقتها المسلحة ، بل كانت تفعل

ذلك بالدرجة الاولى استجابة لحاجة قومية وعربية ، حيث كاد جو الهزيمة واليأس يفتك بالمواطن العربي من المحيط الى الخليج ٠

فمثلما كانت الرصاصة الاولى سنة ١٩٦٥ فيها الكثير من ملامح الرد على تراجع قومي اطلقه انفصال ١٩٦١ ، كانت كل القرارات الاساسية في حياة الثورة الفلسطينية باعثة لنهوض متواصل على الصعيد القومي ٠

واذا كتب الكثير عن العلاقة بين فلسطين والوحدة العربية ، فان القليل القليل قد كتب عن العلاقة بين ثورة فلسطين المعاصرة وبين الحركة التاريخية للوحدة العربية ، واكتفى معظم المتعاملين مع هذه القضية بتبني احد شعارين ، امـا (فلسطين طريق الوحدة) او (الوحدة طريق فلسطين) دون اي جهد حقيقي لبلورة هذه الشعارات فكريا واستراتيجيا وسياسيا ٠

وحين انصب النضال العربي عموما ، وكفاح الشعب الفلسطيني خصوصا ، في الاعوام التي تلت النكبة وسبقت الثورة ، على العمل اليومي باتجاه بناء الوحدة العربية كطريق وحيد للتحرير ، نجد ان هذا النضال الفلسطيني انصب في المرحلة اللاحقة على العمل المسلح ضد العدو الصهيوني باعتبار ان القتال ضد العدو هو الطريق الحقيقي باتجاه الوحدة ٠ حتى ليبدو اليوم ، اكثر من اي وقت مضى ، انه من الضروري اعادة صياغة العلاقة بين النضال العربي والكفاح الفلسطيني على قاعدة جديدة وهامة ، يرتبط فيها نضال الوحدة بشكل عملي ويومي ملموس بمسألة التحرير ، كما يرتبط فيها الكفاح الفلسطيني من اجل التحرير على الدوام بآفاقه الوحدوية ٠

ان الانطلاق نحو صياغة هذه العلاقة الجديدة ليس مهمة القوى الثورية الفلسطينية فقط ، وانما هو بشكل اساسي مهمة القوى الثورية والوطنية العربية، التي من واجبها ، بالدرجة الاولى ، ان تستوعب مجموعة من الحقائق والوقائع التاريخية والهامة المتصلة بالثورة الفلسطينية المعاصرة ، لتشكل على ضوئها نهجها الاساسي في صياغة العلاقة السليمة والصحية مع هذه الثورة ٠

اولى هذه الحقائق هي ان الثورة الفلسطينية ، وان كانت في انطلاقتها الاولى فلسطينية التركيب والتركيز ، الا انها في مسيرتها الصاعدة كانت وحدوية التأثير وقومية التحريك ٠

فحين تثبت دراسة التجارب الوحدوية في العالم ، ودراسة تاريخ الوحدة العربية القديم والحديث ، بأن اي وحدة قومية حقيقية لا تتحقق بشكل فعلي وناجز الا في جو المعركة الملتهبة مع الاعداء ، لان مثل هذه المعارك هي التي تستنهض طاقات الامم وتستنفر امكاناتها ، وتمكنها من تجاوز كل اسباب الانقسام الثانوية والعابرة ، تأتي ثورة فلسطين بتصديها المتواصل للعدو ، وابقاء الامة العربية في جو صراعها مع الصهاينة والامبرياليين ، لتشكل على الدوام دافعا وحدويا ،

ومحركا قوميا هاما في حركة النضال العربي المعاصر ٠

فكل عملية عسكرية ضد العدو الصهيوني ، سواء جرت من داخل الارض المحتلة او من خارجها ، هي عملية وحدوية بالضرورة ، ليس لانها توحد المشاعر العربية على امتداد الوطن الكبير فحسب ، وانما لانها ، بما تطلقه من تفاعلات وتحركه من تطورات ، انما تسهم في خلق اجواء التلاحم القومي والتقارب بين الاقطار على طريق التضافر والتماسك والوحدة ٠

وثاني هذه الحقائق ايضا ، ان الثورة الفلسطينية وهي في اجواء الدفاع عن ذاتها ، وعن حريتها ، وعن حقها في النضال ، انما تصطدم بالضرورة بكافة القوى والاوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية التي تشكل عقبات موضوعية في وجه حركة الوحدة العربية ٠

فثورة فلسطين هي بالضرورة احراج مستمر ودائم للاقليميات العربية القائمة على مبدأ الانعزال والانكفاء عن اية ممارسة قومية تتعدى كيانها واقليمياتها ، فهي اولا تضع هذه الاقليميات على محك التماس المباشر مع العدو الصهيوني ، ومع اطماعه التوسعية وحقيقته العدوانية فتجد هذه الاقليميات نفسها امام طريقين لا ثالث لهما : اما طريق الاستسلام الكامل لارادة هذا العدو ، بما يعني ذلك من تفريط حتى بالسيادة الوطنية والاقليمية ذاتها ، واما طريق التصدي والمجابهة بما يقود اليه من توجه نحو توحيد الجهود والطاقات على الصعيد العربي ٠

كذلك ، فهذه الثورة تضع المنطلق الاقليمي ذاته تحت الاضواء ، فيضطر الى المجاهرة بحقيقته الاقليمية كي يتهرب من التزامه القومي بتبعات المجابهة مع العدو ، ويصبح من الصعب عليه الاستمرار في تضليله القومي الى ما لا نهاية ٠

بل ان هذه الثورة باستمرارها انما تضعف ، ثالثا ، الاقليمية الفلسطينية ذاتها بما تمثله من فئات وقوى ومصالح ، لان استمرار الثورة هو رهان على التفاف الجماهير العربية حولها وبالتالي رهان على قوة وحدة النضال العربي التي يتراجع امامها منطق الاقليميين الفلسطينيين الذين يبنون كل تحليلها على الخذلان العربي ، والتنكر العربي ، والتخلي العربي ٠

ان التجربة اللبنانية مثلا اثبتت كيف ان الثورة الفلسطينية تمكنت من ان تهزم اقليميتين على الاقل في آن معا ٠ اقليمية لبنانية متعصبة تمثلت باعلى درجاتها في الحركة الطائفية الانعزالية التي وصل بها رفضها لتحمل اعباء الوجود الفلسطيني في لبنان الى درجة الارتماء في احضان العدو الصهيوني ٠ واقليمية فلسطينية ضيقة الافق وجدت ان كل منطقها ينهار تحت شلالات الدم اللبناني المتدفق لحماية ثورة فلسطين ٠

ففي لبنان ، وقبل تواجد الثورة الفلسطينية على ارضه ، نجحت الكيانية

اللبنانية ، كتكوين سياسي تقف وراءه الحركة الانعزالية الطائفية ، في تقديم نفسها الى اطراف متعددة ، بل متناقضة احيانا ، على انها الصيغة المثلى للمجتمع اللبناني ، وتمكنت هذه الانعزالية الطائفية ان تخفي جوهرها الفاشي المتعصب خلف مظاهر من الديمقراطية والتعايش جعلتها تنجح في تضليل قطاع واسع من القوى والانظمة والفئات داخل لبنان وخارجه ٠

بل واستطاع نجاحها هذا ان يجعل لها بريقا في اكثر من كيان عربي ، ممن حاول ان يحذو حذو « الصيغة اللبنانية » هذه ، وان يبرر كيانيته او انفصاليته او اقليميته بالمبررات التي تمده بها هذه الصيغة اللبنانية ذاتها ٠ فكان عصر ازدهار الكيانية اللبنانية الى حد كبير هو ذاته عصر انحسار الافكار الوحدوية العربية ، وبدا وكأن الوضع اللبناني الخاص والمتميز ، لم يعد وضعا خاصا ومتميزا ، بل ظهرت عدة محاولات لتعميمه ومد هذه « الخصوصية » الى خارج لبنان ايضا ٠

حتى جاءت الثورة الفلسطينية الى ارض لبنان ، فتنبهت الانعزالية الطائفية منذ اللحظات الاولى للخطر الذي يحمله وجود هذه الثورة عليها ، وعلى ركائزها الفكرية والسياسية ، وبشكل خاص على عملية الخداع التاريخية التي نجحت بها طيلة العقود الماضية ٠

فمع وجود هذه الثورة اصبح من الصعب جدا على هذه الحركة الطائفية الانعزالية ان تستمر في عملية خلط الخطوط والالوان ، وفي التداخل بين حدود الوطن وحدود الكيان ، وفي اخفاء الناب الطائفي الكاسر وراء قناع التعايش الكاذب ، والامتيازات البشعة وراء « الضمانات المشروعة » ، والوحشية الدموية وراء دعاوى الحضارة والمدنية ، والارتباط المفضوح بالعدو الصهيوني خلف الحديث عن (الوجه العربي) للبنان ٠

واذا كان مصير هذه (الخدعة التاريخية) التي اسمها (الكيانية اللبنانية) هو الانكشاف آجلا ام عاجلا ، فلقد ساهمت الثورة الفلسطينية في معارك الدفاع عن نفسها ، ومن خلال التحامها بالجماهير اللبنانية ، في التعجيل بكشف هذه (الخدعة التاريخية) على اوسع نطاق ، بحيث اصبح اصحابها اليوم في عزلة شبه كاملة حتى عن اكثر القوى المحلية والعربية والدولية التي كانوا يعتمدون عليها ٠

بل وعلى قاعدة هذا الانكشاف التاريخي ، اتضح الترابط العميق بين المصير اللبناني والمصير العربي ، وبين القضية اللبنانية والقضية العربية ، وبين الامن اللبناني والامن القومي العربي ، وبدا واضحا ان عروبة لبنان قد رسخت الى الابد ، وان مشاريع العزلة والانفصال فيه قد هزمت الى الابد ايضا ٠

فاذا لم يكن هذا انجازا وحدويا ساهمت في صنعه ثورة فلسطين ، فماذا يكون اذن ؟! ٠

وثالثة هذه الحقائق : ان ثورة فلسطين ، كتعبير اصيل عن الحركة القومية العربية المعاصرة ، في نضالها ضد اعدائها الامبرياليين والصهاينة ، انما تسهم من خلال سعيها الحثيث لحشد اوسع الطاقات العربية والعالمية ، الى بلـــورة عملية للمضمون الحقيقي للقومية العربية من خلال اتصالها بالماضي عبر التراث، وبالمستقبل عبر حركة التقدم ٠

فبين ما يجري اليوم في ايران ، وما يجري في القرن الافريقي ، يمكننا ان نتلمس عبر موقـف الثـــورة الفلسطينية الملامـح الاصيلـــة لعلاقة العروبـة بحركتين تاريخيتين في هذا العالم : الاسلام والماركسية ٠

واذا كان الفكر القومي التقدمي في الاربعينات والخمسينات ممثلا بحركتي البعث والناصرية قد رفض تلك المحاولة الخطرة لوضع العروبة في وجـــــه الاسلام ، او لوضعها في وجه الماركسية ايضا ، فان في الموقف الفلسطينـــي اليوم مما يحدث في ايران ، وفي القرن الافريقي ، تعبيرا ايجابيا عن تلك العلاقة الهامة التي تربط العروبة بالاسلام كتراث ، وبالماركسية كتتويج للفكر الانساني المعاصر ٠

فالموقف المبكر الذي اتخذته ثورة فلسطين من حركة النضال الايرانية بقيادة الامام الخميني ضد الشاه ، لا تنبع اهميته من كونه دعما لحركة معارضة تناضل ضد نظام متحالف مع العدو الصهيوني فحسب ، ولا حتى في كونه اضعافـــا لنظام ذي اطماع واضحة في الارض والثروة العربية ، ويشكل تهديدا مباشرا للحدود الشرقية للوطن العربي فحسب ، بل ان اهميته الكبرى انما تنبع مـــن كونه ترجمة عملية وملموسة للعلاقة الهامة بين العروبة والاسلام ٠ فالاســـلام بالنسبة للعروبة ، ليس كأي دين لاية قومية ، بل هو بالنسبة اليها الاعظم بيـن ثوراتها ، والاعمق بين حضاراتها ، والاكثر امانة لتراثها ، فمن حقه عليها ان تكون معه حيث يكون مناهضا للاستبداد ، داعية للعدل ، مناضلا في وجه كل اشكال الظلم والطغيان ٠

والعروبة بالنسبة للاسلام ليست كاية قومية لاي دين ، بل هي لغة الاسلام ومهد انطلاقته وهوية رسوله ودعاته الاوائل ٠ بها انتصر الاسلام على اعدائه ، ومعها صنع اعظم مساهماته الانسانية ٠ لذلك من حق العروبة عليه ان يكـون نصيرا لها على اعدائها ، معينا لها في معاركها ، عدوا للغاصبين في اراضيها ، وحربا على الطامعين في خيراتها ٠

واذا لم يكن هذا هو جوهر العلاقة بين ثورة فلسطين وانتفاضة ايران ، فماذا يكون اذن ؟ ٠

العروبة عبر ثورة فلسطين تناصر الاسلام الثائر على الظلم والطغيان في ايران · والاسلام عبر انتفاضة ايران يساند العروبة المكافحة من اجل الحرية في فلسطين ·

وفي القرن الافريقي تواجه العروبة تحديا من نوع اخر · انه التحدي الذي يريد ان يضع العروبة في وجه اصدقائها في العالم ، بل ان يضع التحرر في وجه التقدم ، والقومية في وجه الماركسية مرة اخرى ·

ففي الساحة الارترية ، حيث تقاتل الجماهير من اجل استقلالها الوطني وحقها في تقرير المصير منذ اكثر من ١٧ عاما ، وحيث اسهم قتالها هذا في اسقاط النظام الامبراطوري المتحجر في اثيوبيا ، تطورت الظروف والاحداث بشكل متسارع ادى الى وصول نظام اثيوبي يحظى بدعم وتاييد المعسكر الاشتراكي الصديق للعرب وفي مقدمته دعم وتاييد الاتحاد السوفياتي وكوبا ·

وفي الموقف من صراع من هذا النوع بين حق قومي ووطني يجب صونه والدفاع عنه تحت اي ظرف من الظروف ، وبين قوى صديقة وحليفة ينبغي تطوير علاقة الامة العربية بها الى درجة كبيرة ، تقف الحركة القومية العربية امام امتحان صعب ودقيق ·

ومثلما نجحت ثورة فلسطين في التعبير عن العلاقة الخاصة بين العروبة والاسلام في موقفها من انتفاضة ايران ، تنجح اليوم في التعبير ايضا عن تلك العلاقة الخاصة بين العرب واصدقائهم في العالم في موقفها من احداث القرن الافريقي حين بنت هذا الموقف على قاعدتين اساسيتين ومتكاملتين في آن معا :

الاولى : دعم الشعب الارتري في نضاله من اجل حقه في تقرير المصير ·

الثانية : بذل كل الوسائل من اجل الوصول الى حل سلمي وديمقراطي لهذا النزاع ·

فالقاعدة الاولى تعبير عن التزام قومي واضح ··· والقاعدة الثانية تعبير عن حرص اكيد على تجنب الصراع المسلح مع قوى التقدم في العالم واخضاع اي تناقض او تعارض معها لمبدأ الحوار السلمي والحل الديمقراطي ·

ان ترابط قاعدتي الحل هذا يشكل بدون شك التعبير الواضح عن موقف الحركة القومية العربية بمضمونها التقدمي والانساني · لم يكن ممكنا لثورة فلسطين ان تصل الى هذا الموقف لو لم تكن في حقيقتها وجوهرها حركة قومية تقدمية ، ووحدوية عربية اصيلة ·

ورابعة هذه الحقائق : ان حرص الثورة الفلسطينية على استقلالية قرارها السياسي ليس موقفا اقليميا او كيانيا ، وان كانت قوى متعددة تحاول تصويره

على هذا النحو ، بل هو الاخر تعبير عن تلاقي تجربتين هامتين معا : تجربة النضال الفلسطيني منذ مطلع هذا القرن مع الانظمة العربية ، وتجربة النضال العربي عموما مع الحكام العرب ايضا ٠

فحرص الثورة على استقلالية قرارها السياسي ، هو بالدرجة الاولى ، حرص على حريتها في متابعة النضال تحت كل الظروف ، وفي مختلف الاوضاع ٠ ذلك ان التنازل عن استقلالية هذا القرار لقوى رسمية عربية او دولية انما يجعل النضال الفلسطيني بأسره تحت رحمة هذه القوى التي تجد نفسها مدفوعة اما بعامل التواطؤ او بعامل الخوف او مراعاة لموازين القوى السائدة ، الى تجميد النضال الفلسطيني او انهائه ٠

وبهذا المعنى ، يمكننا ان نقول انه اذا كان استمرار النضال الفلسطيني المسلح ضد العدو الصهيوني دافعا مهما باتجاه وحدة النضال العربي ، ومحركا رئيسيا على المستوى القومي ، فان الحرص على استقلالية القرار الفلسطيني يصبح حرصا على استمرارية النضال وبالتالي على استمرارية الدافع باتجاه وحدة النضال العربي ٠

كذلك فان حرص الثورة الفلسطينية على استقلالية قرارها السياسي هو حرص على الحفاظ على موقع خاص لشعب فلسطين وحقوقه في كافة المداولات السياسية الدائرة حول ما يسمى (بأزمة الشرق الاوسط) ٠

وقد بدا واضحا ، خلال السنوات الخمس التي تلت حرب تشرين ، ان هذا الحرص الفلسطيني على الموقع المستقل الخاص ، والتمثيل المستقل الخاص ، والكيان المستقل الخاص ، قد كان احد ابرز اسباب الارتباك الذي واجهته مخططات التسوية الامبريالية في المنطقة ٠ وان كافة الجهود الامبريالية والصهيونية كانت تتركز حول التنازل الفلسطيني عن هذا الموقع المستقل ، والتمثيل المستقل ، والكيان المستقل ، لمصلحة جهة عربية اخرى من اجل تسهيل الوصول الى تسوية بالشروط الاميركية او الاسرائيلية ٠

فعلى الرغم من « وحدوية » المشروع الذي يحمل اسم (المملكة العربية المتحدة) فانه كان اكثر انسجاما مع مخططات التسوية من مشروع استقلالية القرار الفلسطيني ، وبالتالي فان الاستقلالية هنا ، وبهذا المعنى ، وفي هذا الظرف بالذات ، هي برنامج عملي مناهض للمشاريع الامبريالية والصهيونية المطروحة ٠

وبقدر ما يشكل ارباك التسويات المطروحة فرصة لاستمرار النضال العربي على طريق الوحدة والتحرر ، تشكل استقلالية القرار الفلسطيني ، كعامل ارباك لهذه التسويات الحريصة على الغاء الوجود المستقل للشعب الفلسطيني ، عاملا هاما على طريق توفير الظروف لوحدة النضال العربي ٠

وليس ضروريا التأكيد في هذا المجال بأن الاستقلالية بهذا المعنى هي شعار مرحلي يحمل في مضمونه شيئا من الاعتراض على مجمل الاوضاع العربيـــة الراهنة ، وشيئا من الاشتراط من اجل توفير ضمانات جدية على الصعيـــد العربي في المستقبل ، وان هذه الاستقلالية ليست شيئا ازليا وسرمديا ، وانما سرعان ما تجد طريقها الى الاندماج في اي توجه وحدوي جدي باتجاه فلسطين ومع الفلسطينيين انفسهم ٠

ذلك انه ، كما لا وحدة بدون وحدويين ، ولا اشتراكية بدون اشتراكيين ، فلا فلسطين بدون فلسطينيين ايضا ٠

فاستقلالية القرار الفلسطيني بهذا المعنى هي اصرار على عدم تكرار التجارب السابقة التي تمت فيها مصادرة حق الفلسطينيين بالنضال باسم الوحدة ، وتـم فيها مصادرة حقهم في توحيد شتاتهم وبعث شخصيتهم الوطنية باسم المصلحة القومية العليا ٠

ان اية صياغة جديدة لعلاقة متطورة بين النضال العربي والكفاح الفلسطيني، وبين الوحدة العربية وثورة فلسطين ، تتجاهل هذه الحقائق ، تقع في الاخطـاء ذاتها التي وقعت فيها التجارب السابقة ٠

ان موقفا خاصا لفلسطين ، شعبا وثورة ومنظمة تحرير ، في اي عمل عربي وحدوي ، هو الترجمة الحقيقية للدور الخاص الذي لعبه النضال الفلسطيني في خلق اجواء نضال الوحدة ، ووحدة النضال ٠

حازم صاغية

عناوين حول لبنان وفلسطين
من ضمن منظور التحرر القومي

اذا كان حل المسالة الفلسطينية هو العمود الفقري في قضية التحرر القومي في هذه المنطقة التي تشمل سوريا الطبيعية ومصر على الاقل ، ففي حالة لبنان بالتحديد ، ثمة تعادل بين المسالتين اللبنانية والفلسطينية ٠

فهنا لا ينوجد اي حيز جدي لاستقلالية يتمتع بها التناقض مع « الطبقة الحاكمة » عن التناقض مع اسرائيل ٠

ولئن كان لبنان يعيش مرحلة البحث عن التعريف القومي ، والصراع الدموي على الطريق الى « الذات » القومية ، فالاشتباك مع اسرائيل هو الذي يحكم سيرورة الوضع اللبناني ، وهو الذي يحدد الكثير من التفاصيل والتناقضات الثانوية ذات الطبيعة الاجتماعية في لبنان ٠

ان البحث عن الهوية جعل فلسطينية اللبناني شرطا لعروبته ، وهذا ما لا يتوافر بالنسبة نفسها في اي من الاقطار العربية ، اذا استثنينا الاردن ٠

والعلاقة تطال هنا عديدا من المسائل : فتركيب حالة من العزلة تفترض لاستقرارها امدا طويلا من التوازن بين العرب واسرائيل ، هو بالضرورة وموضوعيا تركيب مرتهن بموقع اسرائيل ، واستطرادا ، فاي صعود تحرري عربي منقاد بالضرورة لتحدي هذا التوازن الذي يعادل حالة العزلة ٠

الامر الاخر ان توازنا طائفيا مؤسسا على العزلة عن العرب ، لا يمكن ان ينهار لصالح النضال العربي بعيدا عن الصراع ضد اسرائيل ، اذ ان الصهيونية هي الانعزالية الكبرى والانعزالية الام التي تجدد قوة الانعزاليات الاخرى بقوة السلاح والمثال والايديولوجيا ٠

وبهذا المعنى يمكن ان يقال ان الصراع ضد المارونية السياسية في لبنـــان (وضد كل انعزالية اخرى) هو صراع غير قابل للحسم وطنيا وقوميا وتقدميا الا بوصفه جزءا من صراع جذري ضد اسرائيل يقود في نهاية الامر الى تحرير فلسطين ، وهذا ما تعرفه اسرائيل والانعزاليات جيدا ٠

وهنا تصبح الفلسطينية سمة الجذرية العربية وشارتها ، بل هنا يكمن فهـم الحقيقة التي تهمل غالبا ، ومفادها ان للجذرية العربية مقياسين متلازمين تلازم وجهي الصورة الواحدة : تحرير فلسطين وتحرير لبنان ٠

كذلك فهنا ، وعند هذا الملتقى ، يتبلور الحديث عن الوحدة العربية بوصفها تتويجا لنضال جذري تخوضه جماهير الامة العربية ضد معوقات التجزئـــة والقطريـــة ٠

على ضوء هذا التصور سنحاول فهم العلاقـــة بين النضالين اللبنانـــي والفلسطيني ، اذ كثيرا ما يساء فهم هذه العلاقة بوصفها دعوة لالحاق النضال اللبناني والجهد النضالي اللبناني بالنضـــال الفلسطيني والجهـــد النضـــالي الفلسطيني ٠

وحقيقة العلاقة غير ذلك ، اذ هي تدور اساسا حول الحاق النضالين اللبناني والفلسطيني بالنضال العربي القومي العام ٠

لكن ضمن هذه العمومية العربية ثمة خصوصيات قطرية تجعـــل الثـــورة الفلسطينية هي الاسبق الى الثورة العربية ، بل هي القائم مقامها بانتظارهـــا دون ان تكون بديلة عنها ودون ان تلغيها ٠

في هذه الحدود يمكن القول ان فعل الثورة الفلسطينية في لبنـــان والاردن يوازيه فعل الثورة العربية في الامة العربية كلها ، وان قيام المسالة الفلسطينية بدور العمود الفقري في قضية التحرر القومي لسوريا الطبيعية ومصر ، يوازيه قيام القضية العربية بدور العمود الفقري في قضية التحرر الوطني والقومـــي لشعوب آسيـــا وافريقيا وخصوصا العالم الاسلامي ٠

لكن اذا قبلنا الفرضية التي تقول ان افق تحرير فلسطين قومي بالضرورة ، وان القوى القادرة على التحرير هي قوى عربية تبعا لطبيعة المعركة وطبيعـــة الخصم وطبيعة المستفيدين من تحرير فلسطين ٠٠ اذا قبلنا هذه الفرضية بـات التساؤل عن جدل القومي والقطري في الثورة الفلسطينية تساؤلا متصلا فـــي الآن نفسه بالعمل القطري الوطني والعمل القومي المركب ، وهذا يطال الساحة اللبنانية بالتاكيد ٠

فلئن ولدت الثورة الفلسطينية في عام ١٩٦٥ ، فانها لم تنم وتصبح احـــد العوامل الفاعلة في الحياة السياسية العربية حتى هزيمة حزيران ١٩٦٧ ٠

وبمعنى آخر : جاء تنامي العمل الوطني القطري في وقت كان معه العمـــل الوطني القومي يتعرض لهزيمة مـــرة ٠

بالطبع هذا الكلام ابعد ما يكون عن تجميل كارثة حزيران كونها اسهمت في الانطلاقة النوعية للمقاومة ٠٠ وهو أبعد ما يكون ، ايضا ، عن اطلاق حكـــم السقوط ، اكان « تاريخيا » او غير تاريخي ، على العمل الوطني القومي وقواه٠

فالذين ارادوا في الامس ان « يسرحوا » الجيوش « ويعدموا » عبد الناصر باسم المقاومة ، قد يلجأون اليوم الى « اعدام » المقاومة ، اما لانها ليست الثورة القومية العربية المرجوة ، واما لانها لم تصل الى المستوى الفيتنامي !

والذين « اسقطوا » قيادة البورجوازية الصغيرة ورهنوا عقولهم بقـــيادة « الطبقة العاملة » لا بد انهم فجعوا بان المقاومة ليست « عمالية » ولا يمكن ان تكـــون ٠

على اية حال ، فلئن كان العمل الوطني القطري قد نما في ظل تدهور العمل الوطني القومي ، فالاكيد ان الاول لا يمكن ان يستمر وينتصر ما لم يأت ذلـــك ضمن انطلاقة العمل الوطني القومي وانتعاشته ٠

وهنا تكمن جدلية العلاقة بكل حدودها وضوابطها ومحاذيرها ٠

فالقطرية الوطنية الفلسطينية تستطيع ان تلعب في هذا الحيز دورا كبيرا بل الدور الاكبر في انعاش العمل القومي ٠

فلماذا يحصر الكلام عن القطرية الفلسطينية تحديدا دون بـاقي القطريـــات الوطنية ؟

ثمة اسباب عديدة تدعو لتمييز هذه القطرية الوطنية عن غيرها من القطريات، واعتبارها القطرية الاكثر قدرة على نفي ذاتها والاندراج من جديد في العمـــل القومي الذي يستوعبهـا ويتجاوزها جدليا ٠

□ فتلك القطرية تعي ان مشكلتها لا يمكن حلها الا بجعل الجهد النضالـــي للامة العربية كلها ينخرط في الصراع ٠

□ وهي قطرية لا يمكن للامبريالية ان تصل معها الى اية تسوية والى اي حل نظرا لطبيعـة المسالة الفلسطينية وحماية الغرب لاسرائيل ٠

□ وهي قطرية تحمل السلاح مما جعلها منذ ١٩٦٧ تمثـل منـارة تحررية للشعب العربي في جميع اقطاره ، وجسرا يجدد الارتباط القومي بين هذه الاقطار عبر منحه شحنات ايديولوجية متواصلة ٠

وفي جدلية العلاقة نفسها تتمتع القطرية الفلسطينية بميزة قد تبدو ملتبســـة

للوهلة الاولى على النضال القومي ، ومفادها انها قطرية يجتمع عليها الشعب الفلسطيني نظرا لقصر المسافة بين التوازنات الموروثة عن « المجتمع الفلسطيني» قبل ١٩٤٨ من دينية وعشيرية ، وبين الثورة الفلسطينية التي اجادت تمثيل تلك التوازنات حتى التطابق تقريبا (وهذا ما لا نجده في باقي القطريات الوطنية) ٠

هنا نجحت الثورة في تطويع البنيان القطري الداخلي تمهيدا لادخاله في مشروع قومي يطال المنطقة ، وحققت « الوحدة الوطنية » او الاجماع القطري على انجاز مهمة قومية ٠

لكن هنا أيضا كمنت مخاطر الصياغات القطرية واحتمالات نزوعها الى الثبات ، خصوصا وان ذلك يحدث في ظل تفتت عربي عام وانعدام اية مركزية في العمل القومي ، بل في ظل استشراء قطريات رجعية تحييها وتعيد انتاجها القوى والطبقات الحاكمة ٠

فالشعب الفلسطيني بتحقيقه قطريته الوطنية عرف اشباعا جعله التخثر القومي العام يبدو اشباعا كاملا ٠

وهنا يكمن جذر المعضلة المطروحة موضوعيا على الثورة الفلسطينية : فالتحظم العام الذي ولدت في خلاله القى عليها مهام ، بل جعلها بديلا مؤقتا عن حركة الثورة العربية ، ومثل هذه المهام البدلية اكبر من اية حركة قطرية وطنية على حدة ٠

وبهذا المعنى يمكن القول ان الثورة الفلسطينية والشعب الفلسطيني هما خميرة الثورة العربية ، واذا جاز الاستطراد ، فأي تقدم على المستوى النضالي القومي اما ان يوسم بالشارة الفلسطينية واما ان ينحرف عن قصده القومي ٠

لكن الخروج من المعضلة ليس على الارجح بالامر اليسير ، اذ كل استمرار للواقع العربي الراهن والرجعي هو استمرار بالضرورة للقطرية الوطنية الفلسطينية ، والواقع العربي الراهن لا يحمل اية تباشير واعدة ٠

وكل استمرار للقطرية الوطنية الفلسطينية هو بالضرورة انهاك للثورة الفلسطينية وتحميلها اكثر مما يمكن ان تحمل موضوعيا ٠

لا شك ان التصورين المتعارضين يستحيلان على ضوء هذا التصور المقدم الى موضوع للنقد ، والتصوران المعنيان هما :

□ تأجيل الثورة الفلسطينية بانتظار الثورة العربية ٠٠ وهو تأجيل بالاضافة الى استحالته بجعل الثورة العربية مستحيلة هي ايضا ، اذ مثل هذا المشروع هو نتاج تراكمي في نهاية الامر ٠

□ بدلية الثورة الفلسطينية الكاملة والدائمة عن الثورة العربية واعتبارهـــا اكثر من خميرة للثورة العربية ·· وهو تصور مجحف بحق الثورتين معا : منهك للثورة الفلسطينية ومعدم للثورة العربيـــة ·

على ضوء هذه الصورة يمكن اعتبار الاندراج في الثورة الفلسطينية اندراجا مؤجلا في الثورة العربية وليس الحاقا للجهد النضالي اللبناني بالجهد النضالي الفلسطيني ·

وهذا يوفر الافق الوحيد المتاح امام النضال القومي في لبنان ، اذ علـــى قاعدة مجتمعة ركبت على التوازن بل التوازنات «ما قبل الرأسماليـــة » يصعب الحسم والاختراق الى « القومي » ·

والفلسطينية في هذه الحال لا تقدم للبنانين طريقا الى العروبة فحسب ، بـــل تعطيها ايضا الجذرية المطلوبة في الصراع ضد الامبريالية والانعزالية اللبنانية، اذ تورثها تلك الاستحالة الموضوعية للسلام الفلسطيني مع الامبريالية ، وهذا ما يندر خارج الساحة الفلسطينية وفوهة بندقيتها ·

في المقابل ·· اذا كان شرط الفعالية اللبنانية في نضال الامة العربية هـــو ادخال التوازنات المحلية في حلقة المشروع القومي الثوري للمنطقة ، فالثـــورة الفلسطينية ، بانتظار الثورة العربية ، هي المؤهلة لتشـــكيل الاســـتقطاب الذي يبحث عنه مئات الالاف ممن تعارضوا مع الولاء اللبناني كما ارساه « لبنـــان الكبير » ولبنان « الميثاق والصيغة » ·

فـــايـــز صـــايغ

السياسة الاميركية في عهد الرئيس كارتر تجاه الصراع العربي ـ الاسرائيلي

(١) مقدمة

هناك اليوم اربعة مذاهب تتنازع الانظمة العربية ، فيما يتعلق بسبل مواجهة عدونا الصهيوني واسترجاع الحقوق العربية المغتصبة ، كلها او بعضها ٠

فهناك المذهب الذي يقول بتحرير الارض العربية المحتلة كلها ، في فلسطين وخارجها ، وباسترجاعها ـ كما اخذت منا ـ بالقتال ، ولا يقبل بديلا عن عودة الشعب الفلسطيني الى فلسطين المحررة ليمارس فوق ترابها حقه في تقرير مصيره ٠

وهناك المذاهب الثلاثة الاخرى التي تؤمن بجدوى العمل السياسي لتحرير بعض الارض (اي الاراضي العربية المحتلة منذ عام ١٩٦٧) ولاستعادة بعض حقوق الشعب الفلسطيني ، وتسعى الى عقد تسوية سياسية على هذه الاسس ٠

اما في اطار **ثلاثي** (يضم امريكا والجانبين العربي والاسرائيلي) ٠

او في اطار **ثنائي** ، في مفاوضات عربية اسرائيلية مباشرة ودون وساطة ٠

ومن المعروف ـ وان لم يكن من المعترف به ـ ان المذهب الاخير ، وهو الذي بزغ الى الوجود في التاسع عشر من نوفمبر ١٩٧٧ وما لبث ان وصل الى نهاية طريقه المسدودة ، خلال ساعات ، ثم حاول اصحابه (في السادس والعشرين من نوفمبر ، اي خلال اسبوع واحد) توسيع اطار عملهم ليضم اطرافا اخرى ، قد تصبح فعلا منذ ذلك التاريخ في حكم المنتهي !

ومن المعروف كذلك ان المذهب الثاني (اي السعي الى تحقيق التسوية السياسية في اطار دولي) يجد نفسه الان معطلا ، وان المذهب الثالث (اي العمل

السياسي في الاطار الثلاثي : الامريكي ـ العربي ـ الاسرائيلي) هو الـــذي يحتكر اليوم ساحة العمل السياسي للتسوية ٠

ومهما كان موقف اي منا من هذه المذاهب ، فمن الواضح اننا جميعـا نتفق على ان للدور الذي تلعبه الولايات المتحدة الامريكية ـ خيرا كان ام شرا ، وفق وجهة نظر كل منا ـ اهمية خاصة ، وكدت اقول حاسمة ، في تقرير مصيـــر المساعي السياسية (ايا كان اطارها) للتسوية ، كما ان لذلك الدور الامريكـي خطورة في تقرير نتائج الكفاح من اجل التحرير ٠

ولهذا ، فاني اجد ان من المفارقات المذهلة في الساحة العربية اليـــوم ان حقيقة السياسة الامريكية تجاه صراعنا المصيري ، واهدافهـــا ، ومراميها ، محاطة بكثير من الغموض والابهام ، رغم اهمية الدور الامريكي في تقريـــر مستقبل ذلك الصراع ٠

بل انه ليبدو لي ، ان الذين يعلقون اكبر الامال على السياسة الامريكية ، هم الغارقون في اكبر الاوهام حولها ـ عندما يتحدثون عن « التحسن » في تلـك السياسة وعن تحول امريكا المزعوم نحو الحياد حيال الصراع العربي الاسرائيلي بدلا من الانحياز الامريكي السابق نحو اسرائيل ٠

ولذلك ، فانه من الواجب القومي علينا ان نحدد بوضوح اين تقف امريكـــا اليوم ، في عهد الرئيس كارتر ، ازاء قضيتنا المصيرية : قضية الصراع العربي الاسرائيلي بصورة عامة ، وقضية فلسطين ، شعبا ووطنا ، بصورة خاصة ٠

ومن واجبنا ايضا ان نسأل : هل تمثل سياسة الرئيس كارتر تحولا نحـــو الحياد فيما بيننا وبين اسرائيل ؟

ومن واجبنا ان نعرف ، بدقة وموضوعية ، ما هو تصور الحكومة الامريكية الحاليـة للتسوية السياسية في الشرق الاوسط بجميع عناصرها ٠

ومن واجبنا ، اخيرا ، ان نتساءل : الى اي حد هي مستعدة لان ترمي بثقلها من اجل نقل ذلك التصور الى حيز الواقع ٠

وفي سبيل الاجابة على هذه الاسئلة ، يحسن بنا في البدء أن نقارن الموقـف العام لادارة الرئيس كارتر تجاه قضيتنا المصيرية بمواقف الادارات الامريكيـــة الســـابقة ٠

(٢) مقارنة سياسة كارتر بسياسات اسلافه

لقد مرت السياسة الامريكية تجاه فلسطين والصراع العربي الاسرائيلي في اربـــع مراحـــل :

(١) في المرحلة الاولى ـ التي امتدت من بدء تدخل الحكومة الامريكية مباشرة بالقضية الفلسطينية حتى عقد اتفاقيات الهدنة العربية الاسرائيلية عام ١٩٤٩ ـ سخرت الحكومة الامريكية جميع طاقاتها للحصول على تأييد دولي لفكرة انشاء دولة يهودية في فلسطين (في قرار التقسيم) ، وللاعتراف بتلك الدولة عند قيامها ، ولادخالها في عضوية الامم المتحدة ، واخيرا لتنظيم وضع تلك الدولة في المنطقة عن طريق ربطها باتفاقات عسكرية وشبه سياسية (اتفاقيات الهدنة الاربع) مع جميع الدول العربية المجاورة لها ٠

تلك كانت مرحلة التجني الاصلي ـ « والخطيئة الاصلية » ـ التي اسفرت عن نقل الدولة اليهودية من حيز الامل الصهيوني الى حيز الواقع ، في فلسطين وعلى حساب الشعب الفلسطيني وحقوقه ومصالحه ٠

(٢) بعد هذا ، ابتدأت مرحلة جديدة ، امتدت من عام ١٩٥٠ حتى عام ١٩٦٧ كانت هذه مرحلة محاولة امريكا اقامة نوع من التوازن بين الدولة الدخيلة ودول المنطقة ، والمحافظة على الوضع الراهن الجديد الذي نشأ عن قيام اسرائيل ٠

وقد جسدت امريكا المبدأ العام الذي قامت عليه سياستها في تلك المرحلة في « البيان الثلاثي » الذي صدر في ٢٥ ايار ١٩٥٠ عن امريكا وبريطانيا وفرنسا والذي رمى الى تجميد الخطوط العسكرية التي توقف عندها القتال (خطوط الهدنة) وتحويلها الى حدود فعلية ٠ وقد تمثلت تلك السياسة في عزم امريكا على الحؤول دون قيام اي عدوان عسكري من قبل اي فريق عبر تلك الخطوط ، ودون حصول اي توسع اقليمي او تبديل في تلك الخطوط عن طريق العنف ٠

وتبعا لذلك ، فقد اشتركت امريكا في ادانة مجلس الامن التابع للامم المتحدة لجميع العمليات العسكرية التي قامت بها اسرائيل عبر خطوط الهدنة ، كما اشتركت ايضا في حمل اسرائيل على الانسحاب من سيناء ، وذلك بعد غزوها لمصر ، بالتواطؤ مع بريطانيا وفرنسا ، ووصول قواتها الى قناة السويس عام ١٩٥٦ ٠

وعلى الرغم من ان امريكا ظلت تتحدث ، طوال تلك الفترة ، عن رغبتها في الوصول الى تسوية دائمة للصراع العربي الاسرائيلي ، فانها لم تقم باي نشاط فعلي لتحقيق ذلك الغرض ٠ ولعلها كانت تدرك ان الوضع النفسي في الوطن العربي لم يكن ليشجعها ، في تلك الاونة ، على التطلع الجدي الى اقامة تسوية تعترف فيها الدول العربية باسرائيل ٠ لذلك ظل هدفها الاول في تلك المرحلة هو المحافظة على انجازات المرحلة السابقة (اي وجود اسرائيل ضمن خطوط الهدنة) والحؤول دون قيام اى تهديد عربي جدي للوجود الاسرائيلي ، ودون حصول اي توسع اقليمي من جانب اسرائيل ٠

هدف السياسة الامريكية في تلك المرحلة ، اذن ، كان يقتصر على المحافظة على الوضع الراهن الذي فرضته احداث ١٩٤٧ ـ ١٩٤٩ في المنطقة ، سواء الاحداث الدولية في الامم المتحدة او الاحداث العسكرية في فلسطين ٠

اما قضية فلسطين ـ وهي اصل الصراع العربي الاسرائيلي وسبب نشوئه وجوهره ـ فقد دأبت امريكا في تلك المرحلة على تناسيها ، او على تقليصها الى قضية لاجئين يصار الى اغاثتهم واعالتهم مؤقتا ريثما يتم ذوبانهم النهائي في جسم المجتمع العربي ٠ (وهذا يفسر اسباب الفتور ، ان لم نقل الجفاء ، الذي استقبلت به امريكا قيام منظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٦٤ ، حتى حينما كانت نشاطات المنظمة مقتصرة على العمل السياسي والاعلامي) ٠

وعلى الرغم من ان سياسةالحكومة الامريكية في تلك المرحلة كانت تمثل « تحسنا » نسبيا ، بالمقارنة بسياستها في المرحلة السابقة ـ اذ انها رمت الى التوازن بين اسرائيل والدول العربية ، واثمرت عن تقييد نزعة التوسع الاقليمي المتأصلة في الحركة الصهيونية وفي اسرائيل ـ فان تلك المرحلة (الثانية) قد تميزت ايضا ، وفي الوقت عينه ، بظهور التناقضات الجذرية بين الاهداف الامريكية في الشرق الاوسط وتطلعات حركة التحرر الوطني التي بزغت في الوطن العربي في تلك الفترة عينها ٠

ففي حين كان انحياز امريكا نحو اسرائيل ، في المرحلة الاولى ، عاملا رئيسيا من عوامل فتورها نحو النضال العربي للتحرر من الاستعمار ، اصبح عداء امريكا لحركة التحرر الوطني في المرحلة الثانية ، ومقاومتها للنزعة نحو الوحدة القومية والتحرر الاقتصادي وعدم الانحياز ، عاملا مؤثرا في تحديد نوعية « الحياد » الامريكي تجاه الصراع العربي الاسرائيلي ٠ وقد تجلى هذا الاثر بصورة خاصة في اواخر الفترة التي نتحدث عنها الان ـ الى ان جاءت حرب ١٩٦٧ ، فرمت امريكا « بحيادها » عرض الحائط ، واحجمت عن تطبيق سياسة « البيان الثلاثي » التي كانت قد طبقتها بحزم قبل عشر سنوات ٠

وجدير بالذكر ان المسؤولين الامريكيين ـ من الرؤساء المتعاقبين ، ونواب الرئيس ، ووزراء الخارجية ، وسواهم ـ ظلوا يؤكدون في كل مناسبة ، من عام ١٩٥٠ وحتى عشية حرب حزيران ١٩٦٧ ، ان « البيان الثلاثي » هو ركن السياسة الامريكية في الشرق الاوسط ٠ بل انهم ظلوا يؤكدون ذلك حتى نشوب الحرب (كما فعل غولدبرغ في مجلس الامن بالامم المتحدة في ايار ١٩٦٧ ، والرئيس جونسون في خطاب رئيسي ألقاه في ٣ حزيران ١٩٦٧ ، ووزير الخارجية دين راسك في تصريح ادلى به صباح ٥ حزيران ١٩٦٧) ٠٠٠ ولكن ، منذ ذلك التاريخ لم يأت اي مسؤول امريكي على ذكر ذلك البيان في اي تصريح او بيان سياسي٠

(٣) ابتدأت المرحلة الثالثة في حرب حزيران ١٩٦٧ واستمرت حتى مجيء كارتر الى الحكم في يناير ١٩٧٧ ٠

في تلك المرحلة ، تجاهلت امريكا مبادىء « البيان الثلاثي » وتنكرت لالتزامها ـ بموجب ذلك البيان ـ بمنع اعتداء اي فريق على اراضي الفريق الاخر عبر خطوط الهدنة ، ناهيك عن احتلاله لاراضي الفريق الاخر ، ولتعهدها بحمل المعتدي على الجلاء ٠ فلم يعد الانسحاب غير المشروط مطلبا امريكيا ٠ بل ان امريكا انتهجت ، بدلا عن ذلك كله ، سياسة جديدة تقوم على محاولة اجراء « مقايضة » بين الانسحاب الاسرائيلي من جهة ، وابتزاز الاعتراف باسرائيل من قبل الجانب العربي مقابل ذلك الانسحاب ، من الجهة الاخرى ٠ ولم تعد امريكا تتحدث عن التزامها بصيانة امن الفريقين معا ، او عن ضمانها لسلامتهما الاقليمية ، بل باتت تتحدث عن التزامها بصيانة امن اسرائيل وسلامتها ، ومضت تترجم ذلك الالتزام عمليا بتقديم المعونات العسكرية والمالية المسخية الى اسرائيل ـ وذلك لاقناع العرب بانه لا أمل لهم في تحرير اراضيهم بالقتال ، وان املهم الوحيد في تحرير اراضيهم المحتلة حديثا انما يتحقق عن طريق التسوية السلمية على اساس المعادلة الامريكية : اي المقايضة بين الانسحاب والاعتراف ٠

فاذا كانت المرحلة الاولى قد تميزت بالتأييد المطلق للهدف الصهيوني باقامة دولة يهودية في فلسطين ، واذا كانت المرحلة الثانية قد تميزت بالسعي الامريكي للمحافظة على الوضع الراهن في المنطقة ولمنع اي فريق من تخطي او تعديل خطوط الهدنة بالعنف ، فان المرحلة الثالثة تميزت بالسعي نحو هدفين بديلين : اما المحافظة على الوضع الراهن الجديد ، الذي نتج عن حرب حزيران ١٩٦٧ (اي التوسع الاقليمي الاسرائيلي ، باحتلال سيناء وغزة والضفة الغربية والجولان) ، وضمان استمرار التفوق الاسرائيلي العسكري الذي يحول دون استرجاع العرب اراضيهم المحتلة حديثا بالقوة ، او استبدال هذا الوضع بوضع جديد ، عن طريق تسوية شاملة تقوم على مبدأ المقايضة بين الانسحاب والاعتراف ٠

واذا كانت الوثيقة الدولية التي تقدمت بها امريكا في المرحلة الاولى لتبرير سياستها هي **قرار التقسيم** الصادر عن الجمعية العامة للامم المتحدة في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ ، واذا كان **البيان الثلاثي** الصادر عن امريكا وبريطانيا وفرنسا في ٢٥ مايو ١٩٥٠ هو قاعدة السياسة الامريكية في المرحلة الثانية ، فان ركن السياسة الامريكية في المرحلة الثالثة كان **قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢** ، الصادر في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ ٠

وقد ظلت هذه السياسة هي المسيطرة في امريكا في الفترة الاخيرة من عهد

الرئيس جونسون ، وكذلك طوال عهد الرئيسين نكسون وفورد ـ الى ان جاء الرئيس كارتر الى البيت الابيض ، فأدخل الى السياسة الامريكية عناصر جديدة ٠

(٤) استنادا الى مجمل اقوال جيمي كارتر ، كمرشح للرئاسة ثم كرئيس ، والى جميع تحركاته السياسية ، يمكننا تلخيص سياسة امريكا في عهده بما يلي :

(أ) ان امريكا تعتقد اليوم ان المحافظة على الوضع الراهن الناشىء عن حرب حزيران ١٩٦٧ لم تعد ممكنة ، بعدما بدا من العرب من تشبث بمطلب استرجاع اراضيهم التي احتلت خلال تلك الحرب وبعدما انجلى من عبر خلال حرب تشرين الاول ١٩٦٣ ٠ وهي تدرك كذلك ان النهج الذي اتبعه كيسنجر في سياسة خطوة فخطوة قد بلغ نهاية المطاف ولم يعد الاستمرار فيه ممكنا ٠ وبالتالي ، فانها باتت مقتنعة بأنه لا بد من اجراء تسوية شاملة للصراع العربي الاسرائيلي، تستبدل حالة الاضطراب التي دامت ثلاثين عاما بحالة جديدة من السلام في المنطقة ٠ (ولهذا ، فقد بذل كارتر من الجهد « لحل » ما يسمى بقضية الشرق الاوسط اكثر مما بذل لحل اية قضية دولية اخرى ، خلال الشهور الخمسة عشر الاولى من ولايته) ٠

(ب) الا ان قاعدة الحل الذي ينشده كارتر ليست قرار التقسيم ، ولا البيان الثلاثي ولا قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ـ رغم تأكيده باستمرار على اهمية هذا القرار كأساس للتسوية ٠

بل ان الحل الذي ينشده كارتر يطالب الجانب العربي بأكثر مما طالبه القرار رقم ٢٤٢ ، ويطالب اسرائيل بأقل مما طالبها به ذلك القرار ٠

فالقرار رقم ٢٤٢ طالب اسرائيل بالانسحاب وفقا لمبدأ عدم جواز احتلال الاراضي بالقوة ٠ اما كارتر فانه يطالب اسرائيل بالانسحاب ، لا من جميع الاراضي التي احتلتها بالقوة ، بل الى حدود تتفق هي والعرب عليها في مفاوضات حرة بين الفريقين ٠ كما انه لا يرى ان الانسحاب الاسرائيلي معناه عودة السيادة العربية الكاملة الى المناطق التي يتم جلاء القوات الاسرائيلية عنها ٠

ثم ان القرار رقم ٢٤٢ طالب الدول العربية بالاعتراف باسرائيل وبالتعهد بعدم الاعتداء عليها ، في حين ان كارتر يطالب الدول العربية باقامة سلام كامل وعلاقات طبيعية مع اسرائيل ، تتعدى الاعتراف الى تبادل التمثيل الدبلوماسي وفتح الحدود وتأمين حق السفر والانتقال والتبادل التجاري والثقافي بين الفريقين ، والى اخر ما تضمه عبارة « السلام والعلاقات الطبيعية » من معان ٠

لقد تجاوز كارتر القرار رقم ٢٤٢ بشقيه ـ وكان هذا التجاوز ، في جانبيه ، لصالح اسرائيل وعلى حساب الحقوق والمصالح والكرامة العربية ٠

ولما كنت سوف اتحدث بعد قليل عن تصور ادارة كارتر للتسوية السياسية بجميع عناصرها ، فسأكتفي الان بأن اسجل هذا التبدل في السياسة الامريكية الذي اجراه الرئيس كارتر ، لاخلص من ذلك الى القول بأن **سياسة كارتر ، اذا قورنت بسياسة اسلافه ، تمثل مزيدا من الانحياز نحو اسرائيل بالقياس الى ما كانت عليه السياسة الامريكية في المرحلتين الثانية والثالثة ، ولا تشكل تحولا نحو الحياد ازاء الصراع العربي الاسرائيلي ٠**

ان سياسة كارتر لا تمثل عودة سياسة التوازن التي انتهجتها امريكا في المرحلة الثانية (ولا سيما في عهد ايزنهاور) ، بل انها في الحقيقة تكملة لسياسة المرحلة الاولى ـ سياسة ارساء قواعد الدولة اليهودية في قلب منطقتنا العربية ٠

ان من يزعم بأن كارتر ينتهج سياسة محايدة تجاه الصراع العربي الاسرائيلي هو اما مضلل (بكسر اللام) او مضلل (بفتحها) ٠

وان العرب الذين يتوهمون ان موقف امريكا قد بات في عهد كارتر اقرب الى الموقف العربي مما كان عليه في الماضي هم ضحايا « الخدعة البصرية » ، لانهم هم الذين اقتربوا من الموقف الامريكي ، وليس العكس ٠

ان امريكا لم تقترب منا ، بل ان بعض الانظمة العربية هي التي انتقلت من المواقع العربية ـ سواء الاصلي منها والمستحدث ـ لتستقر على مقربة من الموقع الامريكي ٠

(ج) سياسة امريكا في عهد كارتر تقوم على التأكيد ، بشكل اقوى من سياسة اي رئيس امريكي سابق ، على الالتزام الامريكي ببقاء اسرائيل ، وبأمنها ، وبسلامتها ، وبخيرها ٠

ان سلامة اسرائيل وخيرها هما الهدف ٠ وجميع الاجراءات التي ترمي امريكا الى اقامتها مشروطة ، اصلا ، بضمانها لسلامة اسرائيل وبخدمتها لخير اسرائيل ٠ اما اثر تلك الاجراءات على امن الوطن العربي وسلامته وخير شعوبه ـ او على امن الدول العربية فرادى ـ فأمر ثانوي اذا قورن باثرها على اسرائيل ٠

(د) **وابرز دليل على الاولوية التي توليها امريكا لاسرائيل في سياستها هو المقياس المزدوج** الذي تقيس به امريكا الامور ، دوما لصالح اسرائيل ٠

لا اريد ان اثقل مقالي بالامثلة · ولكني اجد لزاما علي ان اشير الى حفنة من عشرات الامثلة التي تؤكد ما اقول :

مثال اول : في التاسع من مارس ١٩٧٨ ، سئل كارتر في مؤتمر صحفي عما اذا كان يعتزم تلبية طلب تقدمت به حكومة الصومال لتزويدها بالاسلحة ، وذلك لصد هجوم من اثيوبيا قالت امريكا ان الاتحاد السوفياتي وكوبا تعززانه ، فأجاب بأن المبدأ الذي تلتزم به الحكومة الامريكية هو ان لا تزود اي بلد بالاسلحة، حتى الدفاعي منها ، ما دام ذلك البلد يحتل اراضي بلد اخر ·

وفي المؤتمر الصحفي نفسه وفي سواه من المؤتمرات الصحفية ، اشاد الرئيس كارتر بضخامة العون العسكري الذي ما فتئت امريكا تقدمه لاسرائيل منذ ١٩٦٧ · اي ، منذ احتلالها للمزيد من الاراضي العربية · واكد بأن امريكا لن تستخدم التهديد بقطع السلاح عن اسرائيل من اجل حملها على الانسحاب من الاراضي العربية ·

مثال اخر : في مؤتمر صحفي عقده في فرصوفيا في ٣٠ ديسمبر ١٩٧٧ ، اكد الرئيس كارتر ، ردا على سؤال يتعلق ببلدان اوروبا الشرقية ، ان حكومته تعترف لكل بلد بحقه في الاستقلال الكامل ، وبحقه في ان لا يربط مع ايّ بلد اخر بأية ارتباطات لا تعبر عن رغبته الحرة واختياره الحر ·

وفي ذلك المؤتمر الصحفي عينه ، كما في سواه من المؤتمرات ، عندما سئل عن حق الفلسطينيين في الضفة الغربية بتقرير مصيرهم ، قال بأن امريكا لا تؤيد استقلالهم بل تريد لهم ان يكونوا مرتبطين بالاردن ·

مثال ثالث : في ٢٨ اكتوبر ١٩٧٧ انهت الجمعية العامة للامم المتحدة مناقشتها الطويلة لبند جديد ادرج على جدول اعمالها بناء على طلب من مصر ، يتعلق بموضوع المستعمرات الاسرائيلية في المناطق المحتلة ، ثم مضت للتصويت على مشروع قرار معتدل جدا في ادانته لاسرائيل ، وكانت للتصويت مع ذلك المشروع اهمية خاصة ، لان تلك كانت اول اختبار عملي لموقف ادارة كارتر في الامم المتحدة من الصراع العربي الاسرائيلي ، ولان ادارة كارتر كانت قد ادانت سياسة زرع المستعمرات الاسرائيلية في المناطق المحتلة طوال الشهور السابقة · ولذلك ، فقد كانت الاعين كلها مركزة على المندوب الامريكي ، السفير اندرو يونغ ، عندما اعتلى المنصة ليفسر تصويت وفده على ذلك القرار · وقد استهل يونغ كلمته المختصرة جدا بتأكيده تأييد امريكا لمنطق القرار (الذي لم يعارضه سوى مندوب واحد ، هو مندوب اسرائيل) · ولكنه مضى يقول : « ان الولايات المتحدة قد تحملت مسؤولية خاصة ، بوصفها احد رئيسي مؤتمر جنيف للسلام في الشرق الاوسط · وتلك المسؤولية تتطلب منا ان نبقى محايدين ، وان نقف في معزل عن اي جهد من هذا النوع قد يعتبر ماسا بالقضايا المعقدة التي

ستبحث في جنيف • ولذلك فقد امتنعنا عن التصويت على هذا القرار •

الا ان هذا المنطق ــ اي منطق الامتناع عن التصويت على اي قرار يتعلق بأية قضية ستبحث في جنيف ــ لم يؤثر على تصويت امريكا السلبي على القرارات اللاحقة التي جرى التصويت عليها فيما بعد في تلك الدورة •

بل ان امريكا ، التي استمرت في **الامتناع** عن التصويت على القرارات التي تعلن انها توافق على روحها ومضمونها ، بحجة الحياد ، لم تتردد عن معارضة جميع القرارات الاخرى التي تخالف السياسة الامريكية • (وهكذا ، فقد صوت الوفد الامريكي **ضد** القرارات : رقم ٢٠ ، المتعلق بالتسوية في الشرق الاوسط ، ورقم ٤٠ ، المتعلق بحقوق الشعب الفلسطيني ، و ٩١ج و ١٦١ و ١٧١ ، حول الاوضاع في المناطق المحتلة) •

وهكذا ، فقد اتضح ان « الحياد » الامريكي في الامم المتحدة كان معناه **الامتناع** عن التصويت على القرارات التي توافق عليها الحكومة الامريكية ، والتصويت **ضد** القرارات التي لا توافق عليها • (وجدير بالذكر ان الوفد الامريكي لم **يؤيد** في تلك الدورة سوى القرارات الهامشية وذات الصفة الانسانية ، لا السياسية ، من القرارات المتعلقة بالشرق الاوسط) •

ويمكننا ان نسوق عشرات الامثلة التي تعبر عن استمرار امريكا في الانحياز نحو اسرائيل ، واستخدامها مقياسا مزدوجا لصالح اسرائيل •

(٣) تصور امريكا للتسوية

ننتقل الان الى تحليل عناصر التسوية السياسية الشاملة التي ترمي ادارة الرئيس كارتر الى تحقيقها في منطقتنا •

اولا : العنصر الاول ، والاهم ، هو اقامة سلام تام وعلاقات طبيعية كاملة بين الفريقين ، تضم فيما تضمه الاعتراف القانوني والدبلوماسي ، وتبادل التمثيل الدبلوماسي ، والحدود المفتوحة ، وحرية التبادل التجاري والثقافي والانساني ، والخ •

واذا عدنا بالذاكرة الى اول تحديد رسمي للشروط الاسرائيلية للتسوية ــ وهو الذي ورد في بيان ابا ايبان امام الجمعية العامة للامم المتحدة في ٨ اكتوبر ١٩٦٨ ــ وجدنا ان ما يقوله كارتر في هذا الشان هو نسخة طبق الاصل عما قاله ايبان منذ عشرة اعوام •

ثانيا : العنصر الاقليمي ، او ما يسميه الاسرائيليون « تحديد الحدود الامنة والمعترف بها » ، ويسميه العرب « الانسحاب الاسرائيلي » •

وبالنسبة لهذا العنصر ، فان كارتر ـ مع تأكيده على وجوب قيام اسرائيل بالجلاء عن بعض المناطق العربية المحتلة ـ يؤكد في الوقت نفسه ما يلي :

(أ) ان مدى الانسحاب يتقرر بموجب اتفاق الطرفين ، في اطار مفاوضات مباشرة ، وليس بموجب الانصياع للمبدأ القانوني الثابت القائل بعدم جواز حيازة الاراضي بالقوة ٠

(ب) ان الانسحاب اذن لن يكون الى مواقع ٥ يونيو ١٩٦٧ ٠

(ج) ان التنازلات الاقليمية الناتجة عن ذلك لن تكون تنازلات متبادلة ، بل تنازلات من الجانب العربي وحده ٠

(د) ان الانسحاب لا يعني عودة السيادة العربية الكاملة الى المناطق التي يتم جلاء القوات الاسرائيلية عنها ، بل انه مشروط بالاتفاق المسبق على ترتيبات ثنائية ودولية في تلك المناطق غرضها صيانة امن اسرائيل وضمان سلامتها ٠

(هـ) ان بين هذه الترتيبات احتفاظ اسرائيل بقواعد عسكرية في المناطق المحتلة بعد « الانسحاب » منها ٠

(و) وأود ان استطرد قليلا في هذا المجال ، لاتحدث عن جانب من جوانب هذا العنصر ، هو الجانب المتعلق بالمستعمرات في المناطق العربية المحتلة ٠

فان البعض يتوهم بأن كارتر قد اتخذ موقفا حازما في معارضة سياسة اسرائيل في بناء المستعمرات في المناطق المحتلة ، مع ان الواقع هو ان موقف كارتر يمثل تراجعا عن المواقف التي وقفها اسلافه من هذا الموضوع ٠ ويتضح ذلك التراجع مما يلي :

(١) عندما يشجب كارتر سياسة اسرائيل في بناء المستعمرات ، فانه يمضي الى تلطيف وقع هذا الشجب وتمييع اثره ، فيتبرع بايجاد العذر لبيغن في انتهاج تلك السياسة ، وذلك بالتذكير بأن بيغن جاء الى الحكم بعد حملة انتخابية تعهد فيها بالاستمرار ببناء المستعمرات ، وبأنه لا يستطيع التنكر للوعود التي قدمها للشعب الاسرائيلي اثناء الانتخابات ٠

(٢) ثم ان كارتر يميز بين تكثيف المستعمرات القائمة ، من جهة ، وبين زرع مستعمرات جديدة ، فيشجب هذا دون ان يعارض ذلك ٠

(٣) ثم انه ينادي بوقف بناء المستعمرات الجديدة فقط اثناء استمرار عملية السعي للوصول الى تسوية ٠

(٤) وكما مر بنا ذكره ، فان كارتر اصدر تعليماته الى وفده في الامم المتحدة بأن يمتنع عن التصويت على قرار يدين سياسة زرع المستعمرات ٠

(٥) وان كارتر يؤكد بوضوح ان امريكا لا تعتزم القيام بأي عمل فعلي للرد على استمرار اسرائيل في زرع المستعمرات ، مكتفيا بشجب ذلك في تصريحاته · هذا ، مع العلم بأن امريكا ملزمة قانونيا ، بموجب المادة الاولى من اتفاقية جنيف الرابعة ، بأن تضمن تقيد اسرائيل بأحكام تلك الاتفاقية كلها (وبينهـــا احكام المادة ٤٩ التي تحرم بناء المستعمرات في المناطق المحتلة) ، ومع العلم ايضا بأنه ، لولا المساعدات المالية الامريكية التي تستخدمها اسرائيل في بناء المستعمرات ، لما كان بوسع اسرائيل ان تستمر في برنامج الاستعمار المكثـف القائم حاليا ·

(٦) ثم ان كارتر لا يطالب بهدم المستعمرات الاسرائيلية عند انسحاب القوات الاسرائيلية من المناطق المحتلة ، بل يقول ان مصير المستعمرات يجب ان يقـرر في المفاوضات المباشرة بين الفريقين العربي والاسرائيلي ·

ثالثا : واما العنصر الثالث من عناصر التسوية ، كما تتصورهـــا ادارة الرئيس كارتر ، فيتصل بتسوية القضية الفلسطينية كجزء من التسوية الشاملة ·

ولقد بات من عادة المراقبين والمحللين ان يقولوا بأن ادارة كارتر تختلـف عن جميع الادارات الامريكية السابقة في انها اعترفت بالعنصر الفلسطينـــي كواحد من العناصر الرئيسية الثلاثة لما يسمى بقضية الشرق الاوسط ، وانها ادركت ان حل القضية الفلسطينية شرط لا بد منه لحل القضية الاوسع · وهذا القول صحيح الى حد ما (مع ان الواقع التاريخي يثبت ان ادارة فورد هـي التي بدأت بالاعتراف بالعنصر الفلسطيني في القضية الاوسع ، وذلك في بيان سوندرز في ١٢ تشرين الثاني ١٩٧٥) ، لكنه ينطوي على مفارقات خطيرة لا بد من الانتباه اليها ·

فقبل مجيء الرئيس كارتر الى الحكم ، كان من الامور المسلم بهـــا ان الانسحاب الاسرائيلي ، عندما يتم ، سوف يترك مصير المناطق المحتلة لابنائها · اي انه كان مقبولا ان مستقبل المناطق العربية المحتلة يصبح ، بعد الجـــلاء الاسرائيلي ، شانا عربيا يقرر طبيعته العرب انفسهم ·

وكان معروفا ان الجانب العربي كان قد حدد موقفه من مصير المناطـــق الفلسطينية المحتلة ، بعد ان يتم الجلاء الاسرائيلي عنها ، وذلك في مؤتمر القمة العربي السابع المنعقد في الرباط في اواخر تشرين الاول ١٩٧٤ ، وفي قراري المجلس الوطني الفلسطيني الصادرين عن الدورتين الثانية عشرة (في مطلع حزيران ١٩٧٤) والثالثة عشرة (في اواسط اذار ١٩٧٧) ·

الا ان كارتر ، عندما بادر في مطلع ولايته الى الدعوة الى اقامة وطـــن للفلسطينيين (ابتداء من بيانه في كلنتون في ١٦ اذار ١٩٧٧) ، مضى في

الوقت عينه ... طبيعة هذا « الوطن » وارضيته الجغرافية بالمفاوضات المباشرة الق... التسوية الشاملة من خلالها ٠

اي ... مسالة المناطق الفلسطينية ، المحتلة بعد الجلاء الاسرائيلي ، لم تعد في تصور كارتر شانا فلسطينيا ، بل ولم تعد شانا عربيا ، بل انها اصبحت خاضعة للموافقة الاسرائيلية ، لانها اصبحت خاضعة لاتفاق الاطراف المشتركة في اقامة التسوية الشاملة ، وبينها اسرائيل ٠

واذا كان بيان كلنتون لم يكن كافيا لاحكام هذا الربط بين مستقبل المناطق الفلسطي... المحتلة وبين الموافقة الاسرائيلية ، فان ادارة كارتر قد اكدت ذلك الربط بشكل لا غموض فيه ، وذلك في الخطاب الذي القاه نائب الرئيس موندال في سان فرا... بيسكو في ١٧ يونيو ١٩٧٧ ٠

وهكذا ، فان ادارة كارتر ، بعد ان قلصت قضية فلسطين ، شعبا ووطنا ، الى قضية المناطق الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧ ومن تبقى من سكانها فيها ، ثم اخضعت مستقبل تلك الاراضي وسكانها لمشيئة الاطراف المتفاوضة ، وبالتالي « للفيتو » الاسرائيلي ، مضت الى استبعاد الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني ، اي منظمة التحرير الفلسطينية ، من الاشتراك في عملية صنع مصير تلك المناطق الفلسطينية وسكانها ٠

واخيرا ، وبعد ذلك كله ، اسفرت ادارة كارتر عن وجهها الصحيح ، اذ حددت الجزء الاخير من مخططها « لحل القضية الفلسطينية » ـ اقصد بذلك معارضتها الصريحة للسيادة الفلسطينية في اي جزء من فلسطين ، ولاقامة دولة فلسطينية ٠

وباختصار ، فان اقصى ما تقدمه ادارة كارتر للشعب الفلسطيني ، كتسوية نهائية لقضيته ، هو ما يلي :

ان جزءا من الشعب (لا يتعدى ثلثه) قد يتاح له ان يمارس جزءا من حقوقه (باستثناء حقه في العودة وحقه في السيادة واقامة دولة مستقلة) في جزء من وطنه (تبلغ مساحته ١٨ بالمئة من مساحة فلسطين) ، وذلك لا اليوم ولا غدا ، بل بعد مضي عدة سنوات على قيام السلام الكامل بين الدول العربية واسرائيل ، ووفق ما يتفق عليه في مفاوضات بين بعض الدول العربية واسرائيل (تخضع نتائجها طبعا للموافقة الاسرائيلية) وقد يشترك فيها فلسطينيون بصفة ما اذا توفر فيهم شرطان : ان لا يكونوا منتدبين من منظمة التحرير الفلسطينية ، وان توافق على هويتهم اسرائيل وامريكا والدول العربية المعنية بالامر ! ٠

(٤) مدى استعداد امريكا لانجاز التسوية

ان تسوية هذه عناصرها ، هي اقصى ما تقدمه ادارة كارتر لانهاء الصراع العربي الاسرائيلي · ولكن ادارة كارتر ، التي تواجه معارضة اسرائيلية متزايدة حتى لهذه « التسوية » ، تصر باستمرار على انها لن تلجأ الى « الضغط » على اسرائيل لحملها على القبول ، او لفرض التسوية عليها ، ولن تلجأ الى قطع المعونات المالية والعسكرية السخية التي تقدمها امريكا الى اسرائيل ، ولا الى تخفيضها ، من اجل تحقيق التسوية ·

وليس لمثل هذه التأكيدات المتواصلة سوى نتيجة عملية واحدة : تطمين اسرائيل بأنها لن تخسر مصدر رزقها الاكبر اذا هي رفضت القبول بالتسوية الامريكية ·

واذا قال قائل ان مثل هذه التأكيدات الامريكية قد لا تعبر تعبيرا صادقا عن نوايا الحكومة الامريكية ، بل قد يكون الدافع اليها هو الاعتبارات السياسية المحلية ، وحاجة الحكومة الى تطمين انصار اسرائيل في الكونغرس والرأي العام ، والى تخديرهم ، كان جوابنا على ذلك القول : ان تكرار مثل هذه التأكيدات ، مهما كان الدافع ، من شأنه ان يخلق مناخا سياسيا يصعب فيه على الحكومة الامريكية (ايا كان رئيسها) ان تمارس الضغط اللازم عند الحاجة ، ومن شأنه كذلك ان يستثير عقبات في طريق عملها السياسي الرامي الى تحقيق التسوية الامريكية لقضايا الشرق الاوسط ·

(٥) امكانيات التبديل في السياسة الامريكية

بعد ان وصفنا ملامح السياسة الامريكية ، في عهد الرئيس كارتر ، تجاه الصراع العربي الاسرائيلي ، وحددنا عناصر التسوية التي تنشدها امريكا لذلك الصراع ، لا بد لنا ان نسأل : هل في الامكان حمل امريكا على تعديل هذه السياسة ؟ هل في قدرة العرب ان يمارسوا من الضغط على امريكا ما يجعلها تقلع عن الانحياز لاسرائيل وتتجه نحو الحياد ؟ وما هو السبيل الى ذلك ؟·

ان جوابي على هذه الاسئلة ذو شقين :

اولا : ان التطلع الى نقل امريكا من موقع الانحياز لاسرائيل الى موقع الانحياز للعرب هو تطلع غير واقعي ، وليس له اي حظ من النجاح في المستقبل المنظور ، وذلك على الرغم من ان المبادىء التي تتغنى بها امريكا ، حكومة وشعبا ، والمصالح الوطنية الامريكية على اختلاف انواعها ، كليهما معا تدعوان امريكا الى ذلك ! ·

ثانيا : ان امكانية حصول **تحول نسبي** في الموقف الامريكي ، **يخفف** درجة انحيازها لاسرائيل **ويقربها من الحياد** ، يتوقف تحقيقها علينا **نحن** ٠

فالى ان نقوم نحن بتبديل اسلوب تعاملنا مع انفسنا ومع العالم ومع امريكا ، فمن السخف ان نتوقع ان تقوم امريكا بتبديل سياستها لصالحنا من تلقاء نفسها ٠

□

ان الشروط التي يجب توافرها ـ اي التي ينبغي على العرب **توفيرهـا** ـ تتصل كلها باضفاء شيء من المصداقية على « الضغط » العربي على امريكا ، او بالايحاء بأن العرب جادون في صراعهم مع اسرائيل وجادون بالتالي في مطالبتهم لامريكا بالاقلاع عن انحيازها لعدوهم بالتزام موقف الحياد حيال الصراع العربي الاسرائيلي ٠

اولا : ان المؤمنين بامكانية انهاء الصراع العربي الاسرائيلي ، بشكل يصون الحقوق والمصالح العربية ، بالوسائل السياسية والسلمية مدعوون لان يذكروا ان **نجاح العمل السياسي مرهون بمصداقية التهديد باللجوء ، في حالة فشله ، الى الاساليب البديلة ٠**

من لا يتأهب للقتال عندما يشرع في خوض معركة سياسية مصيرية قد يجد نفسه نتيجة لذلك يواجه واحدا من الاحتمالات الثلاثة الاتية : اما الرضوخ لتسوية تقوم على اسس غير مرضية ٠ او فشل المساعي السياسية ، وتجميد الوضع الراهن لمدة طويلة ٠ او اللجوء الى القتال دون التأهب المسبق له ٠

واما من يتاهب للقتال فيما هو يخوض المعركة السياسية المصيرية ، فهو الذي قد لا يجد نفسه مضطرا الى اللجوء اليه ـ لان ادارة المعركة السياسية من موقع القوة هي وحدها التي تضمن الفوز في تلك المعركة ٠

وعندما اتحدث عن التاهب للقتال ، فاني لا اتحدث عن تكديس السلاح الحديث وتعبئة الجيوش وتدريبها فقط ، بل اتحدث ايضا عن **تعبئة المجتمع باسره واعداده نفسيا وخلقيا للتضحية والبذل ٠**

اننا اخذون في بناء مجتمعات جديدة تقوم على الترف والتبذير ، وعلى التمتع بالثروة المستحدثة الى اقصى الحدود ، في الوقت الذي تئن فيه بعض مجتمعاتنا الاخرى من الحرمان ـ ومع هذا ، فان انظمتنا ، في هذه المجتمعات وتلك ، تلهث وراء التسوية السياسية وتغرق الشعب بالامال بان السلام بات على الابواب ٠ وفي مثل هذا الحال لا يمكن لاحد ـ ابتداء من امريكا واسرائيل ـ

ان يكترث بما يصدر عن تلك الانظمة من تهديدات ، بانه اذا لم تتم التسوية في هذا التاريخ او في ذاك ،فاننا سنلجأ الى القتال لصيانة مصالحنا واسترجاع حقوقنـا ٠

ثانيا : وكما انه من الخطأ ان « نضع البيض كله في سل واحد » وننهج سبيل العمل السياسي الى درجة اهمال السبل الاخرى ، فكذلك من الخطأ ان نرتمي في احضان امريكا ، معلقين عليها وحدها كل املنا ، الى درجة اهمال علاقاتنـا بمصادر القوة الاخرى في العالم ــ ولا سيما تلك التي وقفت الى جانبنا في محننا الماضية ، وليس هنالك ما يدعونا الى الشك في انها سوف تقف الى جانبنا في المحن الاتية ايضا ٠ عندما نرتمي في احضان امريكا ، نجعل من انفسنا ، رهائن ــ بل اسرى ــ في يديها ٠

ثالثا : مصداقية الضغط العربي على امريكا ، وفعاليته ، ترتفعان او تنخفضان بالنسبة الى صدور ذلك الضغط عن صف عربي متماسك ، او صدوره عن عالم عربي متفكك تنخره التناقضات وتشله الانشقاقات ٠

رابعا : ليس لاي محاولة ضغط تصدر عن اي حاكم اي حظ بالتأثير والنجاح اذا لم يكن الفريق الاخر ، الذي يمارس الضغط عليه ، مؤمنا بان ذلك الحاكم يعبر عن ارادة شعب متماسك يقف وراءه ٠ ان مصداقيتنا تظل معدومة او شبه معدومة ما دام الشعب ليس شريكا مع حكامه في صنع السياسة الوطنية ، ولا سيما في القضايا المصيرية ٠

خامسا : كثيرا ما تنتهج حكوماتنا اسلوبا ساذجا في التعامل الدبلوماسي ٠ ففي حين تتبع قيادات اسرائيل ، بحذق ومهارة ، النهج المألوف والذي يتلخص بمبدأ « خذ وطالب » نجد بعض الانظمة العربية المشتركة في عملية المفاوضـة تنهج نهجا طفوليا شعاره « اعط اولا ثم طالب » ! والامثلة على ذلك في الاونة الاخيرة ، عديدة ومعروفة ٠ كما ان فشلها جدير بان يكون عبرة للمعتبرين ٠

سادسا : كل ما ذكرت حتى الان يتصل بالشروط التي ، اذا توافرت ، اضفت شيئا من المصداقية على ما قد نمارسه من ضغط على امريكا من الخارج ، بغية حملها على الاقلاع عن انحيازها نحو اسرائيل واتباع نهج جديد محايد ٠ ولكن هذه الشروط جميعها ، لو توافرت على افضل وجه ، تظل غير وافية لتحقيـق غرضها ٠ لانها جميعا تتعلق بمخاطبة صانع السياسة الامريكي بمنطق المصلحة الوطنية الامريكية ٠ ولكن الرئيس الامريكي ، ايا كان ، ليس دوره دور « رجل الدولة » فقط ، بل هو ايضا ــ وربما كان ذلك في الدرجة الاولى ــ « رجـل سياسة » ، بقاؤه في الحكم وبقاء حزبه من بعده ، مرهون بتواقر الاعتبارات السياسية الداخلية الملائمة ، وبينها رضى القوى الضاغطة في المجتمع الامريكي وتاييدها ٠

ثم ان الرئيس الامريكي ، ايا كان ، قد اصبح مقيدا في الاونة الاخيرة برضى الكونغرس عن مبادراته السياسية في الحقل الخارجي ـ ولا سيما بعد فيتنام ، ووورترغيت ، وتمرد الكونغرس على الرئاسة واستيلائه على بعض سلطاتها الدستورية ٠

جميع هذه الاعتبارات تتعلق بحرية **الرئيس الامريكي ، ايا كان** ، في تبديل السياسة الخارجية الامريكية وتعديلها تعديلا جذريا متجاوبا مع الضغوط الخارجية التي تمس المصلحة الوطنية ٠ **الا ان هناك اعتبارات اخرى تتعلق بالرئيس كارتر بالذات ٠**

فهو يعاني ، اكثر من اسلافه ، من صعوبات خاصة تقيد حريته في اتخاذ المبادرات الجريئة في السياسة الخارجية ٠ فهو قد جاء الى الحكم من خارج المؤسسة الحاكمة وقد حمله الى سدة الرئاسة نقده الجارح لتلك المؤسسة اثناء الحملة الانتخابية وبالتالي فهو لا يجد في اوساط المؤسسة الحاكمة تجاوبا كبيرا مع مبادراته السياسية ٠

ثم ان حزبه (الديمقراطي) اكثر عراقة في الانحياز لاسرائيل من الحزب المعارض (الجمهوري) ٠ وبالتالي ، فان اية مبادرة منه للاقلاع عن الانحياز لاسرائيل من شانها ان تلقى مقاومة اوتوماتيكية من الحزب الحاكم (بسبب تراثه المؤيد لاسرائيل) ٠

لذلك ، فان الواجب يقضي على الجانب العربي ان يمارس الضغط على الرئيس الامريكي لا من خارج امريكا فقط ، بل ومن داخلها ايضا ٠ فان اسرائيل تمارس ضغطها كله من داخل امريكا ـ معتمدة في ذلك على ثمار خمسين عاما من النشاط الصهيوني الذكي في امريكا ٠

واني اعتقد ان امكانية العمل العربي داخل امريكا ، من خلال قطاعات امريكية مؤثرة ، امكانية قائمة ٠ (ولا اقصد بذلك العمل الاعلامي النظري المجرد ، بل العمل الاعلامي السياسي الضاغط) ٠

واعتقد كذلك ان هناك قطاعات مؤثرة في المجتمع الامريكي مؤهلة لان تتجاوب مع العمل العربي وتمارس هي ـ باسم المصلحة الوطنية الامريكية او باسم المبادىء الامريكية ـ الضغط على حكومتها لانتهاج سياسة محايدة تجاه الصراع العربي الاسرائيلي ، متحررة من الانحياز لاسرائيل فهناك الامريكيون من اصل عربي ـ وهم مؤهلون ـ بحكم تراثهم ، لان يكونوا جسرا بين العالم العربي وامريكا ٠ وهناك عشرات الملايين من الامريكان السود ، وهم مؤهلون ـ بحكم انحدارهم من افريقيا ، وبحكم عطفهم الطبيعي على اماني بلدان العالم الثالث عامة وضحايا العنصرية خاصة ـ لان يكونوا مصدر تفهم عميق للمطالب العربية الحقة ٠ وهناك قطاع ضخم ـ قطاع رجال الاعمال والتجارة والصناعة في

امريكا ـ بنفوذهم الواسع في المؤسسة الحاكمة ، وبحسهم المرهف لمصلحة امريكا ومصلحتهم هم في ازالة عوامل التوتر الكامنة في العلاقات العربية الامريكية ٠

وهناك ، من الناحية الاخرى ، قطاع رجال الدين والمؤسسات الكنيسة ، التي حملت لواء مطالبة الحكومة الامريكية ـ باسم مبادىء العدالة ـ باتخاذ سياسة تتجاوب مع اماني الشعب الفلسطيني بالكرامة ، واماني الشعوب العربية الاخرى في تحرير اراضيها من الاحتلال الاسرائيلي ـ ٠٠ هذه القطاعات الاربعة مؤهلة لان تكون نواة قوة ضاغطة تطالب حكومتها بالنزاهة والحياد حيال الصراع العربي الاسرائيلي ٠

وهي تنتظر منا عملا يحركها وينشطها ٠

انها مؤهلة لان تصبح عاملا داخليا يكسر الاحتكار الصهيوني للضغط على الحكومة الامريكية فيما يتعلق بقضايانا ٠ **فان ازمتنا في امريكا تتلخص في ان هناك اكثرية صامته ـ لانها جاهلة او لا مبالية ـ بينما هناك اقلية ملتزمة باسرائيل تحتكر ممارسة الضغط على الحكومة والكونغرس والرأي العام في كل ما يتعلق بقضايانا ٠ حاجتنا الماسة ، اذن ، هي الى تحريك فئة اخرى ، لتتحدى ذلك الاحتكار وتكسره ـ حتى يصبح النقاش حول قضايانا نقاشا مفتوحا ولا يظل ، كما كان حتى الان ، نقاشا من جانب واحد ، وحتى يصبح الضغط الذي تتعرض له الحكومة ضغطا متوازنا ولا يظل ضغطا من طرف واحد ٠**

فهل ترانا نقوم بما يتوجب علينا لكسر الاحتكار الصهيوني بتحريك قطاعات ضخمة في المجتمع الامريكي مؤهلة للتجاوب معنا ؟ ان اجابتنا على هذا السؤال ـ بالعمل وليس فقط بالقول ـ هي المقياس الذي به يقاس مدى جديتنا ٠

والى ان يكون جوابنا ايجابيا وفعالا ، فان وضعنا في امريكا سوف يظل كما كان عليه منذ ثلاثين عاما ، كما حلله المؤرخ الشهير ارنولد توينبي عندما تساءل عن السبب الذي حدا بامريكا ١٩٤٧ بان ترمي بثقلها في الميزان لصالح قرار التقسيم ، ثم اجاب على سؤاله بنفسه ، مشيرا الى الضغط المنظم الذي مارسه الصهيونيون الامريكيون على حكومتهم ، وقائلا :

« ٠٠٠ اما العرب فقد كانوا غائبين عن المسرح الامريكي ٠٠٠ وكما يقول المثل : ان الغائب ، دوما ، هو الملوم ٠٠٠ » ٠

أديب ديمتري

هزيمة العقل وجذور الصهيونية

١ ـ هزيمة العقل ٠٠ من العقلانية الى الرومنسية الرجعية

« يا منبع الضلال الذي لا يغيض ـ أيها السم الذي يفسد استقامة المشاعر الطبيعية ، وحقيقة القلوب ـ يا فتنة الغافلين ـ أيها العقل ، لقد جئت لادمر الهياكل ـ التي اقيمت لك ٠٠٠ » ٠

(من قصيدة لشيلي ضد العقل سنة ١٧٠٨)

ما كان لقوى الرجعية والتخلف والردة ، الاقطاعية والدينية ، ان تسلم بالهزيمة او تلقي بأسلحتها في يسر ، لتتخلى عن أملها في العودة ، واستعادة عهود السلطة والمجد ٠ وبرغم الضربة الساحقة التي تلقتها في ختام القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر ، على يد الثورة الفرنسية ، وعلى الرغم من تساقط عروشها ، ونظمها البالية ، امام زحف جيوش الثورة والغزوات البونابرتية ، الا انها لم تفقد الامل في استراجاع مواقعها ٠ كما لم يهدأ الصراع الطبقي بانتصار الثورة الفرنسية ، بل على العكس تفاقم وانتشر على الساحة الاوروبية كلها خلال القرن التاسع عشر ٠ وسيشهد العصر تعاظما في الحركات الثورية ، والحركات المضادة في نفس الوقت ، وتحولات سياسية واجتماعية واقتصادية على مدى العصر كله ، تعكس عملية الاستقطاب والتمايز الاجتماعي والطبقي التي ترتبت على نمو وتبدل مراكز القوى الاقتصادية والاجتماعية والطبقية في خلاله ٠ فالطبقة الوسطى المظفرة التي استولت على السلطة في بعض البلدان الاوروبية الغربية او شاركت فيها بقدر اعظم ، انقسمت

على نفسها الى اقسام وشرائح ، وكذلك تزايد نضج الطبقة العاملة الصناعية وبرز دورها ، كما تفاقمت حدة الصراع بينها وبين الطبقة الرأسمالية ٠

ومن العوامل المؤثرة الاساسية خلال القرن المكننة والتصنيع ، او ما يسمى بالثورة الصناعية والاثار الاقتصادية والاجتماعية البعيدة التي ترتبت عليها (١) ، منها الثراء السريع والفاحش للطبقات البورجوازية الصاعدة والبؤس والشقاء المقابل للشعب العامل ٠ وبالرغم من استمرار مثل الديمقراطية والمساواة التي جاء بها القرن الثامن عشر ، فان التنظيم الصناعي الذي جاءت به البورجوازية النامية خلال القرن التاسع عشر ، والذي اصبحت له السيطرة على العقول ، كان ينطوي في الواقع على نمط اجتماعي مصاحب في التنظيم يحمل بذور معاداة الديمقراطية (٢) ، ومعاداة الطبقة العاملة ، مما فاقم الصراع بين القوى الديمقراطية الليبرالية والقوى المعادية للديمقراطية من النبالة القديمة او الطبقات الرأسمالية ٠ وقد وصلت الموجة الرجعية في اوروبا الى ذروتها اثر سقوط نابليون سنة ١٨١٥ وقيام الحلف المقدس ٠ وقد شهدت اعوام ١٨١٩ ، ١٨٢٥ سيلا من التشريعات والاجراءات المعادية للطبقات الشعبية ، كما شهدت تراجعا وانتكاسا لمكتسباتها الديموقراطية خلال القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر ٠ ففي انجلترا صدرت قوانين القمح والقوانين التي تحرم دخول الاراضي ، وكلها لمصلحة طبقة كبار ملاك الاراضي، ووصلت بالفلاحين الى حافة المجاعة والثورة العنيفة ٠ كما تتمثل هذه الذروة الرجعية في الغاء المبدأ القانوني الذي يمنع حبس الناس دون محاكمة مشروعة Habeas Corpus (١٨١٧) ٠ وفي فرنسا استلم الملكيون المتطرفون زمام السلطة من جديد سنة ١٨٢٠ ، واستطاع مترنيخ ان يحصل سنة ١٨١٩ على مراسيم كارلسباد ، وان يبعد قيصر روسيا عن مغازلة حركات الاحرار ، وان ينال منه تأييدا مطلقا للنظام الرجعي ، وبلغت هذه الذروة في بروتوكول تروبـاو (٣) Protocol of Torppeau المناهضلجميع الاجراءات الثورية والاصلاحية في اوروبا ٠

ويرسم لنا برتراند رسل الصورة الشاملة للحياة العقلية خلال القرن التاسع عشر يقول : ان هذه الحياة كانت اكثر تعقيدا مما كانت عليه خلال القرن السابق ويرجع ذلك الى العديد من الاسباب ٠ فقد اسهمت امريكا وروسيا اسهاما هاما في حياة العصر ، واصبح هناك اهتمام اكثر بالشرق وبخاصة الهند (٤) ، وحقق العلم الذي احتل المكانة التي شهدناها خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر انتصارات في البيولوجيا والكيمياء الحيوية والجيولوجيا ، والامر الثالث ان انتاج الالة غير من التركيب الاجتماعي تغييرا كبيرا ، فقد افسح امام الناس رؤية جديدة ، وفهما جديدا لقواهم في علاقاتهم بالبيئة ٠ ورابعها الثورة العميقة التي هبت ضد النظم والمؤسسات العتيقة في الفكر

والسياسة والمذاهب الاقتصادية ، مما فتح الباب لمهاجمة مؤسسات ومعتقدات كانت تبدو راسخة مخلدة · وقد اخذت ثورة العصر هذه اشكالا مختلفة تماما : رومنسية وعقلانية · اما العقلانية فتبدأ بالفلاسفة الفرنسيين الى الفلاسفة الراديكاليين الانجليز ، حتى تكتسب عمقا جديداعند ماركس ، اما الرومنسية فتمتد من بايرون الى شوبنهور ، فنيتشه حتى موسوليني وهتلر (٥) ·

رد الفعل ضد عصر العقل

كادت ان تكون السيادة للعقل مطلقة ، خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر ، فقد كان العقل هو المحرك للفكر ، وللثوريين ، كما كان الايمان بالعلم وبالمستقبل ، وبمثل الديموقراطية والحرية والمساواة والسلام · كانت الرأسمالية تنمو ، والبورجوازية تصعد ، وآفاق المستقبل تنفتح امامها بلا حدود · ويتجمع وراء رايتها كل الشعب · ولكنها بعد ان قادت عدة ثورات مظفرة ، وأمسكت بزمام السلطة في العديد من البلدان ، او شاركت فيها بنصيب وافر ، جلبت معها ايضا الشقاء ، بل والمزيد من الفقر والافقار للطبقة العاملة والفلاحين ، كما سحقت ازمات الرأسمالية المبكرة تحت أقدامها اقساما عريضة من الحرفيين والتجار والبورجوازية الصغيرة · فكان الشك ، خاصة تحت تأثير هيوم · وبدأ نقد العقل · وفي سنة ١٧٨١ قدم كانت مؤلفة الاشهر « نقد العقل الخالص » وقد حاول فيه ، بتحليله لطبيعة المعرفة ، وقدرة العقل البشري ، التدليل على ان العلم وطرق الميكانيكا والفيزياء الرياضيين تصلح لوصف العالم بينما هي تعجز تماما عن الكشف عن حقيقة العالم · فالعلم يقدم لنا وصفا صادقا للحوادث الظاهرة اي الاشياء كما تبدو في الظاهر ، وكما يسمح لنا تركيب عقولنا واسلوب عملها اختبارها ولكن العلم ليس في وسعه اثبات شيء عن العالم الحقيقي او العالم في ذاته ، وكما يبدو لعقل كامل ، ومنزه عن كافة النقائص كعقل الآله (٦) ·

ومعنى ذلك ان العالم الحقيقي اكثر اتساعا مما تصفه العلوم بطريقتها العلمية ، وعلومنا لا تشمل ، ولا تستطيع ان تشمل ، كل شيء ضمن افقها ونحن نملك خبرات اخرى ، خبرات الضمير والجمال والدافع الديني · وهي خبرات ، برغم انها ليست خبرات علمية او عقلية بالمعنى الصحيح ، وبرغم استحالة ادخالها في اطار الفيزياء الميكانيكية ، الا انها خبرات قوية وهامة لا يمكن اهمالها او اعتبارها مجرد تصورات وهمية (٧) ، كما انها تظل مستعصية على الفهم ، الى ان نفترض بان العالم في الحقيقة ، هو شيء مختلف عما يستطيع العلم البرهنة على وجوده · ولما كنا لا نستطيع قط ان نعرف علميا حقيقة الكون في ذاته ، وجوهره الحقيقي ، ولا يمكن ان نتخطى في معرفتنا العقلية والعلمية الظواهر ، فلا مندوحة لنا من ان نعتمد على

شيء آخر هو الايمان ، وذلك لاسباب علمية مستمدة من حاجتنا الى العيش ، والى ممارسة الحياة العملية · ولا بد ان نبني حياتنا على هذا المزيج من العقل والشعور الذي يشكل الطبيعة البشرية ، فلا بد ان نعمل بوحي من واجب اخلاقي ولا بد ان نستشعر احتراما دينيا لشيء في الكون اعظم ، كما لا مندوحة لنا من الاعجاب بجمال في الاشياء لا يمكن تعليله علميا ، وان الكون يدار بشكل ما بقانون اخلاقي · وما دام العلم يعجز عن اثبات او نفي الحقيقة الواقعة فلا بد ان نركن الى الايمان ·

الرومنسية ترفض العقل

بدا هذا الدفاع العقلي من جانب كانت عن الايمان مقنعا ، واستقبله الرومنسيون بحماس · فعندما نادى كانت بان العلم محدود الافق ، فقد فتح الباب واسعا لعدد لا يحصى من الطرق الاخرى اللاعقلانية في الوصول الى المعتقدات الفلسفية والاخلاقية والدينية · وبالرغم من ان فلسفة كانت «النقدية» هي فلسفة ليبرالية تقدمية في الجوهر ، تتصدى لفكر الاقطاع ومفاهيمه الجامدة، وتعبر عن قوى البورجوازية الالمانية الصاعدة والضعيفة في نفس الوقت ، الا انها استغلت في مراحل تالية ، وبالاخص في النصف الاخير من القرن التاسع عشر لمساندة فلسفات الردة اللاعقلانية وكأنما اصبح نقد كانت للعقل جواز مرور لشق ممرات جديدة ، عبر مجاهل الحدس اللاعقلانية (٨) · فاذا كان « النقد » قد اثبت ان كل ما يمكن معرفته عن طريق العقل يقف عند الظواهر ، فقد ضاعت سدى ، كل جهود العلماء ومكتشفات العلم ، واصبحت كل الطرق ، غيبية كانت او حدسية او عقلية ، تستوي ، وتستحوذ على نفس القدر من الاحترام · وبذلك اقامت الفلسفات الرومنسية الرجعية ابنيتها الفكرية على وهم « نقد العقل » داعية الى ان الانسان في جوهره ليس عقليا ، وان طبيعته تكمن في الاساس في الغرائز والمشاعر والاحاسيس المبهمة · وبعبارة اخرى فان الشاعر او القديس اصدق من العالم · وليس الدين علما يقام البرهان على صحته بل شأن من شؤون القلب · والاخلاق ليست علما بل هي في الجوهر الارادة الطيبة ، وليس الفن مسألة شكل وتركيب بل غنى في العاطفةوالشعور · والمجتمع ليس مشروعا جامدا مؤسسا على المصلحة الذاتية بل كائن حي كبير ، تشد اعضاؤه بعضها البعض ، ذو سعي حثيث لتحقيق غايات ومثل تبدو غامضة مبهمة ·

الرومنسية بين الثورة والثورة المضادة

ومع ذلك فلم تكن الرومنسية في منبتها حركة للردة او مناهضة العقل ، بل

على العكس ، فقد اقترن مولدها في القرن الثامن عشر بالحركة السياسية والثورية • وكانت في الاصل ، وخلال هذه المرحلة الثورية ، ثورة ضد المعايير الاخلاقية والجمالية الجامدة والمروثة •وقد نشأت في جو مشبع بروح العطف على مآسي الفقراء ودعوات الحكمة ، وهجر مباهج البلاط والقصور وفساد الحياة المترفة ، للعيش في احضان الريف الهادىء بلا طموحات ، للاستمتاع بملذات الدعة والسلام (٩) •

وبالرغم من اقتران الرومنسية في الاصل باسم روسو ، الا انها كانت في بدايتها المانية في الاغلب ، حمل لواءها الشعراء الثائرون والملقبون « بشعراء العاصفة والتوتر » من أمثال جوته وشيلر ، كما وجدت تعبيرها في انجلترا لدى كوليردج ووردزورث وشيلي وبيرون ، وفي أمريكا ايمرسون وثورو Thoreau •

هؤلاء الرومنسيون ، الاوائل ، وهم ينتمون لجيل الثوريين في القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر ، وان جاء تأكيدهم على جوانب اخرى في الطبيعة البشرية غير العقل ، فقد ارتضوا المثل الاعلى الطبيعي الذي كان يسود الفكر في القرن الثامن عشر ، ولكنهم فسروه تفسيرا جديدا • ويبدو هذا واضحا في فكر روسو الذي يعد الينبوع الاول للحركة الرومنسية • لقد آله روسو « الانسان الطبيعي » حتى ضاهى في ذلك العقليين ، ولكن ما هو طبيعي عنده في الطبيعة البشرية ، لم يكن مبنيا على نظام الطبيعة الآلي النيوتوني ، بل على خبرته الشخصية • وفي رأيه ان الانسان الطبيعي ليس هو ذاك الذي يفكر تفكيرا عقليا منطقيا ، ويحكم على الاشياء على اساس ما تحققه من نفع شخصي، بل هو ذاك الذي يشعر ويتأثر • والعقل والذكاء في رأيه من صنع البيئة الاجتماعية ، التي تشكل طبيعة الطفل المرنة وتفسدها بادخالها قسرا في قوالب تقليدية غريبة عنها •

كانت الرومنسية في عصرها الاول ، تضيف وقودا للثورة في كل مكان ، تلك التي اشعلها انصار المذهب العقلي ، وكأنما بها نصوغ شعرا وغناء المشاعر التي تحركها في وجدانات العصر ، المبادىء التي يصوغها العلماء والمفكرون العقلانيون (١٠) • وكان ذلك كله بوحي من التحولات الاجتماعية الجذرية التي حملتها معها نهايات القرن الثامن عشر • ذلك ان الرومنسيين والعقليين مهما اختلفوا ، فقد اتفقوا على أمر واحد هو الايمان بالفردية • ومن هنا فان كلا الفريقين كان هو التعبير الفكري او الوجداني عن مطامح الطبقات الوسطى الصاعدة • وكان روسو وبنتام ولوك من الفلاسفة الانجليز المعنيين ، يجمعهم نفس الهدف ، وهو التحرر من قيود العصور الوسطى الاقطاعية • كان الهدف واحدا بالنسبة لجميع الثوريين ، عقليين او رومنسيين ، وهو خلق الفرد وبناء

شخصيته ، واصبح هذا الفرد وحريته هو العنصر الاهم • واذا كان العقليون قد ركزوا على نسق الطبيعة العام بوحي من رؤى العلم النيوتوني ، الالي والكوني، فقد توجه الرومنسيون الى ما هو اخص في الطبيعة البشرية ، وفي الفرد • كان مثلهم الاعلى ليس في انتشار المعرفة العقلية والعلم ، بل في نمـــو الملكات ، وانماء الامكانات الفذة والكامنة في الانسان ، نموا كاملا •• نمو الانسان مـن الداخل ، او باطن الانسان ضد المعتقدات المتوارثة والمؤسسات المصطنعة (١١)•

ولا شك ان تاكيد الرومنسيين الملحوظ على الفردية كان حافزا قويا للمذهب الفردي الاقتصادي ، الذي كان يبني نظام المصنع والرأسمالية الحديثة • وكان هؤلاء يدعون ايضا الى الاعتماد على النفس ، كانت الثورة الصناعية في جانب الاجراء من كل صنف ومذهب • الكل كانوا يتجمعون حول صيحة الحرية ،والتي كانت تعني بالنسبة اليهم : الحرية الاقتصادية والفردية والمنافسة الحرة وحرية العمل • وفي حقل السياسة كانت هذه الحرية تعني على وجه التحديد استـلام الطبقة الوسطى لزمام السلطة الفعلية • وكانت المساواة تعنى الغاء الامتيازات الاقطاعية والطائفية والدينية ، وان يصبح لكل انسان فرص متساوية ، بصرف النظر عن طبقته او دينة او هويته •

مفتاح النظرة الرومنسية اذن سواء في الادب او الفلسفة او السياسة هـــو ثورة الغرائز والعواطف الفردية ضد القيود الاجتماعية ، وبالرغم مـــن ان الرومنسية عموما كانت تجنح نحو الكاثوليكية ، الا ان هناك عنصرا بروتستنتيا لا يخفى في نزعتها الفردية (١٢) : والواقع ان العناصر الثورية والمحافظـــة تختلط اشد الاختلاط في التيارات الرومنسية ، وبرغم المنبت الثوري للرومنسية، فقد حملت منذ البداية عناصر الرفض للعقلانية ، وتغليب الغرائز والعواطف على العقل • وقد تحولت الفلسفة المثالية خلال القرن التاسع عشر بوجه الخصوص، وبتاثير من الفلسفات المثالية الالمانية ذات النزعة الرومنسية ، والتي كان لهـا الغلبة والسطوة خلال القرن ، الى فلسفة ذاتية (١٣) • وسنشهد فـــي هـــذه الفلسفات ايضا ، الاختلاط الشديد بين العناصر الثورية والرجعية ، بين نزعات التمرد والمحافظة في نفس الوقت ، حتى تستقطب الامور في النهاية بين تيارين: تيار الثورة ، وتيار الردة والنكوص •

ولا شكان سيادةالفكر الالماني بدءا بكانت وليبنتز ، كان من العوامـل ذات الاثر البعيد في القرن التاسع عشر ، وكان هذا الدور البارز والنشط للفكـــر الالماني يرجع الى الظروف التاريخية التي مرت بها هذه الامة بعد ان تحولـت طرق التجارة عنها الى الغرب ، وبعد ان مزقها الاصلاح الدينـــي ، وحـــرب الثلاثين • مزق ما بقي من وحدتها منـــذ الامبراطورية الرومانيـــة المقدسة ، وتحولت الى مجموعة من الامارات تحت رحمة فرنسا ، وفي القرن الثامن عشر لم تنجح سوى دولة المانية واحدة هي بروسيا ، في مقاومة الفرنسيين ، وهـــو

السبب الذي من اجله اطلق اسم الاكبر على فردريك (١٤) · ولكن بروسيا نفسها عجزت عن الوقوف في وجه نابليون‌واصيبت بهزيمة منكرة فييينا Jena مما كان له اثره البعيد في البعث القومي ، وفي الفكر القومي الذي سيطغى على اوروبا خلال القرن التاسع عشر ·

يضاف الى المؤثرات العميقة خلال العصر ، والتي جعلت من القرن التاسع عشر ، مرحلة بالغة التعقيد بالقياس الى القرن السابق له ، اثر الداروئية التي طرحت مفهوم التطور كمفهوم علمي ، وحركة الكائنات العضوية وتطورها البيولوجي ، كجزء لا يتجزأ من العلم الطبيعي ، فكسرت الالية النيوتونية وفتحت ثغرة خطيرة في تصوراتها الميكانيكية والآلية · وأصبح دارون بالنسبة للقرن التاسع عشر ، ما كان جاليليو ونيوتن للقرن السابع عشر (١٥) ·

وكانت الرومنسية الثورية في البداية ثورة ضد النظر الى العالم باعتباره مجرد نظام آلي ، وطبيعة راكدة باردة ، فالحياة والعالم وخبرة الانسان اكثر غنى ورحابة ·

والواقع ان الفلسفة الالمانية الرومنسية والتقدمية كما عبر عنها فختة (١٦) ، ومن بعده تلميذه شلينج ، كانت قد طرحت جانبا الثنائية الفجة للمذهب العقلي، ثنائية المادة والروح ، كما طرحت الشكلية الكانتية ، ووصلت الى مفهوم عضوي حيوي للعالم بالمضمون الصوفي عند سبينوزا ، مضمون وحدة الوجود ·الوحدة بين الله والطبيعة ، بين العقل والعالم الخارجي · وقد اضاف هؤلاء الفلاسفة الرومنسيون الالمان : فختة وشلينج وهيجل الى مفهومهم في وحدة الوجود ، مفاهيم النمو والتطور والتقدم · هذا المفهوم الجديد لم يعد يرى في العالم مجموعة من الاشياء تحكمها العلل والاسباب من الخارج ، وتعمل بضبط الآلة ، بل كائن عضوي هائل وحي ، يتطور على الدوام بفعل قواه وقوانينه الداخلية ·

هؤلاء الفلاسفة كانوا متشربين بعمق تراث الفكر المسيحي ، كما ورثوا الى جانبه العقيدة العقلانية ، عن اولوية العقل وقوته المطلقة ، فأحالوا مفهومهم الجديد هذا عن التطور الى مجرد تطور روحي عقلي في الاساس (١٧) · اما هدف التطور عندهم فهو الحرية التي رأوا فيها مظهر الالوهية في العالم · والحقيقة ان الاولوية التي اعطاها هؤلاء الفلاسفة التقدميين في الاساس للحرية يعكس بصدق موقعهم الاصيل في السياسة والاجتماع · فتصور العالم كعملية Process وحركة ونمو وتطور ، انما يرسم معالم النظام الاقتصادي الجديد الذي كانوا يدعمونه ، كما يمثل مرحلة اساسية في الانتقال من المفهوم الميتافيزيقى الجامد للعالم الى المفهوم التاريخي والجدلي (١٨) · وعندما جعلوا من الحرية هدفا للتاريخ ، فقد عبروا عن نزوعات البورجوازية الثورية والصاعدة التي كانت تتمسك بمبدأ الحرية في الاقتصاد والاجتماع والسياسة·

ولكن العناصر الثورية والرجعية ، تختلط في فكر هؤلاء الفلاسفة كما سبق وذكرنا ، وبقدر ما فتح الطريق للفكر الراديكالي والثوري خلال القرن التاسع عشر ، فقد مهد الطرق ايضا لانتقال الرومنسية الى صف الرجعية والمحافظة والردة : فقد وقف فختة مع الحركة والتطور ولم تغب عن ناظريه الامال الثورية لعصره ، فجعل نقطة التركيز في فكرة المستقبل الذي لا بد من الاعداد له ،رافضا الماضي المهترىء والحاضر الجامد الذي لا يتحرك ، ولكنه احال النشاط الثوري الى نشاط العقل والارادة الاخلاقية ، فهو يوتوبي خيالي ، ينأى عن العالم الخارجي ، ويلغي وجوده ، كما يلغي الحاضر ، باحثا عما ينبغي ان يكون ، عاكسا ضعف البورجوازية الالمانية وعجزها في حقيقة الامر عن مواجهة قساوة الواقع ٠

اما شلينج فقد وضع الاساس لحركة الردة ، والعزوف عن الحاضر ، والتلفت الى الماضي ، عندما جعل الاصل والمنبع هو العنصر الحاسم في كل نمو وتقدم ٠ فالماضي هو ما ينبغي ان نتوجه نحوه ونصعد اليه حتى نصل الى الحقيقة والحرية ٠ اما الماضي المثالي فيتجسد امامه في صورة العصور الوسطى ٠ فذاك زمان الروحانية السامية ، المفعمة بالقوة ، ومنها تحركت الروح بطريقة فاعلة ، لتتخلل كل عناصر الحياة والعالم ، وتحقق الاتحاد بين الروح والمادة، ولتتجسد في شكلها المحدد في اعمال الفن ، وخاصة في الكاتدرائيات الرائعة ٠

لقد جنح شلينج بعكس فختة الى التعلق بالماضي ، وكان له تأثيره العميق في رومنسية الثورة المضادة (١٩) ٠

ثم جاء هيجل وهو ارسطو او عقل القرن التاسع عشر ، واقرب الفلاسفة الرومانسيين الالمان الى المذهب العقلي ، ليدفع النظرة العضوية للكون الى أفاق الجدل : جدل الحركة والتاريخ ٠ لم تعد الحركة هي هذه ـ الحركة المفردة الجزئية للاشياء التي يحكمها قانون السببية والآلية النيوتونية ، بل يتعين لكي نفهم ونفسر اي شيء او حادث في العالم ، تحديد مكانته الخاصة في المجموع العظيم للاشياء ، وليست الصلة بعلة سابقة هي التي تعطينا المعرفة الصحيحة ، بل الصلة بكامل عملية العالم العظيم ٠ فلا شيء يوجد في ذاته وبذاته ، بل كجزء من عالم بأسره مؤلف من افراد يرتبط بعضهم بالبعض الاخر، وكل شيء مدرج بالضرورة في هذا العالم ومتميز عنه ، ولكي نفهم ونعرف ، الاشياء او بتعبير ادق الفكرة التي يتجسد فيها جوهر الاشياء والواقع ، فلا بد ان ننظر في حركتها وتطورها خلال الزمان والمكان ٠ حركتها خلال التناقض والجدل وهو المنطق الذي يحكم هذه الحركة ٠ لا بد ان ننظر الى الحقبة والواقع خلال التاريخ ٠ فالزمان والحركة يلعبان الدور الاعلى في مفهوم هيجل ٠

فلسفة التاريـخ :

هذا المفهوم الجديد للعلم وللحركة ، ادى بالمذهب الرومنسي الى موقف كان له تأثيره البالغ في القرن التاسع عشر ، ولعله ابعد المواقف تأثيرا • فاذا كانت الغاية من المعرفة تأليف الاشياء في كل اوسع ، واذا كانت الطبيعة حية ونامية ، واذا كان عنصر الزمن يلعب هذا الدور الحاسم ، الذي اعطاه له هيجل ، واذا كانت المشاعر التي تربط الناس بجماعاتهم الكبيرة ، فـــان التاريـخ البشري والتقاليد والتراث تصبح لها اهمية حيوية فحضارات الامم مثل المؤسســـات والافكار وحتى الافراد هي نتاج نمو طويل ، لا يجوز الحكم عليها الا من خـــلال معرفة كاملة بماضيها وتاريخها • وبذلك حلت التولدية والتاريخية كمنهـــج للنظر في الاشياء والافكار محل الطريقة التحليلية والميكانيكية ، وصار مقياس كل شيء ليس حظة من المعقولية او النفع بل اصله وتاريخه •

وبالتدريج فقد اصبح المعقول هو التقليدي الموروث ، بعد ان كان النافـع فيما مضى هو المعقول ، ووجدت الرجعية والمذاهب المحافظة في هذه المفاهيم الثورية والتقدمية في الاصل : مفاهيم التطور والنمو وفلسفات التاريخ ــ تبريرا لها ، تستند اليه في التمسك بالقديم او النكوص اليه •

الرومنسية تتحول الى الرجعيـة

عندما تصبح المشاعر الملتهبة لا العقل ، والماضي الغابر ، هو معيار الحقيقة، وهو المحك ، فمن السهل ان تنقلب الامور ، وينتقل السلاح من يد الثوريين الـى ايدي الثورة المضادة • منالسهل ان تصبح العادات والتقاليد الموروثة، والمشاعر الدينية المشدودة بحبال الماضي ، والى السلف الصالح والازمان الغابرة هـــي الموئل والملاذ ، وهي الامر الطبيعي والمقدس الذي لا يجوز الخروج عليـــه او انتهاك حرماته • ففي غيبة العقل ، والنقد العقلي ، تتجمد المشاعر والعواطف ، وتصبح كل محاولة للتغيير ، هي خروج على الطبيعة البشريـــة وانتهـــاك لمقدساتها ، وتصبح الثورة والتغيير عملا غير انساني ، لا يتسق مع الطبيعة •

وقد وقف ، الرومنسيون الاوائل كما رأينا ، مع الانسان وحريته وتقدمه ،ومع تغيير المؤسسات والمعتقدات من أجل تحرير العواطف الانسانية واطلاق الطاقات وانماء الفردية والتفرد • ولكن القوى التي كان العقل قد الزمها جحورها خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر ، والتي بدأ صوتها خافتا ضئيلا طوال عصر التنوير • اخذ صوتها يرتفع ، ويشتد ، بعد ان تفجرت الصراعات الدامية خلال الثورة الفرنسية ، وبعد هزيمة نابليون وقيام الحلف المقدس ، واستعادة الرجعية الاوروبية لمراكزها وسيطرتها في العديد من البلدان • بدأ تيار اللاعقلانية يقوى

ويشتد ، ووجد في تيارات الرومنسية وشعرائها ومفكريها حليفا ومطية في كثير من الاحيان · فمن السهل ان تتبدل المشاعر ، وتفقد العاطفة اتجاهها دون قيادة العقل· لذلك تحول كثير من الشعراء الرومنسيين من امثال كوليردج ووردزورث من الحماس الاول للثورة الفرنسية ، الى الاشمئزاز والنفور نتيجة الصراعات الدموية ، ونتيجة الحملات البونابرتية التي اصطدمت بنمو وتفجر المشاعرالقومية الوطنية على الصعيد الاوروبي كله · وكان الايسر للقوى الرجعية السياسية والدينية ، التي عجزت عنمواجهة سلاح العقل ، ان تجد ضالتها في مناشدة الغرائز ، والعواطف والقلب البشري ·

لقد قلبت القوى المحافظة فلسفات التاريخ الثورية والتقدمية ، ومفاهيم الرومنسيين عن النمو والتطور الى ادوات لوقف كل نمو ، ومناهضة كل تطور وتغيير · جدل التاريخ الذي يعبر عن منطق حركته وتقدمه عبر مراحل يقود كل منها الى ما يليها صوب الحرية · وهو الجانب العبقري في فلسفة هيجل للتاريخ ، والذي سيكون له ابعد الاثر في الفكر البشري التقدمي على يد اليسار الهيجلي ، هذا الجدل ، والمفهوم التاريخي الجديد ، استغل اسوأ استغلال من جانب المحافظين اعداء التنوير والثورة · فقد استغلت « المدرسة التاريخية الوطنية » في المانيا هذا المنطق لتبرير كل ردة تاريخية ، ودعم كل نظام او مؤسسة او دولة مهما كانت رجعيتها · اصبح المفهوم الهيجلي ، عن التفتح والحركة في التاريخ يعني لدى رجال هذه المدرسة تبرير المحافظة والثبات والجمود تحت شعار « دعه يعمل » بمعنى منع اي عمل ثوري او تدخل من جانب قوى التغيير ، حتى تتاح الفرصة للنمو الطبيعي والتفتح ، والتغير من الداخل، من الذات · وبذلك استبعد العقل كقوة للتغيير والحركة ، وتجمدت الاشكال الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، ووجدت الرجعية تبريرا لجمودها ولمناهضة قوى الثورة · واصبح سافيني هو الداعية النظري والرسمي لهذا التطبيق الجديد لمذهب ونمو الرومنسي ، في مصلحة المحافظة والرجعية والثورة المضادة (٢٠) ·

بهذا المنطق اصبح الحاضر مشدودا الى الماضي ، واكتسب الماضي اهمية مطلقة ، واصبحت محافظة الامة على كيانها المستمد من الماضي ، تعني الجمود بل الارتداد الى هذا الماضي ، فليست الامة اليوم سوى امتداد للامة الازلية ، وهي في حاضرها انما تجسد ارث الماضي · واصبح هذا الفكر هو جوهر مفهوم القومية الرجعية ، الذي سيكتب له الغلبة والسيطرة خاصة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر · وبذلك انقلب المفهوم الرومنسي عن النمو والنضج من الداخل الى قوة محافظة ومناهضة للثورة ·

وقد بدأ بالفعل رد الفعل الرومنسي منذ احداث ١٧٩٤ الدامية في فرنسا ،

وسقوط اليعاقبة واعدام روبسبيير · بدأت خيبة الامل ، وموجة اليأس · بعد الآمال التي انعشتها الثورة المجيدة · وجاءت الاحداث التالية حتى سقوط نابليون ، واستعادة اقطاب الرجعية في الحلف المقدس لزمام السلطة والسطوة، ليزيد من خيبة الامل عمقا واتساعا ·· فكان الانسحاب الرومنسي من حاضر مؤلم الى ماض موهوم ، يبدو هو الحل الافضل ، وبالاخص بالنسبة للطبقات الوسطى الحائرة والمسحوقة ·· لقد خفف الكتاب الرومنسيون ضغوط الحاجات الانية بالرجوع الى الماضي ، وبعث الكنوز العظيمة التي ابدعتها عبقرية الازمان الغابرة ، فاخضعوا ارادة الاحياء وضمائرهم لارادة الاموات (٢١) ، بعثت من جديد افكار ومعتقدات كانت موجة العقل قد كسحتها ولكنهم اشعلوا خيال اوروبا وملأوا عقولها بالاشباح وذكرى القلاع القديمة ، وقلوبها بالعظمة والمجد · ردوا الاعتبار لكل قديم ، حتى روما المقدسة في العصور الوسطى ، ووجدوا في ميثولوجيا الشعوب معينا لا ينضب ، وتحمسوا للعرق النقي ، كما فعل مولرفي حماسه للعرق والدم ·

ان الماضي ، في اعين من تأخذ بخناقه ازمات الحاضر وهمومه ، يكتسي بهالة من الابهة والجمال الرومنسي ، مهما حمل في طياته من قبح وقذارة · وتتلفت الطبقات والفئات المسحوقة والتي ترزح تحت وطأة اليأس وخيبة الامل ، الى مثل الحرية والاخاء والمساواة وهي المثل السامية لعصر العقل والاستنارة، فلا تجد مهربا سوى الى الجنة المفقودة في الماضي · زمان الدعة والاستقرار وتهيم اعجابا بجمال العصور الوسطى الغابر ويبدو الملوك في ابهة الملك ، وبرغم كل ما اقترفوا من مظالم وبشاعات ، برونق اخاذ ، في اعين الرومنسيين الحيارى ، وحتى رجال الدين تفتقر لهم خرافاتهم وخزعبلاتهم · ولا يبقى من ذكراهم سوى الكاتدرائيات البالغة الروعة والجمال التي خلفوها وراءهم · وقد خلق الفن القومي فيالناس ميلا الى معتقدات الماضي وطقوسه ، وبعثت الكاثوليكية من جديد في المانيا وفرنسا ، وهي مدينة في هذا الاحياء لاجواء الخيال والهيام بالماضي والحنين المشبوب الى جنان العصور الوسطى مما اشاعه الرومنسيون الرجعيون ·

اصبح المثل الاعلى المتمثل في الانسان الطبيعي والحياة الريفية الوادعة هما البديل عن مثل العقل والتقدم ، والشغل الشاغل للعقول والقلوب في القرن التاسع عشر ·· والتي ملأتها اوهام الرومنسية واحلامها اصبح الفلاح الساذج والوادع يجسد اعظم الفضائل في المجتمع ، في مواجهة بؤس العامل الاجير ، وموجة التصنيع والحضرية القاتلة !! وارتفع الى مصاف الامل الذي ترنو اليه وتتطلع الرجعية الجديدة ، من الاقطاعية المهذبة ، على يد طبقة من الفرسان السمحاء · وجاء مترنيخ ليعدد بمختلف الحجج مزايا الامير القدير والمدرب ، الذي تحيط به كوكبة من النبلاء ، المخلصين · وتغنى البعض بقناعة العصور

الوسطى ، في مقابل شراهة الاعمال الجديدة والاستغلال البشع والمنافسات الراسمالية المدمرة • وداعب الرومنسيون الامل في تصحيح اخطاء الماضي ، والعودة الى الرسالة النبيلة للاسلاف القدامى ، لكي يصبحوا خداما في مملكة الله ، وفرسانا في نظام جديد من الفروسية الاجتماعية (٢٢) •

٢ ـ الدين في القرن التاسع عشر • الرومنسية في الدين

بدا الدين في القرن التاسع عشر عاجزا لا حيله له ، في مواجهة هجمات العقل العاتية ـ كما بدا لقادة عصر العقل ان كل جزء من التقليد اليهودي المسيحي قد تداعى واندثر • فقد ادى نمو العلم الميكانيكي والنقد العقليوالعلمي للتوراة ، ثم انفجار قنبلة التطور الداروني عام ١٨٥٩ الى صدام مباشر بين الدين والعلم ، تبدى وكانما لا حل له • وبدلا من محاولات التأقلم والتلاؤم مع عصر العقل والعلم ، بدانا نشهد على العكس ، خلال القرن التاسع عشر ردة عارمة ، وانحسارا شديدا في تيارات العقلانية في الدين ، وتراجعا في مذاهب البروتستنتية الاصلاحية ، كما تمثلت في اللوثرية والكالفنية في عصر العقل والتنوير وارتفعت في المقابل ، موجة عاتية من النقد والتشهير تشترك فيها جميع الكنائس والمذاهب ، ضد العقل والعلم ، وبالاخص ضد افكار دارون والداروني•

وفي اجواء الرومانسية السائدة والازمة الاجتماعية المحتدمة ولدت خلال القرن ديانة جديدة ، واحياء ديني عماده العاطفة والقلب كطريق للايمان ، والحدس طريقا للمعرفة بديلا عنالعقل ،ووقع الصدام بالضرورة بين الدين والعلم ، بعد ان استحال التوفيق بين هذه التيارات والمذاهب الدينية الجديدة السلفية والرجعية ، وروح العلم الحديث • فقد تحول المذهب الانجيلي في انجلترا ومذهب التقوى فيالمانيا الى دعامة هامة للرومنسية ، وكانت بدورها تنهل من معين الشعراء الرومنسيين ، لتزكي المناخ الرومنسي السائد وتمده بوقود جديد • واصبح لهذه المذاهب دورها في صياغة اخلاق الطبقة الوسطى الجديدة ، وفي اشعال العواطف والنزعات العاطفية بين جميع طبقات الشعب • وكلا المذهبين اكد على تقوى القلب وعلى الدين باعتباره تجربة روحية عاطفية لا علاقة لها بالعقل • وكانت ممارسة الطقوس والتركيز على الترتيل والانشاد الديني والوعظ من سمات هذه المذاهب ، مما اسهم في نشر اجواء مفعمة بالغيبية واحلام الخلاص والعودة الى الماضي (٢٣) ، تستمد الهامها ومثلها من العصر الوسيط •

وقد ظهرت حركة « التقوى » Pietism اول الامر في المانيا ، في اواخر القرن السابع عشر ، كرد فعل ضد المذهب العقلي المتطرف الذي كانت تعتنقه فرق المتألهين ، التي انكرت الوحي (٢٤) ، بل وايضا ضد المذهب العقلي

المعتدل الذي كانت تدعو اليه اللوثرية : ومجمل دعوات انصار « التقوى » هؤلاء تتركز حول « ديانة القلب » والتأكيد على عجز العقل ، وعلى طريق الايمان باعتباره الطريق الوحيد الى المعرفة الصحيحة ، ورفض كافة الحجج والبراهين العقلية ، سواء جاءت مناصرة للحقيقة الدينية او ضدها ٠

وقد وجدت هذه الدعوات الرافضة للعقل والمبشرة بايمان القلب والعاطفة ، دفعة قوية على يد المذهب الانجيلي ، الذي انتشر في انجلترا وامريكا ، ابان حركة الاحياء الديني ، في مستهل القرن التاسع عشر ٠ وقد طرح الانجيليون المذهب العقلي « العقيم » جانبا ، واستبدلوا بالبرهان العقلي التجربة الدينية المباشرة ، تجربة الخلاص ونقاوة القلب ، وكانت عملية الاتجاه ايضا ، فقد شغلت القضايا الاجتماعية التي برزت ابان عصر التصنيع ، حيزا كبيرا من اهتمامهم وشكل وليم بوث William Booth سنة ١٨٥٩ « جمعية النهضة المسيحية » و « دكاكين الهداية » في اعشاش لندن واحيائها الشعبية ٠ وكذلك تشكل « جيش الخلاص » بروتستانتيا مقاتلا ، لا يهتم كثيرا بالتقاليد الكنسية او الطقوس ، بل يركز على « العودة الى الايمان » والى « احضان المسيح » كسبيل لحل القضية الاجتماعية (٢٥) ٠

أما الشكل الآخر من الاحياء الديني في ذلك العصر ، فلم يكن يوجه كبير اهتمام الى القضايا الاجتماعية ، بل يدعو الى الاحياء ، والى الاستغراق في جمال المسيحية ، واستجلاء الحقيقة التاريخية التي جسدتها ، ويركز على الطقوس وتقاليد الكنيسة على شاكلة الكاثوليكية ويمزج بينها وبين تعاليم البروتستانتية بخلاف المذهب الانجيلي ٠ ونشأ عن هذا التيار اعادة تأسيس نظم للرهبنة في اطار الجماعة الانجيليكانية ٠

ومع ذلك فقد كان الاهتمام بالقضايا الاجتماعية ظاهرة عامة في الاحياء الديني لذلك العصر ، الى جانب انبعاث الطقوس والتقاليد الكنسية ، وذلك في مواجهة الحركة الجماهيرية المتصاعدة والمتفاقمة ، ونشهد هذا ايضا في حركة الاحياء الكاثوليكي ٠ وقد عبر عن هذا الاحياء شاتوبريان في كتابه « عبقرية المسيحية » سنة ١٨٠٢ وهو بمثابة الاعتذار للمسيحية ضد الرفض من جانب التنوير والثورة الفرنسية ، ودفاعا لا يقوم على اساس من المنطق والعقل بل بمثابة الثورة على « معميات العلم والعقل » من اجل تفسير اعاجيب الحياة الخالدة التي لا يملك العلم ولا العقل لها تفسيرا او تعليلا ٠٠ والمسيحية هي الاسمى ، لانها وحدها التي يمكن ان تفسر جوهر الانسانية وماهيتها ، بينما يعجز العلم ٠ كما لم يقم الدفاع عن الكاثوليكية على دعامات تاريخية او لاهوتية بل على اسس رومنسية باعتبارها تجسيدا للانسجام بين مجموع الاشياء حيث تخرج من المركز ـ من روما ـ قوافل التبشير والكرادلة وغيرها من خدمات

الكنيسة لتغطي سائر المعمورة ، اضف اليه ان طقوسها تحتوي علـــى الاسرار الالهيـــة ٠

دفاع شاتوبريان عن الكاثوليكية لا يمثل ظاهرة معزولة ، فقد كانت الرومنسية تميل الى الكاثوليكية ، وكان احياء الكاثوليكية بدفع من القوى المحافظة علـى نطاق القارة، وكعلامة على ذلك اسست البابوية الجزويت سنة ١٨١٤٠ وحاولت الكاثوليلكية مواجهة المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الملحة بطريقة واقعية ودون مساس بجوهر العقيدة ٠ فقد دفعت ثورة سنـة ١٨٤٨ الكنيســة الكاثوليكية الى النزول في خضم النشاط الاجتماعي والسياسي ، بعد ان كانت تكتفي بمجرد الدعم للنظم المحافظة والرجعية ٠ وكان تركيز الكنيسة على مفاهيم المحبة والرفق والاحسان في المسيحية بديلا عن الصراع وعلى المفهوم التعاوني على النمط الوسيط في النقابات المهنية التي كانت تجمع بين العمال واصحاب المهن وتحقق التعاون بينهم في اطار من التراحم المسيحي ٠ وقد نظم الاسقـف كتلـر ، Kettler في المانيا العمال المهرة في « ميثاق العمال الكاثوليك » (٢٦) ، وهو اصل نقابات العمال المسيحية وكان الهدف غرس كبرياء العمل في مواجهـة الوعي الطبقي الذي يبذره الماركسيون وكان مفهوم الدولة التعاونية الابويـــة الرحيمة ايضا شائعا في الفكر المحافظ تدعمه الكنيسة في مواجهة الافكـــار الليبرالية والاشتراكية وبديلا عنهـــا ٠

لقد تحولت جميـــع تيارات الاحياء البروتستنتية والكاثوليكية الى أدوات مباشرة في يد القوى المحافظة والرجعية ، كما شملتها حركة ردة كاملة عن عصر العقل والاستنارة ، وعودة الى الكثير مما عفا عليه الزمن ، والى بعض الركائز الاقتصادية الجامدة والمنفرة ـ بعدما القى بهـــا المذهب العقلي والمسيحيـــة الاصلاحية في طي النسيان ٠٠ هذه التيارات في مجموعها تتميز بضيق الافق ، وبالنزوع الغيبي والفج ، والتمسك الحرفي بالتوراة ٠ بعد ان حولت بصرهـــا صوب الماضي ، ادارت ظهرها للعقل ، ولكل مكتسبات العلم والثقافة الدنيويـــة وللمستقبـل ٠

امل الخلاص ٠٠ اليهودي

لم يختلف وضع اليهود ، والديانة اليهودية كثيرا في هذا المناخ الفكـــري والاجتماعي والسياسي المسيطر على العقل الاوروبي ، وعلى المواطن الاوروبي مسيحيا كان او يهوديا ٠ وقد رأينا كيف يضم الرحم الاوروبي الواحد التوأمين معا ، مهما بدا الصراع بينهما احيانا دمويا قاسيا ، ولكن الثقافة المسيحيـــة اليهودية ظلت على الدوام خلال التاريخ الاوروبي كله وبالاخص في العصـــر الحديث ، بعد ان تساقطت اسوار الغيتو ، تتبادل التأثيـر ، لانها تنتمـي فـي

الحقيقة الى جذر اجتماعي واحد ، مهما اختلفت العقائد والثقافات والممارسات الدينيـــة الطائفية ، كما انها تنهل من منبع واحد ٠

ولقد شهدنا كيف امتدت شرايين الحياة الاوروبية الجديدة في عصر العقل والاستنارة ، لتمد الجميع بالدم الجديد ، وبنبض الثورة الفكرية والسياسيةالتي اجتاحت اوروبا خلال هذه المرحلة ، وكيف انعكس الاصلاح الديني المسيحي ، وموجة العقلانية والليبرالية السياسية في حركة الاصلاح الديني اليهودي خلال القرن الثامن عشر ٠ وقد تمثلت في حركة الاندماج القومي والذوبان الشاملة ، والتي اصبح لها السيادة بين طوائف اليهود الاوروبية خاصة في الغرب ، وقد كان لليهود بجميع فئاتهم وطبقاتهم ، وبالاخص البورجوازية اليهودية اسهامـها البارز في حركة الثورة « الاوروبية » ، وبالاخص في ثورات ١٨٣٠ و ١٨٤٨ في النصف الاول من القرن التاسع عشر ، وفي حركة المطالبة بالحقوق المدنيـــة والمساواة بين الجميع ، والتي آتت ثمارها في التشريعات التي توالت خلال هذه الفترة في اعقاب الثورة الفرنسية ، وفي جميع دول الغرب ، كما شملت جميع الديانات والطوائف وعلى رأسها اليهود ٠

لقد اصبح اعتناق المسيحية ، كتعبير اقصى عن نزوعات الاندماج والوحـدة من الامور الشائعة بين اليهود المتحررين ، خاصة بين الطبقات الوسطى ،والذين كان لهم دورهم البارز في نفس الوقت في دفع حركة الرومنسية خاصة فـــي المانيا ٠ فقد اعتنقت المسيحية على سبيل المثال راشيل ليفين Rachel Levin (١٧٧١ ـ١٨٣٣) وهنـرييت هـــرتز Hanriette Herz (١٧٦٤ ـ ١٨٤٧) وكانت صالوناتهما تسيطر على الحركة الثقافية في برلين ، كما اعتنقها ايضـا المؤلف الموسيقي فيلكس مندلسون Filix Mendelssohn (٢٧) ٠

ومع الانقلاب الصناعي وانتشار المكننة ، وتفاقم المعاناة بينجماهير الطبقـــة العاملة والشعب لتزايد حدة الاستغلال وتكدس الثروة ،وتفاقم الصراع كنتيجة لذلك ، بين البورجوازية التي ارتفعت مداخن مصانعها تشق الفضاء ، والشعب العامل ، يضاف اليه فشل الثورات الليبرالية في مطلع القرن ، وخيبة الامل في شعارات الليبرالية ونداءاتها ٠ لهذه الاسباب مجتمعة تعاظمت موجة الرومنسية الرجعية السياسية والفكرية والدينية كما رأينا تعبيرا عن الضياع وفقدان الثقة في العقل واليأس ، الذي تردت اليه جماهير الطبقة الوسطى بوجه الخصوص ، تلك التي كانت تسحق يوما بعد يوم تحت اقدام البورجوازية المكتنزة ، المسيحية او اليهودية لا فرق ٠ كان لا بد ان يفرز هذا الصراع غير المتكافىء والـــردة الغالبة على الساحة الاوروبية السموم والغيبيات التي تخفي حقيقة الصـــراع وتسلب الوعي ٠ منذ ذلك الحين بدأت في الانتشار الافكار العرقية ، ومعـاداة السامية ويعنينا في هذا السياق انتشار مفهوم « غير المسيحي » Monchristian

وهو الوصف الذي ينطبق بالاخص على اليهودي ، الذي اعتبر كائنا مجردا عن المشاعر المسيحية الحقيقية ، كما تعوزه الرحمة والانسانية · وبرزت موجة في الادب ، سواء في الروايات او المسرحيات تصور اليهودي على انه المادي الجشع ، وانتشرت المقابلة بين « الالماني » الذي يتصف بالمشاعر الانسانية والمسيحية الحقيقية ، واليهودي المجرد منها ·

ومن الطبيعي ان يكون لهذه الردة الرومانسية في الفكر والسياسة والدين ، انعكاساتها وظلالها اليهودية ايضا ، في نطاق الدين اليهودي والحاخامين اليهود · فعلى نقيض العقلانية وتيارات الاصلاح الديني اليهودي التي تمثلت في حركة الهاسكالاه وغيرها ، نشهد في هذه الفترة صعود دعوات جديدة قديمة في اطار ما اصطلح على تسميته « بالصهيونية الدينية » قبل ان تظهر الى الوجود « الصهيونية السياسية » وكانت بلا شك هي المقدمة والمدخل اليها ، وللردة الفكرية والسياسية التي ستصيب بشكل خاص جماهير اليهود المسحوقة مع شعوبها ، وكما انتشرت افكار « الخلاص » و « جيش الخلاص » و « دكاكين التوبة » في الشرق من لندن وفي غيرها ، تدعو الجماهير المطحونة الى الخلاص عن طريق الدين وتقوى القلب والعودة الى « احضان المسيح » · فقد انعكست اصداء هذه الافكار الرجعية في مفهوم « للخلاص اليهودي » ايضا يدعو للعودة الى التلمودية وتراث القبالة الصوفي اليهودي ، وفقط العودة الى اورشليم من جديد والى الامل المسيائي اليهودي القديم الذي كانت قد اسقطته اليهودية الاصلاحية · وفي هذه الفترة بالذات ارتفع صوت الحاخام يهوذا القالي (٢٨) حاخام عاصمة الصرب سنة ١٨٢٥ ، وقد دعا في كتاباته الى خلاص اليهود بالارتداد الى اساطير القبالة الصوفية والتلمودية ، ونشر في سنة ١٨٣٤ كراسة «اسمعي يا اسرائيل» اقترح فيها اقامة مستعمرات يهودية في فلسطين لكي تكون مقدمة ضرورية « للخلاص المنتظر » ويتم الخلاص الذاتي بالدعوة الى عقد جمعية عامة كبرى وقيام صندوق قومي لشراء الاراضي ، وهي الافكار التي تبناها هرتسل فيما بعد · وفي سنة ١٨٣٤ كتب كتابه عن « الخلاص الثالث » وفسر الخلاص الجديد على اساس الاستيطان في فلسطين بقصد تعمير الارض الخراب « واعتبر العودة الجماعية ، بمثابة بداية للخلاص الذي وعد به جميع الانبياء (٢٩) · وكانت هذه الدعاوى تلاقي رفضا من الغالبية الساحقة من اليهود ولكنه ظل يعمل بداب على بعث النصوص التلمودية والاساطير القديمة لدعم دعاواه ، موليا وجهه شطر الماضي جريا وراء الامل الرومنسي » ·

ومن ابرز ممثلي تيار الردة الديني هذا ، الحاخام رفي هيرشن كاليشر (١٧٩٥ ـ ١٨٧٤) والذي ظل حاخاما لبلدة نورن ببولندة طيلة اربعين عاما ، وواجه بعناد حركة الاصلاح الديني اليهودي ، وظهر كتابه « السعي لصهيون » سنة ١٨٦٢ وقد استشهد موسى هس بمقاطع من هذا الكتاب في كتابه « روما

والقدس » الذي ظهر في العام نفسه (٣٠) ، وقد اعتبر العذاب والشقاء الذي يلاقيه اليهود بمثابة امتحان للايمان وبداية لحدوث الخلاص عن طريق التطوع للذهاب الى فلسطين بقصد الاستيطان · وقد نشأت معارضة قوية لدعوته في اوساط الانقياء المتدينين ولكنه اتهم كل معارضة لافكاره ، في تشجيع الاستيطان وشراء الاراضي وقداسة العمل في الارض ، بانها من عمل الشيطان ، وراح يطوف البلدان الاوروبية محرضا اليهود على تنفيذ مشروعاته على امل الخلاص، مما حمل جماعة من اليهود على شراء ارض في ضواحي يافا سنة ١٨٦٦ حيث قامت جمعية الاليانس الاسرائيلية التي تأسست فيفرنسا ١٨٦٠ بانشاء المدرسة الزراعية لتشجيع شراء الاراضي واقامة المستوطنات الزراعية (٣١) ·

وفي دعاوى هؤلاء الحاخامين الرجعيين تختلط الحجج التلمودية السلفية بنزوعات القومية الرجعية والردة الى الماضي الذائعة في ذلك الحين ، بالعرقية التاريخية ، لتمهد الطريق للصهيونية السياسية في اطار امل الخلاص المسيائي الرومنسي امل البورجوازية الصغيرة المطحونة ، يهودية كانت او مسيحية ·

والواقع ان هذه التيارات النيوصوفية المناهضة للعقل ، جمعت فئات من المسيحيين واليهود ، ولحمت ما بين عناصر الردة والنكوص في كلا الثقافتين ، في اجواء مفعمة بالحس التاريخي والاساطير ورؤى الماضي الرومنسية ، وتنبؤات بمجيء المسيح لابعاد العالم عن الشرور والحروب · وقد اعلن البعض ان بابل في طريقها الى السقوط لتقوم المملكة الخامسة للصالحين !!·

الحواشي

(١) بدأت الثورة الصناعية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر في بريطانيا بالتحول منالصناعة اليدوية المانيفاكتورية الى الصناعة الآلية ، وقد انتشرت مع بداية القرن التاسع عشر بسرعة فائقة الى بقية اجزاء اوروبا ، في فرنسا والمانيا وايطاليا والنمسا وروسيا وغيرها ·

ثم جاءت الثورة في ميدان المواصلات منذ بداية القرن التاسع عشر ليكون لها اثرها ، الضخم على تطور الصناعة في اوروبا ، وكان من آثار هاتين الثورتين ، النمو السريع للرأسمالية في القرن التاسع عشر ، ونمو مدن صناعية كبرى في اوروبا والولايات المتحدة وكانت ثورة التصنيع في انجلترا اسرع ، وقد اكتملت تقريبا في النصف الاول من القرن التاسع عشر ومن هنا كانت آثارها المصاحبة اكثر وضوحا ·

وقد ترتب على هذا النمو السريع للصناعة وللرأسمالية الاوروبية، استقطاب اجتماعي مقابل ، حيث تبلورت طبقتان اساسيتان هما البورجوازية الصناعية من جهة ، والبروليتاريا من الجهة الاخرى ، أما الطبقات الاخرى وهي الفلاحين والنبالة والبورجوازية الصغيرة ، فقد كان دورها اصغر ·

وفي البلاد التي كان الفلاحون فيها اكثر عددا بالنسبة للبروليتاريا مثل المانيا وفرنسا فقد ظلت النبالة وكبار ملاكالارض تلعب دورا اكثر بروزا ، وبرغم الثورات البورجوازية خلال القرن فقد استطاعتهذه الطبقات استعادة السلطة والسيطرة على

الساحة في اكثر من موقف ٠

(2) B. Russel, *History of Western Philosophy*, p. 756.

(٣) صدر بيان سنة ١٨٢٠ اثر اجتماع في ترويا و بين قيصر روسيا ومترنيخ وبروسيا ، يؤكد أن الدول الثلاث لن تعترف ابدا بحق اي شعب في الحد من سلطة مليكه ، كما هدد بشن الحرب لمصلحة الملوك، وضد الثورات اينما تكون٠ [اوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين، ١ ج جرانت، ج ١ ص ٢٩١]٠

(٤) كانت البورجوازية تحتاج الى موارد رخيصة للمواد الخام كما تحتاج الى اسواق جديدة ، واعتبرت الحروب الكولونيالية عمليات مربحة جدا ٠ وبدأت انجلترا وهي اكثر الدول الرأسمالية تقدما تتقدم الصفوف ٠ ففي سنة ١٨٢٩ استولى المستعمرون البريطانيون على اسام في حربهم مع بورما ٠ وفي سنة ١٨٣٩ استولوا على عدن ، وخلال الثلاثينات نشبت الحروب ضد افغانستان واجزاءمن الهند ، وفي سنة ١٨٤٣ استولوا على الهند ، وفي سنة ١٨٤٦ على كشمير وجزء من البنجاب٠ وبين ١٨٣٩ و١٨٤٢ احكمت بريطانيا قبضتها على الصين في حرب الافيون واستولت على هونج كونج ٠ وفي سنة ١٨٣٠ استولت فرنسا على الجزائر٠

(5) Russel, *op. cit.* p. 746.

(٦) راندال ، **تكوين العقل الحديث**، ج٢ ص ١٨ ٠

(٧) **المصدر نفسه** ، ص ٤١ ٠

(٨) **المصدر نفسه** ، ج ٢ ، ص ٤٢ ٠

(9) Russel, *op. cit.* p. 701 .

(١٠) راندال ، **مصدر سبق ذكره** ، ج٢ ص ٣٩ ٠

(11) Geonge I. Mosse, *the Culture of Western* Europe, Rand Mcnally College Publ . Chicago p. 22.

(12) Russel, *op. cit.* p. 705 .

(13) *Ibid*, p. 708 .

(14) *Ibid*, p. 747.

(15) *Ibid*, p. 752.

(١٦) فيلسوف الماني ١٧٦٢ ـ ١٨١٤ ٠

(17) A. Cornu , *The Origin of Marxian Thought*, p. 12. 13.

(18) *Ibid*, p. 15.

(19) *Ibid*, p. 19.

(٢٠) راندال ، **مصدر سبق ذكره** ، ج٢، ص ٥٧ ٠

(٢١)(**المصدر نفسه**، ج ٢، ص ٥٨ـ٥٩٠

(٢٢) **المصدر نفسه** ، ج٢ ص ٨٢ ٠

(23) Mosse, *op. cit.* p. 15.

(٢٤) مذهب التاليه Deism وهو الذي يقرر وجود الله كصانع للعالم وينكر الوحي ٠

(25) *Ibid*, p. 25.

(26) *Ibid*, p. 236.

(27) *Ibid*, p. 36.

(٢٨) ١٧٩٨ ـ ١٨٧٨ ٠

(٢٩) انيس صايغ ، **الفكرة الصهيونية النصوص الاساسية** ، بيروت ، مركز الابحاث ، سنة ١٩٧٠ ، ص ٩ ٠ وكذلك : اسعد رزوق ، **التلمود والصهيونية** ،مركز الابحاث ، ١٩٧٠ ، ص ٢١٢ ٠

(٣٠) صايغ ، **المصدر نفسه** ، ص ١٢ ٠

(٣١) **المصدر نفسه** ، ص ١٢ ٠

سمير كرم

"الدولية الاشتراكية"
إطار التراجعات النظرية والسياسية

من الظواهر التي صاحبت انتكاس النظام الحاكم في مصر عن المواقع العربية بالنسبة للقضايا القومية ـ الاستراتيجية والتحررية والسياسية والاقتصادية ... الخ ـ تراجع النظام نفسه على الصعيد الداخلي الى مواقع « الاشتراكية الديموقراطية » . وقد روجت اجهزة الاعلام والتنظيمات السياسية الخاضعة للنظام الحاكم في مصر لايديولوجية الاشتراكية الديمقراطية ، بشكل خاص خلال الفترة القصيرة التي سبقت تشكيل « الحزب الوطني الديمقراطي » ، الذي الفه رئيس النظام انور السادات ، في توقيت يتوافق ـ توافقا سياسيا وعقائديا ـ مع توجهاته الجديدة التي سار فيها صوب الصلح مع اسرائيل بعد تمتين التحالف بينه وبين الامبريالية الاميركية .

من ثم لم يكن من قبيل المصادفات ان لعبت « الدولية الاشتراكية » دورا ظاهرا ـ ولو بشكل جزئي ـ على الاقل في التأثير في سياسة النظام المصري ، وتسهيل قنوات الاتصال بينه وبين الصهيونية ومنظماتها ودولتها (اسرائيل) .

ولقد لمع اسم « الدولية الاشتراكية » في السياسة المصرية خلال الفترة التي سبقت مباشرة زيارة انور السادات للكيان الصهيوني في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٧ . ولم تلبث ان تكشفت بعض جوانب مساهمة « الدولية الاشتراكية » كمنظمة وكأحزاب منفردة في التمهيد لهذه الزيارة وتشجيع تلك السياسة . والدلائل كثيرة على ان مؤتمرات « الدولية الاشتراكية » لعبت دورا كأطار للقاءات مصرية ـ اسرائيلية رسمية وشبه رسمية ، حزبية وحكومية . وفي تلك الاثناء تقدم الحزب الحاكم في مصر (« حزب مصر العربي الاشتراكي » في

مرحلة ما قبل تشكيل « الحزب الوطني الديمقراطي ») لعضوية « الدولية الاشتراكية » كواحد من الاحزاب المعتنقة لمباديء وافكار الاشتراكية الديمقراطية التي تدين بها احزاب « الدولية الاشتراكية » ، المنتشرة بصفة خاصة في اوروبا الغربية وآسيا (وعلى نطاق اضيق في بعض بلدان اميركا اللاتينية وافريقيا) ٠

ولقد عرفت الجماهير العربية ـ والمثقفون العرب خاصة ـ « الدولية الاشتراكية » ، خلال سنوات الخمسينات والستينات بوجه خاص كواحدة من المنظمات العالمية التي تلعب فيها الصهيونية دورا فعالا وتتمتع بنفوذ سياسي وعقائدي كبيرين ٠ وذلك من خلال مواقفوقرارات اتخذتها هذه المنظمة على مدى تلك الفترة ، في صف قضايا اسرائيل ومواقفها ، وفي صف قضايا الصهيونية وتأييدا لمبادئها واهدافها ٠

وفي الوقت الحاضر ٠٠ حين يتجه النظام المصري الى اعتناق الاراء النظرية والسياسية للديمقراطية الاشتراكية ، ويتقدم الى عضوية « الدولية الاشتراكية » كاطار جديد لعلاقاته بالمنظمات الحزبية والعقائدية ، تلقى الاضواء خاصة في مصر على هذه المنظمة وعلى الاحزاب المشاركة فيها ٠

والملاحظ انه لا « الدولية الاشتراكية » ولا الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية لقيت من اهتمام الدارسين والباحثين العرب ما يمكن من فهم الوقع العقائدي والسياسي لها في الصراع الايديولوجي والسياسي الذي يميز المرحلة الحالية من التطور العالمي ٠ فغالبا ما اقتصرت الاهتمامات العربية على مجرد السرد الاخباري لقرارات « الدولية الاشتراكية » فيما يتعلق بازمة الشرق الاوسط على مدى السنوات الماضية ، كلما عقدت مؤتمرات هذه المنظمة ٠

ولعله قد آن الاوان لالقاء نظرة اكثر جدية على المنظمة تضع في بؤرة الاهتمام اتجاهاتها ومبادئها النظرية والعقائدية العامة ، واستراتيجيتها السياسية ، اكثر مما تركز على القرارات والبيانات التي تعكس المواقف الجزئية اليومية ذات الطابع السياسي المتغير ٠

بل لعلنا مضطرون لان نبدأ مثل هذه النظرة من نقطة البداية الاولى ، اي بتعريف مبدئي بالدولية الاشتراكية ، طالما ان مثل هذا التعريف يكاد يكون (فيما اعلم وفيما انتهت اليه محاولات جادة للبحث والتنقيب) غائبا تماما عن الادبيات النظرية والسياسية العربية ، حتى على المستوى الصحفي ، فضلا عن المستوى الاكاديمي الاكثر جدية والاشد اهتماما بالجوانب النظرية والفكرية ٠

ولقد انعقد المؤتمر الرابع عشر للدولية الاشتراكية في « فانكوفر » في الفترة من ٣ الى ٥ تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي ٠ وخصص المؤتمر لبحثموضوع « السلام والتنمية » ٠ وقد اعلن المؤتمر قراراته في ١١/٦ مؤيدا مفاوضات

السلام في الشرق الاوسط ، وقال بيان المؤتمر في هذا الصدد « ان حل النزاعات بالطرق السلمية يتطلب قبول حلول وسط واقعية ، وتحقيق مطرد في مواجهة الصعاب ، ويتعين وضع مثال عملية السعي الراهنة لاقرار السلام في الشرق الاوسط في الاذهان ، ويجب ان يلقى اولئك الذين يقومون بمثل هذا العمل تأييدا صريحا وايجابيا ٠ »

وبطبيعة الحال فانه يمكن الخروج باستنتاج عام وبسيط للغاية عن منهج « الدولية الاشتراكية » في رؤية مشكلة الشرق الاوسط ، او اي مشكلة دولية اخرى ، قائمة من خلال مثل هذه الفقرات التي تصدر عن قراراتها بصورة تكاد تكون ثابتة ومكررة ٠ ولكن من المؤكد ان هذا النوع من الاستنتاج لا يغني عن محاولة فهم للخلفية العقائدية التي تقوم عليها « الدولية الاشتراكية » ، والتي تجعل بالامكان ـ بناء على ذلك ـ فهم دورها في الصراعات السياسية الدولية ٠ وتوقع الكيفية التي يمكن ان يجيء عليها سلوكها السياسي تجاه المشكلات المعاصرة المختلفة ٠ وقد لا يهم هذا الامر كثيرين ، ولكنه يهم بالتأكيد من يريدون رصد الادوار التي يمكن ان تقوم بها في خلق اطر سياسية واحدة تتحرك داخلها اسرائيل والنظم العربية الداخلة في « عملية السلام » ٠ واذا كان الاهمال قد طال « الدولية الاشتراكية » من جانب « المنشقين السياسيين » العرب طوال الحقبة التي تميزت فيها هذه « الدولية » بتبني سياسات اسرائيل ضد وطننا العربي ، فانه لم يعد من الجائز امتداد هذا الاهمال ـ او اللامبالاة ٠ أما الحقبة التالية ، التي بدأت لتوها ـ والتي تتميز فيها هذه « الدولية » بتبني دور الجمع بين احزاب اسرائيل الصهيونية وأحزاب العرب الانتهازية والمستسلمة تحت شعار « الاشتراكية الديمقراطية » ٠

خلفية تاريخية

ولنعد الى سؤال البداية : ما هي الدولية الاشتراكية ؟

لا بد للاجابة بوضوح على هذا السؤال من عودة الى خلفية تاريخية تبدأ بتكوين « الدولية الاولى » ٠

في العام ١٨٦٣ وقعت انتفاضة كبرى في بولندا ضد الحكم الروسي ، ادت الى اثارة العمال الداعين سياسيا في جميع انحاء اوروبا ـ الى جانب الليبراليين من غير ابناء الطبقة العاملة ـ لتأييد الثوار البولنديين والتضامن معهم ٠ وقدمت منظمات الطبقة العاملة في فرنسا وبريطانيا خاصة ، التماسات الى الحكام في البلدين باتخاذ موقف تأييد للبولنديين ضد السلطة القيصرية الروسية ، ولكن شيئا من هذا لم يلق اية استجابة ٠ ونظم العمال الفرنسيون والانكليز معا مظاهرات تأييد لحرية بولندا في ٢٢ تموز (يوليو) ١٨٦٣ ٠ ولم

يكن من شأن هذه المظاهرات ان تساعد الثوار البولنديين في شيء · ولكن قبل فض هذه المظاهرات وافق ممثلو الجانبين على تكوين « رابطة الدولية للعمال » لتبني قضية وحدة الطبقة العاملة في نضالها من أجل تحسين احوالها الاقتصادية والاجتماعية ، بل من أجل وصول العمال الى السلطة · وقبيل عقد الاجتماع الافتتاحي لهذه الرابطة دعي كارل ماركس ـ الذي كان يعيش آنذاك في المنفى في لندن ـ لتمثيل العمال الالمان في الاجتماع · ولكنه وافق على الحضور فقط بصفة « مراقب » · واسفر الاجتماع فعلا في لندن عن تأسيس الرابطة واتخاذ مقرها الرئيسي في العاصمة البريطانية ، وتشكيل لجنة برنامج وعهد الى ماركس بمهمة وضع اللائحة المنظمة لنشاط الرابطة وكذلك برنامج عمل لها · وبالفعل وضع ماركس دستورا لـ « الدولية » (وهو الاسم الذي اصبحت تعرف به الرابطة) يقوم على اساس ان « تحرير الطبقة العاملة ينبغي ان يتم بأيدي العمال انفسهم » ، وان « غزو السلطة السياسية اصبح المهمة الاساسية للطبقة العاملة » · واقر هذا الدستور بالاجماع ·

وحققت « الدولية » نجاحا مبكرا اذ اخذت الاحزاب السياسية العمالية تتألف في ايطاليا وفرنسا وبلجيكا والمانيا وغيرها ، واخذت ترتبط بعلاقات وثيقة مع النقابات والتنظيمات العمالية الاخرى في بريطانيا والولايات المتحدة الاميركية · وقد اعتبرت « الدولية » في ذلك الوقت على درجة من القوة بحيث اخذت الاتجاهات الثورية المتباينة تبذل اقصى المحاولات للسيطرة عليها · وقد نجح ماركس في الابقاء على سياسة « الدولية » وبرنامجها عن طريق ابعاد موضوعات الصراع والخلافات خارج جدول اعمال مؤتمرات الدولية في ذلك الوقت ·

وفي العام ١٨٦٧ ـ وكان عام اضرابات عمالية عامة في جميع انحاء العالم الصناعي ـ نجحت « الدولية » في اتخاذ اجراءات مشتركة تتجاوز الحدود الاقليمية للاقطار ، حتى ان رابطات اصحاب الاعمال فشلت في جلب اشخاص اجانب الى بلادها من اجل كسر الاضرابات · وفي ذلك الوقت قدرت الصحف المحافظة عدد اعضاء « الدولية » بما يربو على سبعة ملايين عامل · الامر الذي اثار انزعاجا شديدا بين نظم الحكم في العالم الصناعي خاصة ·

الا ان « الفوضويين » بزعامة باكونين وتنظيمهم المسمى « التحالف الديمقراطي ـ الاجتماعي » كانوا قد عقدوا العزم على اخضاع « الدولية » لبرنامجهم ، وهو برنامج الثورية الفورية بالوسائل العنيفة ، وتدمير المؤسسات القائمة من أجل انتصار « الفوضوية الاممية » · عارض ماركس هذا البرنامج بشدة وقاد الديمقراطيين الاشتراكيين العلميين ذوي الاتجاه العلمي الواقعي ضده من مؤتمر الى مؤتمر للدولية · ولكن نتيجة هذا الصراع الضاري الذي

استمر فيما بين المؤتمرات اضعف « الدولية » واشاع الالتباس في اتجاهاتها وبرنامجها وأهدافها · وبلغ الصراع ذروته بطرد باكونين منها ، ونقل المقر الرئيسي للدولية من لندن الى نيويورك ، حيث اصبح من الصعب على ماركس ان يتابع ادارتها من لندن، وحيث اصبحت مقطعة الخيوط معجذور الطبقةالعاملة النامية في اوروبا · وانتهى الامر بها الى ان حلت في العام ١٨٧٦ ·

الدولية الثانية

ادى حل « الدولية » الى ترك الطبقة العاملة في البلدان الصناعية دون منظمة دولية موحدة لجهودهم ونضالاتهم ، في وقت تعددت فيه الاحزاب والتنظيمات الاشتراكية في العالم ، ولم يكن التضامن السياسي ـ دون منظمة موحدة ـ كافيا في مثل تلك الظروف · وهكذا تأسست « الدولية الثانية لرابطة العمال » في باريس في العام ١٨٨٩ (بعد وفاة ماركس بست سنوات) · وقد لعب الديمقراطيون الاشتراكيون الالمان دورا اكبر من الدور الذي لعبوه في تأسيس « الدولية الاولى » وجاءت « الدولية الثانية » تنظيما اقل تماسكا ، ولم تتمتع بتأييد اصيل من الطبقة العاملة كالذي تمتعت به « الدولية الاولى » خاصة في سنواتها الاولى ، لانها كانت اكثر من سابقتها واقعة تحت سيطرة المثقفين الديمقراطيين ـ الاشتراكيين · وشغلت لسنوات طويلة بقضية ما يسمى « المراجعة » التي تزعمها كاوتسكي بحيث لم يكد يكون لها موضوع آخر تشغل به ·

وكان اهم قرار اتخذته « الدولية الثانية » قرارها في مؤتمر عقدته في امستردام في العام ١٩٠٥ بعدم السماح لزعماء الاحزاب الديمقراطية الاشتراكية بقبول مناصب في حكومات بورجوازية ائتلافية · وقد روعي هذا القرار حتى جاء مؤتمر الدولية الثانية في كوبنهاغن في العام ١٩١٠ حيث تقرر ان تشترك الاحزاب العمالية وكل الاحزاب والحركات الاشتراكية الوطنية في عمل مشترك من أجل منع اقطارهم من الدخول في حروب بعضها ضد بعض · وعندما جاءت الفرصة فيالعام ١٩١٤ ، وكان الحزب الديمقراطي الاشتراكي الالماني اقوى الاحزاب الاشتراكية في العالم ، وقف هذا الحزب ضد القرار المناهض للحرب ، حيث لم يعارض التعبئة العامة في المانيا ولا قرار توفير امدادات الحرب الذي اتخذه الرايخ الالماني ، ورفض دعوة الطبقة العاملة الالمانية الى اضراب ضد الحرب · وهكذا فقدت « الدولية الثانية » فاعليتها ، وانهارت باندلاع الحرب العالمية الاولى ·

ومنذ انهيار « الدولية الثانية » ، وبصفة خاصة منذ اندلاع ثورة اكتوبر

الاشتراكية في روسيا في العام ١٩١٧ انقسمت الحركة الاشتراكية العالمية الى اتجاهين متنازعين بمرارة · اتجاه مثلته « الدولية الثالثة » (التي اصبحت تعرف باسم « الكومنترن ») التي ضمت الاحزاب العمالية والشيوعية المؤيدة للثورة البلشفية ، واتجاه مثلته « الدولية الاشتراكية » التي ضمت الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية المناهضة للشيوعية ، الاولى تدعو للاستيلاء الثوري على السلطة بواسطة العمال ، والثانية تدعو اليه بواسطة العمل السلمي البرلماني في ظل حق الانتخاب العام · الاولى تسعى الى تحقيق «الثورة العالمية» وان آمنت بنظرية « الاشتراكية في بلد واحد » كبداية لهذه الثورة العالمية ، والثانية لم تحاول مطلقا ان تضفي على مذهبها اي معنى او تطبيقا عالميا · الاولى انعكست نظرتها العالمية في تأييد حركات التحرر الوطني الاستقلالية في المستعمرات في جميع انحاء العالم ، والثانية لم تستطع حتى واحزابها في السلطة ان تمنح تأييدا حقيقيا لحركات التحرر الوطني ، اذ انحصرت فلسفة دعاتها في نزعة « تطورية » دفعتهم الى التفكير ـ لا في ثورات او انتفاضات في المستعمرات ـ بل على اكثر تقدير في تقدم تدريجي نحو صور محدودة من الحكم الذاتي يمكن ان تتلاءم مع الحكم الاستعماري او تتفق معه ، في البلاد المستقلة سياسيا ، في تعاون سلمي مع المستثمرين الاجانب · وتحتفظ فيها حكوماتها بنوع ما من النظام ·

ذلك ان الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية التي تشكلت منها « الدولية الاشتراكية » كنقيض ومناهض لـ « الدولية الثالثة » (الكومنترن) كانت بطبيعة تعاقدها السياسية والاجتماعية « تنفر من الثورة في بلادها » (كتعبير المؤرخ الاشتراكي البريطاني كول ، وهو نفسه من الاشتراكيين الديمقراطيين) ، ومن ثم فانها جنحت الى عدم تحبيذ الثورة في المناطق المستعمرة او شبه المستعمرة · وحتى عندما كانت تتخذ مواقف (غير عملية في معظمها) ضد التمييز العنصري مثلا كانت تفكر في زوال هذه الظواهر تدريجيا لا بالعنف ·

بالاضافة الى ذلك كان كثير من الاشتراكيين الديمقراطيين يحسون بنفور شديد من النزعة القومية ـ التي كانت في بلادهم تمثل نفوذ الرجعيين والعسكريين في الغالب ـ ولم يفرقوا بين النزعة القومية في البلاد المستقلة والنزعات المماثلة في البلاد الخاضعة للحكم الاجنبي ، ولم يكونوا بأي حال مستعدين لانتهاز اية فرصة لاثارة المشاكل في وجه الدول الرأسمالية الكبرى بالوقوف الى جانب اية حركة وطنية تقاوم سيطرتها ·

تلك كانت المفاهيم العامة لزعماء الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية الذين حاولوا احياء « الدولية الثانية » · وقد بدأوا باعلان ان الاشتراكية والديمقراطية ، التي كانوا يعنون بها الحكم البرلماني ، لا يمكن ان يفترقا · وقد

ضيقوا من مفهوم الاشتراكية بحكم عدائهم الشديد للشيوعية ، بحيث اصبحت مذهبا لغرب اوروبا في جوهره اكثر منه مذهبا عالميا · « واخفقوا في حمل اية رسالة الى الجماهير في المناطق المستعمرة وغير النامية ، بل والى اي شخص ليس في مركز يسمح له بالسير مطمئنا في الطريق البرلماني » ·

اشتراكيون ضد الاشتراكية

وقد واجهت الديمقراطية الاشتراكية عاقبة ما انطوت عليه من نواقص في اواخر الثلاثينات وفي الاربعينات ، عندما صعد النازيون الى السلطة في المانيا، وشرعوا مع بداية الحرب العالمية الثانية في اجتياح اوروبا · وهو نفسه الوقت الذي كانت فيه الازمة الاقتصادية للنظام الرأسمالي قد حولت البطالة الى سرطان خبيث ينخر في قوى الطبقة العاملة · ولم تستطع الاشتراكية الديمقراطية ان تحرز اي تقدم في تلك الفترة ، وانطوت ساكنة امام العاصفة ، وتحولوا ـ حسب تعبير المؤرخ كول ايضا ـ « الى اشتراكيين لم يعودوا حتى يهدفون الى تحقيق الاشتراكية » ·

وعندما انتهت الحرب العالمية الثانية ، كشفت الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية كلية عن وجهها المناهض للاشتراكية بصورة تامة ، عندما قامت الاحزاب التي كانت تتكون منها « الدولية الاشتراكية » قبل انهيارها بمحاولة لوضع سياسة عامة فيما يتعلق بخطة مارشال لانعاش الرأسمالية الاوروبية الغربية · ولكنها اخفقت تماما في ذلك · الا انها نجحت في اعادة تجميع نفسها حول العداء للشيوعية ، خاصة بعد قيام «الديمقراطيات الشعبية» في بلدان اوروبا الشرقية · وهكذا انعقد المؤتمر التأسيسي لـ « الدولية الاشتراكية » بصورتها الحالية في فرانكفورت (المانيا الغربية) في تموز (يوليو) ١٩٥١ ·

والحقيقة التي تتضح سريعا في رؤية ظروف نشأة « الدولية الاشتراكية » في صورتها الاخيرة هي أنها جاءت كواحدة من نتائج « الحرب الباردة » ، اي كنتيجة من نتائج اشتداد حدة الحملات التي شنتها الرأسمالية الغربية على الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية الاخرى ، واشتداد حدة حملات الامبريالية البريطانية والفرنسية للتشبث بمستعمراتها في آسيا وافريقيا ، مع بداية بوادر المخططات الاميركية الرامية للحلول محل الاستعمار القديم في تلك البلدان ، في مرحلة ما بعد الاستقلال السياسي ·

لقد ترافق مؤتمر فرانكفورت الذي اعاد تأسيس « الدولية الاشتراكية » على اسس معادية للاشتراكية صراحة ، مع تأسيس منظمة حلف شمال الاطلسي ، ومع صعود ايزنهاور الى السلطة ومعه وزير خارجيته الشهير جون فوستر

دالاس ، ومع بداية الحرب الاميركية العدوانية في كوريا ، وبداية طرح مشروعات الاحلاف العسكرية العدوانية في الشرق الاوسط وحوض البحر الابيض المتوسط لفرض الحصار على الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية وللتربص بحركات التحرر الوطني ٠

فهل كانت « الدولية الاشتراكية » في سياق هذه الاحداث والتطورات جزءا من تيارها ام تيارا مقاوما ومناهضا لها ؟

هذا السؤال تجيب عليه سياسات « الدولية الاشتراكية » واحزابها خلال ربع القرن الماضي ، وتجيب عليه مواقفها ومنطلقاتها النظرية والعقائدية ٠

واهم السمات العامة لايديولوجية الاشتراكية الديمقراطية يمكن ايجازها في النقاط التالية :

□ القول بنظرية الدولة بوصفها « جهازا فوق الطبقات » ٠

□ القول بنظرية « الاقتصاد المختلط » الذي يجمع بين القطاعين العام والخاص ، وهي نظرية تذهب الى انه لن تكون في النهاية اشتراكية ولا رأسمالية انما نظام يمزج بينهما ٠

□ الاخذ بالاتجاه الاصلاحي ـ لا الثوري ـ فيما يتعلق بمواجهة مشكلات التطور الاقتصادي والاجتماعي ، وحتى فيما يتعلق بمسائل اساسية مثل تصفية الاستعمار وتحليل مشكلات الحرب والسلام ٠

□ الدعوة الى مد نطاق «التعايش السلمي» بين البلدان ذات النظم الاجتماعية المختلفة بحيث يشمل المجال الايديولوجي ايضا ٠

□ انتهاج ايديولوجية معادية للماركسية تقوم على نقدها من مواقع بورجوازية بحتة واعتبارها « غير ملائمة » للعصر ٠ مع التركيز على الاهتمامات والقيم « الروحية » و « الفردية » ٠

□ التخلي عن المطالب الاجتماعية الاساسية ، وبالتحديد عن تشريك وسائل الانتاج ، والاخذ باقتصاد رأسمالية الدولية الاحتكارية ٠

□ التعاون مع وتشجيع الشركات المتعددة الجنسية كشكل جديد من اشكال الاحتكار والهيمنة الامبريالية ، ليس فقط في البلدان الصناعية ، وانما في البلدان الصغيرة والنامية والحديثة الاستقلال ٠

وهكذا انتهى الامر بالاشتراكية الديمقراطية في عهد دوليتها الحالية الى الوقوف في صف الامبريالية والسيطرة البورجوازية الاقتصادية والاجتماعية ، والتخلي تماما عن الاشتراكية العلمية ونظرية الثورة ، والتسلل الى الطبقة

العاملة ـ خاصة فيأوروبا الغربية ـ بالافكار الليبرالية والاصلاحية والمعادية للاشتراكية · واصبحت ايديولوجية الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية بمثابة الايديولوجية الاصلاحية للبورجوازية الاوروبية وتوابعها ·

وتستند هذه الايديولوجية الى اسس فلسفية تجريدية ومثالية وميتافيزيقية ، مما يجرد مفاهيم الاحزاب التي تعتنقها من محتواها الاجتماعي ويضفي عليها طابع تبرير السيطرة البورجوازية باسم الديمقراطية ، وباسم معارضة « الدكتاتورية » ·

وقد ادت هذه المفاهيم المجردة الى اعتناق وجهات نظر في المشكلات الوطنية والدولية تفضي بطبيعتها الى استنكار رجعي للمصالح الحقيقية للاستقلال الوطني للشعوب التي تناضل ضد الامبريالية ، والى تبرير سياسات « فوق ـ قومية » بدعوى « الدولية » مع نبذ الاممية الاشتراكية الحقة بدعوى الدفاع عن المصالح الوطنية للاقطار الاشتراكية ·

وعلى وجه الاجمال تفضي ايديولوجية الاشتراكية الديمقراطية الى انكار للتناقض الواقعي والاساسي بين النظامين الاشتراكي والرأسمالي ، ومن ثم انكار التناقض المبدئي للعصر الراهن وللخط الاساسي الذي يسير فيه التقدم الاجتماعي ·

واليوم تشكل الاحزاب الاصلاحية المندرجة تحت لواء « الدولية الاشتراكية » وقيادتها الاساس التنظيمي للتيار الايديولوجي والسياسي المناهض للاشتراكية، والذي يتمثل في صيغ زائفة من الاشتراكية تحمل اسم « النماذج الجديدة من الاشتراكية » · وعلى هذا الاساس تعمل احزاب « الدولية الاشتراكية » جنبا الى جنب مع الدول الامبريالية ومنظماتها واحزابها في محاولات تحطيم الاشتراكية من الداخل ، وفي محاولات لجذب الحركة الاشتراكية في العالم الى مواقع اليمين · ولهذا تلحق نشاطات « الدولية الاشتراكية » واحزابها ضررا خطيرا بحركة الطبقة العاملة وبحركة التحرر الوطني على السواء ، بالدفاع عن الرأسمالية في صورتها الجديدة واستبدال النضال من اجل الاشتراكية بدفاع عن اشتراكيات موهومة من نوع «الاشتراكية الاخلاقية» ، «الانسانية الجديدة»·

مفاهيم اساسية

وقد نصت وثائق « الدولية الاشتراكية » الصادرة عن مؤتمرها التأسيسي في فرانكفورت في العام ١٩٥١ (وكذلك برامج الاحزاب المشتركة فيها) على عدد من المفاهيم النظرية الاساسية التي تعكس حقيقة الايديولوجية السياسية :

اولا ـ المفهوم القائل بان « النظرة الى العالم هي نظرة محايدة » ، وهو

المفهوم البديل للاشتراكية العلمية وللايديولوجية الماركسية التي تخلت عنهـــا الدولية واحزابها منذ نهاية « الدولية الثانية » · ويرمي هذا المفهوم الى تأكيد « الحرية الروحية » لاعضاء الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية في اختيار اي نسق من الآراء والافكار ووجهات النظر سواء كان نسقا علميا او دينيا ·

ويذهب منظرو هذه الاحزاب الى ان اي نظرة الى العالم هي بالضرورة نظرة ذاتية وفردية ، ولهذا فانه ليس باستطاعة حزب ان يعبر عن نظرة الى العالـــم يعتبرها مشتركة بين جميع اعضائه · وبالنتيجـة فـــان رفض هذا المفهـــوم الاعتراف بالطابع الطبقي للنظرة الى العالم يستخدم في تغطية تبني هـــذه الاحزاب وزعمائها الايديولوجية البورجوازية ·

وفي هذا الصدد ايضا يذهب منظرو « الدولية الاشتراكية » الى ان الاشتراكية كمثل اعلى هي هدف مشترك لجميع الناس ، ولكنها هدف يقبله الجميع ، كل من زاوية مختلفة في الحياة · وبالنتيجة يؤدي هذا الرأي الى طمس الفرق بيـــن الاوساط الديمقراطية الواسعة التي تتخذ موقفا ايجابيا بصورة عامة ومن المثل العليا للاشتراكية (دون ان تفهمها في بعض الاحيان) والطليعة الثورية التي لا تستطيع ان تنتصر في صراعها من أجل الاشتراكية الا اذا ارتكزت على نظريـة علمية في الاشتراكيـــة ·

ثانيا ــ المفهوم القائل بـ « تحول الرأسمالية » · وهو مفهوم يتفق تماما مع النظرية البورجوازية في « التحول الرأسمالي » · وعلى حين يقول المنظـرون الرأسماليون ان هذا «التحول» سيؤدي في النهاية الى قيام « مجتمع استهـلاك جماعي » او الى « مجتمع رفاهية » او « نظام تكنوقراطي » ··· الخ ، فـــأن منظري « الدولية الاشتراكية » يذهبون الى ان هذا التحول يؤدي (او هو قـد ادى بالفعل) الى اقامة اشتراكية ديمقراطية او اشتراكية انسانية ·

ولقد ظهرت منذ قيام « الدولية الاشتراكية » كتب عـديـــدة لايديـولوجيي الاشتراكية الديمقراطية ــ من أمثال جون ستراتشي (**الرأسمالية الحديثـــة** ــ ١٩٥٦) وريتشارد كروسلاند (**مستقبل الرأسمالية** ــ ١٩٥٦) و ج٠د٠ كـــول (**الرأسمالية في العالم الحديث** ــ ١٩٥٧) · وكلها تحـاول البرهنـــة على ان الرأسمالية نمت وتحولت الى اشتراكية ، وان نظرية الثورة الاشتراكية قد فقدت مصداقيتها · ويقول بندكت كاوتسكي ــ الذي يعتبر المعد الرئيسي لبرنامـــج الحزب الاشتراكي النمساوي ــ ان الرأسمالية قد أصبحت بالفعل اشتراكيـــة ديمقراطية · ولكن آخرين يذهبون الى ان الرأسمالية هي في سبيلها الى اتمام هـذا التحـول ·

يصف بعض منظري « الدولية الاشتراكية » هذا التحول بانـــه « الثـــورة الصناعية الثانية » ، وهي في نظرهم ثورة علمية وتقنية احدثت « رأسماليـــة

جديدة » او « اشتراكية » ، بل يذهب بعضهم الى ان العالم الصناعي على اعتاب « ثورة صناعية ثالثة » قوامها التشغيل الآلي الذاتي (الاوتوميشن) والطاقة الذرية والمعدات الالكترونية · وان من شأن هذه « الثورة » ان تخلق « الاشتراكية الديمقراطية » دون ثورة اشتراكية ·

ويقدم هذا المفهوم بشكل واضح على زعم غير علمي بان من شأن التطورات التكنولوجية ان تقضي تلقائيا على كل تناقضات الرأسمالية ، بما فيها التناقضات الاجتماعية ، وان من شأن « الثورة التكنولوجية » ان تقضي تماما على كل فقر وحاجة ، وهو ما تنص عليه برامج احزاب الدولية الاشتراكية جميعا تقريبا ·

ثالثا ـ مفهوم « رأسمالية الشعب » ، الذي يذهب الى انه تجري في ظل حكومات احزاب الاشتراكية الديمقراطية عملية تشريك رأس المال ولمهام الدولة الاقتصادية · وقد اقاض في شرح هذا المفهوم احد منظري هذه الاحزاب وهو عالم الاقتصاد والاجتماع الفرنسي جوزيف شومبيتر في كتابه الشهير **الرأسمالية ، الاشتراكية والديمقراطية** · وقد تبنى الحزب الاشتراكي الفرنسي ـ على سبيل المثال ـ هذا المفهوم رسميا في كراس له تحت عنوان « انحدار الرأسمالية وخلافتها » (١٩٥٧) · وقد كتب مقدمة لهذه الكراسة زعيم الحزب الاشتراكي الفرنسي الاسبق غي موليه (رئيس وزراء فرنسا ابان العدوان الثلاثي على مصر في العالم ١٩٥٦) ، وقال في هذه المقدمة « ان كتاب شومبيتر قام بدراسة للولايات المتحدة الاميركية ، وهي بلد اقتصاد حر ، وتوصل الى الاستنتاج بأنها تتحرك صوب الاشتراكية » ·

وفي مناسبة الذكرى التسعين لتأسيس « الدولية الاولى » (وكان ذلك في العام ١٩٥٤) قال امين عام « الدولية الاشتراكية آنذاك ـ جوليوس براونتال ـ» «ان التطور الحادث فيكل مكان اليوم يبتعد عن الدولية الرأسمالية التييوجهها دافع الربح الى دولة الرفاهية الاجتماعية · ويجري حقن النسيج الرأسمالي بخيوط اشتراكية متعددة ، وهناك انتقال من الرأسمالية الى مجتمع اشتراكي »·

ويمضي انكار الثورة الاشتراكية من جانب منظري « الدولية الاشتراكية » الى حد يقول معه احدهم ـ اندريه فيليب ـ « هناك تدخل حاسم متزايد باطراد من جانب الدولة في الاقتصاد ، ونحن نعيش في نظام ··· يعتريه تحول كامل· فلم نعد في نظام رأسمالي ، ولكننا لسنا كذلك في نظام اشتراكي : ونجاح التخطيط والتدخل العام ينقلنا الى مجتمع فترة الانتقال ، التي هي في ارتقاء سريع لاقصى حد » ·

هكذا اصبحت الاشتراكية الديمقراطية بمثابة دفاع متخف عن الرأسمالية في المجالات الايديولوجية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ولم تعد تربط

« الدولية الاشتراكية » اية علاقة ايجابية مع الاشتراكية بمفهومها العلمي الرامي الى اقامة مجتمع اشتراكي ، بالقدر نفسه الذي لم تعد فيه تربطها ـ نظريا ـ اية علاقة بالنضال العملي من اجل الاشتراكية ومن اجل حقوق الطبقة العاملة « الاممية » في البلدان الرأسمالية المتقدمة وفي البلدان الخاضعة للسيطرة على السواء · واصبحت احزاب « الدولية الاشتراكية » مغنية باهداف « اخلاقية » من النوع الذي يعبر عنه قول غي موليه الزعيم الاسبق للحزب الاشتراكي الفرنسي : « ان همنا الرئيسي هو دعم ارتقاء علاقات داخل المؤسسة بين صاحب العمل وعماله ··· ان تنظيم العلاقات بين اصحاب العمل والعمال يساعد ـ دون اية اجراءات مثيرة ـ على وضع اساس اكثر متانة للسلام الاجتماعي » ·

هكذا في عبارة صغيرة من ثلاثة اسطر يلغي موليه الحاجة الى الثورة الاشتراكية ويحدد هدف الاحزاب « الاشتراكية » بانه تنظيم وترتيب العلاقات بين اصحاب الاعمال والعمال · ويرفع راية « السلام الاجتماعي » مكان راية النضال من اجل وصول الطبقة العاملة الى السلطة ··

ان هذا الاتجاه اليميني الجارف في الآراء النظرية لزعماء ومنظري « الدولية الاشتراكية » والاحزاب المنضوية تحت لوائها هو في الواقع ، انعكاس لتحولهم الى مواقع الدفاع عن المصالح الرأسمالية على اساس استمرار الجوانب الحالية للتطور الاجتماعي · وهكذا تحول مفهوم « الاشتراكية الديمقراطية » في اساسه الى واحد من اخطر ادوات التمويه الايديولوجي الذي يقوم على الزعم بأخذ افضل ما في الضدين : الرأسمالية والاشتراكية · فقد انتهى الامر ببعض الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية الى التسليم بضرورة بقاء الملكية الخاصة الرأسمالية والمنافسة وحتى الاحتكارات الرأسمالية « شرط الا تهدد الحرية والعدالة ودور الاحزاب وتعددية النظم » · وبطبيعة الحال ليس من قبيل تهديد الحرية والعدالة والتعددية شتى الحملات المعادية للماركسية ، حتى ان صحيفة « نيو غيزلشافت » ـ الصحيفة النظرية للحزب الاشتراكي الديمقراطي الالماني، دعت الى « اجراء دراسات اكثر جدية للماركسية لاستخدامها على نحو افضل ضد الشيوعية » ! وتحدثت الصحيفة نفسها في وقت لاحق عن ضرورة العمل من أجل « اكمال الثورة الناقصة في الاقطار الشيوعية » ·

٧٧ مليون صوت

ان « الدولية الاشتراكية » في صورتها الراهنة تضم اربعة وخمسين حزبا اشتراكيا وعماليا عدد اعضائها جميعا يقدر بنحو ١٦ مليون عضو · ويقدر عدد الاصوات التي حصلت عليها هذه الاحزاب في آخر انتخابات عامة بنحو ٧٧

مليون صوت · وكما ذكرنا فان معظم هذه الاحزاب يتركز في اوروبا الغربية بالاضافة الى ثمانية احزاب في آسيا (اكبرها الحزب الاشتراكي الياباني) ، وستة احزاب في اميركا اللاتينية (اكبرها الحزب الاشتراكي التشيلي) وثلاثة احزاب في افريقيا (السنغال ومالاغاش وموريشيوس) · اما الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية في الولايات المتحدة وكندا واستراليا ونيوزيلندا فهي تفتقر الى القوة التي تتمتع بها الاحزاب المماثلة في شمال وغرب اوروبا ·

وكان الحزب العربي الوحيد الذي تربطه في السابق علاقات بالدولية الاشتراكية هو الحزب الاشتراكي التقدمي الذي كان مشتركا في مكتب الاتصال الاسيوي للدولية الاشتراكية في سنغافورة ، الا ان هذا الحزب انسحب فور انضمام الحزب العمالي الاسرائيلي كعضو كامل في الدولية ·

وتكشف متابعة المواقف السياسة والتركيبة التنظيمية لهذه الاحزاب عن استمرار تزايد قوة التيار اليميني فيها على حساب اليسار · وكانت اوضح ظواهر هذا التحول الى اليمين تولي هلموت شميت رئاسة الحزب الاشتراكي الديمقراطي الالماني بدلا من فيلي برانت · والملاحظ ان هذا الاتجاه يزداد وضوحا في الاحزاب « الاشتراكية الدولية » الموجودة بالفعل في السلطة · في حين يكون التيار اليساري اغلب في هذه الاحزاب وهي في المعارضة ، واوضح مثال في هذا الصدد هو الحزب الاشتراكي الفرنسي ·

وبطبيعة الحال فان الاحزاب اليمينية التي تتولى السلطة في دول اوروبا الغربية والشمالية هي الاحزاب التي تتمتع بالنفوذ الاقوى داخل « الدولية الاشتراكية » ، وتلعب اكبر الادوار في توجيه خطها السياسي وبالتالي قرارات مؤتمراتها العامة والفرعية · ومنذ نشأة « الدولية الاشتراكية » بصورتها الحالية في العام ١٩٥١ وهي تتبنى مواقف التبعية للولايات المتحدة الاميركية وتؤيد فكرة التحالف الاطلسي منذ البداية ، وكانت من اوائل الدعاة لاقامة « نظام للدفاع الجماعي الاوروبي » بالتنسيق مع الولايات المتحدة · واصدرت في مؤتمرها الذي عقد في روما في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٥٢ ـ بعد عام واحد من تأسيسها ـ عددا من القرارات التي تدعو الى اقامة تحالف اطلسي لا يقتصر على المجال العسكري انما يشمل المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية · كما كانت « الدولية الاشتراكية » من اوائل المنظمات التي ايدت انضمام المانيا الغربية (في العام ١٩٥٢) الى التحالف الاطلسي ، وقبل الانضمام الفعلي اليه بنحو ثلاث سنوات ، وهو موقف اسهم في تعميق حدة الحرب الباردة بين المعسكرين الاشتراكي والرأسمالي في ذلك الوقت ، الامر الذي جعل الاحزاب الشيوعية في العالم تتهم « الدولية الاشتراكية » بأنها اداة لتحقيق السياسة الاميركية في اوروبا الغربية ومناطق العالم الاخرى ، وبأنها تفتقر الى نظرة

صحيحة لدور حركات التحرر الوطني وحتى لنضال الطبقة العاملة التي تزعم انها تقوم باسمها ٠

وقد تعرضت « الدولية الاشتراكية » واحزابها لاختبارات حقيقية في ظروف عالمية معينة ، كان منها العدوان الثلاثي البريطاني ـ الفرنسي ـ الاسرائيلي على مصر عام ١٩٥٦ ٠ اذ وقفت « الدولية الاشتراكية » موقف التأييد من العمليات العسكرية ضد نظام جمال عبد الناصر ولحساب الاحتكارات الرأسمالية العالمية ، وتأييد اسرائيل ضد كل الدول العربية وبلدان الحياد الايجابي والعالم الثالث ٠

ثم كانت حرب فيتنام وتطور الدور العدواني الاميركي فيها من اوائل الستينات الى اوائل السبعينات اختبارا قاسيا وطويلا ساعد على كشف مدى ولاء « الدولية الاشتراكية » للسياسة الاميركية على طول الخط ٠ وقد كان لبعض الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية من الحرب الفيتنامية موقف معارض متميز ، خاصة الحزب الاشتراكي الديمقراطي السويدي ٠ فبينما اصر الحزب السويدي على ادانة التدخل الاميركي وعمليات القصف والابادة الجماعية التي تمارسها الولايات المتحدة ضد الشعب الفيتنامي ، فأن غولده مئير رئيسة وزراء اسرائيل وزعيمة حزب العمال فيها دافعت بشدة عن سياسة الولايات المتحدة في مؤتمر « الدولية الاشتراكية » في لندن في شهر كانون الثاني (يناير) ١٩٧٣ ،ونجحت في الحيلولة دون اتخاذ قرار بادانة الولايات المتحدة ٠٠٠ وكان مما قالته في خطابها امام ذلك المؤتمر « اننا ما كنا لنستطيع الاجتماع هنا لولا الولايات المتحدة » ٠

وفي السنوات نفسها التي امتنعت فيها « الدولية الاشتراكية » عن ادانة السياسة الاميركية في فيتنام ، كانت تصدر قرارات إدانة حادة الصياغة ضد الاتحاد السوفياتي بسبب سياسته فيما يتعلق بهجرة اليهود السوفيات الى اسرائيل ٠ وقد صرح ابا ايبان (وكان وزيرا للخارجية الاسرائيلية) في ١٠/١٢/١٩٧٢ اثناء انعقاد مؤتمر للدولية الاشتراكية في باريس ضم ١٩ حزبا من احزابها ، بان للدولية « اثرا هاما في حمل الإتحاد السوفياتي على السماح لليهود بالهجرة وفي تعبئة الرأي العام العالمي بهذا الخصوص » ٠

وقبلها كان المؤتمر الذي عقدته الدولية الاشتراكية في هلسنكي في شهر ايار (مايو) ١٩٧١ قد كشف انحيازها الكامل لاسرائيل ضد الاقطار العربية ، حيث اصدر قرارا بشأن الشرق الاوسط قال فيه ان الدولية الاشتراكية تلاحظ بقلق ازدياد سباق التسلح اخيرا عن طريق ارسال اسلحة متطورة جديدة الى مصر وسوريا ، وانها تحث على المحافظة على ميزان التسلح بين اسرائيل وجيرانها العرب !

ومن المهم في هذا الصدد ان نذكر موقف التحدي الذي اتخذته « الدولية الاشتراكية » من الحكومة الفرنسية بسبب سياستها غير المؤيدة لاسرائيل في الشرق الاوسط ، وذلك عندما وجهت « الدولية » الدعوة الى غولده مئير رئيسة وزراء اسرائيل لحضور مؤتمرهافي باريس في كانون الثاني (يناير) ١٩٧٣ · وكانت الظروف غير مؤاتية على الاطلاق لاستقبالها في العاصمة الفرنسية بسبب الاجواء التي نشأت عن قيام المخابرات الاسرائيلية باغتيال ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في باريس محمود الهمشري · وقد اصرت « الدولية » وغولده مئير على حضور المؤتمر رغم ما صرح به وقتها رئيس الوزراء الفرنسي ، من انها اذا حضرت فلن تكون لها غير صفتها الحزبية ، ولن تجري السلطات الفرنسية معها اية اتصالات ·

والحقيقة ان قبول حزب العمال الاسرائيلي في عضوية « الدولية الاشتراكية » كان في اساسه بمثابة انحراف خطير عن مسار الحركة الاشتراكية العالمية ونظرتها الى القضايا المعاصرة ، بل وموقفها الايديولوجي العام ، وحتى علمانية هذه الحركة · فقد كان قبول هذا الحزب تأييدا للسياسة العنصرية التي يقوم عليها ، وهي ضربة لمفهوم « الاممية » والمضمون الحقيقي للاشتراكية القائم على ازالة كل اشكال الاختلافات العنصرية والدينية ·

ولقد لعب حزب العمال الاسرائيلي داخل «الدولية» دورا مؤثرا انعكس في قرارات مؤتمراتها حتى في اشد الظروف خطورة · فنجد ان مؤتمرها الذي عقد في « زيورخ » في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٧ ـ بعد حرب حزيران (يونيو) ـ اصدر قرارا ينص على الحق المطلق في الوجود والسيادة لاسرائيل وجميع دول المنطقة ، الى جانب حرية الملاحة في قناة السويس ومضايق تيران لجميع الدول ايضا ، بالاضافة الى نزع سلاح المنطقة ، وحل « مشكلة اللاجئين» وفي ظل وسائل فعالة لحماية امن وسلامة جميع دول المنطقة داخل حدود آمنة ومعترف بها ·

وهو قرار يعكس بصورة تكاد تكون حرفية وجهة النظر الاسرائيلية ·

وفي اعقاب الحرب العربية الاسرائيلية في العام ١٩٧٣ طلبت غولده مئير بصفتها نائبة رئيس « الدولية الاشتراكية » عقد مؤتمر عاجل للدولية ،واصرت على عدم عقده في مالطة ـ كما كان مقررا ـ وذلك بسبب تصريحات لرئيس وزراء مالطة منتوف ايد فيها الجانب العربي وادان اسرائيل · وبالفعل عقد المؤتمر في لندن في ١١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٣ · وكان هدف اسرائيل من عقده التأثير على مواقف حكومات واحزاب دول اوروبا الغربية التي تأثرت سياساتها ازاء الشرق الاوسط بعامل الحظر النفطي ، وكذلك فتح قنوات حوار غير مباشرة مع الدول الافريقية التي كانت قد قطعت علاقاتها الدبلومسامية مع

اسرائيل • وذلك بالاضافة الى استخدام « الدولية الاشتراكية » ـ كما فعلت دائما ـ كمنبر اعلامي لمخاطبة الرأي العام العالمي ، وخاصة لتأليبه على العرب بسبب سياسة الحظر النفطي •

وقد اسفر هذا المؤتمر عن قرار بارسال وفد برئاسة مستشار النمسا برونو كرايسكي (في آذار ـ مارس ١٩٧٤) من اجل تقصي الوضع في منطقة الشرق الاوسط • ومن المؤكد ان مهمة هذا الوفد كانت احد المداخل الى التطـــورات اللاحقة التي حدثت في المنطقة ، والتي دفعت الى مفاوضات الصلح بين النظام المصري واسرائيل •

المراجـــع

(1) Cole, G.D.H., *A History of Socialist Thoght*, London, 1960.

(2) Nairn, Tom, *The Left Against Europe*, London, 1972.

(3) Modrzhinskaya, Yelena, *Lenenism and the Battle of Ideas*, Moscow, 1972.

(4) Vaizey, John, *Social Democracy*, London, 1971.

(5) Caute, David, *The Left in Europe since 1784*, London, 1966.

(6) Jackson , Hampden , *Marx Proudhon and European Socialism*, New York, 1966.

(7) Taylor, A.J.P., *Europe : Grandeux and Decline*, London, 1977.

(8) *Hayms , Edward , A Dictionary of Modern Revolution*. London, 1973.

(٩) مجلـــدات مجلـة **السياسة الدولية** ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ١٩٧٦ ، ١٩٧٧ •

(١٠) مجلدات **يوميات فلسطينية** ، بيروت ، مركز الابحاث ، م•ت•ف•

الياس شوفاني

مع المبعدين

التغريبة

التغريبة ، لغة ، اسم المرة من التغريب ، وهو النفي او الابعاد الى بلد غريب · والتغريبة عرفا ، او قل عند القرويين الفلسطينيين ، هي « تغريبة بني هلال » · وبنو هلال قبيلة بدوية ، زعيمها ابو زيد · وابو زيد بطل شعبي · وكذلك كان الزير ، وعنتر ، والظاهر بيبرس ، وغيرهم · والقرويون في مجالسهم ، خاصة في ليالي شتائهم ، يسخرون وقتهم في الاصغاء الى قصصهم الشعبية · والقصص كثيرة ومأثورة · منها المحفوظ ومنها المكتوب · اما الاسفار والاهوال فبطلها السندباد ، وهي للاطفال · واما الحرب والنزال ، وكذلك الحنين الى الاوطان ، فأبطالها ابو زيد وامثاله ، وهي للرجال · وقصاص القرية شخصية طريفة ، مؤسسة تقليدية بحد ذاته كثيرا ما يتوارثها الابناء عن الآباء ·والقصاص هو « المقصد » ايضا ، الذي يغني القصيد · ويتسابق الناس الى دعوته ليسهر معهم · واذا قصد للكلام ، فانما على فرش منضدة ، وكتابه بين يديه · صفحات ابلاها التقليب ، بين دفتين من الجلد · وفوق الكتابة ، او على هوامشها ، علامات وايات · النثر للقراءة ، وباسلوب ، والشعر للغناء ، وهو القصيد · وابو زيد سيد اهل القصيد ، او هكذا اعتبره الفلاحون · « والتغريبة » حديث الناس في المجالس والسهرات · اما بعد قيام اسرائيل ، فقد اكتسبت « التغريبة » معنى جديدا · الواقع انه في اواخر عهد الانتداب ، أخذت شمس « التغريبة » بالغروب · ثم اشرقت مع قيام اسرائيل ، في كساء جديد · التطويق والتجميع والتحقيق والتغريب ـ كلمات اصبحت رائجة بين الناس · ولها مدلولات معينة · وعلم المعاني بحر واسع · والالفاظ

تكتسب معان جديدة ، تبعا للمكان والزمان · وللعرب الفلسطينيين ، تحت الاحتلال الصهيوني ، قاموس مصطلحات سياسية ، لم يدون بعد · ومنها التغريب والتغريبية ، والابعاد ، والتجميع ، ولم الشمل ، وتفريقه ، والاملاك المتروكة ، والحاضر غائب ··· الخ · وتغريبتنا فريدة · وهي بعد ان فقهت اسبابها ، لم اسبر غورها ، تفسيرا او قياسا · لا اعرف لماذا سمح اليهود لاهالي قريتنا ، معليا ، أن يعودوا الى بيوتهم ، ومنعوا آخرين · لماذا ابعدوا نفرا منهم ، بعد اشهر على الاحتلال ، ثم سمحوا لهم بالاقامة فيها ، بعد ان تسللوا اليها رجوعا · لقد وضعت الهاغاناه الخطتين جيم ودال (جيمل ودالت) في حرب ١٩٤٨ ، لترحيل السكان العرب من مدنهم وقراهم ، ولاحتلال الارض بلا اصحابها · هذا ما درج الناس على تسميته « الاستيطان الاجلائي » ، وهو الذي تميز به الاستيطان الصهيوني عن اترابه · فلماذا ابقت اسرائيل، وبعد قيامها ، مائة وخمسين الف عربي، معظمهم في الجليل ؟ هل لانه كان جزءا من الدولة العربية ، حسب قرار التقسيم ؟ ربما ، ولكن جميع التعليلات لا تبدو متماسكة · وعلى اي حال ، فان جميع القرى الدرزية ، في الجليلين ، الاعلى والاسفل ، ظلت على حالها · اما الطوائف الاخرى ، فقد نزحت بنسب متفاوتة · وكانت هجرة المسلمين اوسع · ومع ذلك، فقد ظلوا الاغلبية ، اكثر من النصف ، بين العرب الفلسطينيين الذين آثروا الاحتلال على التشريد · اما لماذا رحلت البروة وبقيت دير الاسد مثلا ، فليس للامر قانون يحكمه · وفي هذا المجال ، الشاذ هو القاعدة · وافرغت البلاد من سكانها ، ولم يبق فيها الا اشلاء مجتمعات ، اكثرها قروي ، فيما خلا الناصرة·

لا اذكر لذلك اليوم تاريخا بالذات · ولم اعثر ، الى الآن ، على من اعتبره ذا اهمية ، فدونه وجعل له ثبتا · ولكنه محفور في ذاكرتي ، ومرتبط بلفظ « اسرائيل » · هو يوم التغريب والغربة والاغتراب ··· فمنذ قامت ، اسرائيل، لم يعد لي « هناك » مقام · هي جاءت فذهبت انا · وقامت هي فسقطت انا · سقطت من الوطن ، ومن الارض والاهل معا · هكذا تكونت صورة اسرائيل في وجداني ، غداة ذلك اليوم · وتحدد موقفي منها · وجودها الغاء لوجودي · كنت يافعا ، لم اتجاوز الخامسة عشرة · واسرائيل تعتبرني خطرا على امنها، فتقذف بي عبر الحدود · كيف تحدد موقفا من حدث كهذا ؟! « الحق بأبيك » هكذا صرخ ضابط التحقيق الصهيوني في وجهي · ورفعيده ، وهم ان يصفعني · ورأيته يضع اشارة (×) الى جانب اسمي في اللائحة امامه · واشارة (×) تعني الشطب · فشطبت من عداد المواطنين · وبلغ الامر امي ، فنظرت الينا ، اخي وانا ، وقالت بصوت متهدج : « الاباء يأكلون الحصرم ··· » ، او ما شابه · فعرفت انها ضعفت امام المحنة ،وهي التي صبرت على الكثير · ولكن لا مجال للنقاش · الشاحنة تنتظر ، والعسكري الاسرائيلي ينهرنا : « يلا ـ يلا»! وما هي الا ساعات ، واذا بنا عبر خطوط الهدنة ، في المثلث الشمالي ·

والمثلث ، الكبير والصغير ، اسماء تعلمناها من كتب الجغرافيا · وظلت في خيالنا مجرد اسماء ، نستظهرها للامتحان · لم يسبق لي ان دخلته ، فتعرفت عليه عندما اجتزته مطرودا من البلد · لكن بعض الرجال ، ممن كانوا معنا في المجموعة ، عرفوه · كان بينهم جندي سابق · خدم في قوات الحدود الاردنية ايام الانتداب ، في ما كان يعرف ب « عسكر ابو حنيك » او « الزنار الاحمر » · لان غلوب باشا (ابو حنيك) بنى هذه القوات واشرف عليها · وكان جنودها يتمنطقون بزنار احمر عريض ، فعرفوا به · وتولى صاحبنا هذا قيادة المجموعة دون منازع ، لعلمه بطبيعة الارض · اما انا فقد عدت اليها بعد سبع سنوات تقريبا ، عام ١٩٥٥ ، عندما كنت ادرس جغرافية فلسطين ، في دورة جامعية · وعندها لم يعد المكان على خط وقف اطلاق النار · لقد دخل ضمن « الخط الاخضر » · وهو الخط الذي رسمته اسرائيل حدودا لها حتى عام ١٩٦٧ ·ودرج البعض على تسميته « خط الهدنة لعام ١٩٤٩ » · هناك عند مدخل وادي عارة الشمالي ، بالقرب من مجدو ، في وسط مرج بن عامر ، « كبونا » · وكانت قرى ام الفحم ، وعارة ،وعرعرة ، ومصمص ، وغيرها كثير في المثلث ، لا تزال في ايد عربية · ثم ضمت الى المناطق المحتلة ، ضمن اتفاقية مع الاردن · لقد ارادوه لنا تيها ،كتيه بني اسرائيل · والا فلماذا رموا بنا الى الاردن، وليس الى لبنان، الذي هو على مسافة سفر سبت ؟ ولكننا عدنا جميعا ، الى ارض ميعادنا ·

عند فجر ذلك اليوم ،افاق الناس على عسكر الاحتلال ، وقد طوق القرية ، ونصب الحواجز على كل مداخلها · وانتشر بعضهم على سطوح المنازل ، وفي الاماكن المشرفة · كانت ليلة شتاء جليلية ، قارسة البرد ماطرة ، كما يليق بقرى الجليل الاعلى · وسرى الخبر كالحمى في جسم القرية · وكانت اشاعات قد سرت قبل ايام ، تفيد بأن اليهود « يكبون » اعدادا من العرب الى خارج الحدود · ولكنها مجرد اشاعات · اذ لا اذاعات تنشر الخبر ، ولا صحف · والاوامر العسكرية بمنع التجول قلصت الاتصال بين الناس · لقد احكموا الطوق على القرية ، ومنعوا الناس من الخروج الى اعمالهم · وعند الشروق ، نادوا على الاهالي بمكبرات الصوت · وأمروهم بالتجمع في ساحة القرية · تقاطر الرجال الى الساحة · وظل النساء والاطفال في البيوت · وانتشر الجنود في الطرقات يسوقون الرجال والشباب الى مكان التجمع · تحسب الناس للعواقب· وفضل البعض المجازفة والاختباء ، على التسليم ، ومنهم اخي الاكبر · ذهبت انا واخي الثاني الى مكان التجمع · اعتقدنا ان صغر سننا سيشفع بنا · وبقيت امي ، ومعها الاخوة الثلاثة الصغار ، في البيت · تركت البيت الى غير عودة·

اهلا ، اهلا ! استقبلنا احد المخبرين ، ممن تعاونوا مع سلطات الاحتلال منذ البداية ، لا تخافوا ، فانا وراءكم حتى النهاية · وكان كذلك · سألنا عن اخي الاكبر · فاجبنا بأن لا علم لنا به · اوصانا ، واكد علينا ، ان ندخل غرفة

التحقيق معا ، فسينتظرنا هناك ، ويشرح للضباط احوالنا ، ويتوسط المسألة · الناس حوله يستفسرون ، وهو يطمئنهم ويقول : لا بأس عليكم : توكلوا علي ! راح يجول بين الناس ، يتفقد الغائبين · وبدأت مجموعات صغيرة من الجنود تندفع باتجاه بعض البيوت ، بحثا عمن تخلف · رأينا بعضهم يساق الى مكان التجمع ، وقد اشبعوه ضربا وركلا · انتظرنا وصول اخي الاكبر ، ولكنه لم يفعل · سمعنا بعض الطلقات ، فخشينا الاسوأ · لكن شيئا من ذلك لم يحصل · لقد اقتربوا من المكان الذي اختبأ فيه · فانذره اخي الاصغر ، باشارة اتفقا عليها · انسل من مخبئه ، وولى هاربا · رأوه ، فاطلقوا عليه النار · لكنه نجا · لقد حصل على بعض التدريب العسكري ، خلال سنتين من القتال · ولى وجهه شطر المشرق ، في المنحدر الشرقي من التل الذي تقوم القرية عليه · افلت من الطوق ، واخذ طريقه الى لبنان ·

كانوا يعدون للانتخابات العامة للكنيست الاولى ، بعد قيام الكيان ، وارادوا احصاء الناس من اجلها ، فكانت فرصة للتخلص من بعضهم ، وتخفيف عددهم · تحدد موعد تلك الانتخابات بتاريخ ٢٥ كانون ثاني (يناير) ١٩٤٩ · وسارعت السلطة الى انجاز المهمة ، فارسلت عسكرها يجوب القرى العربية ، يطوقها ، ويجلي اهلها عنها · دفعت بالمبعدين من شمالي البلاد الى الاردن · اما الذين جيء بهم من جنوب البلاد ووسطها ، فقد حملوا الى الحدود اللبنانية · كان الابعاد انتقائيا ، بضع عشرات من كل قرية · طردوا من معليا حوالي ثلاثين شخصا · بعضهم لاسباب معروفة واضحة · والبعض الآخر ، لم اجد تعليلا لابعاده · أما انا واخي ، وكذلك أمي ، فلاسباب تتعلق بنشاط والدي · وكان بالامكان تفسير الذرائع لابعاد بعض الآخرين · فمنهم من شارك في القتال ايام الحرب · ومنهم من ذهب ضحية فساد المخبرين · لقد كثروا بعد الاحتلال · ولكن كان معنا في المجموعة من لم نجد اي تفسير لابتلائه · وظل هؤلاء يندبون حظهم ويلومون انفسهم على ما صدر منهم من كلام مع ضابط التحقيق · لربما اخطأوا استعمال الكلمات امامه ، وهو اعجمي لم يفهم عليهم · ام ان الامر اختلط عليه ، فأخذهم بجريرة غيرهم · وعلى اي حال ، فقد ظلت المجموعة متماسكة تعمل كوحدة ، حتى وصلنا بيروت ، بعد اسبوعين · وهناك تفرقنا ، وذهب كل في طريقه ·

امام ضابط التحقيق

كان قصير القامة ، ينادونه « هاري » · يتكلم العربية بلكنة المانية · كتلة من اللؤم والحقد والعقد · هذا هو ضابط التحقيق ، وصاحب الحل والعقد · تكفي اشارة منه للطرد من البلد ، وايماءة منه للبقاء تحت الاحتلال · لقد اتخذ له مقرا في بيت على طرف الساحة · وتحت امرته بضع مساعدين · منهم من

ارتدى الملابس المدنية ، ومنهم من كان في بزة عسكرية · وتميز بينهم رجل فارع الطول ، احمر الشعر ازرق العينين · صقلبي تقاسيم الوجه وتقاطيع البدن · وعليه كسوة من القرو السميك ، وفي يده سوط من الجلد · كان يذرع الغرفة ذهابا وايابا ، وينظر الى الماثلين امام الضابط شزرا · وعلى الطاولة الواسعة ، الى جانب الضابط ، بضع افراد ، وبين أيديهم اوراق وملفات · والناس في العراء ، والبرد القارس ينهش اطرافهم حتى الجوانح · في العاشرة ، بدأوا ينظمون الناس في طوابير من اجل ادخالهم على الضابط · واحتار الناس في امرهم : ايتسابقون ، كالعادة ، الى اول الصف ، فيقضون امرا كان مكتوبا ، ويتقون شر البرد · ام يتحملون البرد ، دفعا لشر المواجهة وتأجيلا للقضاء المحتوم · ازفت الساعة · اصبحنا ، اخي وانا ، على مقربة من مدخل الغرفة · العيون شاخصة الى شباك مطل على ما يجري في الداخل · يمثل المرء امام الضابط ، يعطي اسمه ، فيقلب المساعدون اللوائح التي في ايديهم · فان عثروا على قيد له بدأ التحقيق · والا امره بالانصراف · فيخرج من الباب الخلفي ، ويهرول الى بيته · اما الذين ادرجت اسماؤهم في اللوائح ، فيطول التحقيق معهم· اسماؤهم وافعالهم ونشاطهم ··· الخ · وان بدا الشك في صدق كلامهم ، تولى امرهم صاحب السوط · ويعلو الصراخ والتوسل · والمخبر في ركن من الغرفة ،يؤدي المهمة عبر حاجبي عينيه · ويصدر الحكم ، والكلام في الاعجمي · فاما ان يدفع الواحد نحو الباب الخلفي برفسة شديدة ، واما ان يقاد من شعره الى غرفة مجاورة · لقد اتضح الامر · الناس فئتان : ناجية وهالكة · والناجون يطلق سراحهم · ويؤمرون بالعودة ، سريعا ، الى بيوتهم ، والتزامها دون تجول · والهالكون يحتجزون في الغرفة المجاورة ، ومصيرهم على كف عفريت · فكروا في السجن والاعتقال ، او بالتوقيف لمزيد من التحقيق ، وجلاء الامور · ولكن احدا لم يطرأ على باله ان المسألة تتعدى كل ذلك ، الى الطرد والابعاد · وخابت الامال· جاء دورنا · فدخل اخي اولا · ووقفت انا على الباب، ارقب عن قرب·فما ان ذكر اسمه ، حتى انهال عليه الصقلبي بسوطه · كان عنيدا جريئا · لم ينبس ببنت شفة · ورايته يكاد يختنق كيدا · والسوط يرتفع ويهوي على رأسه وبدنه ··لم يجروا معه تحقيقا · دفعوه الى غرفة المحتجزين دفعا · فارتطم انفه بالباب ، وسال دمه · عرفت ماذا ينتظرني ، ودخلت · الا انهم اكتفوا مني بالدفع الى داخل الغرفة · وقعت على وجهي بين الناس القاعدين على الارض ، امتثالا للاوامر · واغلقوا الباب علينا · وقعدنا ننتظر القادم الجديد الينا · صرنا حوالي العشرين · وعند الثانية بعد الظهر ، فرغت الساحة ، امرونا بالنهوض ، وخرجنا بانتظام ، بين صفين من الجنود الى الشاحنة · ولم اصدق ما رأته عيناي · كانت امي ، برفقتها جندي صهيوني ، تنتظر عند الشاحنة · وكان دمعها على عرض وجهها · صعدنا الى الشاحنة ، وتحركت بنا ·

لم يكن لاحد منا علم بوجهة رحلتنا · ولكن امي راحت تلوح بيدها · تودع القرية ، والشاحنة تسير · لقد عرفت اننا في طريقنا الى الغربة · اسر لها بذلك احد الجنود · مهاجر جديد من مصر · اوكلت اليه مهمة احضارها من البيت ، لتنضم الينا · وكانت الاوامر التي في يده ، ان يحضر جميع افراد العائلة · لكنه ، حسب رواية امي ، « ابن حلال » · لقد « رق قلبه » عندما رأي ابناءها الصغار · فاشفق عليهم · كان يعلم ماذا ينتظرنا من شقاء · فاخذها جانبا ، وسألها عما اذا كان لنا اقارب في البلد · نصحها بان تترك الابناء الثلاثة عند احدهم · ففعلت على مضض · ذكر لها اننا سيرمي بنا الى خارج الحدود · واعتقدت أن الحدود لبنانية ، فهي الاقرب · وعبر الحدود ، في رميش ، لنا اقارب يستضيفوننا ، ريثما نتدبر امرنا · ولكن الطريق الذي سلكناه كان في الاتجاه المعاكس · وخاب ظنها · وارتبكت في حكمها على ذلك الجندي · هل فعلا قدم لها نصيحة ، ام انه غشها · وبدا عليها الضياع · زوجها في لبنان وابنها الاكبر ، وهو العزيز عليها ، في طريقه الى حيث والده · وابنان آخران معها في شاحنة ، تسير الى عالم مجهول · وثلاثة اطفال في البلد ، برعاية والدتها العجوز · هذا نصيبها وقدرها ·

ورأينا موتنا باعيننا

سارت بنا الشاحنة غربا · عند مفرق الكابري ، توقعنا ان تنعطف بنا يمينا · فتوصلنا الى رأس الناقورة ، او الى مكان على الحدود اللبنانية · وتفرغ هناك حمولتها · لكنها جنحت يسارا · هذه الكويكات والشيخ داهود ، قرى عربية مقفرة · بيوتها كئيبة مهجورة · وهذه المكر وكفر ياسين · اهلها فيها ، ولكنها شاحبة حزينة · تطل عليها من عل ابو سنان · وبجوارها القرى الدرزية : جث وجولس ويركا · كلها ظلت عامرة بسكانها · وقطعنا الطريق المؤدي من عكا الى صفد ، مرورا بمجد الكروم ، دير الاسد ، البعنة ، ساجور ، الرامة · وكلها ظل اهلها فيها · اما فرادي ، السموع ، ميرون ، الصفصاف ، عين الزيتون ، فقد رحل اهلها عنها · واتجهنا جنوبا · هذه البروة ، وقد اخلاها اهلها وهذه طمرة وعبلين · وقد بقي اهلهما فيهما · وهناك في الافق شفا عمرو · بلدة كبيرة · بقربها وقعت معركة هوشة والكساير ، بقيادة شكيب وهاب · وقصته مع كتيبته معروفة · قلنا وجهتنا سجن الدامون · لكن الشاحنة انحرفت يمينا ، ودخلت طريق مرج بن عامر · على يميننا « مشمار هاعيمك » · وهناك قاتل فوزي القاوقجي اولى معاركه ، ودحر · وتستمر الشاحنة ، تنهب طريق المرج · الى مدخل وادي عارة ، على مقربة من مجدد ·

كانت الساعة حوالي الرابعة · وقد آذنت شمس النهار على الغروب · توقفت الشاحنة في حقل فسيح مفتوح · وقفز الجنود الذين رافقونا · اخذوا مواقع ،

في حلقة حولنا · ونزلنا الى الارض · امرونا برفع ايدينا فـــوق رؤوسنا · فامتثلنا · نظرنا ، فاذا بقايا هياكل عظمية متناثرة بالقرب منا · لقد وقعت هناك معركة بين الهاغناه والجيش العراقي · وايقنا للحظة بقرب النهاية · فتشونـــا وجردونا من كل ما نملك · اخذوا الحلى والنقود · وقالوا : امامكـم الحدود الاردنية ! تقدموا في خط مستقيم! اياكم والنظر الى الوراء او محاولة الهروب · ومن يفعل يمت ! وهدأ روعنا · فمشينا في الحقل المزروع بالتنباك الذي لم يقطفه اصحابه · تقدمنا حتى اشرفنا على الوادي · فجأة انهال علينا الرصاص · بدأ الجنود الاسرائيليون يطلقون النار فوق رؤوسنا · فاجابهم الحرس من الجانب الآخر · ووقعنا بين نارين اخذنا الارض · وزحف احدنا بضع عشرات مـــن الامتار · فهبط في منحدر الوادي · وامن الرصاص من خلفه · ثم انتصـــب وكوفيته في يده ، يلوح بها ويصيح : نحن عرب ، نحن عرب ! وتوقف الرصاص·

كنا اسعد حظا من مجموعة المبعدين التي سبقتنا الى المكان · وكانت قادمـة من شفا عمرو ، ومرت بتجربتنا كلها · وكونها الاولى من نوعها ، ذاق افرادها الامرين · لم يصدقوهم عند الحدود · واعتبروا ارسالهم خدعة اسرائيلية مـن اجل ارسال بعض الجواسيس · تحملوا الكثير فوق مصابهم · وعندما وصلنـا نحن ، اقتنع الحرس بان المسألة نهج اسرائيلي جديد · لـم يضايقونـــا ابدا · قادونا عبر الوادي ، بين حقول الالغام ، الى عارة · وصلناها بعد الظلام · اخذونا الى جامع القرية ، لنبيت ليلنا هناك · جمعوا لنا بعض الفرش ·واتونـا بما تيسر من طعام · وانتشر الخبر · فجاءنا رجل يستطلع الامر · كان هـــذا شرطيا سابقا خدم في قرى الشمال ايام الانتداب تعرف علينا ، واتضح انه كان يعرف والدي جيدا · حملنا معه الى بيته ، واوانا · وتداعى القوم ، فتوزعوا الباقي في بيوتهم · قضينا في عارة ليلتين · وفي صباح اليوم التالي ، وصلت الى القرية شاحنة ، تقل ضابطا عراقيا وسائقه · كان الضابط شابا وسيمـا ، صاحب نخوة · جمعنا في مقر قيادته ، وحملنا في شاحنته الى جنين · اخذنا الى احد المعسكرات هناك · واستصدر اذنا للشاحنة ، لتقلنا الى نابلس · وفي هذه الاثناء ، قدموا لنا بعض الطعام ، وزودونا كلا ببطانية · تلحفناها وصعدنا الى الشاحنة · وعند المساء وصلنا الى نابلس ·

نابلس ـ عمان ـ بيروت

لم يكن بينا من يعرف احدا في نابلس · فهي بعيدة عنا ، لا تربطنا بهـــا صلات · وفي طريقنا اليها من جنين ، تداولنا في مصيرنا ، استقر رأينا علـى ضرورة التكافل والتضامن حتى نصل الى بيروت · وهناك ، يتولى والـــدي امرنا · وكلنا اثنين منا ، يتوليان انجاز المهمة · لم يكن معنـــا قرش واحد · والمجموعة كبيرة ، تحتاج الى طعام ، وملابس ، وتكاليف سفر · لقد تركنـــا

بيوتنا كما نحن ، لم نحمل معنا شيئا · في جنين ، طرحت امكانية ارسالنا الى احد مخيمات اللاجئين ، فرفضنا · كنا نخشى ان دخلناها ، وتم تسجيلنا في احدها ، ان يطول بنا المقام فيها ، ان لم يكن ذلك نهاية مطافنا · عقدنا العزم على مقاومة كل عرض كهذا ، ايا كان مصدره · وعندما وصلنا الى نابلس ، اخذونا الى مبنى البلدية ، حيث دائرة اللاجئين · انتظرنا هناك ساعة ، او بعضها · اقنع مبعوثانا الموظف المسؤول باننا سنتابع سفرنا الى بيروت · فصرف لنا بعض التموين ، وتركنا وشأننا · كان همه ان ننصرف عنه ، ليستريح منا فلديه الكثير من امثالنا · تذكر احد المسنين بيننا ، ان في نابلس او ضواحيها ، راهبة من معليا ، تقيم في احد الاديرة هناك · سألنا عن دير الكاثوليك ، فدلونا عليه · ذهبنا جميعا اليه ، نحمل ما تجمع لدينا من طعام ومتاع · قرعنا باب الدير ، فاطل علينا من نافذة في الباب ، راهب في مقتبل العمر · وما ان رآنا حتى انقلب مزاجه · حاولنا اقناعه بادخالنا الى باحة الدير ، فأبى · سألناه عن الراهبة ، ابنة بلدنا، فافادنا انها غائبة عن المكان · طلبنا مواجهة رئيس الدير ، فاغلق النافذة في وجوهنا ، وانصرف · والدير محاط ، كالعادة ، بسور عال · صممنا على الدخول اليه ،والبقاء فيه ، ريثما تتيسر امورنا · قرعنا الجرس مرات عديدة ، حتى خرج رئيس الدير الينا · كان اسمه « ابونا فروجي » · مربوع القامة ، يميل الى البدانة تجاوز الخمسين من عمره · اراد اقناعنا بالانصراف لليلتنا هذه ، على ان نعود في الصباح ، فيقدم لنا ما في استطاعته من عون · قلنا ان حاجتنا الى ديره ، اكثر منها الى مساعدة · ودار بيننا حوار طويل عبر النافذة ، والباب موصد · وبينما نحن في اخذ ورد ، انضم الى الحوار رجل محترم ، يقيم مع عائلته في الدير · تبين لنا فيما بعد ، انه من وجهاء الطائفة الكاثوليكية في يافا · رحل عنها عندما احتلها اليهود · ولجأ الى نابلس ، فاقام مع عائلته في الدير · لقد خصصوا له جناحا في المبنى الكبير · تدخل الرجل لصالحنا ، والح على رئيس الدير بايوائنا · وما ان فتح خادم الدير الباب الكبير حتى اندفعنا كلنا الى الباحة · وبدا الارتياح على وجوه الجميع · لقد ضمنا مأوى ، نبيت فيه · اولانا الرجل الكريم عناية كبيرة · حصل لنا على بعض التموين والملابس · كما استأجر لنا شاحنة تقلنا الى عمان · وزودنا « ابونا فروجي » برسالة الى مطرانية عمان ، توصي باستقبالنا ، وتقديم العون لنا ·

في عمان ، كان المطران عساف هو راعي ابرشية الروم الكاثوليك · زاربلدنا، تعرفنا اليه عن قرب ، وكنا نجله · وعندما وصلنا الى المطرانية ، في ساعات بعد الظهر ، لم نجده هناك · كان في المبنى بعض العائلات المسيحية ، النازحة من حيفا ، التي سبق ان التقينا بها · ومنها من اعرفهم جيدا · فتحوا لنا باب الصالة ، في المبنى الجديد · واقمنا بها حتى غادرنا عمان الى بيروت ·

وعندما عاد المطران ، جلس الينا ساعات طوال يستمع الى قصتنا · كانت همومه كثيرة · فابناء طائفته النازحون يتوافدون عليه تباعا · وهو لا يتوانى عن خدمتهم · جند المطران كل العاملين عنده لخدمتنا ، وترتيب امر سفرنا ، في اسرع وقت ، الى بيروت ·

بقينا في عمان بضعة ايام · لم تكن لدينا بطاقات هوية ، ولا جوازات سفر· والعلاقات الدبلوماسية بين سوريا والاردن مقطوعة · وتوجب علينا ترتيب اوراق سفرنا عن طريق سفارة لبنان في عمان · لكن ذلك لا يجوز قبل الحصول على هوية اردنية · وكل ذلك يحتاج الى وقت · فاينما ذهبنا ، كنا نصطدم بعبارة تعالوا غدا · وعدنا في الغد ، وضاع وقتنا في التسكع بين اروقة المكاتب ، ننتظر من ينادي علينا لتسلم هذه الوثيقة او تلك · اخيرا تمت جميع المعاملات الرسمية · اعطونا تأشيرة مرور جماعية ـ ترانزيت · لا يجوز لنا ، بموجبها، التوقف في سوريا · وهكذا كان · واجتزنا سوريا ليلا الى بيروت ·

وبلغنا في عمان ان الجيش الاردني قد فتح باب التطوع للفلسطينيين · وانه يجند الشباب ، ممن انهوا دراستهم الثانوية · يدخلون مدرسة للضباط فيتخرجون بعد ستة اشهر · استهوتني الفكر · كنا نسمع عن الجيش الاردني وعن قدراته القتالية · لم يحصل ان عرفناه عن قرب · معلوماتنا عنه مصدرها الصحف والاذاعات · كذلك القصص التي تناقلها المتطوعون الفلسطينيون في قوات الحدود الاردنية ـ الزنار الاحمر · لقد انضم اليها بضع افراد من القرية· « ابو حنيك » كان اسطورة · تعامله مع القبائل ، بناء جيش البادية ، تنظيم الجيش الاردني ··· الخ · راودتني احلام كثيرة عن الجندية ، وقتال العدو الصهيوني · لقد طردونا من البلد ، ولم يبق امامنا الا القتال · لكنها احلام تحطمت على صخرة عناد امي · لقد اصرت هذه ان نرافقها الى بيروت ، حيث يحسم والدي الامر · تجولنا في شوارع عمان أياما · وذات يوم ، ونحن في السوق ، تعالى الضجيج · دراجات نارية ، وسيارات جيب ، تخترق الشارع المكتظ بالمارة · الجنود يدفعون الناس ويأمرونهم بالتزام الرصيف · ومر موكب « سيدنا » · كان الامير في سيارة مكشوفة ، والى جانبه غلوب باشا ، ابو حنيك · صفق المصطفون على جوانب الطريق ، ولوح الامير بيده · استرعى انتباهي ، عندما مر الموكب من امامي ، قصر قامة الرجلين · وتغيرت صورة ابو حنيك في وعيي· ومرت الايام · والتقيت ب « السير جون باغوث غلوب » في الولايات المتحدة ، عام ١٩٧٢ · كان في جولة في امريكا ، القى فيها محاضرات عن الشرق الاوسط · عرض لانجع الطرق من اجل الحفاظ على المصالح الامبريالية في المنطقة · وكنت استاذا لتاريخ الشرق الاوسط في جامعة ماريلاند · التقيته في جامعة جورجتاون · في واشنطن العاصمة · تجاذبنا اطراف الحديث · ذكرته

بايام عمان · لم يبد متحمسا للكلام في الموضوع · كان همه ان تقدم اليه دعوة لزيارة ماريلاند ، والقاء محاضرة هناك · وهي بأجر مقطوع · فاعتذرت · لقد اصبح صاحبنا مؤلفا كبيرا ، قلت في نفسي · كتب عدة مجلدات في التاريخ العربي · ركز فيها على الجانب العسكري · اما في محاضراته ، فقد دعا الى تقليص الدعم الاميركي لاسرائيل · وحث صانعي القرار الامريكي على اعتماد بعض النظم العربية حماة للمصالح الغربية في الشرق الاوسط · هكذا كان معظم المحسوبين علينا ، في انجلترا ، كما في امريكا ·

تعاقدنا مع سائق شاحنة طحين ، يعمل على خط بيروت ـ عمان · كنا في السوق عندما وصل · « مائة وعشرون ورقة ، لا تنقص فرنك » · وافقنا ، شرط ان يتم الدفع في بيروت · افهمنا السائق بصريح العبارة ، اننا لا نملك نقدا او عينا ، نسدد له حسابه · وشرحنا له ان والدي سيدفع له المبلغ في بيروت · قبل الرجل ، وكان سيعود بالشاحنة فارغة ، على اي حال · تحركنا عند الثانية بعد الظهر · احتطنا في عمان للطريق · الفصل شتاء ، وسنعبر جبال لبنان في الليل · والبرد شديد ، والشاحنة مفتوحة · عليها غطاء يستر ولا يقي · ومع ذلك ، كنا سعداء · لقد نجحنا · فها نحن في الطريق الى بيروت اخيرا · هناك ابي واخي الاكبر · ومن هناك سنتصل لمعرفة ماذا جرى للاخوة الثلاثة الصغار · وفي بيروت سيكون لنا بيت نأوي اليه · والاهم اننا نجونا من شبح مخيمات اللاجئين ، الذي ظل يرافقنا طوال رحلتنا · كانت محطتنا الاولى في درعا ، عند الحدود السورية · وصلناها بعد حلول الظلام · وترجل السائق حاملا بيده كل الاوراق الرسمية · غاب عنا ، وطال انتظارنا · ثم عاد برفقة شرطي من المخفر · وافضى هذا بان الضابط يريد استجلاء ملابسات قضيتنا · انتدبنا اثنين منا ، من ذوي الخبرة والحنكة ، اصطحباه لمواجهة الضابط · وتعاقب علينا افراد شرطة المخفر · هذا يعدنا ، وذاك يتحققمن هويتنا · اجروا تفتيشا دقيقا للشاحنة · لم يقتنعوا بأن ما لدينا من حطام الدنيا لا يستحق التفتيش · وانتهت الاجراءات القانونية · واصطحبنا شرطي الى الحدود اللبنانية · كانت مهمته ضمان عدم نزولنا في الاراضي السورية وعبرنا الشام ليلا ، الى المصنع ·

توقفنا طويلا في درعا · وفي ساحة المخفر تحلق بعض الناس حولنا ·سمعوا قصتنا ، ورثوا لحالنا · كان احدهم يصغي لكلامنا باهتمام بالغ · تبين لنا انه فلسطيني · عرفناه من لهجته ، وقدرنا انه من ابناء الجليل الاسفل · لقد لجأ هو الآخر الى درعا حديثا · كانت له صلات قربى ببعض اهلها · وافادنا انه يعرف بلدنا ، وانه نزلها مرارا · سألنا عن بعض اهلها ، فاجبناه · وانسل الرجل من بيننا ، دونما اعلان · استغربنا الامر منه · ثم عاد ومعه اهل بيته يحملون معهم ما تيسر من طعام وشراب · كان يود لو استطاع استضافتنا في

بيته · وغادرنا المكان ، بعد ان شكرناه كثيرا · ورفض التعريف بنفسه · تملص من الاجابة عن اي سؤال عنه ، او عن بلده ، « فلاحمن فلسطين » ، قالها ولم يزد · ومضى كل في طريقه ·

عبرنا المصنع ، عند الحدود اللبنانية ، دون مشكلات · وكانت محطتنا التالية في شتورا · وصلناها بعد منتصف الليل · كان سائقنا قد تعب · الظاهر انه اعتاد التوقف عند احد المقاهي ليستريح · نزلنا جميعا من الشاحنة ، بعد ان كاد دمنا يجمد في عروقنا من شدة البرد · اكتفى كل منا بكوب من الشاي الساخن · فالقروش القليلة التي كانت معنا ، بقيت من ميزانية صغيرة منحنا اياها مطران عمان · تابعنا سفرنا باتجاه بيروت · وعند ظهر البيدر ، اعترضتنا عاصفة ثلجية · وبدأت شاحنتنا تتأرجح · وعلمنا في الغد ان الطريق قطع لبضعة ايام · وعند الفجر ، اعلن سائقنا اننا وصلنا الى بيروت ، واننا في فرن الشباك · هناك كان بيته ، فدعانا اليه · كانت هذه دعوة تمويه · ولم يكن ليتركنا قبل ان نسدد الحساب · واستقل اخي الترام الى رأس بيروت ، حيث يقيم والدي ، عند ابنة عمي · وعادا والمبلغ المرقوم معهما · دفعناه وانصرفنا · في ذلك اليوم ، حصل والدي على مبلغ من المال ، من مطرانية الكاثوليك في بيروت ، وزعه على المجموعة · كان رأيه ان يعود الناس الى القرية · حث الشباب منا على محاولة الوصول الى الجنوب ، والتسلل عبر الحدود ، رجوعا الى البلد · وقد فعل البعض ذلك على الفور · وتفرقت المجموعة ·

خمسة اشهر في بيروت

في رأس بيروت ، كان والدي يقيم في منزل ابنة اخيه · لم تكن « الحمراء » بعد · بل بيوت متناثرة بين البساتين وكثبان الرمل الاحمر · وكانت هذه تحبه وتكرمه ، وتعتبره مثل والدها · لقد مات ابوها ، وهي طفلة · فتولى والدي شأنها · حملها معه الى السنغال في صباها · اما هو فقد هاجر الى افريقيا الغربية هربا من الخدمة العسكرية في الجيش التركي · استدعوه الى الجندية في اواخر الحرب العالمية الاولى ، فهرب · وهناك ، تزوجت ابنة اخيه من مغترب لبناني ، عاد معها بعد حين ، واستقر في بيروت · ونزلنا عندهم في البيت ، واقمنا في جناح منه ·

لدى وصولنا ، كان قد انقضى اسبوعان على ابعادنا · وفي هذه الاثناء ، كان اخي الاكبر قد وصل بيروت ، وابلغ والدي بأمر طردنا من البلد · وعاد هو لتوه الى رميش ، ومنها الى معليا ، متسللا عبر الحدود · علمنا انه دخلها قبل وصول مأموري الاحصاء · فدخل في عداد المواطنين ، وحصل على بطاقة هوية اسرائيلية رسمية · وكان سيل النازحين والداخلين، من البلد واليه ، لا ينقطع ·

فالحدود شبه مفتوحة ، والناس يغدون ويروحون · ونقل الينا بعضهم ان الاخوة الثلاثة الصغار بخير · وبلغنا ايضا ان بعض الذين ابعدوا معنا ، قد عـــاد واستقر في البلد · طاردتهم الشرطة فترة ، ثم سكتت عنهم بكفالة من مطـران الطائفـــة فـي حيفـــا · واخـــذت فكـــرة العـــودة تراودنـــي · فاتحت ابي في الامـــر ، قبـل انقضاء شهر علي في بيروت · لم يوافق · لـــم يكـن يريد ان يعيش كابوس التغريب والطرد ثانية · لقد قاسى كثيرا خلال اسبوعين طويلين ، لم يستطع ان يقف لنا فيهما على اثر · كان قانعا بانقسام العائلة الى نصفين ، ولم يرد ان تتفتت الى اثلاث وارباع · ومرت الايام تباعا ، واكلنـي الضجر · لم يكن لي ما اعمله في بيروت · جعلت انحر وقتي اجوب شـــوارع المدينة ، دونما هدف · وانتقلت العدوى الى امي · اما اخي الثاني ، فقد وجد له عملا عند قريب لنا · وكانت لهذا مصالح واسعة ، شركة مقـــاولات كبيرة · عرض علي الانضمام الى فرعها الجديد في الكويت · واستهوت الفكرة ابـي ، ظنا منه ان ذلك قد يثنيني عن عزمي العودة الى البلد · وجهد القريب فـــي اغرائي بالامر · ووقفت امي معي في رفض العرض ·

وذات يوم ، عاد والدي الى البيت ، وعلى وجهه ابتسامة عريضة · زف الي الخبر · قضى ساعات صباحه في مقر الهيئة العربية العليا · وكان يتردد على المكان ، يلتقي فيه باصدقاء قدامى ، يتحدثون في السياسة ، ويتداولون فـي امورهم · لقد رصدت الهيئة عددا من المنح الدراسية · وباستطاعتي ، ان شئت ان اتقدم بطلب الى الجامعة الاميركية · وتكاليف الدراسة على حساب الهيئة · وصدم الرجل عندما جاءه ردي ، سريعا وقاطعا : لن ابقى في بيروت ! وانتهى الامر عند ذلك الحد · واصبحت القضية مسألة ترتيبات تقنية ، تؤمن عودتي الى البلـد ·

بيروت ـ رميش ـ معليـا

خلال السنوات الاولى بعد الاحتلال ، راجت بين عرب الجليل مهنة التهريب · تشكلت شبكات واسعة لتهريب البضائع الاستهلاكية ، وغيرها ، الى اسرائيل · عاد الوضع على الحدود الى ما كان عليه ايام الحرب العالمية الثانية · وشارك في تلك العمليات عدد كبير من سكان قرى الشمال · دخلوا في شراكات مـــع يهود ، كانوا يسوقون البضاعة في المدن · ومنهم من كان ينقل بعض انواعها الى قطاع غزة ، فسيناء ، فمصر · واثناء اقامتي القصيرة في بيروت ، التقيت بعدد من هؤلاء · كنت اعرفهم سابقا في فلسطين · وفي ترددي الكثير على السوق، كنت اعثر عليهم يتبضعون · اتفقت مرارا مع جماعات منهم ، على ان انضـــم اليهم في طريق عودتهم · لم اكن اعرف الطريق · وخشيت الوقوع فريسة سهلة

في ايدي الدرك اللبناني ، او حرس الحدود الاسرائيلي · وفي كل مرة كـــان والدي يحبط خطتي ·

اخيرا وصل الى بيروت راعي ابرشية الروم الكاثوليك في حيفا ، المطـــران حكيم ، البطريرك الحالي (١٩٧٨) لتلك الطائفة في المشرق · التقى والدي ، سأله عن الاوضاع ، واستوضح امكان عودتي الى البلد · وعد المطران ببحث المسألة بعد رجوعه الى حيفا · انتظرت ، وطال انتظاري دون جدوى · فحزمت امري ،وقررت السفر ،على اي حال · انتهزت فرصة وجود عـم لي ، الحـــاج ظاهر ، ، مختار قرية رميش اللبنانية ، في بيروت · ورضي ابي على مضض ، ان ارافق العم الى بيته ، وان ابقى هناك حتى يؤمن ارسالي الى البلد · وبقيت عنده يومين ، خرجت بعدها مع جماعة من المهربين ، الى فلسطين ·

قضى صحبي النصف الاول من ليلهم يوضبون بضاعتهم · جعلوها في رزم يسهل حملها على الظهر · ولما انتهوا من عملهم هذا ، غفوا لساعة او اكثـــر قليلا · وعند الثانية بعد منتصف الليل ، تحركنا جميعا نحو الحدود · كـــان هؤلاء قد خبروا الطريق جيدا ، لكثرة ما مشوها ، ذهابا وايابا · وفي رحلاتـهم المتكررة ، رصدوا تحرك دوريات الحدود الاسرائيلية ، وعرفوا نهجها · كانوا يعرفون ان ساعات ما قبل الفجر ، هي الاكثر امنا لعبور الحدود · وفي اقل من ساعة كنا على تلة مشرفة ـ تلوع الراهب · كانت هذه تطل على الطريـــق الحدودي ، بين رأس الناقورة والنبي يوشع · عليها تسير الدوريات الاسرائيلية في سيارات مصفحة ، وعلى المسارب المؤدية اليها تنصب الكمائن · قعدنـا على شرف من الارض ، يطل على قطعة من الطريق طويلة · هناك مزقت هويتـــي الاردنية · لم اعد بحاجة اليها · ولم تكن لدي رغبة في الاحتفاظ بها · انتظرنا حتى مرت المصفحة ، وابتعدت عن طريقنا الى الشرق · هرولنا نزولا في المسرب الى الطريق ، قطعنا بسرعة ، واختفينا في الارض الوعرة ، تغطينا الاحـــراج الكثيفة · كانت هذه النقطة الاكثر خطورة · وجددنا في سيرنا نحو مرج عكبرة، الى الشمال الشرقي من فسوطة · لقد اصبحت داخل البلد ، عدت مرة اخرى الى فلسطين ، ولكن دونما بطاقة هوية ، او اي مستند رسمي يعرف بي ·

وافترقنا في مرج عكبرة · اخذ صحبي طريقهم باتجاه وادي القرن · هناك كانوا يخزنون بضائعهم المهربة ، ريثما يؤمنون تسويقها · وكان طبيعيا انيخفوا عني مخابئهم · دلوني على الطريق الى فسوطة ، وانصرفوا · ارتأيت التوجه الى فسوطة اولا ، تحاشيا لامكان ان ينكشف امر عودتي · لقد كثر المخبرون وتغلغلت المخابرات الاسرائيلية في القرى العربية بعد الاحتـــلال · وخفت ان قصدت بلدي ، معليا ، في وضح النهـــار ، ان يصدفني احـــد هؤلاء ، فيشي بي الى السلطة · اما في فسوطة ، فدائرة معارفي محدودة ، وامكان انكشاف

امري ضئيل · كانت الفكرة ان ابقى فيها يوما او يومين ، استطلع خلالهما الاوضاع ، واضع ، بالتشاور مع اقربائي هناك ، خطة لتحركي · طلبت من صحبي ، قبل افتراقنا ، نقل خبر عودتي الى اخي الاكبر ، الذي كان قد عاد الى القرية · وارتفعت الشمس، واطلت علي فسوطة فوق تلها · يممت وجهي شطرها، وسرت في الحقول المفتوحة صوبها · تحاشيت السير على الطريق الزراعي ، تحسبا للمفاجآت · لم يكن معي ما يثير الشبهة · فانا بمفردي ، وليس علي ما يسترعي الانتباه · وصلت الى بيت اقربائي ، وراح رب البيت يمطرني باسئلة عن والدي وامي وتفاصيل « تغريبتنا » · اما زوجته ، فقد بدا عليها الارتباك · كانت سلطات الاحتلال قد اصدرت قانونا يقضي بطرد من يؤوي نازحا من البلد، او على الاقل ، بدفع غرامة مالية كبيرة · واحتارت العائلة في امرها · هناك الشرف والكرامة واواصر القربى والصداقة الخ ، وهناك السلطة والاحتلال والقمع والبطش · وحسمت انا الامر · تناولت طعام الغداء معهم ، واستودعتهم منطلقا الى وادي القرن · والوادي فسيح ، وانا اعرف أرجاءه · لنا فيه ارض وبساتين وطواحين ، طلبت منهم ابلاغ اخي ان يلقاني في احدى الطواحين · وصلتها عند الغروب ، وبت ليلتي فيها ، مع عمالها ·

في الغد ، جاءني اخي · تداولنا في الامر · واستقر رأينا على ان ابقى انا في الطاحون · ويعود هو لمراجعة المطران · استنفرنا عمال الطاحون للحراسة رصدنا جميع الطرق المؤدية اليها · اتفقنا على كلمة سر · لكننا لم نضطر الى استعمالها · كانت اشارة لانذارنا بالخطر · تحسبنا ان تداهمنا الشرطة · في الليل ، لم تكن هناك مشكلة · الشرطة الاسرائيلية لا تدخل الوادي الموحش ليلا ومع ذلك ، واحتياطا ، اتخذت من مغارة مبيتا لي · اما في النهار ، فظلت المراقبة مستمرة ، من نقطة رصد مشرفة ، في السفح المقابل من الجبل · لقد جهد المطران لدى السلطات في استصدار اذن لي بالبقاء في البلد · ونجح اخيرا · فحمل الي اخي قصاصة ورق ، عليها بعض كلمات بالعبرية · لم افهم فحواها · ولكنني حملتها وذهبت ، متوجسا شرا ، الى مأمور التسجيل ·فاصدر لي هذا وثيقة اقامة مؤقتة · كانت بطاقة حمراء اللون ، ذاع صيتها ، وعرفت ب « الهوية الحمراء » · اما بطاقة الهوية العادية ، شهادة المواطنية الحقة ، فكانت زرقاء ، كلون « درع داوود » · وبدأت اقامتي المؤقتة في فلسطين المحتلة· وطالت اربع عشرة سنة · الى حين سفري لاستكمال تحصيلي الجامعي في الولايات المتحدة · وخلال اسابيع قليلة ، وصلت امي بالطريقة نفسها ، وكذلك اخي الثاني ، الذي لم يطق البقاء في بيروت · وحصل على « هوية حمراء » · واعتقد انهما لا يزالان الى اليوم (١٩٧٨) ، مقيمين مؤقتا ، في الارض المحتلة ·

مكرم يونس

المشروعات الاسرائيلية لتوطين اللاجئين (١٩٦٧-١٩٧٨)

منذ اغتصاب فلسطين ، والاعلان عن قيام « دولة اسرائيل » على ارضها ، ونشوء مشكلة اللاجئين الفلسطينيين ، بعد طردهم من وطنهم عنوة ، وبقوة السلاح ، كان الموقف الاسرائيلي من هذه المشكلة يرتكز على نقطتين :

الاولى ـ دعوى ان الذين نزحوا من « ارض ـ اسرائيل » انما نزحوا بطلب من الدول العربية ، دون ضغط من اسرائيل ، وهذا يستوجب عليهم ، باعتبارهم المسهمين في نشوء المشكلة ، ايجاد حل لها ٠

وقد عبر عن هذا الموقف موشي دايان قائلا : « بالنسبة لحل مشكلة لاجئي عام ١٩٤٨ ، الموجودين خارج حدود اسرائيل ، هذه المشكلة يجب ان تجد حلها في الدول العربية التي انتهى اليها اللاجئون ، ذلك ان اسرائيل استوعبت في الوقت نفسه عددا مماثلا من المهاجرين اليهود ، الذين اضطروا للهرب من البلاد العربية ، ونحن نرى في هذا عملية تبادل للسكان ٠ واعتقد ان العرب سيضطرون ، عاجلا ام اجلا ، الى التسليم بهذا التبادل السكاني ، واستيعاب لاجئي ١٩٤٨ في بلادهم ، لان اسرائيل لن تستقبلهم ، لا طوعا ولا قسرا » (١) ٠

الثانية ـ وهي ان اسرائيل ، من « منطلق انساني » فقط ، مستعدة للاسهام في حل هذه المشكلة ، بدفع تعويضات للاجئين ، كي يتمكنوا من تسوية اوضاعهم حيث يريدون في الدول العربية ٠

لم تأت هاتان النقطتان من الفراغ ، فاسرائيل تنظر الى هذه المشكلة ، من منظور الحركة الصهيونية ، التي تنفي ان هناك شعبا فلسطينيا ، وبالتالي فان شعبا غير موجود لا يمكنه ان يخلق مشكلة ٠

من هذا المنطلق ، تزعم اسرائيل ، والحركة الصهيونية ، أن هذه مشكلة عربية ، نجمت في الاساس عن سياسات خاطئة انتهجتها الانظمة العربية ، وتبعا لذلك ، فهي المسؤولة

عنها ، وحلها يكون باستيعاب اللاجئين في مجتمعاتها ، مع منحهم كامل الحقوق التي يتمتع بها اي مواطن عربي ، في اية دولة عربية ٠

حول هذا الموضوع ، وتجسيدا للسياسة الاسرائيلية ـ الصهيونية ، قال عضو الكنيست شلومو روزن ـ من « مابام » ، حزب العمال الموحد ، المتزعم للطروحات الاشتراكية ، والرافع شعار اخوة الشعبين العربي واليهودي ، والمساواة بينهما في برامجه الانتخابية ـ : « نحن لم نخلق مشكلة اللاجئين ، لقد خلقت هذه المشكلة نتيجة هجوم الدول العربية على اسرائيل ، بهدف احباط قرارات الامم المتحدة ، الخاصة باقامة دولة اسرائيل ، وقد ظهرت هذه المشكلة الى حيز الوجود وفقا لنصائح الزعماء العرب ، وعلى مسؤوليتهم » (٢) ٠

اذن ، الموقف الاسرائيلي ، في هذا الشأن ، يتلخص بالتالي : عدم وجود لاجئين فلسطينيين داخل الارض المحتلة من فلسطين عام ١٩٤٨ ، وعليه ، فليست هناك مشكلة تتطلب حلا من اسرائيل ، او تضغط عليها ٠

وقد بقي هذا الموقف الاسرائيلي على حاله من الرفض لحل المشكلة ، ولقرارات الامم المتحدة في هذا الشأن ، داعيا الى توطين اللاجئين الفلسطينيين ، في لبنان ، سوريا ، الاردن ، مصر ودول الخليج ، حتى العام ١٩٦٧ ، اي عام عدوان الخامس من حزيران ، وسقوط الضفة الغربية ، وقطاع غزة ، في يد الجيش الاسرائيلي ٠

بعد هذا العدوان وجدت اسرائيل نفسها مسيطرة على مئات الالاف من اللاجئين ، ومن هنا كان لزاما عليها ، بحكم الوضع الجديد ، التعاطي مع هذه المشكلة ٠ بعد هذا العدوان، اصبحت مشكلة اللاجئين الفلسطينيين ذات شقين ، بعد ان كانت اسرائيل تحصرها في قالب واحد ، وترى ان حلها كامن في موافقة الدول العربية على توطينهم في اراضيها ، وتسلم التعويضات الاسرائيلية ـ الامريكية ـ الالمانية ، لتوزيعها عليهم ٠

الشق الاول من المشكلة متعلق بالدول العربية ، وقد اعفت نفسها اسرائيل من مشقة البحث عن حل لهذا الشق ٠

اما الشق الثاني ، والخاص بلاجئي المناطق المحتلة بعد عدوان الخامس من حزيران ١٩٦٧ ، فقد طرح نفسه ، وبقوة ، على اسرائيل ٠

اثارة المشكلة لاول مرة :

على هذا الاساس ، كان لا بد لاسرائيل ، مضطرة ، وبحكم الوضع المستجد ، ان تسعى الى بحث الشق الثاني من المشكلة ، اي مسالة اللاجئين في الضفة الغربية وقطاع غزة ٠ وكان اول من بادر الى التحدث فيها ، واثارتها ، على الصعيد الرسمي ، نائب رئيس الوزراء ووزير الهجرة والاستيعاب ، في حكومة التكتل الوطني ، يغئال الون ٠ ففي اليوم الاول من انتهاء الحرب ، « توجه الون الى رئيس الحكومة ليفي اشكول ، مطالبا اياه ، بان يشرع فورا في درس وسائل حل وتصفية قضية اللاجئين ، في الضفة الغربية ، وقطاع غزة » (٣) ٠

وقد جاء رد اشكول معبرا تماما ، ومنسجما مع موقف الحكومة منها ، هذا الموقف الذي استمر منذ قيام الدولة ، فقد قال : « ان اسرائيل لا تستطيع وحدها تحمل العبء ، وانها ليست مشكلتنا على وجه التحديد ، انما ليست ، على اي حال ، مشكلة ذات طابع استثنائي » (٤) ٠

ثم كلف الدكتور رعنان فايتس ، رئيس قسم الاستيطان في الوكالة اليهودية ، باعداد مشروع للحل ، الا ان الون ، كان اول من قدم تصورا كاملا للتسوية مع الاردن ، يتضمن ما يرتايه لحل قضية اللاجئين ، هذا اذا لم تكن القضية هي المحور الرئيسي في تصور الون ٠

ففي تموز ١٩٦٧ ، اي بعد شهر تقريبا من الحرب ، طرح الون في كتابه « مشروع الون » افكارا لحل القضية ، كمدخل للتسوية السلمية مع الدول العربية ، ومع الاردن تحديدا ، وكاتجاه لتصفية قضية اللاجئين الفلسطينيين ، على الصعيدين العربي والدولي ٠

النقاشات النظرية ، والمواقف الرسمية والحزبية

قليلون هم اعضاء الحكومة ، واعضاء الكنيست ، الذين لم يشتركوا في مناقشة مشكلة اللاجئين ، سواء كان ذلك في نقاشات جلسات الكنيست ، او على صفحات الصحف ٠ ولا غرابة ، فقد عكست اراؤهم ومواقفهم من هذه المشكلة ، اراء ومواقف احزابهم وكتلهم في الكنيست ، وبالتالي عكست السياسة الاسرائيلية تجاه المشكلة ، والمصلحة الاسرائيلية الكامنة خلف انهائها ، ووأدها كليا ٠

ففي المناقشات الاولى في الكنيست عام ١٩٦٨ ، كان المتناقشون ينطلقون من موقف اسرائيل السابق ـ لا حل لمشكلة اللاجئين كليا الا في الدول العربية ـ اي ، من المقولة الشهيرة لدافيد بن ـ غوريون ، عام ١٩٥٦ ، اي بعد احتلال قطاع غزة خلال العدوان الثلاثي على مصر ، حين قال : « ثمة لاجئون كثيرون ، ربما سيسعى معظمهم للهرب الى الدول العربية ، اذا ما وضعت سفن جاهزة للابحار من ساحل غزة » (٥) ٠

هناك ضرورة هامة جدا للاطلاع على المناقشات بين اعضاء الكنيست ، حول مشكلة اللاجئين ، ليس لكون هذه المناقشات تعكس السياسة الاسرائيلية تجاه المشكلة فحسب ، بل لانها تعكس النوايا الصهيونية لضم أراضي الضفة والقطاع ، وتعكس ايضا منهجية التفكير الصهيوني ٠ وهذه نماذج مما قدمه بعض المسؤولين الاسرائيليين في هذا الصدد ، والتي طرحت اثناء مناقشات مشكلات توطين اللاجئين في الكنيست ٠

رئيس الحكومة ليفي اشكول : تحدث رئيس الحكومة مطولا امام الكنيست في ١٩٦٨/٨/٧ عن المشكلة ، الا انه نفى تماما بأن اسرائيل قادرة على حلها من الناحية العملية ٠

وقال اشكول : « انا لا اعرف ما اذا كانت كل الجماهير الاسرائيلية تعتقد ان بالامكان حل المشكلة ٠٠٠ لكن اعطوني الارض والاموال والمياه ٠٠٠ انني لا اعترف بحل المشكلة ، هنا ، في اسرائيل ، وان عدد اللاجئين في الضفة لا يؤثر على البناء الديمغرافي في الدولة ٠٠٠ وانا ساكون راضيا ، اذا قبلت الدول العربية مشورتنا ومساعداتنا التقنية ، وهذا كل ما نستطيع تقديمه من اجل حل هذه المشكلة » (٦) ٠

لقد عبر رئيس الحكومة ليفي اشكول عن وجهة النظر الرسمية للحكومة ، ازاء مشكلة اللاجئين ، ونصب نفسه في طليعة المعارضين ، داخل الحكومة والكنيست ، لمشاريع توطين وتأهيل اللاجئين ، داخل الحدود الطبيعية لفلسطين ٠

وزير الخارجية ابا ايبن : اما ابا ايبن ، فقد تحدث في شكل ضبابي وغامض ، وطرح حلولا للقضية ، وهو يعلم سلفا ،ان الدول العربية لن تقبل بها ، ولن تأخذها على محمل الجد ، حيث قال : « لقد كان لدى الحكومة الاسرائيلية نية لاثارة مشكلة اللاجئين ، امام

الجمعية العامة للامم المتحدة ، لكن ، وفي ١٩٦٧/١١/٢٢ ، اتخذ مجلس الامن قراره الشهير ٢٤٢ ، الذي يقضي بأن تبحث هذه المشكلة في اطار المفاوضات لاحلال السلام ، ومن ضمن باقي الموضوعات التي يعالجها الدكتور يارنغ ، مبعوث الامم المتحدة الى الشرق الاوسط · لقد ارتأت اسرائيل عدم تقديم اقتراحات مفصلة لحل المشكلة · وبالمقابل اوعزنا الى مندوبنا في الامم المتحدة ميخائيل كومي ، ليعلن عن استعداد اسرائيل اجراء مشاورات ومفاوضات حول هذا الموضوع مع الحكومات العربية ، وحكومات اخرى ، بهدف صياغة مشروع لحل مشكلة اللاجئين ، بالتعاون مع دول المنطقة ودول اخرى ، خلال مدة خمس سنوات ··· علاوة على هذا ، فان توقيت الجمعية العامة ، غير ملائم لبحث المشكلة وتقديم مشروع مفصل من جانب اسرائيل · لقد جاء موقفنا في الامم المتحدة مطابقا لقرارات الحكومة بهذا الشأن » (٧) ·

النائب شلومو روزن (مبام) : استعرض روزن المشكلة منذ نشوئها ، وألقى المسؤولية في خلقها على الدول العربية ، وطالب بتوطين وتأهيل اللاجئين داخل المناطق المحتلة التي تسيطر عليها اسرائيل ، بما في ذلك سيناء ، قائلا : « لقد احدثت حرب الايام الستة تغييرات جوهرية · ففي المناطق التي استولى عليها الجيش الاسرائيلي قرابة مليون عربي ، منهم حوالى ٣٢٠ ـ ٣٤٠ الف لاجيء ، بهذا تكون قد توفرت لدينا الان ، فرصة غير عادية ، لتحريك وزحزحة المشكلة من نقطة الجمود ، كي نثبت للعالم بأن مشكلة اللاجئين يمكن حلها ··· لقد مضت سنة كاملة دون عمل شيء ، فهل تنوي الحكومة تخليد هذه المشكلة والاستمرار في تجاهلها الى الابد ؟ · وهنا اقترح اقامة بعض القرى والمباني السكنية ، على سبيل التجربة ، واتباع سياسة اقتصادية واجتماعية لزيادة الانتاج ورفع المستوى المعيشي ، وهذه خطوات تؤدي بالنهاية الى تأهيل اللاجئين ، بواسطة تشغيلهم في الزراعة والصناعة والخدمات ، وبالتالي دمج اللاجئين في الحياة العامة · هناك البعض ممن يوصون بسياسة اقتصادية معينة ، تؤدي في النهاية الى تشجيع هجرة اللاجئين الى البلاد العربية ، بالنسبة لهؤلاء ، لا اعتقد ان بمقدورنا فعل هذا » (٨) ·

النائب جدعون هاوزنر (الاحرار المستقلون) : طرح هاوزنر خلال النقاش في الكنيست، نقطتين ، الاولى ، تشير الى التريث في وضع اية مشاريع ، او اتخاذ قرارات ، الى ان تتضح صورة الموقف بالنسبة لمصير سكان المناطق المحتلة · والثانية ، هي ان الحكومة كفت عن التفكير في هذا الموضوع ، هادفة الحفاظ على الوضع الراهن للمشكلة ، اي ثمة اعتراف بوجود المشكلة ، وامتناع عن تقديم حلول لها · وقد اقترح بعد ذلك :

« أ ـ اقامة احياء انتاجية بالقرب من المدن في الضفة الغربية ، وتفريغ مخيمات اللاجئين ·

ب ـ اقامة مستوطنات وقرى زراعية في سيناء ، وتوفير المياه عن طريق مشروعات تحلية ماء البحر ·

ج ـ تطوير مشروع للاعداد المهني للاجئين ، بمساعدة المهنيين المحليين المدربين ، اضافة الى مهنيين مدربين من جانبنا · لكن ، ربما كان هناك مجال للانتظار والتريث ، قبل طرح هذا الموضوع ، وذلك للتأكد من الذين يرغبون في البقاء تحت سيطرة اسرائيل من اللاجئين » (٩) ·

النائب موشي اوتا (المفدال) : القى اوتا بالمسؤولية واللائمة على الدول العربية ، لانها لم تقم بأي عمل نشط وفعال في هذا الاتجاه · وكرر ، بعد ذلك ، المقولات الداعية الى المقارنة بين هجرة اليهود من البلاد العربية ، وهجرة العرب من فلسطين ، داعيا الى توطين

هؤلاء قياسا الى توطين اولئك · مضيفا: «لذلك، فنحن مطالبون بتوطين اللاجئين، على ان يتم ذلك في القرى والمدن في المناطق العربية ، وليس في اماكن زراعية ، لان قسما كبيرا منهم لن يكون مرشحا للعمل في الزراعة ، كما يجب ان يكون واضحا ان عملية كهذه لا يجب الا ان تتم في المناطق العربية الموجودة حاليا ، ولا يبدو توطين اللاجئين في اوساط المستوطنين اليهود عملية معقولة ، واي مشروع ، يخرج عن هذا الاطار سوف نقاومه » (١٠) ·

النائب شموئيل تمير (المركز الحر) : بارك شموئيل تمير اجراءات الحكم العسكري في المناطق المحتلة ، بعد عام ١٩٦٧ ، والتي تمثلت في عمليات الطرد وهدم البيوت ، وعدم السماح للعرب الذين غادروا الارض المحتلة اثناء الحرب بالعودة ، لكنه اعتبر هذا عملا غير كامل ، وقال : « ان مبادرة اسرائيلية لحل مشكلة اللاجئين العرب الموجودين في المناطق الواقعة تحت السيادة الاسرائيلية ، سواء عن طريق دفع تعويضات سخية ، لمن يختار بارادته مغادرة البلاد ، او عن طريق تأهيل من يختار البقاء · ان مبادرة كهذه ، الى جانب مبادرة موازية لها ، وعاجلة جدا ، للاستيطان اليهودي الشامل في المناطق المحتلة ، من شأنها ان تفرض السيادة الاسرائيلية كاملة على هذه المناطق » (١١) ·

النائب موشي ارام (حزب العمل) : ارام كالاخرين ، اعفى اسرائيل من مسؤولية خلق هذه المشكلة ، وقال : « والان ، وبعد حرب الايام الستة ، بقيت مشكلة اللاجئين قائمة ، تواجه وتتحدى شكل وصورة اسرائيل · وان كل مبلغ يستثمر في مشروع تأهيل وتوطين اللاجئين ، وفي اقامة مشاريع تنمية في المناطق [المحتلة] ، سيكون له مردود مضاعف ، من الناحية الامنية » · واضاف : « اذا ما تقدمنا باندفاع وحماسة نحو عملية التنفيذ ، فلن نكون في حاجة الى خبرات في حل مشكلات الاستيعاب والتوطين ، بل نحن في حاجة الى زخم ومبادرة نابعة منا ومن مصلحتنا · ولا اشك في ان الاستمرار في هذا المشروع سوف يجر قوى كبيرة وكثيرة ، وامكانيات دولية كبيرة للاسهام في حل المشكلة » (١٢) ·

النائب اوري افنيري (كتلة هاعولام هازيه) : اما اوري افنيري ، فقد رأى ان هذه مشكلة ملحة ، وجدية · واعتبر ان مشكلة اللاجئين ، هي المفتاح لمشكلة «ارض ـ اسرائيل»، وبالتالي فانها هي المفتاح لمشكلة السلام في المنطقة كلها : « ان حلا حقيقيا لمشكلة اللاجئين، يكون ممكنا فقط اذا جاء وفقا لرغبة ورأي الشعبين ، الشعب الاسرائيلي ، والشعب الفلسطيني ، من خلال جهود مشتركة · هذه الجهود يجب ان تكون جزءا من اتفاق شامل بين الشعبين، اتفاق ينهي حالة الحرب في البلاد ، عن طريق وضع ميثاق بين الدولتين . دولة اسرائيل ، وبين الجمهورية الفلسطينية التي ستقام · والا فان اسرائيل تهدف الى ضم المناطق ، وطرد سكانها ، وفرض سيطرتها على المناطق التي يسكنها مليون عربي ، الى جانب الحفاظ على طابع اسرائيل كدولة يهودية · هذه المشكلة ، التي يقوم عدد من النواب، من ذوي اصحاب نوايا ضم المناطق ، بتشويشها بصورة بلهاء » (١٣) ·

النائب توفيق طوبي (راكاح) : حمل توفيق طوبي بشدة على الحكومة وسياستها تجاه مشكلة اللاجئين ، مشيرا الى لاجدوى هذه الاقتراحات : « كان بودي فهم المشاعر الانسانية لاصحاب الاقتراحات من النواب · لكن ، عندما لا يستند هؤلاء في اقتراحاتهم الى اساس الاعتراف بالحقوق الاساسية والمشروعة للاجئين ـ حقهم في حرية الاختيار بين الحصول على تعويضات او العودة والسكن في وطنهم ـ فانهم يحصلون على اجوبة ساخرة وملتوية ، على غرار اجابة رئيس الحكومة · ان رد الحكومة على هذه الاقتراحات ، مبني في الاساس على سياسة عدم احترام حقوق اللاجئين ، بل تجاهل هذه الحقوق وانكارها · ففي اعقاب حرب الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ اقتلع حوالي نصف مليون لاجيء للمرة

الثانية ، معظمهم من لاجئي عام ٤٨ـ١٩٤٩ ، وهم الان يعيشون في ظروف لاانسانية » (١٤)·
واستطرد طوبي قائلا ان هناك موقفا اخر يجسد تنكر الحكومة الاسرائيلية لهذه المشكلة ، وهو « انه من مجموع ١٧٧ الف لاجيء ، من لاجئي حرب الخامس من حزيران ، الذين قدموا طلبات وفقا لقرار الجمعية العامة للامم المتحدة ، من اجل العودة الى منازلهم التي كانوا يسكنونها قبل الحرب ، سمحت اسرائيل لاربعة عشر الفا فقط بالعودة من هذا العدد · وان الطريقة التي ما زالت تدغدغ احاسيس سلطات الاحتلال هي الاستمرار في اتباع سياسة قمعية تجاه سكان المناطق المحتلة في الضفة الغربية وقطاع غزة ، بهدف زيادة هجرة السكان العرب من البلاد ، وبالفعل ، اضطر حوالى ٢٢ الفا من السكان العرب ، الى ترك وطنهم خلال الشهور الخمسة الاولى من عام ١٩٦٨ نتيجة لهذه السياسة ، والطريقة الوحيدة لحل هذه المشكلة هي الاعتراف بالحقوق الاساسية والمشروعة للاجئين » (١٥) ·

انتهاء مرحلة وبداية اخرى

لقد تميزت المناقشات والاراء ، منذ ان اثيرت المشكلة لاول مرة في الكنيست في اب ١٩٦٨ بعدم الجدية ، ولم تكن تهدف الا لتحقيق استعراض اعلامي امام الرأي العام العالمي · وكان من ابرز رموز هذه المرحلة ليفي اشكول ، الذي عارض تقديم اية حلول لهذه المشكلة ، واجاب بصورة سافرة وملتوية كي يتمكن من فرض سياسة شديدة في الضفة وقطاع غزة · ففي عهده تقرر ادخال وحدات من حرس الحدود ، ووحدات من سلاح المظلات للعمل في الضفة والقطاع ، وزيادة موجات القمع في معالجة المشكلات الامر الذي كان يجعل اشكول ودايان يعتقدان ، بأن هذه السياسة سوف تؤدي ، الى هجرة عشرات الالاف من اللاجئين الى الخارج ·

اما المرحلة الثانية ، فقد بدأت حوالى عام من المرحلة الاولى ، حيث عاد وزير الخارجية ابا ايبن ليتحدث امام الكنيست عن هذه المشكلة باللهجة والطريقة نفسها ·

وزير الخارجية ابا ايبن : « ان موقف اسرائيل لم يتغير بالنسبة للمشكلة ، وقد عرضته بالتفصيل امام الجمعية العامة للامم المتحدة في ١٩٦٨/١٠/٨ ، وان اقتراحي امام الجمعية العامة لا يزال قائما ، وهو عقد مؤتمر عالمي قبل احلال السلام ، تشترك فيه حكومات دول المنطقة ، والدول التي تسهم في تمويل وكالة غوث اللاجئين ، من اجل وضع خطة خمسية لحل المشكلة · اما في مفاوضات السلام مع الدول العربية ، فاننا على استعداد لاجراء بحث اساسي وشامل حول مشكلة اللاجئين ، والتعويضات ، والتطوير ، والتأهيل ، وكل الامور الاخرى · اضافة الى هذا ، فان الولايات المتحدة تؤمن وتؤيد وجهة نظرنا التي تتلخص في عدم امكانية حل مشكلة اللاجئين ، الا في اطار سلام شامل في الشرق الاوسط » (١٦)··

شمعون بيريس ، وزير بلا وزارة : قال بيريس ، الوزير المسؤول عن مشكلة اللاجئين : « ان حل مشكلة اللاجئين ، يجب ان يتم ضمن تسوية اقليمية شاملة ، كجزء من اتفاق سلام ، هذا هو الموقف المعلن والمعروف لحكومتي · واقترح هنا عدة نقاط :

١ ـ بلورة مشروع عام وشامل ، والاعلان عنه ، ليس كحل جزئي ، لانه قد يجد معارضة من جانب الدول العربية واللاجئين انفسهم ·

ب ـ ان اللاجئين انفسهم تعودوا طريقة الحياة الحالية في المخيمات ، البنية الاجتماعية، والزعامة التقليدية التي تقودهم ، وعلى وجبات الطعام التي تصرف لهم من وكالة الغوث · ومن المشكوك فيه امكانية نقلهم من حياتهم هذه الى حياة اخرى ، والى مكان اخر ·

ج ـ ان حلا سياسيا ، اجتماعيا ، واقتصاديا ، يتطلب ظروفا وامكانيات ، خلال فترة قصيرة ، وبالتأكيد فالحل لا يكمن في يد دولة كاسرائيل ، واقعة في حالة حصار وحالة حرب » (١٧) ٠

بعد تلك المرحلة ، عاد النائب جدعون هاوزنر ليتحدث عن تقصير اسرائيل في حل المشكلة ، قائلا : رغم كل المشاريع التي طرحت ، فلم ينفذ اي مشروع باستثناء بعض البنود الملائمة للسياسة الحالية للحكومة « من واجبنا ان نطلع اللاجئين على الحقيقة ، بأن لا يجب عليهم الاستمرار في حياة الانتظار الوهمية للعودة الى ديارهم التي هجروها ، بل علينا ان نفتح امامهم كوة امل ، وان نقدم لهم تسوية دائمة ، ونضع نهاية لعملية تنمية مشاعر الكراهية والانتقام ٠٠٠ واقول انهم لا يريدون الهجرة ، وهم مصممون على البقاء في المخيمات ، واشارة القلاقل لنا ، والان امامنا طريق واحد ، هو القيام بأي عمل بناء شجاع ، كي نبدأ في حل المشكلة » (١٨) ٠

النائب رؤوفين ارزي (مبام) : تحدث ارزي عن مشكلة اللاجئين ، وقال ان كل المشاريع ستبقى كلاما لا معنى له ، اذا لم نبدأ التطبيق ٠ « هناك واقع جديد ، جاء في اعقاب حرب عام ١٩٦٧ ، وهذا الواقع يخص ٣٥٠ الف لاجيء في الضفة وقطاع غزة وان عملا مستقلا من جانب اسرائيل ، وبمساعدة من عناصر خارجية ، الى حد معين ، من شأنه ان يثبت بأن اسرائيل ترغب في تحريك المشكلة كلها من حالة الجمود ٠ ان المشكلة العاجلة والملحة هي تصفية مخيمات اللاجئين ، ونقلهم الى مساكن في المدن والقرى ، بالقرب من مراكز الصناعة واماكن العمل ٠ [وعلى الرغم من] ان تخفيف الكثافة في هذه المخيمات ، عمل انساني وامني ، الا انه سيحول المشكلة تدريجيا الى مشكلة يتعلق حلها بعملية التطور الاقتصادي ، ومجال التشغيل » (١٩) ٠

النائب مئير يعري (مبام) : قدم يعري سكرتير عام حزب مبام سابقا ، برنامجا للسلام في المنطقة ٠ ومن خلال هذا المشروع تحدث عن مشكلة اللاجئين ، وعن كيفية حلها ٠ « على الحكومة الاسرائيلية السعي لحل مشكلة اللاجئين الموجودين تحت سيطرة اسرائيل ، بواسطة برنامج جريء للانتاج ، في مجالات الصناعة والزراعة ، والابقاء على مخيمات اللاجئين وتطويرها تبقى مساكن طبيعية ودائمة لهم » (٢٠) ٠

وزير الهجرة والاستيعاب يغئال الون : تحدث الون ، عن ان اسرائيل لا تستطيع ، وانها ليست مضطرة ، الى حل مشكلة اللاجئين العرب ، وحدها ٠ « ان احد الخيارات ، هو ان نعمل ضمن نطاقنا قدر الامكان ، وبالتعاون مع اللاجئين انفسهم ، وبمساعدة دولية ، من اجل بداية الحل في الضفة الغربية وقطاع غزة ٠ كما اننا لا نرى الحل بالتوطين الزراعي للاجئين ، لان اللاجئين في غالبيتهم ليسوا مزارعين ، والزراعة الحديثة تتطلب مكننة لا عملا ٠٠٠ يجب ان يكون الحل مبنيا على اساس اقامة صناعة تتطلب الكثير من الايدي العاملة ، وجزءا صغيرا في الزراعة ، كما يجب توطين اللاجئين الذين يتم اخلاء مخيماتهم منهم ، في قرى نموذجية ، وليس القصد بناء مدن جديدة لهم ، وانما استيعابهم في المجتمع العربي العادي ، وان مدينة العريش ، يمكنها ، لدى تخطيطها ، على المدى البعيد ، استيعاب جزء كبير من اللاجئين ٠ ويستطيع الكثيرون الاستيطان في قطاع غزة نفسه، خارج المخيمات ٠ وان الاخلاء الجزئي للمخيمات ـ رغم انه يتم في الغالب لاسباب امنية ـ بداية مشجعة ، وفرصة مناسبة لتنفيذ بداية الحل » (٢١) ٠

النائب اميل حبيبي (راكاح) : ركز اميل حبيبي في كلمته امام الكنيست على النوايا الكامنة وراء مشاريع توطين اللاجئين ، فقال : « لقد قرأنا في الصحف عن عدة مشاريع ،

منها مشروع المعراخ ، لنقل اللاجئين من قطاع غزة الى منطقة الضفة الغربية ، وهـذا المشروع كما نشر ، [يهدف الى] تنظيف قطاع غزة من معظم سكانه العرب ، لتسهيل عملية ضمه لاسرائيل ، وايجاد يد عاملة رخيصة ، واسكان مهاجرين يهود بدلا منهم في هذه المناطق المحتلة · ان كل من يهتم حقيقة بحل مشكلة اللاجئين ، عليه ان يبدأ فورا في اعادة لاجئي حرب ١٩٦٧ · وعلى اعضاء الكنيست المهتمين بالامر مطالبة الحكومة بالسماح بعودة ٢٢ الف لاجيء طردوا من ثلاث قرى في منطقة اللطرون ، وهي عمواس ، يالو ، وبيت نوبا · لقد دمرت هذه القرى تماما ، وطرد سكانها بعد حرب ١٩٦٧ ، دون ان يكون هناك اي سبب عسكري لذلك ، وان معظم سكان هذه القرى الان لاجئون داخل المناطق الواقعة تحت سيطرة الجيش الاسرائيلي ، وليس هناك ما يمنع الحكومة من اعادتهم » (٢٢) ·

المشاريع

في اعقاب حرب حزيران عام ١٩٦٧ ، قدمت مشاريع عديدة لتوطين ونقل اللاجئين وتصفية مخيماتهم · فمن هذه المشاريع ، ما اتخذ طابع الشروع الخاص بالمشكلة ، ومنها ما اتخذ طابع الاجراءات التي تهدف الى خلق وضع مستقر اولا ، يفي من ثم بغرض تصفية القضية الفلسطينية ، بعد تصفية مشكلة اللاجئين ·

الا ان هذه المشاريع ، كافة ، لم تخرج الى حيز التنفيذ ، الا في بعض اجزائها على شكل اجراءات نفذتها سلطات الحكم العسكري · وتجدر الاشارة الى ان بعض هذه المشاريع جاء على شكل عمليات تسوية مع بعض الحكومات العربية ، كالاردن ، والبعض الاخر عبارة عن « مشاريع تنمية » تشمل المناطق المحتلة ، وكيفية اعدادها لتوطين اللاجئين ·

مشروع الون

طرح الون مشروعا متكاملا للتسوية مع الاردن في عام ١٩٦٨ ، ومن بين ما يضمنه المشروع ، نقل سكان بعض المناطق وتوطينهم في الضفة الغربية والعريش · ثم تحدث الون مطولا ضمن هذا المشروع عن مشكلة اللاجئين وكيفية حلها ، قائلا : « ان اسرائيل وحدها لا تستطيع حل المشكلة بأسرها ، او الجزء الاكبر منها ، من الناحية الاقتصادية ، السياسية والديمغرافية · فالمشكلة تقع في خانة تبادل سكان ، حيث استوعبت اسرائيل اليهود ، والدول العربية استوعبت اللاجئين العرب ، بنفس العدد تقريبا على اساس اثني وقومي » (٢٣) ·

اما الان ، وبعد ان اضطرت اسرائيل للتعاطي مع هذه المشكلة ، واصبحت كل مخيمات اللاجئين في الضفة وقطاع غزة تحت السيطرة الاسرائيلية ، فان الون يتعهد بأن تبدأ اسرائيل بالبحث عن حلول لهذه المشكلة : « الحقيقة ، ان الحل الكامل كان متاحا لو اننا توصلنا الى سلام شامل مع الدول المجاورة ، على اساس من التعاون الاقليمي ، لذا ، علينا الاقدام على المهمة فورا ، وهذا من شأنه ان يقرب السلام ، ناهيك عن ان هذه مشكلة انسانية وسياسية من الدرجة الاولى » (٢٤) ·

وفيما يلي خطوط عريضة من مشروعه ، مقتبسة من نصوص كتابه الموضوع في هذا الصدد :

« توطين اللاجئين من قطاع غزة الى جانب اللاجئين من الضفة الغربية في الضفة الغربية نفسها ·

تكثيف الزراعة ، والتنمية الصناعية الملائمة ، والخدمات اللازمة ستتيح ذلك · كذلك توطين جزء من اللاجئين في شبه جزيرة سيناء · والافضل ان نقوم ، فورا ، ببناء قرية نموذجية على حسابنا الخاص ، كي تكون مثلا وبرهانا للعالم · لكن علينا ان نقوم بهذا العمل دون ان يفسر على اننا ننفرد في تحمل مسؤولية حل مشكلة اللاجئين · بعد تفريغ قطاع غزة من اللاجئين ، يجب ضمه الى اسرائيل ، وليس الى منطقة الاستقلال الذاتي ــ اذا وجدت بعد ذلك منطقة كهذه ــ ولا موجب لاعادته الى الحكم المصري ، بل يجب ضمه الى اسرائيل دون لاجئين » (٢٥) ·

دايان ومشروع غير متكامل

طرح دايان ، وزير الدفاع انذاك ، وفي هذا الاطار ، مشروعا غير متكامل ، وذلك بعد عام ١٩٦٨ · وقد تناول من خلاله الجانب الامني ، بمعنى الشروع في اتخاذ اجراءات امنية ، هدفها تحقيق ثلاث نتائج :

« ١ ــ تصفية المخيمات تحت ستار تخفيف كثافة السكان في هذه المخيمات ــ خاصة مخيمات قطاع غزة ــ بشكل تدريجي · من الناحية العملية ، تجسد هذا الامر في عدة قوانين اقرها دايان بصفته وزيرا للدفاع ، منها العقاب الجماعي ، الابعاد ونسف البيوت ، وشق الطرقات الامنية في المخيمات ، اضافة الى حالة الذعر وعدم الاستقرار مما يشجع هجرة اللاجئين الى الضفة الغربية ، وربما الى خارج حدود فلسطين ·

ب ــ توزيع اللاجئين في قرى جديدة ، عن طريق الاغراء بالمساكن الافضل ، والخدمات العامة ، واماكن التشغيل ، وبالتالي تحقيق الهدف نفسه ·

ج ــ تجريد اللاجئين من صفة لاجىء ــ بعد نزوحهم من المخيمات ــ واسكانهم وتشغيلهم· وهذا الامر يسقط مشكلة اللاجئين في تصور الرأي العام العالمي، ويعفي اسرائيل من البحث عن حلول للمشكلة ، كما يسقط بند الفلسطينيين في اية مفاوضات سلام ، او تسويات جزئية او شاملة » (٢٦) ·

ان مشروع دايان ، وان كان مختلفا ، منحيث الشكل ، عن المشروعات الاخرى التي طرحت في هذا المجال ، يحقق اهداف المشاريع الاخرى ذاتها ، انما يمتاز عنها بعدم اثارته لردود فعل عنيفة · فالمشروع لا ينص على توطين اللاجئين ، بل على ايجاد الحلول للعائلات التي تهدمت منازلها بسبب العقاب الجماعي ، او شق الطرقات الامنية ، وتخفيف كثافة السكان · اضافة الى هذا ، فان دايان اشار الى ان اماكن السكن المعدة ربما تكون في العريش ، وربما في الضفة الغربية ، وربما خارج اسرائيل كليا ·

النقاط الثلاث في المشروع

« ١ ــ اتخاذ تدابير ردع وعقاب جماعي ضد السكان العرب الذين يتعاونون مع [الفدائيين] في المخيمات ·

٢ ــ تخفيف كثافة سكان المخيمات الكبيرة ، خاصة مخيم جباليا ، الشاطىء ، ومخيم

رفـح في قطاع غـزة ٠

٣ ـ اقامة احياء سكنية جديدة ، تخترقها شوارع عريضة ذات مواصفات امنية معينة ٠ اما بالنسبة لهذه الاحياء فليس ضروريا ان تكون في المخيمات نفسها ، بل يمكن ان تكون في الضفة الغربية ، او في العريش ، ولكن لن تكون داخل الحدود الاسرائيلية لما قبـل الرابع من حزيران ١٩٦٧ » (٢٧) ٠

لقد قدمت الصحف الإسرائيلية غطاء كاملا لمشروع دايان ، الذي اتخذ طابع الاجراءات التي تنفذها سلطات الحكم العسكري :

« ان الازدحام في مخيمات اللاجئين يجعل مهمة قوات الامن الاسرائيلية صعبة للغاية ، حيث ان اكثر من عشر سكان مخيمات قطاع غزة (٣٥٠ الف نسمة) يتجمعون في مخيـم جباليا ، هذا المخيم الذي وقعت فيه ، في الفترة الاخيرة ، معظم عمليات [الفدائيين] ضد قوات الامن ٠ فالمخيم مزدحم « بالمخربين » ، والسكان لا يساعدون في اعمال الكشـف عنهم ، ولو ان اسرائيل اخرجت من مخيمات اللاجئين في القطاع ١٥٠ الف لاجيء كمرحلة اولى ، ووزعتهم في مدن الضفة الغربية ، فستنخفض ، دون شك ، عمليات « القتـل والارهاب » في القطاع ٠ خاصة ، ان في مدن الضفة الغربية اماكن كافية للسكن والعمل ايضا » (٢٨) ٠

مشروع رعنان فايتس

قدم الدكتور رعنان فايتس ، وهو مهندس زراعي ، وعضو مجلس امناء معهد التخنيون في حيفا ، ورئيس قسم الاستيطان في الوكالة اليهودية منذ عام ١٩٦٣ ، عدة مشاريع في مراحل مختلفة ، تتعلق كلها بحل قضية اللاجئين الفلسطينيين ، بشكل مباشر وغيـر مباشر ٠ وقد جمعت كلها ، فيما بعد ، تحت عنوان : « مشروع فايتس » ٠ وهو مشروع لا يعالج قضية اللاجئين فقط ، بل يعالج في الاساس عدة مشكلات ، منها المشـكلة الفلسطينية ، التسوية مع الاردن ، تنمية اسرائيل اقتصاديا ، بحيث تكون هذه التنميـة متلائمة مع الوضع السياسي ، والوضع الاجتماعي ٠

في اطار معالجته للمشكلة الفلسطينية ، والتسوية مع الاردن ، طرح فايتس بعـض النقاط المتعلقة بشكل مباشر بقضية اللاجئين الفلسطينيين اجمالا ، ولاجئي قطاع غـزة تحديـدا ٠

جاءت الخطوط العريضة لمشروع فايتس الاول عام ١٩٦٩ حول توطين نحو ٥٠ الـف لاجيء في منطقة العريش ، والضفة الغربية ٠ « ركز المشروع على تخفيف كثافة السكان داخل مخيمات اللاجئين ، وتوطينهم على اساس ١٠٪ في الزراعة ، والباقي في الحـرف الصناعية والخدمات العامة ، في اماكن ثابتة ؛ تقام لهذا الغرض ، ومن ثم دفع تعويضات للاجئين الذين سيكونون في حاجة الى المال لشراء المساكن الجديدة ، وترتيب حياتهـم الجديدة ايضا ٠٠٠ وان في الامكان ايضا ايجاد مناطق في الضفة الغربية ، يتم توطيـن اللاجئين فيها على اساس تجمعات صغيرة ، وربما متوسطة ، على الا تأخذ طابـع المخيمات » (٢٩) ٠

لقد اعتمد رعنان فايتس ، في مشروعه ، على دراسة اجرتها الوكالة اليهودية ، خـلال السنوات الاخيرة ، وعلى مادة احصائية جمعت لهذا الغرض ٠ ومن مبادىء هذا المشروع، الذي هو حصيلة مشروعات سابقة ، وقف التدهور في مسألة المشكلة الفلسطينية ـ عـلى

حد قوله ـ « على ضرورة تقليل الاختلاط السكاني ، وتخفيف انتقال العمال العرب من مناطق التجمعات السكانية العربية الى اسرائيل ، وذلك للحيلولة ، في المستقبل ، دون حدوث توترات اجتماعية وطبقية مستمرة على اساس قومي » (٣٠) ٠

ومن اهم ركائز فايتس في مشروعه ما يلي :

١ ـ ان النظام الاقتصادي ، والحياة الاجتماعية في التجمعات العربية ، هما في حاجة الى رعاية موجهة من اجل رفع مستوى معيشتها بوتيرة ملائمة ، وتمكين القادة ، والطبقة المثقفة فيها ، من التفرد في الفعل والتعبير ٠

ب ـ يجب ان يتضمن كل حل سياسي ، منح جميع المقيمين في اسرائيل ، حقوقا مدنية متساوية ، وكذلك حق تقرير المصير للعرب الفلسطينيين ، لكي يتمكنوا من اقامة سلطة ، ونهج حياة خاصين بهم ٠

ج ـ منح المناطق العربية حرية التعبير ، من خلال السعي الدائم لتحسين مستوى معيشة السكان المقيمين فيها ، والاستيعاب الاقتصادي للاجئين الفلسطينيين في المناطق الواقعة تحت سيطرة اسرائيل ٠ اضافة الى ذلك ، تحافظ اسرائيل على خيارات مفتوحة لحل سياسي ، يتيح حق تقرير المصير للفلسطينيين من اجل الاعتراف بها [باسرائيل] والتوصل الى اتفاق شامل معها بشأن تعايش سلمي (٣١) ٠

اضافة الى هذا ، تضمن المشروع اقتراحا لتقسيم اسرائيل والمناطق المحتفظ بها الى ثمانية الوية (كانتونات) خمسة منها تضم سكانا يهود بشكل اساسي ، الثلاثة منها تضم سكانا عربا ٠ و « الالوية اليهودية » هي :

١ ـ لواء صفد : اقضية صفد وطبريا وهضبة الجولان ٠

٢ ـ لواء حيفا : اقضية يزراعيل (مرج ابن عامر) وعكا وحيفا والخضيرة وغور الاردن ، حتى شمالي اريحا ٠

٣ ـ لواء تل ابيب : اقضية الشارون (السهل الساحلي) وبتيح تكفا والرملة ورحوبوت وتل ابيب وكذلك ضواحي اللطرون ٠

٤ ـ لواء (اسدود) : اقضية عسقلان والقدس (فيما عدا مدينة القدس) وغوش عتسيون ٠

٥ ـ لواء بئر السبع : اقضية بئر السبع ومشارف رفح وغور الاردن جنوبي اريحا ٠

هذه هي الالوية (الكانتونات) اليهودية التي يقترحها مشروع رعنان فايتس ، وهي عمليا تشمل كل فلسطين ، بحدودها الطبيعية ، باستثناء عدة مدن عربية ، ليست اقضية ، في الضفة الغربية وقطاع غزة ٠ هذا ، اضافة الى المناطق المحتلة من دول اخرى كسوريا ومصر ، حيث ضم كل هضبة الجولان الى لواء صفد ، ومشارف رفح ، التي يقع الجزء الاكبر منها في سيناء ، الى لواء بئر السبع ٠

اما الالوية العربية فهي :

١ ـ لواء نابلس : اقضية جنين وطولكرم ونابلس ورام الله واريحا ٠
٢ ـ لواء الخليل : اقضية الخليل وبيت لحم ٠
٣ ـ لواء غزة : قطاع غزة ٠

ستكون مدينة القدس ، في هذا التقسيم ، وحدة قائمة بحد ذاتها · على ان يقام في كل لواء ادارة خاصة به ، تتولى الشؤون الداخلية في مجالات التنمية والخدمات · امـــا الحكومة المركزية فانها ستمارس ، في الاساس ، شؤون الامن ، والخارجية ، والمالية ، وكذلك تنسيق اعمال الالوية ، والاشراف عليها ·

فاقامة علاقات مالية واقتصادية مباشرة ، بين الالوية العربية ، وتأمين مصـــــادر المساعدات من دول مختلفة ومؤسسات دولية ، والبدء في دفع تعويضات للاجئين العرب ، المقيمين في المناطق « المحتفظ بها » ، كل هذا ، سيتيح توظيف اموال بصورة متواتـرة ، الامر الذي سيساعد على تقليص الفجوة في مستوى المعيشة بين فئات السكان في الالوية المختلفة ، وتوطين اللاجئين بصورة دائمة من خلال اعادة تأهيلهم · ان تواتر النمـــــو الاقتصادي سيؤدي الى حد بعيد الى تقليص تشغيل العرب في الالوية اليهودية ·

والتنمية المتواترة في الالوية العربية ، وقدر معين من الادارة الذاتية ، ستمكنان جميـع ممثلي السكان العرب ، وخصوصا القادة والمثقفين ، من حرية التعبير ، وسينخرط هؤلاء، ويتم استيعابهم ، سوية ، مع اللاجئين المقيمين الان في تلك الالوية ·

كما ان هذا الاطار سيتيح نقل فائض المياه من الليطاني ، بواسطة القناة القطريـــة (تحويل مياه نهر الاردن) من اجل تطوير الالوية العربية : نابلس ، الخليل وغزة ، وكذلك من اجل تطوير الخدمات العامة ، التي ستكون لازمة لاقامة منطقة تجارية حرة في غزة · فالطاقة الكامنة في هذه الالوية ، اضافة الى استخدام فائض مياه الليطاني ، فـــــي مقدورها حل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين ، خاصة وان كمية هذا الفائض تصل الى ٤٠٠ مليون متر مكعب ، وهناك محطات اولية لنقل المياه من مجرى الليطاني ، عبر جبـــــل الظهيرة ، الى وادي مرجعيون الذي يصرف مياهه في غور الاردن ·

بناء على معطيات وكالة الامم المتحدة لاغاثة وتشغيل اللاجئين ، كان ١٫٦ مليون لاجيء فلسطيني مسجلين في العام ١٩٧٤ ، حسب التوزيع التالي :

الضفة الغربية : ٢٩٠٫٠٠٠ نسمة · قطاع غزة : ٣٢٥٫٠٠٠ نسمة · الاردن : ٦٠٠٫٠٠٠ نسمة · لبنان ١٩٠٫٠٠٠ نسمة · سوريا ١٨٠٫٠٠٠ نسمة · اما داخل الالوية المقترحة ، نابلس ، الخليل وغزة ، فيوجد ٦٠٠٫٠٠٠ لاجيء · وهؤلاء يمكن استيعابهم ، اقتصاديا ، في المناطق العربية ، في الزراعة والصناعة اللتين يمكن تطويرهما فيها · ولا مانع مـــن توسيع اطار التنمية ، وملاءمته لاستيعاب جميع اللاجئين الفلسطينيين ، وبذلك يمكن توفير حل اقتصادي واجتماعي ملائم ودائم لهذه المشكلة المؤلمة (٣١) ·

مشروع دوف زاكين

اضافة الى مشاريع كل من الون ، دايان وفايتس ، قدم عضو الكنيست السابق دوف زاكين ـ من حزب مبام ـ مشروعا اخر لحل قضية اللاجئين الفلسطينيين · ورغم ان هذا المشروع جاء في غلاف انساني ، الا انه يحمل في طياته اهداف المشاريع الاخرى نفسـها تقريبا ، بل يتخطى مشروع رعنان فايتس من حيث خطورته على اللاجئين ، في سعيه لتصفية القضية نهائيا ، دون التطرق الى تضمين مشروعه استعادة جزء من اللاجئين المقيمين في الدول العربية ، كما طرح فايتس ·

وفيما يلي تلخيص لما ورد في مشروع زاكين :

١ ـ افراغ المخيمات تدريجيا : عن طريق منح حوافز اقتصادية ، اهمها تقديم مساكن بسعر رمزي ، في مناطق بلدية قريبة من اماكن التشغيل الجديدة ، التي سيتم انشاؤها ، وتحسين الخدمات العامة في المدن العربية ، في الضفة الغربية وقطاع غزة ، (التعليم والشؤون الاجتماعية والصحة) ، من اجل خلق دافع يحدو باللاجئين الى الخروج من المخيمات · كما ينبغي ان تكون المساكن الجديدة منتشرة في المدن ، والا فانها تعود لتحمل طابع مساكن اللاجئين · وان سرعة اخلاء اللاجئين من المخيمات ، بمعدل اربعة الى خمسة الاف عائلة في السنة ، سيؤدي الى حل المشكلة خلال ثماني سنوات · اضافة الى ذلك ، ستكون هناك حاجة الى الاهتمام ، بصورة خاصة ، بالجماعات التي ترتبط معيشتها بوجود المخيمات (العاملون في جهاز وكالة الغوث) والحيلولة دون اسكان احد بدلا من اولئك الذين يغادرونها · وبالضرورة ، فان هذا المشروع سوف يوفر اماكن عمل كثيرة ، يدفع الى انتشار العاملين ، مخففا بذلك من بؤر تواجدهم ·

ب ـ قيود الزراعة : يظهر التحليل الاقتصادي ، انه في حال التوجه الى تنمية المناطق المحتفظ بها ، وتنفيذ مشاريع توطين اللاجئين ، سيكون اسهام الزراعة اسهاما ضئيلا في زيادة العمالة ، حيث لن يتجاوز تقديرها ١٥٪ تقريبا · وهذا الاستنتاج تمليه قيود السوق، ومصادر المياه المحدودة · وعلى الرغم من ان الانتاج الزراعي سيزداد نموه ، في المناطق ، الا انه لن تكون هناك اية زيادة في التشغيل ، بل قد يحدث العكس ·

ج ـ التنمية عن طريق التصنيع : ان تنمية المناطق ، وتأهيل اللاجئين ، على المدى البعيد ، يجب ان يتما عن طريق التصنيع ، خاصة وان حجم الصناعة في الضفة الغربية والقطاع محدودة · انما يسهل قربها من السوق ، ووجود ايد عاملة رخيصة نسبيا ، اقامة صناعة جديدة ، وتوسيع الصناعة الحالية ، التي تقوم على استخدام العمل المكثف ، خصوصا في تلك الصناعات ذات الطابع المحلي ، مثل صناعة الغزل والنسيج ، الملابس ، الاحذية ، صناعة الاغذية وتعليب الفاكهة ، والنجارة (٣٢) ·

ضمن دوف زاكين مشروعه لتوطين اللاجئين ، مقترحات شخصية ايضا ، استند في بعضها على الابحاث النظرية والميدانية ، منها :

« ١ ـ تشكل مخيمات اللاجئين ، في حالتها الراهنة ، عاملا يساعد على الاحتفاظ بالمشكلة · وفي هذا الحال ينبغي ان يكون هدف السياسة الاسرائيلية ، اخلاء هذه المخيمات · ومن اجل ذلك وضعت حوافز لتشجيع اللاجئين للخروج « طوعا » منها ·

٢ ـ ان سياسة بديلة ، تحاول التقليل من الفوارق بين سكان المخيمات ، وعامة السكان في القرى والمدن ، عن طريق تحويل المخيمات الى اماكن سكن عادية ، في الظروف القائمة، لا تستطيع سبر جذور المشكلة ، وتحقيق الحل ·

٣ ـ اذا تبين ان الاستعداد الموجد لدى غالبية سكان المخيمات غير موجود ، للخروج من مساكنهم ، رغم كل الحوافز ، يجب اذ ذاك القيام بعمل مباشر ، يؤدي الى تجميد الميزة الاقتصادية الاساسية للسكن في المخيم ·

٤ ـ الحوافز لاخلاء المخيم هي وسيلة لتنشيط عملية كانت قائمة في الماضي ، وهي جزء من تغيير اعم واشمل · لذا ينبغي الحذر من خلق انطباع بأن هذه السياسية تهدف الى القضاء على وضع اللاجىء ·

٥ ـ الاجراءات العامة التي تخدم حل مشكلة اللاجئين ، هي في الواقع : السكن في

المدن ، والحصول على خبرة فنية في الزراعة والصناعة ، ورفع مستوى الحياة ، ودعم احتمالات تحسين الظروف المعيشية » (٣٣) ٠

الاجراءات العملية للتوطين

ان المشروعات التي طرحت ، وتم تنفيذ بعض بنودها ، ليست الا مشروعات مستندة على ركائز من بحث الخبراء ، بتكليف من الحكومة نفسها ، ولم تأت عرضا ، او نتيجة اجتهادات فردية ٠

والنص التالي يدعم هذا المذهب : « افادت الابحاث الميدانية التي قام بها عدد كبير من خبراء الاسكان والزراعة والعمل ـ بتكليف من الحكومة ـ ان هناك مكانا لثمانية الاف عائلة من اللاجئين في الضفة الغربية ، وان معظم الاراضي الصالحة لاستيعاب المزيد من اللاجئين عائدة الى الحكومة الاردنية والاقطاعيين ٠ كذلك وجد خبراء المياه ، ان في الضفة الغربية حوالى ١٢٠ مليون متر مكعب من المياه ، وهذه كميات غير مستغلة ، يمكن استثمارها في هذا المشروع » (٣٤) ٠

لقد قامت الحكومة ، في هذا الصدد ، باجراء تعداد للسكان في المناطق لعدة اهداف ، وكبداية لوضع مشاريع تصفية للمخيمات ، وقد جرى هذا التعداد السكاني عقب حرب حزيران ١٩٦٧ ٠

وفيما يلي الجدول النهائي للتعداد السكاني :

« ـ اللاجئون وغير اللاجئين ، في الضفة الغربية وقطاع غزة ، الذين يحصلون على مساعدات من وكالة الغوث الدولية : ٠٠٠ر١٨٣ في الضفة الغربية ٠ ٠٠٠ر٢٥٩ في قطاع غزة ٠

ـ [الذين عاشوا] داخل « الخط الاخضر » [من ارباب العائلات] ، قبل عام ١٩٤٨: ٠٠٠ر١٢١ في الضفة الغربية ٠٠٠ر٢٣٨ في قطاع غزة ٠

ـ هجرة [ارباب العائلات] من « الخط الاخضر » : ٠٠٠ر١٠٥ الى الضفة الغربية ، ٠٠٠ر٢٠٧ الى قطاع غزة ٠

ـ ساكن ـ مخيم ـ لاجيء : ٤٠٠ر٥٦ في الضفة الغربية ٥٠٠ر١٧٢ في قطاع غزة (٣٥) ٠

اذا تم اخذ نسبة اللاجئين في الحسبان ، على ذمة الزعم الاسرائيلي ، ممن يحصلون على مساعدات من وكالة الغوث ، فانما يتبقى هناك ٠٠٠ر٤٤٣ لاجيء من حقهم الحصول على مساعدات من الوكالة ٠ وهذا العدد اقل بحوالي ٧٣ الف نسمة من تسجيل وكالة غوث اللاجئين ، الذي بلغ اللاجئون ، في تعداده ٥١٥ الفا ٠

يسكن في قطاع غزة حوالي ٣٤٠ الف نسمة ، من بينهم ٢٢٠ الف لاجيء يسكن ١٦٠ الفا منهم في ثمانية مخيمات للاجئين في القطاع : ففي مخيم جباليا ٣٦ الف لاجيء ، وفي مخيم الشاطيء (غربي مدينة غزة) ٢٧ الفا ، في النصيرات ١٥ الفا ، وفي مخيم البريج ٩ آلاف ، والمغازي ٩ الاف ، ودير البلح ٨ الاف ، ومخيم خان يونس ٢٦ الفا ، ورفح ٣٠ الف لاجيء ٠ وهناك حوالي ٦٠ الفا يسكنون خارج المخيمات ، وخاصة في مدن غزة خان يونس ، رفح ، دير البلح (٣٦) ٠

في عام ١٩٧١ ، تحدث العميد شلومو غازيت ، منسق العمليات في المناطق المحتلة ، عن اجراءات اسكان اللاجئين ، فقال : « ان اي حل دائم لمشكلة قطاع غـزة ، يجب ان يشمل بصورة اساسية اسكان قسم من اللاجئين خارج الحدود الحالية للقطاع ، كمـا يجب نقل عشرات ، وربما مئات الالاف من السكان ، الى خارج حدود القطاع ، اي الى الضفة الغربية وشمال سيناء ... وقد نقلنا حتى الان اكثر من الف عائلة من مخيم جباليا والشاطىء في القطاع ، وهذا العدد يضم حوالي ٨ الاف نسمة . كما شرعت السلطات ببناء منازل بالقرب من رفح سيناء ، وبالقرب من خان يونس ، ودير البلح ، كما اننا ننـوي اخراج ٦٠ ـ ٧٠ الف نسمة من المخيمات الحالية في قطاع غزة الى منازل في اماكـن اخـرى » (٣٧) .

بدأت المرحلة الاولى من عملية شق الطرق الامنية في المخيمات ، وهدم البيوت وطـرد اللاجئين من اماكن سكنهم في العام ١٩٦٩ . وفي هذه المرحلة ، التي نفذتهـا سلطـات الحكم العسكري عنوة ، وبالتهديد ، تم تحقيق ما يلي :

١ ـ هدم ١٠١١ منزلا في جباليا ، كانت تسكنها ٩٢٤ عائلة ، يبلغ عدد افرادها ٦٥٠٣ نسمة ، اي حوالى ١/٨ من سكان المخيم . وقد تدبر حوالي ٢٧٦٣ منهم امورهم بانفسهم، في قطاع غزة . و ٢١٦٨ « وافقوا » على اقتراح الحكم العسكري بالانتقال الى العريش. كما ان ٨٠ عائلة رتبت امورها في مخيمات اللاجئين في رفح وخان يونس . كذلك سكنت ٤٥ عائلة في قرية جباليا ، ١٠ عائلات في دير البلح ، وانتقلت ٩ عائلات فقط الى الضفة الغربية . هذا ، ولا يزال مصير ٧٩ عائلة غير معروف .

٢ ـ في مخيم الشاطىء القريب من مدينة غزة ، قامت سلطات الحكم العسكري بهـدم ٥٩١ منزلا ، (٧ منازل فقط كانت خالية) ، اي ان ٥٩١ عائلة ، يبلغ عـدد افرادهـا ٤٠٣١ نسمة ، اضطرت الى الانتقال قسرا ، كما اضطرت ٥٦ عائلة الى الانتقال الىبيوت اخرى في المخيم . و ٣٦٧ عائلة تدبرت امورها في مدينة غزة وضواحيها . كما انتقلـت ٨٦ عائلة الى العريش ، و ٥ عائلات الى دير البلح ، و ١١ عائلة الى الضفة الغربية ، اما العائلات الباقية ، وعددها ٢٥ عائلة ، فلا يزال مصيرها مجهولا .

٣ ـ اما في مخيـم رفـح ، فقـد اقدمـت سـلطات الحكـم العسـكري على هـدم ٢٤٨ منزلا ، كانت تسكنها ٣٩٠ عائلة ، يبلغ عدد افرادها ٢٨٥٨ نسمة . وقد رفضت ١٢١ عائلة من هذه العائلات الخروج من المخيم نفسه ، و ٧١ عائلة وجدت اماكن سكن لها في مدينـة رفح ، و ٤٦ عائلة نقلت الى العريش ، ١٧ الى خان يونس ، ٧ عائلات الى الضفـة الغربية ، عائلتان الى غزة ، و ٤ عائلات عادت الى مخيم اللاجئين في جباليا ، ولا يزال مصير ١١٩ عائلة غير معروف . اضافة الى ذلك ، اقتلعت ٦٠ عائلة ، لم تهدم منازلها ، ونقلت الى الضفة الغربية (٣٨) .

تم كل هذا ، تحت ذريعة الامن ، لكن المغزى الواضح هو ان المسألة كلهـا لا تتعـدى تصفية المخيمات ، وفقا لقرارات مسبقة من الحكومة ، وهذا ما اشار اليه العميد شلومو غازيت بقوله : « بان عملية تخفيف الكثافة السكانية في المخيمات ، وتوطين اللاجئين ،تتم بناء على قرارات اتخذتها لجنة وزارية في وقت سابق » (٣٩) .

في اطار هذه الاجراءات ، وفي المرحلة الاولى ، تم شق طرق في جميع المخيمـات التسعة في قطاع غزة ، وحتى في المخيمات الصغيرة ، كالمغازي الذي لا يزيد تعدادسكانه عن تسعة الاف نسمة ، تم شق طريقين متقاطعين ، ادتا الى هدم اكثر مـن ٢٥٠ منـزلا ،

وبالتالي اجلاء سكانها الى رفح المصرية والعريش ، والى الضفة الغربية ، حيث بـــدأت هذه العائلات تحتل معسكرات الجيش الاردني هناك · « لقد تم اسكان حوالي ٤٠ عائلـة من اللاجئين في ٢٥ منزلا في معسكر الجيش الاردني الواقع في وادي دوثان على الطريق الرئيسي بين جنين ونابلس · ويجري الان اصلاح وترميم منازل اخرى ، في معسكـرات اخرى ، في الضفة الغربية لهذا الغرض » (٤٠) ·

لم يقتصر بناء الوحدات السكنية بهدف توطين اللاجئين على معسكرات الجيش الاردني في الضفة الغربية فقط ، بل بدأت سلطات الحكم العسكري ، في تاريخ ١٩٧٢/٣/١٠ ، في اقامة وحدات سكنية في قطاع غزة : « فقد بدأ العمل ببناء ثلاثة احياء سكنية للاجئين، اثنان بالقرب من مدينة رفح ، والثالث بالقرب من مدينة خان يونس ، وذلك بمعدل اربع وحدات سكنية في اليوم ، وسيتم بناء حوالي ١٥٠٠ مسكن في الاحيـــاء الثلاثة ، الى جانب هذا ، بدأت سلطات الحكم العسكري بتوزيع ١٢٠٠ قطعة ارض حددت للبناء ، على اللاجئين · وفي المرحلة الاولى هذه تنوي السلطات نقل ما يقرب من ١٦ الف لاجيء الى المساكن الجديدة ، بعد نصف سنة تقريبا » (٤١) ·

من ناحية اخرى « تقوم سلطات الحكم العسكري في قطاع غزة ، وفي اطار المرحلـة الثانية بتعيين اربعة مواقع جديدة في منطقة بيت لاهيا ، في شمال قطاع غزة ، لاقامـــة احياء سكنية عليها ، ستخصص لعائلات اللاجئين التي سيتم اجلاؤها من مخيم جباليـــا خلال السنة القادمة · وبهذا يمكن نقل نحو ٧٠٠٠ لاجيء مـن مخيـم جباليـــا الى نطاق المجلس المحلي في بيت لاهيا ، كما سيتم نقل عدد مماثل الى نطاق المجلس المحلي في قرية جباليا ، وبهذا ، تكون السلطات قد نقلت من مخيم جباليا ما يقرب من ٢١ الف لاجـــيء فقط خلال المرحلة الاولى والثانية ، والجدير بالذكر ، ان احصاء هذا المخيـم بعـد حرب ١٩٦٧ بلغ فقط ٣٦ الف لاجيء · كما سيتم ، خلال شهر كانون الثاني من العام ١٩٧٣، اسكان الحي الاول الجديد ، الذي اقامته السلطات ، والواقع غرب مدينة رفح المصريـــة (اي خارج حدود قطاع غزة) ، وقد اطلقت اسرائيل على هذا الحي اسم « افشلوم » ، ويضم حوالي ٥٠٠ وحدة سكنية ، ستكون ٢٤٠ وحدة منها جاهزة في مطلع كانون الثاني·· اضافة الى ذلك ، سيجري اقتلاع نصف عدد سكان مخيم الشاطىء ، من اجل شق الطرق الواسعة داخل هذا المخيم » (٤٢) ·

من ناحية اخرى ، فقد استأنف الجيش الاسرائيلي ، في اواخر شهر تشرين الثاني عام ١٩٧٢ ، عمليات الهدم في المخيم ، وذلك بعد توقف استمر حوالي سنة ونصف السنة · لقد وصفت الصحف الاسرائيلية هذه العملية « بانها المرحلة الثانية من عملية تخفيف الكثافة السكانية في مخيمات قطاع غزة ، واعادة تخطيطها من جديد ، وشق طرق متقاطعة داخلها، ثم تقسيمها الى احياء لتسهيل مهمة قوات الامن الاسرائيلية » (٤٣) ·

كل هذا في اطار المرحلة الاولى والثانية ، من ضمن المشروع الذي سبق ان وافقت عليه الحكومة والذي يقضي ، « بنقل حوالي ١٣٥ الف لاجيء من مخيمات القطاع ، واسكانهم في مدن وقرى قطاع غزة ، رفح المصرية العريش وفي الضفة الغربية · ان هذا المشـروع يهدف بالاساس الى تخفيف الازدحام في المخيمات ، ويتضمن المشروع بناء ٢٠٠٠ وحـدة سكنية في القطاع ، و ١٠٠٠ وحدة سكنية في الضفة الغربية ، بعضها قائم في معسكرات الجيش الاردني ، وحوالي ١٢٠٠ وحدة في العريش ، و ٦٠٠ وحدة في رفح المصرية · اما مواصفات هذه الوحدات السكنية ، فان الشقق ستكون نوعين : الاول شقق مساحتهـا ٣٠ مترا مربعا ، والثاني ٤٠ مترا مربعا ، بمواصفات بناء معينة » (٤٤) ·

بعد حرب تشرين الاول ١٩٧٣ ، توقفت عمليات الحكم العسكري في قطاع غزة ، لفترة استمرت حوالي اربعة شهور تقريبا ، الا ان اسرائيل ، وبعد توقيع الاتفاقيات الجزئية مع الحكومات العربية ، اعتبرت أن الوضع لم يتغير ، وان الاستمرار في عملية اقتـــلاع اللاجئين وتصفية هذه المشكلة امر ممكن ، بل ومهم ، لاعادة رسم الخريطة السياسية في المنطقة بالشكل الذي تريده هي ٠

على هذا الاساس « اقامت سلطات الحكم العسكري ، استمرارا للمشروع القديم ، حيا اخر للاجئين في رفح الغربية ، فيه ٢٠٠ وحدة سكنية ، وذلك في العام ١٩٧٤ ٠ اما في العام ١٩٧٥ فقد شرعت السلطات في بناء ٣ الاف وحدة سكنية ، موزعة بين خان يونس ، ورفح ، والشيخ رضوان بالقرب من غزة » (٤٥) ٠

في اعقاب المرحلة الاولى من بناء المساكن للاجئين في قطاع غزة ، بدأت حملة نقد شديدة توجه الى نوعية هذه المباني ، وتفضح النوايا الصهيونية الكامنة خلف اقامة مبان من هذه النوعية ٠ وفي اطار هذه الحملة تحدثت بعض الصحف قائلة : « اننا نخطيء عندما نبني للاجئين العرب ، مساكن بدائية وسيئة الى هذا الحد ، خاصة ان نوعية البناء غيـــر مرضية ، وان مساكن حي ابراهيم ، بالقرب من رفح ، تعيدنا الى فترة المعسكرات المؤقتة (معبروت) التي كانت تقام للمهجرين الجدد من اليهود ، والبناء الرخيص الذي تلاها ، ولما يمضي وقت طويل حتى تشققت تلك البيوت ، التي بنيت بسرعة ، وانهار جزء كبير منها ٠٠٠ ومن المؤسف ان فكرة ممتازة كهذه ، تشكل بداية لحل مشكلة اللاجين ، قد بدأت بمستوى متدن كهذا في التنفيذ ، وللاسف ان نظرة توفيرية ضيقة الافـــق ، قد وجهت مخططي المساكن الجديدة ٠ واخشى ان تكون الاسباب المالية قد اختبأت خلف افتراض ان هذه المساكن هي اكثر بكثير مما كان يحلم به اللاجئون » (٤٦) ٠

المصلحة الاسرائيلية في تصفية مشكلة اللاجئين

برزت المصلحة الاسرائيلية ، في تصفية مشكلة اللاجئين ، بشكل واضح في اقـــوال العديد من السياسيين الاسرائيليين ٠ منذ قال موش كرميئيل وزير السياحة في حكومـــة المعراخ عام ١٩٧٢ : « ان حل مشكلة اللاجئين ، هو مصلحة اسرائيلية خالصة ، اذ ان استمرار هذه المخيمات في وضعها الراهن ، من شأنه المحافظة على العداء الشديد للدولة، وينمي كراهية كبيرة لها ٠٠٠ وان مشاريع نقلهم الى الضفة الغربية والعريش ، وربمـــا بعملية نزوح جزئية الى الخارج ، من شأنها ان تجعل المخيمات تسير في طريق الانكماش والتفكك ، وهذا يحدد خريطة المستقبل المحتملة للبلاد ، خاصة ، اننا نصر على ان يبقـــى قطاع غزة ضمن حدود دولة اسرائيل بصورة دائمة ٠٠٠ وهكذا فان مصلحة اسرائيل ،التي ترغب في الحفاظ على طابعها اليهودي ، هي تفريغ القطاع من سكانه ، وجمعهم في الضفة الغربية والعريش لتلافي احتواء اقلية عربية بهذا العدد ، [الامر] الذي قد يؤثر تاثيرا كبيرا وخطيرا على البنية الديمغرافية لاسرائيل مستقبلا » (٤٧) ٠

ولم يخف دوف زكين ، بدوره ، هذا المنحى المرتبط بمصلحـــة اسرائيـــل فقـــال : « ان استمرار مخيمات اللاجين عامل يساعد على استمرارية القضية ، وان ما فعلناه فيمخيمات قطاع غزة ، كان عبارة عن عملية مركبة ، اشتملت على شق الطرقات الامنية ، وهـــدم المنازل ، وتخفيف الكثافة السكانية وهدفها القضاء على الكراهية والحقد ضدنا ، وتأمين الهدوء ، وعدم انضمام الشباب العرب الى [المنظمات الفدائية] » (٤٨) ٠

يتضح من خلال هذه المشاريع التي طرحت ، انها مشاريع لم تناسب السياسة الاسرائيلية على الاقل في المرحلة الحالية ، لذلك لم يصل اي منها الى حيز التنفيذ ، الا في بعض اجزائها ، وان سلطات الحكم العسكري في الضفة الغربية وقطاع غزة ، هي التي نفذت هذه الاجزاء دون ان تعلن انها من ضمن هذا المشروع او ذاك · فالحكومات الاسرائيلية المتعاقبة ، منذ عدوان الخامس من حزيران ١٩٦٧ ، لم تتمسك باي مشروع ، سواء كان لالون او لدايان او لفايتس ، بل عمدت الى تنفيذ ما يناسبها في كل مرحلة ·

لقد نقل عدد كبير من اللاجئين الى الضفة الغربية والغريش ، واعداد اقل خرجت من فلسطين ، نتيجة لسياسات وممارسات معينة من قبل سلطات الحكم العسكري التي كانت اداة التنفيذ لمشروع غير معلن ، يرمي الى تنفيذ طوعي من قبل اللاجئين ، بعد خلق حالة من عدم الاستقرار والترهيب ·

وعلى الرغم من ان هذه السياسة ، تجاه مشكلة اللاجئين ، بقيت غامضة لدى العديد من الاسرائيليين انفسهم حتى حرب تشرين ١٩٧٣ ، الا انها توقفت كليا بعد الحرب · وبدأت الاجراءات تأخذ منحى اخر تماما ، وهو الاستيطان اليهودي في القطاع والضفة · وعدم المساس بمشكلة اللاجئين الى حين اتخاذ قرار مستند الى ما يتم التوصل اليه من تسويات مع مصر ، وبعض الدول العربية الاخرى ·

ويمكن القول ، ان هذه السياسة الاسرائيلية بالنسبة للاجئين ، كانت تبدو في ظاهرها مجرد طفرات موسمية ، تهدف للسيطرة تماما على القطاع والضفة من الناحية الامنية ، الا انها ، في حقيقة الامر ، شكلت صورة واضحة المعالم لنحى المشروعات الاسرائيلية ، مستقبلا ·

الحواشي

(١) معاريف ، ١٩٧٣/٦/١٨ ·

(٢) محاضر الكنيست ، ١٩٦٨/٨/٧ ، ص ٣١٢٠ ·

(٣) يديعوت احرونوت ، ١٩٧٢/١٢/٨ ·

(٤) المصدر نفسه ·

(٥) يديعوت احرونوت ، ١٩٧٢/١٢/٨ ·

(٦) محاضر الكنيست ، ١٩٦٨/٨/٧ ، ص ٣١٢٤ ـ ٣١٢٥ ·

(٧) المصدر نفسه ، ١٩٦٨/٣/١١ ، ص ١٣٦١ ·

(٨) المصدر نفسه ، ١٩٦٨/٨/٧ ، ص ٣١٢٠ ـ ٣١٢١ ·

(٩) المصدر نفسه ، ص ٣١٢٣ ·

(١٠) المصدر نفسه ، ص ٣١٢١ ـ ٣١٢٢ ·

(١١) المصدر نفسه ، ص ٣١٢٦ ·

(١٢) المصدر نفسه ، ص ٣١٢٢ ـ ٣١٢٣ ·

(١٣) المصدر نفسه ، ص ٣١٢٧ ·

(١٤) المصدر نفسه ·

(١٥) المصدر نفسه ·

(١٦) المصدر نفسه ·

(١٧) محاضر الكنيست ، ١٩٦٩/٥/٢١ ، ص ٢٦٦٥ ·

(١٨) محاضر الكنيست ، ١٩٧٠/٢/١٨ ، ص ٨٧٥ ·

(١٩) المصدر نفسه ، ص ٨٧٤ ـ ٨٧٥ ·

(٢٠) المصدر نفسه ، ص ٨٧٢ ـ ٨٧٣ ·

(٢١) دافار ، ١٩٧٠/١/٢٢ ·

(٢٢) محاضر الكنيست ، ١٩٧٠/٢/١٨ ص ٨٧٨ ٠

(٢٣) يروحام كوهين ، « تخنيت الون » (« مشروع الون ») ٠

(٢٤) المصدر نفسه ٠

(٢٥) المصدر نفسه ٠

(٢٦) هآرتس ، ١٩٧١/٧/٢٨ ٠

(٢٧) المصدر نفسه ، ١٩٧١/٧/١٤ ٠

(٢٨) المصدر نفسه ، ١٩٦٧/٧/١٢ ٠

(٢٩) هآرتس ، ١٩٧٧/١/٢٣ ٠

(٣٠) عل همشمار ، ١٩٧٦/١٠/٧ ٠

(٣١) المصدر نفسه ، ١٩٧٢/٨/٤ ٠

(٣٢) المصدر نفسه ، ١٩٧٢/٨/١١ ٠

(٣٣) المصدر نفسه ٠

(٣٤) هآرتس ، ١٩٦٧/٧/١٢ ٠

(٣٥) يديعوت احرونـــوت ، ١٢/٨/ ١٩٧٢ ٠

(٣٦) معاريف ، ١٩٧١/٧/٢٦ ٠

(٣٧) معاريف ، ١٩٧١/٨/٢٠ ٠

(٣٨) دافار ، ١٩٧١/٩/٦ ٠

(٣٩) المصدر نفسه ٠

(٤٠) هآرتس ، ١٩٧١/٨/١١ ٠

(٤١) المصدر نفسه ، ١٩٧٢/٣/١٧ ٠

(٤٢) معاريف ، ١٩٧٢/١٠/١٩ ٠

(٤٣) دافار ، ١٩٧٢/١٢/١٤ ٠

(٤٤) هآرتس ، ١٩٧١/١٠/٣١ ٠

(٤٥) دافار ، ١٩٧٥/٤/٢٢ ٠

(٤٦) حوثام ، ١٩٧٣/٢/١٦ ٠

(٤٧) المصدر نفسه ، ١٩٧٢/٨/٢٥ ٠

(٤٨) حوثام ، ١٩٧٢/١٢/١ ٠

أحمد صدقي الدجاني

منظمة التحرير الفلسطينية والحوار العربي - الأوروبي

انشغلت منظمة التحرير الفلسطينية كحركة تحرير وقيادة للثورة الفلسطينية وكجزء من الجسم العربي بالحوار العربي الاوروبي منذ ولادة فكرته ، وبروز هذه الفكرة على مسرح السياسة الدولية · واتخذت المنظمة من هذا الحوار موقفا محددا يتصف بالايجابية ، كما ساهمت في تجربته بفعالية · وانشغل الحوار العربي الاوروبي منذ ولادة فكرته بقضية فلسطين وبتمثيل منظمة التحرير فيه وبالدور الفاعل الذي تقوم به المنظمة في نطاقه · وسنحاول في هذا البحث تسليط الضوء على موقف المنظمة من الحوار ومكان قضية فلسطين فيه من خلال تتبع مسار الحوار وتحليل ما شهده هذا المسار من احداث وما اسفر عنه من نتائج ·

برزت فكرة الحوار العربي الاوروبي على مسرح السياسة الدولية في اعقاب حرب تشرين ١٩٧٣ بعد ان اكتمل الحمل بها ونضجت بفعل عوامل محددة ، وذلك حين اصدرت دول ـ المجموعة الاوروبية التسع تصريحها المعروف بيان ٦ نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩٧٣ حول موقفها من الصراع الدائر في منطقة الوطن العربي ، ثم اصدرت الدول العربية المجتمعة على مستوى القمة في الجزائر بيانا موجها الى اوروبا الغربية يوم ٢٩ نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩٧٣ استجابت فيه للتحسن الذي اظهره البيان الاوروبي في موقف الدول الاوروبية التسع من قضية فلسطين (١) · وحين ننظر في مضمون هذا البيان نجد ان مقدمته عبرت عن انشغال دول المجموعة الاوروبية بالاسهام في حل شامل لمشكلة الشرق الاوسط ، وحددت النقاط الاربع الاولى فيه تصور هذه الدول لبلوغ هذا الحل ، وجاءت النقطة الاخيرة لتعبر عن استشعار الدول الاوروبية للروابط التي تربطها بالوطن العربي وتوجهها لتطوير علاقاتها معه ·

وقد سجل العرب في بيانهم انهم « يتطلعون بمزيد من العناية والاهتمام لبوادر التفهم لموقفنا التي بدأت تبدو في دول اوروبا الغربية » ، واعلنوا استعدادهم المخلص للتعاون في الجهود المبذولة في نطاق الامم المتحدة لارساء السلام العادل في المنطقة ، وطالبوا اوروبا

الغربية باتخاذ موقف واضح منصف من قضيتهم بعد ان ذكروها بالمصالح المشتركة التي تربطها بالوطن العربي ٠

تتالت الاتصالات بين مجموعة الدول التسع والدول العربية بعد اعلان المبادرة الاوروبية والاستجابة العربية لها ٠ وتأثرت هذه الاتصالات بمواقف اطراف اخرى شغلتها فكرة الحوار وفي مقدمة هذه الاطراف الولايات المتحدة الامريكية والكيان الاسرائيلي ٠ ونشير من بين هذه الاتصالات الى الزيارة التي قام بها وفد من وزراء عرب لكوبنهاغن في منتصف كانون الاول ١٩٧٣ بمناسبة انعقاد مؤتمر القمة الاوروبي فيها ، حيث تباحثوا في الخطوط العريضة للتعاون العربي الاوروبي مع دول المجموعة ٠٠ كما نشير الى اللقاء الذي تم بين امين عام جامعة الدول العربية ومندوب الماني عن دول المجموعة خلال الاسبوع الاخير من شهر مايو ١٩٧٤ في اعقاب اجتماع دول المجموعة في غمنتش بالمانيا ، والى المفكرة الاوروبية التي سلمت للعواصم العربية بعد ان قرر وزراء خارجية الدول التسع في اجتماعهم يومي ١٠ و ١١ حزيران ١٩٧٤ مفاتحة الجانب العربي بموضوع الحوار ٠ وجاء اجتماع وزير خارجية فرنسا ورئيس لجنة المجموعة بوزير خارجية الكويت والامين العام للجامعة العربية يوم ١٩٧٤/٧/٣١ في باريس ليكون اول لقاء رسمي بحثت فيه فكرة الحوار وطرح فيه تصور لكيفية المباشرة فيه ولعمل لجنته العامة ، وفي ١٩٧٤/١٠/٢٠ تم اتصال بين الجانبين في القاهرة لبحث ترتيبات عقد الاجتماع الاول للجنة العامة للحوار ، وقدم الجانب الاوروبي ورقة عمل تتناول الجوانب التنظيمية والاجرائية ، واتفق الجانبان على ان ينعقد الاجتماع الاول قبل انعقاد مؤتمر القمة الاوروبي الذي كان محددا له موعد في شهر كانون الاول ١٩٧٤ (٢) ٠

لم ينعقد هذا الاجتماع الاول في الموعد الذي تم الاتفاق عليه وتأجل الى أجل غير مسمى ٠ وذلك بسبب بروز عقبة اساسية أثارها الجانب الاوروبي ، تلك هي موضوع التمثيل الفلسطيني في اللجنة العامة ٠

وقد طرح موضوع تمثيل منظمة التحرير الفلسطينية في اللجنة العامة للحوار على الدول العربية لاول مرة خلال اجتماع ممثل الجانب العربي في لجنة الحوار العربي الاوروبي الذي انعقد يوم ١٩٧٧/١١/١٢ ٠ وكان مجلس الجامعة العربية قد حدد هدف هذا الاجتماع في قراره بتاريخ ٧٧/٩/٤ الذي نص على التوصل الى موقف عربي موحد حول الموضوعات التي سيشملها الحوار العربي الاوروبي في اجتماع اللجنة العامة الاول٠

جاء هذا الطرح حين أعلم رئيس اللجنة الاعضاء في اليوم الثاني للاجتماع ان الجانب العربي تلقى خطابا من الجانب الاوروبي تعرض لترتيبات جلوس اعضاء الوفود حول مائدة المشاورات ، وقد اشير فيه الى جميع الوفود العربية دون ذكر وفد منظمة التحرير الفلسطينية ٠ وكان الجانب الاوروبي قد اقترح قبل ذلك ان تكون عضوية اللجنة العامة مفتوحة للدول التسع ، فضلا عن ممثلي الهيئة الاوروبية في الجانب الاوروبي وترك الامر في تمثيل الجانب العربي لقرار يتخذه مجلس الجامعة العربية ، وقد صدر هذا القرار ونص على ان تكون عضوية اللجنة العامة مفتوحة لكافة الدول العربية والامانة العامة للجامعة على ان تستعين بالمنظمات والاجهزة العربية ذات الصلة بموضوع الحوار ٠ كما أعلم رئيس اللجنة الاعضاء انه اجرى اتصالا بسفير فرنسا ممثل المجموعة وابلغه على سبيل الحزم والحسم ان وفدا فلسطينيا يجب ان يكون ممثلا مع سائر الوفود العربية ، وان السفير وعد بنقل وجهة النظر العربية والرد عليها ٠

ناقشت الدول العربية الاعضاء هذا الموقف الاوروبي واتفقت آراؤها على التمسك بتمثيل

فلسطين في الجانب العربي ، « باعتبار فلسطين عضوا في الجامعة العربية » ، « ولا يجوز للجانب الاوروبي ان يتدخل في تمثيل الوفود العربية » ، « ولان اساس الحوار في الواقع هو القضية الفلسطينية » ، « ولان هذا الموقف الاوروبي موقف سياسي وليس اجرائيا » ٠

كما اتفقت آراؤها على أن تكون الموافقة النهائية على حضور اجتماع اللجنة العامة مرتبطة بحضور الوفد الفلسطيني الى جانب الوفود العربية المشتركة في الحوار ، وتركت للامين العام ان يتابع اتصالاته مع الجانب الاوروبي (٣) ٠

لم يرد الجانب الاوروبي على وجهة النظر العربية قبل الموعد المحدد لاجتماع اللجنة العامة ٠ فتأجل الاجتماع بعد أن قطع الجانبان شوطا كبيرا في التحضير له ٠ وكان السبب المباشر في التأجيل هو موقف الجانب الاوروبي الرافض لتمثيل منظمة التحرير الفلسطينية في الحوار ٠ وقد اتخذه وهو يدرك ان موضوع تمثيل المنظمة في الجانب العربي امر يخص العرب وتحكمه انظمة الجامعة العربية ويكتسب اهمية خاصة عند الدول العربية ٠ كما اتخذه وهو يدرك انه يعرض فكرة الحوار لازمة حادة قبل ان يبدأ تنفيذها رسميا ٠ وهنا يثور التساؤل ٠٠

ما هي الملابسات التي احاطت بهذا الموقف الاوروبي ؟ وما هي الاسباب الحقيقية التي اوصلت اليه ؟ في مجال الحديث عن الملابسات نشير الى ان الفترة التي سبقت اتخاذ هذا الموقف شهدت حدثين بالغي الاهمية على صعيد القضية الفلسطينية ٠ كان اولهما صدور قرار عن مؤتمر القمة العربي السابع المنعقد بالرباط في تشرين الاول ١٩٧٤ ، باعتبار منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي الوحيد لشعب فلسطين ٠ وكان الاخر دعوة منظمة التحرير الى الاشتراك في مناقشات الامم المتحدة والقاء رئيس اللجنة التنفيذية الاخ ياسر عرفات خطاب فلسطين في الجمعية العامة وسط مظاهر كبيرة يوم ١٣ تشرين الثاني ١٩٧٤ ٠ ولقد كان لصدور قرار الرباط صداه القوي في الاوساط الاميركية والاوروبية ، ورأت فيه بعض قياداتها اخلالا بالمعادلة التي كانت تحاول الحفاظ عليها من اجل بلوغ تسوية تتفق مع مصالحها وآرائها ٠

كذلك كان لدعوة المنظمة للاشتراك في مناقشات الجمعية العامة صداه القوي على صعيد الرأي العام الدولي ٠ كما كان للمشاركة الفلسطينية في تلك الدورة اثرها الكبير في ابراز المنظمة كممثل لشعب فلسطين واتخاذها حجما يفوق الحجم الذي ارادت الولايات المتحدة الاميركية تحديدها ضمنه ٠

ويمكننا أن نشير الى سببين مترابطين كانا وراء اتخاذ الموقف الاوروبي ٠ أولهما موقف الولايات المتحدة الاميركية من الحوار العربي الاوروبي ٠ والاخر اختلاف الدول الاوروبية وبفعل عوامل اخرى حول أمور تتعلق بالحوار ٠

لقد اتخذت الولايات المتحدة موقفا معاديا للحوار حين برزت فكرته في اعقاب حرب رمضان وبرز رد فعل اميركي سريع على المبادرة الاوروبية ، فاعلنت الولايات المتحدة يوم ١٩٧٤/١/١١ عدم موافقتها على مبادرات اوروبا « الجانبية » ٠ واقترحت عقد مؤتمر للطاقة في واشنطن تواجه الدول المستهلكة فيه الدول المنتجة ٠ وذلك لتقطع الطريق على دول المجموعة الاوروبية وتصرفهم عن حوار الدول العربية في موضوع الطاقة الذي كان العامل الحاسم في طرح فكرة الحوار بعد أن تأثرت اوروبا الغربية كثيرا بالحظر النفطي العربي في اعقاب حرب رمضان ٠ وقد لبت الدول الاوروبية التسع دعوة الولايات المتحدة واشترطت استبعاد اعطاء تجمع الدول المستهلكة صفة المؤسسات ٠ وكان هذا الشرط بناء

على طلب من فرنسا · وحين عقد هذا المؤتمر في ١٩٧٤/٢/١١ بواشنطن تجاوز التفويض الاوروبي باحداث لجنة تنسيق وهي شكل من أشكال المؤسسات ، مما ادى الى رفض فرنسا المشاركة في اعمال تلك اللجنة · ونتج عن اندلاع هذه الازمة في مجموعة دول السوق ارجاء اجتماع مجلس وزراء المجموعة الذي كان مقررا بتاريخ ١٩٧٤/٢/١٤ · وحرصت الولايات المتحدة على تكثيف تحركها في الدول التسع لتمنع اندفاعها في اتجاه الحوار مع العرب · وقد نقل مسؤول كبير في المجموعة الاوروبية لكاتب هذه السطور ان وزير الخارجية الاميركي بذل جهدا كبيرا في هذا المجال وكان مما ردده على مسامع وزراء خارجية الدول التسع قوله « انتم مخطئون حين تقبلون الجلوس مع عشرين دولة عربية ومخطئون حين تقبلون الجلوس مع منظمة التحرير الفلسطينية » ·

وحين جاءه الرد الاوروبي « ان هذه مسألة تخصنا » ، وسنتدبر امرنا فيها أكد الطلب منهم ان لا يتضمن الحوار « حديثا في موضوع الطاقة او بحثا في المسائل السياسية » وقد ظهرت آثار هذا الضغط الاميركي خلال اجتماعات مجلس وزراء ـ المجموعة الاوروبية ، وتحفظت بريطانيا على قرار وزراء المجموعة في ١٩٧٤/٣/٤ ، الذي وافق على مبدأ الحوار العربي الاوروبي لعدم وجود حكومة لها انذاك ثم اصطدم مجلس وزراء الدول التسع في اجتماعه يوم ١ و ١٩٧٤/٢/٢ بمعارضة الحكومة البريطانية الجديدة التي التزمت بالدفاع عن وجهة النظر الاميركية الرامية الى ضرورة الالتزام بمبدأ « المشاورات المسبقة » بين اطراف الكتلة الغربية بكل ما يتصل بموضوعات « ذات اهمية كبرى » · وقد اعتبرت بريطانيا ان رسم سياسة خارجية مشتركة لدول المجموعة مرتبط بمبدأ تحديد العلاقات بين اوروبا والولايات المتحدة ، وان التشاور الاوروبي الاميركي من الشروط المسبقة له · ويمكن القول ان وجهة النظر هذه كانت تجد لها صدى بين عدد من دول المجموعة التي كانت تؤمن بأن مستقبلها السياسي مرتبط باقامة علاقات وثيقة مع الولايات المتحدة ·

وقد تأثرت هذه الدول بطلب كيسنجر وزير الخارجية الاميركي من المجموعة ان تبقى السياسة بعيدة عن الحوار · وتجدر الاشارة هنا ان سياسة كيسنجر في هذا المجال انطلقت من تطلعه لتقييد الدور السياسي للقوى الاوروبية في منطقة الوطن العربي ، ومن حرصه على أن يحتفظ لنفسه بزمام المبادرة لبلوغ تسوية سلمية في المنطقة ·

اختلفت الدول الاوروبية بفعل هذا الموقف الاميركي ، وبفعل عوامل اخرى حول أمور تتعلق بالحوار · وقد ظهر هذا الاختلاف في مناسبات عدة · ونشير كمثل مناسبة التصويت على القرار القاضي بدعوة منظمة التحرير الفلسطينية الى الاشتراك في مناقشات الجمعية العامة للامم المتحدة عام ١٩٧٤ · فقد صوتت فرنسا وايطاليا وايرلندا الى جانب القرار في الوقت الذي عارضته هولندا والدانمرك وبريطانيا ، وامتنعت بقية دول المجموعة عن التصويت · وحين طرحت قضية تمثيل المنظمة في الحوار ظهر ميل من فرنسا وايطاليا وايرلندا للموافقة بينما عارضت بريطانيا وهولندا والدانمرك والمانيا الغربية بحجة عدم اعتراف الدول الاوروبية بالمنظمة · وهناك امثلة أخرى على الاختلاف الموجود بين دول المجموعة حول قضايا سياسية واقتصادية · وقد لمسها الجانب العربي خلال تجربة الحوار حين بدأت · وظهرت بوضوح حقيقة ما قاله تايلور « من ان الجماعة الاوروبية اذا كانت تشير غالبا الى نقص الترابط بين العرب ، فانها في احيان كثيرة اكثر انقساما حول مسائل اقتصادية وسياسية من الدول العربية » (٤) ·

ويمكن ان نرجع هذا الاختلاف الى تباين السياسات الصناعية في دول المجموعة ، والى تباين سياساتها نحو المنطقة العربية · كما نلاحظ ان تجربة التعاون السياسي بين دول المجموعة جاء لاحقا لتجربة التعاون الاقتصادي ، لان المجموعة بدأت كسوق ، وكثيرا ما

يسمع اعضاء الجانب العربي من الجانب الاوروبي في معرض تبريره لتأجيل بحث الجانب السياسي من الحوار « ان التعامل بين دول المجموعة لرسم سياسة موحدة لها شيء جديد ، وهو يخضع لوزراء الخارجية بينما تعود الامور الاقتصادية للهيئة الاوروبية · وقد كانت قضية الصراع العربي الاسرائيلي هي اول قضية تتعامل معها المجموعة على الصعيد السياسي ·

لم تنقطع اتصالات الجانبين العربي والاوروبي بعد تأجيل الاجتماع الاول للجنة العامة· واصبح من بين اهداف هذه الاتصالات التغلب على العقبة التي ابرزها الموقف الاوروبي من تمثيل منظمة التحرير · وقد اكد وفد اوروبي في اجتماع له بالامين العام للجامعة العربية ورئيس الجانب العربي يوم ١٩٧٥/١/١٨ اهتمام المجموعة الاوروبية بالحوار ورغبة الجانب الاوروبي في التعاون مع الجانب العربي وحرصه على استمرار الاتصال · وعقب ذلك تقدم سفير ايرلندا باعتباره الممثل للرئاسة الدورية للمجموعة بمذكرة تضمنت بعض الافكار حول الخطوط العريضة للمجالات التي سيشملها الحوار وطلبت التعرف على وجهة النظر العربية بشأنها ·

شغلت المجموعة الاوروبية في تلك الاثناء بالتفكير في مخرج لعقبة التمثيل ، وتوصلت في اجتماعها بدبلن يوم ١٩٧٥/٢/١١ الى اقتراح محدد يتلخص في ان يتم الحوار على الصعيد الفني لبحث المسائل والموضوعات التي سيشملها التعاون بين الجانبين ، وان يكون هذا الحوار بين وفد يمثل الجامعة العربية ووفد يمثل المجموعة الاوروبية ، على أن يكون من المفهوم ان الوفد العربي يضم أعضاء فلسطينيين · وهكذا حاول هذا الاقتراح معالجة الامرين المترابطين اللذين اوصلا الجانب الاوروبي الى تأجيل اجتماع اللجنة العامة الاول· فالجزء الاول من الاقتراح يعني قصر الحوار على الجانب الفني منه الذي يركز على المسائل الاقتصادية ويتجنب تماما البحث في السياسة · والجزء الاخر من الاقتراح يحاول الالتفاف حول تمثيل منظمة التحرير الفلسطينية بالاقرار بوجود ممثليها ضمن وفد عربي واحد ولا تبرز فيه الهويات القطرية ·

ابدى الامين العام للجامعة العربية استعداده لعرض هذا الاقتراح على الجانب العربي بعد ان سجل أمام الجانب الاوروبي انه يجب ان يكون مفهوما ان الاجتماع على مستوى الخبراء لا يكون بديلا عن اجتماع اللجنة العامة ، ولكنه يعد تمهيدا له ، وان الخبراء الفلسطينيين سيشتركون على قدم المساواة مع زملائهم من الخبراء العرب الاخرين وستقوم منظمة التحرير الفلسطينية بتعيينهم · وفي ابريل-١٩٧٥ قرر مجلس الجامعة العربية قبول الاقتراح الاوروبي ، وفوض الامين العام للجامعة اجراء اتصالات بالجانب الاوروبي لعقد الاجتماع المشترك الاول لخبراء الجانبين في النصف الاول من يونيو (حزيران) ١٩٧٥ · وطلب في قراره من الدول العربية ومنظمة التحرير الفلسطينية ان تبادر بتعيين خبراء على مستوى عال لتمثيل الجانب العربي في هذا الاجتماع · كما طلبت من الامين العام ان يدعو الى اجتماع للخبراء العرب يسبق الاجتماع المشترك بغرض صياغة موقف عربي موحد ، وتحدد يوم ١٩٧٥/٥/٢٠ موعدا لهذا الاجتماع · وبينما كان الاعداد جاريا لعقد الاجتماعين جاءت الانباء من بروكسل تعلن عن توقيع المجموعة الاوروبية اتفاقا تجاريا مع اسرائيل يوم ١٩٧٥/٥/١١ تتمتع الدولة الصهيونية بموجبه بافضلية جمركية · واحاطت اسرائيل هذا التوقيع بحملة اعلامية واعتبرته انتصارا اقتصاديا وسياسيا على الدول العربية · كما كان لهذا الحدث رد فعل غاضب في الاوساط العربية ، وخيم على الحوار جو ملبد ·

وسط هذا الجو المليد انعقد اجتماع الخبراء العرب ، واتجهت الانظار الى منظمة التحرير لترى الموقف الذي ستتخذه من الحوار بعد مجموع التطورات التي حدثت منذ

اعتراض المجموعة الاوروبية على التمثيل الفلسطيني ٠

وكانت منظمة التحرير قد وقفت مع فكرة الحوار في مؤتمر القمة العربي السادس بالجزائر ، وأسهمت في صياغة البيان العربي الموجه لاوروبا الغربية الذي صدر عنه ، ثم اكدت موقفها من الحوار في مؤتمر القمة السابع الذي انعقد بالرباط في اكتوبر ١٩٧٤ ، واثيرت في جلسات المؤتمر المغلقة مسألة حضورها وكان التوجه العام هو حضورها كعضو لان فلسطين « عضو في الجامعة العربية منذ انشائها » (٥) ٠

واتخذ ممثل المنظمة في اجتماع لجنة الحوار العربي الاوروبي الذي انعقد للتحضير لاجتماع اللجنة العامة موقفا مؤيدا لفكرة الحوار ومؤكدا على اهمية الجانب السياسي فيه ومتمسكا بحضور المنظمة جلساته (٦) ٠ تولى مجلس ادارة الصندوق القومي الفلسطيني مهمة تمثيل المنظمة في اجتماع الخبراء ، واوفد ممثلين عنه للمشاركة (٧) ٠ وطالب وفد المنظمة في الاجتماع بان يكون الموقف العربي مستجيبا للتطورات التي جرت على صعيد العلاقات العربية الاوروبية وليس مجرد رد فعل انفعالي ٠ وانطلق من هذا التحديد لطبيعة الموقف المطلوب الى شرح رؤيته للمرحلة التي تمر بها العلاقات العربية الاوروبية بعد حرب رمضان منتهيا الى القول بضرورة الحوار ، ومركزا على اهمية الجانب السياسي فيه مع ابراز الصفة الحضارية للحوار وشموليته لجوانب عدة وطرح وفد المنظمة تصوره للاسلوب الامثل لبلوغ الاهداف العربية في اجتماع الخبراء ٠ واكد ترابط جوانب الحوار في المجالات الاقتصادية والثقافية والسياسية ، وامكانية الوصول من طرح اي موضوع فيها الى طرح رؤيتنا السياسية (٨) ٠

لقي طرح المنظمة في هذا الاجتماع قبولا واسعا بين الاعضاء العرب ، وحسم هذا التوجه التوزع الذي كان موجودا بين الاستمرار في الحوار وبين قطعه ٠ واسند المجتمعون لوفد المنظمة مهمة صياغة مشروع ورقة العمل العربية في صورته النهائية ومهمة طرح الجانب الثقافي للحوار خلال الاجتماع المشترك ٠ وأسفر اجتماع الخبراء العرب عن اتخاذ موقف عربي فاعل ، ولم يكن ذلك سهلا وسط الحملة الاعلامية الصهيونية التي احاطت بتوقيع الاتفاق التجاري بين المجموعة الاوروبية واسرائيل ٠ وقد جاء هذا الموقف الفاعل منسجما مع الظروف المحيطة بالصراع العربي الاسرائيلي ومع الاهداف العربية التي من بينها استمرار تحويل الموقف الاوروبي من العدوان الاسرائيلي عما كان عليه قبل حرب رمضان للانتقال به الى معارضة احتلال الاراضي العربية ثم الى الضغط على اسرائيل للانسحاب ٠٠ وصولا لما هو اكثر من ذلك من خلال علاقات التعاون القائم على المصالح المشتركة ، والتي من بينها ايضا ايجاد علاقات عربية أوروبية تساهم في رسم صورة دولية افضل وتسهم في تحقيق الامن والسلام القائم على العدل ٠

وكانت قد ابرزت داخل اوساط المنظمة قبل هذا الاجتماع وجهتا نظر حول الموقف الذي يجب ان تتخذه المنظمة من الحوار ٠ وقد رأت وجهة النظر الاولى ان الموقف يجب ان يتسم بالتشدد ويصل بالاجتماع الى حد وقف الحوار ان لم يعد الجانب الاوروبي عن اتفاقيته مع اسرائيل ، وان لم يعترف بمنظمة التحرير ٠ وكان تقدير اصحاب هذا الرأي ان الاوروبيين ليسوا صادقين في توجههم وان من الضروري وضعهم على المحك ، بينما رأت وجهة النظر الاخرى ان الموقف يجب ان يتسم بالعقلانية ويصل بالاجتماع الى صنع موقف عربي واحد فاعل يبرز منظمة التحرير ويباشر ايجاد حقائق ملموسة في العلاقات العربية الاوروبية تفرض على الجانب الاوروبي ان يغير من مواقفه لصالح الحق العربي ٠ وكان تقدير أصحاب هذا الرأي ان اسلوب التشدد لا ينسجم مع مفهوم الحوار وان الموقف الدولي يقتضي تعريف العالم بالوجه الحضاري للثورة الفلسطينية ٠

وقد انتهى اجتماع الخبراء العرب بترجيح وجهة النظر الثانية ، وكان النجاح الـــذي حققه في حد ذاته مثلا صادقا على سلامتهـا ٠

طالب الجانب العربي في نهاية اجتماع الخبراء ايضاحات محددة من الجانب الاوروبي بشأن الاتفاقية التي ابرمتها دول المجموعة مع اسرائيل وما ان كانت تشمل الاراضي المحتلة واصدر بيانا سياسيا بشأن الحوار ٠ وتلقى ردا اوروبيا اعتبره مرضيا فتقرر البـــدء بالحوار على الصعيد الفني في موعده ٠ وانعقد اجتماع الخبراء الاول ـ بالقاهرة مـــن ١٠ ـ ١٢ يونيو (حزيران) ١٩٧٥ وصدرت عنه مذكرة مشتركة ٠ وتلاه انعقاد اجتـماع الخبراء الثاني بروما خلال الاسبوع الرابع من شهر يوليو (تموز) ١٩٧٥ ، ثم انعقـد اجتماع الخبراء الثالث في ابو ظبي خلال الاسبوع الرابع من شهر نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٥ ٠ وصدرت عن هذين الاجتماعين ورقتا عمل ٠ شاركت منظمة التحرير الفلسطينية في هذه الاجتماعات بفعالية ، واتخذت من الحوار موقفا مبدئيا تحدده عوامل ثلاثة هي هدف التحرير وحقيقة المضمون الانساني للثورة الفلسطينية والتزام منظمـــة التحريـر الفلسطينية القومي باعتبار فلسطين جزءا من الوطن العربي ، وادراك المنظمة لصـــورة عالمنا المعاصر وكتله وتقسيماته ٠ واوضحت المنظمة ان هذه العوامل مجتمعة « تقـــول بضرورة الحوار في عصرنا وترى امكانية قيام علاقة بين الوطن العربي واوروبـا الغربية يحكمها من ناحيتها المبادىء والمصالح ، ونستطيع من خلالها ايجاد حقائق تعرض علـــى اوروبا ان تغير من مواقفها لتقف مع الحق العربي » (٩) ٠ وسلطت الاضواء على منظمة التحرير في هذه الاجتماعات بفعل الموقف العربي الفاعل الذي حرص على ابراز اشتراكها، واسندت الوفود العربية لوفد المنظمة دورا خاصا في اجتماع القاهرة فتحدث رئيسه عـن الحوار في جوانبه الحضارية والثقافية باسم الجانب العربي (١٠) ٠

وكان اشتراك المنظمة بدوره عاملا أساسيا في صياغة هذا الموقف العربي الفاعل واغناء افاقه السياسية والحضارية ٠ وعهد الجانب العربي الى رئيس وفد المنظمة بصياغة كلمته في اجتماع روما كما اختار ممثل المنظمة للرئاسة العربية للجنة الثقافة والعمل والشؤون الاجتماعية ٠ وحددت المنظمة استراتيجية واضحة تجاه الحوار انطلقت في تحديدها مـــن انتمائها القومي ونظرتها الشمولية ٠ وقد شرح ممثلها في الحوار هذه الاستراتيجية فقال « تتميز نظرة المنظمة لفكرة الحوار العربي الاوروبي بانها شاملة تتجاوز المصالح الانيـــة الصغيرة ٠ ومن هنا فهي ترى الحوار ضرورة مستقبل تفرضه عبرة تاريخ مشترك وحقائق عالمنا المعاصر ٠ وقد اورثتها هذه النظرة وممارسة شعب فلسطين العربي لواجبه النضالي في نطاق تصعيد ثورته ثقة بقدرتها وقدرة الوطن العربي على النفاذ للمجموعة الاوروبية وايجاد حقائق بالموقف العربي الواحد تفرض على هذه المجموعة تجسيد ما التزمت به في بيان ٦ نوفمبر (تشرين الثاني) الانتقال الى موقف اكثر تقدما، يتجاوز الحديث الاوروبي غير المنطقي عن سياسة التوازن بين الدول العربية واسرائيل » (١١) ٠

وشاركت المنظمة في اجتماع ابو ظبي بوفد قوي كان له دوره في صياغة موقف عربـــي واحد خلال اجتماع الجانب العربي ٠ فقد طرح على هذا الاجتماع تصور الجانب الاوروبي لاستمرار الحوار واجتماع اللجنة العامة التي استمر الجانب العربي يطالب بانعقادها ٠ وتضمنت رسالة الجانب الاوروبي استعداده لعقد اجتماع اللجنة العامة على اساس أن يتم في صورة وفد اوروبي واحد ووفد عربي واحد على غرار صورة لقاء الخبراء ٠ وحددت مستوى التمثيل بمستوى السفراء ، وان تكون مهمة اللجنة العامة التنسيق بين اعمـــال اللجان المختلفة يمكن لها ان تبحث موضوعات اخرى يتفق عليها اذا طلب الجانب العربي٠

وبدا واضحا بعد طرح هذا التصور ان آراء الوفود العربية موزعة تجاهه ٠ وقـــد

تراوحت مواقفها بين التشديد على ضرورة عقد اللجنة العامة فورا وقبل الاجتماع المشترك، وبين الفراغ من اجتماع الخبراء الثالث وعدم عقد اي اجتماع آخر حتى تنعقد اللجنة العامة · وبعد أن أعلن وفد المنظمة موقفه المبدئي من الحوار حدد رأيه فيما يتعلق باجتماع اللجنة العامة ان الحوار العربي الاوروبي لا يجوز ان يقتصر على الجانب الاقتصادي ، بل لا بد ان يشمل شتى الجوانب لانه حوار حضاري يركز خصوصا على الجانب السياسي، لانطلاقه من ارادة سياسية لطرفيه ولان المناخ السياسي يؤثر كثيرا على تقدم الحوار في الجانب الاقتصادي · ونادى بضرورة عقد اجتماع للجنة العامة باسرع وقت ممكن ، ولا بأس ان تبدأ بمستوى السفراء على ان يكون واضحا انها ستصل الى اجتماع وزراء الخارجية · ولا بد ان تبحث اللجنة العامة فضلا عن التنسيق بين اعمال الخبراء الجانب السياسي من الحوار · كما اعلن الوفد ان منظمة التحرير لا ترى مانعا من ان يتم الاجتماع على غرار اجتماع الخبراء « لانها تتجاوز كسب بروز الشخصية الفلسطينية من الواقع العربي الاقليمي في سبيل بروز الحقيقة القومية الواحدة وظهور العرب كجانب واحد متماسك في الحوار · ولان الصورة الراهنة ـ كما ظهر من تجربة الاجتماعين السابقين ـ هي افضل الصور لجانبي الحوار (١٢) · وتقدم وفد فلسطين باقتراحات محددة بشأن الاستراتيجية العربية تجاه الحوار وطريق الاتصال بين الامانة العامة والدول العربية ·كما عهدت الوفود العربية لرئيس الوفد بصياغة كلمة الجانب العربي ·

يهمنا بعد هذا العرض لدور وفد المنظمة في هذه الاجتماعات ان نعرض لما دار فيها بشأن قضية فلسطين · فعلى الرغم من انها انعقدت تحت لواء « الخبرة الفنية » ليتجنب الجانب الاوروبي بحث الامور السياسية في الحوار ، الا انها شهدت حديثا سياسيا متصلا سواء في خطابات الافتتاح او خلال الاتصالات الثنائية ·

وقد أقر الجانبان في مقدمة المذكرة المشتركة التي صدرت عن اجتماع القاهرة « ان الحوار العربي الاوروبي ينبثق من ارادة سياسية مشتركة برزت على اعلى مستوى بقصد اقامة علاقات خاصة بين المجموعتين » · كما اشار الجانبان الى ان بروز فكرة الحوار مرتبط بحرب ١٩٧٣ ، وحددا فهمهما للابعاد السياسية للحوار فانها في جوهرها محاولة اعادة اكتشاف وتجديد وتنشيط الروابط التي تؤثر على المنطقتين المتجاورتين (١٣) · وطرحت كلمة الجانب العربي في اجتماع القاهرة الجانب السياسي من الحوار بوضوح ، بينما اوجزت كلمة الجانب الاوروبي الحديث عنه مع تسليمها بأهميته (١٤) · وناقش الجانب العربي في كلمته الافتتاحية بروما الموقف الاوروبي من الاحتلال الاسرائيلي عمليا بمناسبة قرار صدر عن البرلمان الاوروبي عرض بالعمل الفدائي ، وتحدث عن مواقف دول اخرى تحاول عرقلة الحوار · كما تناولت كلمة افتتاح الجانب العربي في اجتماع ـ ابو ظبي عرضا وافيا للاحداث السياسية الهامة التي جرت على الصعيد الدولي وعلى صعيد قضية فلسطين بوجه خاص من مؤتمر هلسنكي للامن الاوروبي الى مناقشة قضية فلسطين في الامم المتحدة ومواقف الدول الاوروبية من منظمة التحرير الفلسطينية الى سياسة الاحتلال الاسرائيلي في الاراضي العربية المحتلة ، وطرحت ما يمكن ان يكون عليه الموقف الاوروبي ليسهم في بلوغ سلام عادل في المنطقة · وتعرض الجانب الاوروبي في كلمته لقضية فلسطين بايجاز واشار الى تفسير مواقفه الاخيرة في الامم المتحدة (١٥) ·

وسجل الجانبان في مقدمة الورقة المشتركة «ضرورة ان يوضع في الاعتبار البعد ـ السياسي من الحوار حتى يتسنى له ان يتطور على النحو المنشود وان يتواصل بطريقة فعالة » · ولقد وجد الجانب الاوروبي نفسه وجها لوجه في هذه الاجتماعات الثلاثة مع منظمة التحرير الفلسطينية التي وصف الجانب العربي موقفها المبدئي من الحوار

بالايجابية واعلن « انه كان عاملا حاسما في دفع الجانب العربي للشروع في الحوار وشق طريق امامه بعد ان كاد يصل الى طريق مسدود » (١٦) · واقبل اعضاء الجانب الاوروبي على الاحتكاك بالوفد الفلسطيني والاتصال باعضائه ، وتحولوا من التحفظ الشديد في مسلكهم تجاه وجوده في اول يوم من اجتماع القاهرة الى الاقبال عليه بعد ذلك · واثمر هذا الاحتكاك نتائج غير مباشرة في التعريف بالصورة الحضارية للمنظمة وفي طرح وجهة نظرها وكسب اصدقاء لها في الجانب الاوروبي ، وطرح بالحاح عليه مسألة التعامل معها والاعتراف بها ·

وضاعفت منظمة التحرير الفلسطينية خلال هذه الفترة من اهتمامها بمتابعة الحوار فزادت عدد اعضاء وفدها الى اجتماعاته ، واتخذ مجلس ادارة الصندوق القومي الفلسطيني قرارا بان يكون احد اعضائه مسؤولا عن شؤون الحوار العربي الاوروبي · وتعزز هذا القرار بقرار اتخذته اللجنة التنفيذية اقر تشكيل وحدة للحوار في المنظمة (١٧) · وكانت المنظمة اول عضو عربي في الجامعة يشكل وحدة للحوار تنفيذا لاقتراح برز في اجتماع الجانب العربي في ابو ظبي · يهمنا قبل ان نختم حديثنا عن مرحلة اجتماعات الخبراء في الحوار ان نربط موقف المنظمة هذا بالمرحلة التي كان يمر فيها النضال الفلسطيني لنتعمق فهم هذا الموقف · ولقد عرضنا لرؤية المنظمة الاستراتيجية للحوار ، ونضيف ان النضال الفلسطيني دخل بعد حرب رمضان مرحلة جديدة برز فيها الوجود الفلسطيني على مسرح السياسة الدولية ، ودخلت منظمة التحرير كممثلة لشعب فلسطين المحافل الدولية ، فبعد الاعتراف بها كممثل شرعي في مؤتمر الرباط على الصعيد العربي ، جاء خطاب فلسطين في الامم المتحدة واعترفت المنظمة الدولية بمنظمة التحرير كعضو مراقب ، وتتالى اعتراف دول عدم الانحياز والدول الاشتراكية بالمنظمة ·

· والقى ذلك كله مسؤولية جديدة على كاهل الثورة الفلسطينية هي مسؤولية التعامل السياسي مع الاسرة الدولية · واصبح لزاما على المنظمة ان تقرن الكفاح المسلح الفلسطيني ضد المحتل بالطرح السياسي الذي تشرح فيه أهدافها وتحدد فيه مطالبها · وقد اقتضى ذلك تقديم صف من الكفاءات الفلسطينية لتتولى هذه المسؤولية ·

□

دخل الحوار العربي الاوروبي مرحلة جديدة بانعقاد الاجتماع الاول للجنة العامة بمدينة لوكسمبورج من ١٨ الى ٢١ مايو ١٩٧٦ · وقد توصل الجانبان الى الاتفاق على دعوة اللجنة العامة بعد ان حققت اجتماعات الخبراء على الصعيد الفني هدفها ومثلت مرحلة تمهيدية ناجحة · وجاء اجتماع لوكسمبورج على مستوى السفراء ليبحث في مسار الحوار وفي المسائل السياسية المتعلقة به · وسبق الاجتماع المشترك اجتماع للجانب العربي استهدف صياغة الموقف العربي الواحد · وقد حدد وفد المنظمة في الاجتماع العربي المهام التي يجب انجازها على صعيد اللجنة العامة « بانها مباشرة الحوار في الجانب السياسي الذي طال انتظارنا لبحثه ثمانية عشر شهرا » · وطرح اقتراحا بتقويم مسار الحوار على صعيد الجانب العربي قبيل انفضاض الدورة وتحديد مستلزمات استمرار السير فيه · وكلف الجانب العربي رئيس وفد المنظمة بكتابة كلمته ورئاسة لجنة الصياغة التي ستتفق مع الجانب الاوروبي على البيان المشترك (١٨) ·

كان الحديث السياسي في اجتماع اللجنة الاول شاملا · وقد طرح في صورة بيان

سياسي‌عربي واخر اوروبي القاه رئيسا الجانبين ، ثم في صورة بيانين تكميليين علق فيهما كل جانب على ما طرحه الجانب الاخر في بيانه · والقى رئيس وفد المنظمة بتكليف من الجانب العربي البيان التكميلي العربي · وتلا ذلك اجتماع مشترك للجنة الصياغة التي قامت في واقع الامر بمهمة لجنة سياسية ناقشت خطوط البيان المشترك واقرته · وسجل البيان العربي الاهمية الخاصة التي يكتسبها الاجتماع من بحثه السياسة العامة للحوار ، وذكر بالنظرة العربية الشاملة له ثم بالهدف العربي منه والاسلوب الامثل فيه وهو اسلوب المصارحة · وانطلق يعرض صورة الواقع القائم في المنطقة بعد مضي ثلاثين شهرا على صدور بيان ٦ نوفمبر ، وركز على تشبث الكيان الصهيوني باحتلال الاراضي العربية ، واستمراره في مخططاته التوسعية ببناء المستعمرات الاستيطانية العنصرية وممارسته ابشع انواع العسف والاضطهاد على شعب فلسطين العربي · وحذر الخطاب من حدوث التفجر الشامل في المنطقة ومن الخطر الذي يتهدد أمن الوطن العربي وأمن اوروبا · وتناول الخطاب بعد ذلك قضية فلسطين مركزا على الموقف الاوروبي منها وما يمكن للجانب الاوروبي ان يقوم به لمعالجتها، وما يمكن للتعاون العربي الاوروبي ان يحققه لبلوغ سلام عادل في المنطقة ، وبحث في علاقة دول المجموعة الاوروبية بالكيان الصهيوني منذ بيان ٦ نوفمبر (تشرين الثاني) وعلاقتها بالدول العربية وبمنظمة التحرير الفلسطينية، وطالب فيما يخص علاقة اوروبا الغربية باسرائيل بأن تتخذ الدول الاوروبية مواقف واضحة وغير مترددة في المجال الدولي بمعارضة العدوان والاحتلال ، وانتهاج سياسة اقتصادية تلجم اسرائيل عن الانسياق وراء اوهام التوسع ، والتعبير باساليب مختلفة عن استيائها من استمرار الكيان الصهيوني في تحدي الارادة الدولية والتوقف عن مد اسرائيل بالسلاح· وعارض الخطاب الرأي الاوروبي الذي يبرر سياسة دول المجموعة بانه تجسيد لسياسة التوازن وطرح مفهومه لهذه السياسة · وسجل فيما يخص علاقات دول المجموعة بالدول العربية وبالمنظمة ما حدث من تقدم بهدف تحقيق فهم اكبر وامكانية نمو هذا التقدم من خلال الاهتمام بقضية فلسطين والاعتراف الكامل بمنظمة التحرير وبحق شعب فلسطين في العودة · وختم الخطاب بشرح وجهة النظر العربية في اهم القضايا التي تتصل بأمن وسلام العالم ·

أما البيان الاوروبي فقد عرض بايجاز العلاقات التاريخية بين العرب واوروبا ، ثم ارخ لفكرة الحوار وشرح اهدافه وحدد المهام التي يجب انجازها في اجتماع اللجنة العامة · واوضح وعي الجانب الاوروبي للمعنى السياسي للحوار ·· وتتبع انشغال دول المجموعة بأمن البحر الابيض المتوسط وموقفها من مأساة النزاع في منطقة الوطن العربي · وحدد هذا الموقف كما جاء في بيان ٦ نوفمبر (تشرين الثاني)· وأوضح ان اوروبا الغربية لا تريد ان تحل محل الجهات المعنية مباشرة، ولكنها ترغب ان تسهم في حدود امكانياتها · وتطرق لمشكلة فلسطين واشار الى المعونات التي قدمتها الدول الاوروبية لاغاثة اللاجئين، واوضح انه ثبت ان حل مشكلة فلسطين يطرح نفسه بالحاح من الوجهة السياسية · وانتهى من ذلك الى القول « بان الدول التسع ترى ان المسألة التي تطرح نفسها الآن هي الاعتراف بحق الشعب الفلسطيني في التعبر عن هويته الوطنية » · وعرض الخطاب الى العلاقات الاقتصادية بين دول المجموعة واعضاء جامعة الدول العربية ، وما طرأ عليها من تحسن خلال السنوات الاخيرة ونوه بالتعاون على صعيد مؤتمر التعاون الاقتصادي الدولي وقارن بينه وبين الحوار ورأي ان العمل فيها يتكامل ولا يتناقص · وعبر عن اقبال الجانب الاوروبي على اعمال اللجنة العامة بروح بناءة ·

وجاء البيان التكميلي الاوروبي ليشير الى نقاط الاتفاق التي ظهرت في بياني الجانبين وخصوصا فيما يتعلق باهمية اجتماع اللجنة العامة والنظرة للحوار والتعبير عن النيات

الصادقة في تفهم مشكلات الوطن العربي · وعلق البيان على ما جاء في الخطاب العربي بشأن بيان ٦ نوفمبر (تشرين الثاني) واعتباره نقطة تحول في الموقف الاوروبي ، بـــان انشغال اوروبا بنزاع « الشرق الاوسط » قديم وهو نابع من وعيها للروابط التي توصلهـا بالعالم العربي » الا ان التعاون السياسي للدول التسع لم يقم الا منذ عام ١٩٧١ » ·

كما اكد الخطاب « ان التعاون السياسي للدول التسع امر جديد ، وهناك صعوبـات امامه وهو عملية طويلة الامد ولا تزال في بدايتها » · وأوضح ان الجانب الاوروبي سجل بكثير من الاهتمام الاعتبارات التفصيلية التي اوردها الجانب العربي في خطابه « وهـذه تقدم مادة غزيرة للتأمل والتفكير في المناقشات التي سوف تدور بيننا في اطار اعمالنـا المتصلة بالوضع في الشرق الادنى · ونحن قد اخذنا علما بالاهمية القصوى التي تعلقونها على القضية الفلسطينية وعلى الاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني · ونحـن نعتبر هذه المشكلة مشكلة ذات طابع سياسي وتشكل عاملا حاسما في اية تسوية للنزاع · واثبت الخطاب النقاط الاربع الواردة في بيان ٦ نوفمبر (تشرين الثاني) بنصها · واشار الى ان هذا البيان لم يكن الا مساهمة اولى على طريق حل القضية حلا شاملا، واوضح ان المجموعة الاوروبية اخذت علما بالمسائل التي تشغل بال الجانب العربي خصوصا ما يتعلق منهـا بالاراضي المحتلة ، وأكد أن القوة والامر الواقع لا يجوز ان يكونا عناصر لعلاقات دوليـة مستقرة · وان الحوار سيحقق مناخا مؤاتيا لتفهم افضل لسياسات كل منا · ونبه الخطاب بالمقابل الى المشاكل الاوروبية حيث « تعبر اوروبا فترة عصيبة من الازمة الاقتصادية » · وأوضح ان الروابط الاقتصادية بين المنطقتين تدفع الى الانجاز العملي في هذا الحوار ·

تناول البيان التكميلي للجانب العربي الذي القاه رئيس وفد المنظمة تقويم تجربة الحوار مشيرا الى جهد الجانبين لتعرف كل منهما على الاخر وذكر « ان هذا الحوار يتـم بيـن طرفين كانا الى وقت قريب في موقع التصادم الكامل ، وطبيعي من ثم ان يكون لهمـا منطلقان في النظر الى الامور ·· ويدفعنا هذا المعنى ان نتذرع بالصبر ويفرض قبل ذلك ان نفتح اذهاننا لما يقوله كل منا للاخر كي يحقق حوارنا هدفه ، ولا يسمى «حوار الصم» · وانتقل الخطاب الى الحديث عن جوانب الاتفاق التي ظهرت في كلمات الجانبين بغيـة الخروج بنتائج محددة تمثل ارضية مشتركة · ومن بين هذه الجوانب الاتفاق في النظرة الى الحوار ونشأته وجذور فكرته وعوامله واهمية الجانب السياسي فيه ، والاتفاق على حقيقة أن أمن دول المجموعة الاوروبية مرتبط بأمن الوطن العربي وعلى ضرورة الانشغال بقضايا أمن سلام العالم من حولنا ، والاتفاق على استشعار القلق من الصراع الذي تشهده منطقتنا وعلى ان استتباب السلام هدف مشترك علينا ان نتعاون لبلوغه · وانتقل الخطاب بعد ذلك الى التساؤل « اين يكمن الاختلاف بيننا اذن ؟ · وما هي نقاط هذا الاختلاف ؟ » وصارح بأن الاختلاف القائم ليس بالقليل وهو كامن في تطبيق المبادىء على الواقـع القائم في المنطقة · وناقش ما جاء في حديث الجانب الاوروبي عن قضية فلسطين فوصف اسلوب التعبير الاوروبي بانه « اسلوب يحاول الدوران حول حقيقة ساطعة لا مناص من الاعتراف بها » ووصف الموقف الاوروبي بانه موقف متردد بدون مبرر في التعامـل مـع قضية شعب فلسطين وتسمية الامور بتسمياتها ، ورد بحزم على الاشارة التي وردت بشأن المساعدات الانسانية لابناء فلسطين موضحا ما قدمته اوروبا الغربية اقترن بمسؤوليـة كبيرة تقع على كاهلها في تطور الاحداث التي ادت الى نكبة فلسطين منذ بروز المشكلـة اليهودية فيها مرورا بتصريح بلفور وفرض الانتداب الى قرار التقسيم « ولا نقول ذلـك لنتحدث عن ذنوب يكفر عنها لاننا لا نفعل كما يفعل غيرنا ، وانما لنأخذ من التاريـخ عبرته » · وانتهى الخطاب من استعراض الموقف الاوروبي الى طرح اسئلة محددة علـى الجانب الاوروبي ·· « الم يئن الاوان لان يعلن حق شعب فلسطين في ان يعيش في سلام

وأمن ويقيم دولتة الوطنية على ارضه ؟

الم يئن الاوان لان تعترف دول المجموعة بمنظمةالتحريرالفلسطينية التي هيالممثلالوحيد لشعب فلسطين ؟ ألم يئن الاوان لان تعبر دول المجموعة عن موقف انساني ازاء ما يتعرض له شعب فلسطين في الاراضي المحتلة ؟ » وطالب الخطاب بموقف اوروبي قاطع يعلن ضرورة انهاء احتلال الاراضي العربية وارسى مبدأ ان العرب لا يطالبون اوروبا بما هو اكثر من استطاعتها ، وطالبها باتخاذ موقف تجاه اسرائيل تضغط عليها به معنويا وماديا · وختم الخطاب بالدعوة الى الانتقال من مرحلة اعلان المبادىء الى مرحلة ممارسة هذه المبادىء وتطبيقها على الواقع القائم (١٩) ·

قصدنا من اثبات هذا العرض التفصيلي للحوار السياسي في الاجتماع الاول للجنة العامة ان نتعرف على مكان قضية فلسطين في هذا الحوار ورؤية كل من الجانبين لهذه القضية واسلوب كل منهما في معالجتها · وان نتعرف ايضا على الافكار التي تبثها منظمة التحرير التي اعلنتها باسم الجانب العربي بشأن ما ينبغي ان يكون عليه الموقف الاوروبي· خصوصا وان هذا الحوار السياسي كان هو الاساس الذي انطلق منه البحث في الجوانب السياسية بعد ذلك · وقد لقى الطرح العربي تقدير الجانب الاوروبي الذي وصفه « بالعملية والعقلانية والتحديد » · وكان التعليق الذي تردد في الاوساط الاوروبية بعد القاء الخطاب التكميلي « ان العرب طرحوا امورا محددة واسئلة واضحة لن يجد الجانب الاوروبي مناصا من تقديم الاجابة الواضحة عليها في اجتماع اللجنة القادم » · ولقد ابرز الآن تايلور في دراسته عن الحوار المبدأ الذي طرحه الجانب العربي الخاص بعدم مطالبة اوروبا بما هو اكثر من استطاعتها وقال « ان على الاوروبيين ان يقروا بان المطالب السياسية للدول العشرين ـ يقصد العربية ـ لا تتصف في حقيقة الامر بالغلو ·· فالعرب لا يريدون ان تضاعف اوروبا من دورها ، ولكنهم في الوقت نفسه لا يرحبون بتقليص هذا الدور » (٢٠) ·

لقد استطاع الجانب العربي في اجتماع لوكسمبورج ان يحقق هدفين هامين وضعهما نصب عينيه في الحوار · اولهما مباشرة الجانب السياسي منه بعد ان تأجل بحثه بطلب من المجموعة الاوروبية وطرح قضية فلسطين كبند رئيسي أول في هذا الجانب وثانيهما ابراز منظمة التحرير كناطق بلسان الدول العربية ليقف الاوروبيون امامها وجها لوجه توطئة لاعترافهم بها · وصدر عن هذا الاجتماع بيان ختامي تناولت البنود ٤ و ٥ و ٦ و ٧ و ٨ و ٩ و ١٠ منه الجانب السياسي بوضوح · ونص هذا البيان في البند ٧ « شرح كلا الجانبين وجهة نظرهما حول قضية فلسطين وأزمة الشرق الاوسط · وسجل الجانبان باهتمام كبير البيانات التي ادلى بها كل منهما ، واقرا ان حل مشكلة فلسطين على اساس الاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني هو عامل حاسم للتوصل الى سلام دائم وعادل » ·

حرصت منظمة التحرير الفلسطينية ان تتابع نتائج اجتماع لوكسمبورج فتقدمت في شهر يوليو ١٩٧٦ بمذكرة الى الامانة العامة للجامعة العربية بهدف « التحضير لاجتماع اللجنة القادم وبمناسبة مضي عام على مباشرة الحوار على الصعيد الفني والفراغ من اجتماع اللجنة العامة الاول » وسجلت في مجال تقويم مسار الحوار انه « بانعقاد اللجنةالعامة وبحثها الجانب السياسي استكمل الحوار اطاره وابعاده ودخل مرحلة جديدة تشتد فيها الحاجة الى الوضوح والتحديد » · واعتبرت ان بيان لوكسمبورج تضمن نقاطا سياسية واضحة تتعلق بقضية فلسطين « ومثل في محصلته بداية لا بأس بها » وبقيت هناك اسئلة محددة طرحها الجانب العربي بشأن الموقف الذي يجب ان تتخذه دول المجموعة الاوروبية

لتجسيد المبادىء التي اعلنتها في بيان٦ نوفمبر (تشرين الثاني) عمليا· ولاحظت ان موقف الجانب الاوروبي اتسم في بحثه للابعاد السياسية للحوار «بالتحفظ والتردد مع الحرص على الاستمرار في الحوار ، كما انه التزم بالحد الادنى من مواقف الدول التسع مع الحق العربي · فبدا وكأن الدول المتخلفة في مواقفها شدت اليها الدول الاكثر تقدما » · واوضحت ان الجانب العربي « يتوقع مع ما يتطلبه مناخ الحوار ان تشد الدول الاكثر تقدما الدول المتخلفة الى موقفها » · كما أوضحت انه لا يمكن للحوار ان يحقق تقدما في الاجتماع القادم « ما لم يتقدم الجانب الاوروبي في موقفه من قضية فلسطين ويقدم اجوبة محددة على الاسئلة التي طرحها الجانب العربي » ، وان ذلك « يقتضي جهدا عربيا يبذل على صعيدي العمل العربي الموحد والعلاقات الثنائية بين الدول العربية ودول المجموعة التسع » · وحددت ما هو مطلوب على صعيد العمل العربي الموحد بان الحاجة تزداد الحاحا للتقدم على طريق « وضع استراتيجية عربية واحدة للتعاون بغية تحديد مجالات واساليب وحجم التعاون العربي والاوروبي وتوظيف هذا التعاون لصالح الجانب السياسي من الحوار » · وأما على صعيد العلاقات الثنائية « فالحاجة ملحة لتوظيف هذه العلاقات لصالح الحوار القائم بصوره عامة ولصالح جانبه السياسي بصورة خاصة » · وقد لوحظ في مسار الحوار على مدى عام اننا كعرب لم نستخدم هذه الورقة الفعالة الموجودة بايدينا في الوقت الذي حققت فيه هذه العلاقات الثنائية وفي المجال الاقتصادي خصوصا ارتفاعا كبيرا استفادت منه دول المجموعة الى حد كبير » · وطالبت ان نباشر هذا التوظيف ونركز فيه على الدول التي عرفت بمواقفها المتخلفة · وذكرت بالموقف الايجابي الفاعل الذي اتخذته منظمة التحرير الفلسطينية من الحوار كجزء من الجانب العربي « لتضع عربته على القضبان واعطت تجربته الوقت اللازم لمباشرة الجانب السياسي فيه متذرعة بالصبر » ثم طالبت كي لا يفشل الحوار وفي مجال التحضير للاجتماع القادم ان تقوم جميع الدول العربية « باتصالات ثنائية مع دول المجموعة التسع وتوظيف علاقاتها معها بغية اتخاذها الموقف المطلوب » ، وان يعقد اجتماع عربي على مستوى وزراء الخارجية ، يخصص لاقرار استراتيجية عربية واحدة للتعاون العربي في مجال الحوار العربي الاوروبي » (٢١) ·

كانت هذه المذكرة موضع البحث في اجتماع مجلس الجامعة العربية خلال شهر سبتمبر (ايلول) ١٩٧٦· وقد تبنى المجلس الاقتراحين وأصدر قرارا باجراء الاتصالات الثنائية وقرارا آخر بالطلب الى وزراء الخارجية النظر في وضع خطة عربية متكاملة للحوار · وتشكلت اللجنة العربية للحوار التي تختص باعداد تصور مشترك للموقف العربي في النواحي السياسية والفنية في اللجنة العامة المشتركة ، وباعداد بيان الجانب العربي والنظر في تقارير اللجان واقتراح الاعتمادات اللازمة ، والتي تتكون من مندوب متخصص تعينه كل دولة عضو ورؤساء ومقرري اللجان وممثلي الامانة العامة ، واجتمعت هذه اللجنة في الفترة من٢٠ الى٢٣ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٦وحضرت لاجتماع اللجنةالعامة الثانيوقررت اجراء الاتصالات الثنائية واعتماد مضمون مذكرة منظمة التحرير في هذه الاتصالات ، وكلفت ممثل فلسطين باعداد مشروع كلمة رئيس الجانب العربي في اجتماع تونس من الناحية السياسية · وخصصت مبلغا مبدئيا قدره خمسة عشر مليون دولار لتمويل الدراسات التمهيدية ودراسات الجدوى والانشطة الخاصة بالحوار (٢٢) ·

ونظر وزراء الخارجية العرب اثناء اجتماعهم في اطار مجلس الجامعة العربية يوم ١٩٧٧/١/١٥ في مذكرة المنظمة وفي توصيات اللجنة العربية واكدوا على ضرورة استمرار الحوار العربي الاوروبي ودفعه الى الامام وتطويره نحو التعاون المثمر · كما اقروا

توصية اللجنة العربية بشأن تخصيص مبلغ من الصندوق العربي للانماء الاقتصـــادي والاجتماعي للمشاركة في تمويل الدراسات ٠

وجاء اجتماع اللجنة العامة الثاني في تونس بين ١٠،١٢ فبراير (شباط) ١٩٧٧، فكان مناسبة لمتابعة الدور الذي تقوم به منظمة التحرير في الحوار العربي الاوروبي ٠ وقد استطـــاع الجانب العربي ان يتفق على موقف عربي قوي خلال اجتماع اللجنة العربية يوم ٨ فبراير، (شباط)، واقر مشروع البيان الذي كتبه رئيس وفد فلسطين تنفيذا لقرار اللجنة العربية كما عهد اليه بالتحدث باسم الجانب العربي في اللجنة التي تبحث الامور السياسية وبالقاء البيان التكميلي ٠

كان البيان العربي في هذا الاجتماع شاملا في تناول مسار الحوار والجانب السياسي فيه واتصفت لغته بالتحديد والوضوح ٠ وقد اخذ بعين الاعتبار الظروف التي كانت تحيط بقضية فلسطين على الصعيد الدولي ، ومن بينها تأجيل اعلان تصريح لنـــدن لـــدول المجموعة بطلب من الادارة الجديدة في واشنطن ، وكان من المتوقع اعلانه قبيل اجتمـــاع تونس ٠ وتضمن هذا البيان ملاحظات الجانب العربي على مسار الحوار وارسى مبادىء تحكم معالجة المشكلات الدولية ثم ركز الحديث على الخطر الذي يتهدد أمن المنطقتين العربية والاوروبية بسبب استمرار العدوان الاسرائيلي ٠ وشرح بالتفصيل السياسة الصهيونية الماضية في اقامة مستوطنات جديدة وفي ممارسة العسف على عرب فلسطين والاراضـــي المحتلة ، وعرض للسياسة الاوروبية تجاه المنطقة والموقف الاوروبي من الصراع على ضوء ما وصل اليه الحوار ، وسجل ما حدث فيه من تقدم محدود وما اعتوره من نقص واضح في الموقف الاوروبي وتأكيدا للمبادىء التي اعلنها ، او اضيفت اليه عند الالقاء فقرة ردت على ما جاء في البيان العربي اشارت بأن المجموعة الاوروبية لا يمكن ان تسمح لاخرين ان تحدد لهما ما يجب ان تكون عليه علاقات المجموعة باسرائيل ونفت التفسيرات العربيـــة لتصريحات مستر كروسلاند وزير الخارجية البريطاني ورئيس المجموعة ٠ وجاء البيـان التكميلي العربي حاسما في ضرورة تناول جميع ما يخص العلاقات العربية الاوروبية مـن موضوعات وفي مقدمتها علاقة المجموعة باسرائيل وفي اعادة تقدير التقدم الذي حدث في الموقف الاوروبي والمطالبة بالممارسة العملية ٠ كما جاء البيان التكميلي الاوروبي واعـدا بمزيد من الجهد وببذل جهود دبلوماسية تؤكد موقفه المبدئي وقد اتصف الحـــوار فـــي اللجنة (١) بالصراحة وانتهى الى صياغة بيان مشترك سجل تأكيد الجانبين « قلقهمـــا البالغ ازاء الامن في الشرق الاوسط واحتمالاتها بالنسبة للامـــن الاوروبي والعالمـي ، وادراكهما الكامل للاخطار الكامنة في استمرار الجمود في الموقف الحالي ، واهتمامهـا المشترك في اقامة سلام دائم وعادل »٠ كما اكد على « ان حل قضية فلسطين على اساس الاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني عامل حسم في تحقيق سلام عادل ودائم »٠ وعبر الجانب الاوروبي من جديد عن وجهة نظره في انه « لن يمكن حل النزاع في الشرق الاوسط ما لم يتم ترجمة حق الشعب الفلسطيني في التعبير الفعال عن هويته الوطنية الى واقع ٠ واكد موقفه من قضية القدس وسياسة المستوطنات » (٢٣) ٠

استطاع الجانب العربي في اجتماع تونس ان يتقدم خطوة في الحوار السياسي مـــع الجانب الاوروبي ٠ كما استطاع بابرازه وفد فلسطين وبالجهد الذي بذله هذا الوفد ان يفرض وجود منظمة التحرير الفلسطينية كحقيقة كبيرة في الحوار العربي الاوروبي ٠

وحرصت وحدة الحوار في منظمة التحرير ان تعرض تجربة المنظمة في الحوار علـــى المجلس الوطني الفلسطيني في دور انعقاده الثالث عشر بالقاهرة في مارس (آذار) ١٩٧٧ ٠٠٠

فقدمت تقريرا اضافيا عنها · واصدر المجلس الوطني قرارا سجل فيه انه « بعد أن اطلع على مسار الحوار العربي الاوروبي ، ودرس الدور الفاعل الذي قامت به منظمة التحرير كجزء من الجانب العربي يؤكد اهمية هذا الحوار ويعبر عن ارتياحه لاستكماله وللتقدم الذي حققته بعض دول المجموعة الاوروبية في مواقفها من قضية فلسطين والاحتلال الاسرائيلي للاراضي العربية · ودعا المجلس دول المجموعة لتطوير موقفها الذي عرضته في بيان تونس وتجسيد هذا الموقف سياسة عملية تعارض الاحتلال الاسرائيلي وتسهم في تمكين شعب فلسطين من ممارسة حقوقه الوطنية الثابتة في وطنه » · وانتخب المسؤول عن الحوار في المنظمة عضوا في القيادة الجديدة واصبح الحوار مهمة من مهام عضو في اللجنة التنفيذية ·

وانشغل الجانب العربي بعد اجتماع تونس بتقويم مسار الحوار · وقامت منظمة التحرير بدور خاص في هذا التقويم بحكم المكانة الخاصة التي احتلتها داخل الحوار كما ساهمت في التأثير على الموقف الاوروبي مع عدد من الدول العربية كي يصدر تصريحه الجديد الذي يطور فيه تصريح ٦ نوفمبر (تشرين الثاني) وقد قام المسؤول عن الحوار بزيارة ناجحة لالمانيا الغربية في شهر يونيو (حزيران) ١٩٧٧ سبقها اتصال مفيد بالهيئة الاوروبية ببروكسل خلال مشاركته في اجتماع لجنة الثقافة والعمل ·

وحرصت منظمة التحرير ان تتقدم للدول العربية عن طريق الامانة العامة للجامعة بمذكرة تقوم فيها مسار الحوار خلال سنته الثانية اسوة بما فعلته في السنة الاولى وقد عرضت في هذه المذكرة للمرحلة الجديدة التي دخلها الحوار بعد اجتماع تونس · « والتي انتقل فيها من البحث في المبادىء والعموميات الى البحث في التطبيق والتفاصيل واوجزت حصيلة عملية التقويم التي تمت · وشرحت اسباب الركود الذي احاط بالحوار قبل اعلان تصريح لندن ثم قومت التصريح ورأت فيه تطويرا محدودا لبيان ٦ نوفمبر (تشرين الثاني) ·بما تضمنه من نص على أن حل النزاع في المنطقة لن يكون ممكنا ما لم يترجم الحق الشرعي للشعب الفلسطيني في ان يعطي تعبيرا حقيقيا لكيانه الوطني الى واقع يأخذ في الاعتبار ضرورة اقامة وطن لهذا الشعب ، وبتقريره انه « لا يمكن ضمان امن دول المنطقة عن طريق احتلال الاراضي بالقوة » ، وباشارته غير المباشرة للسياسة الاسرائيلية التوسعية حين طالب الاطراف « ان تمتنع عن اي تصريح او سياسة يمكن ان تشكل عقبة امام السعي الى السلام » · واوضحت المذكرة ان طبيعة المرحلة الجديدة تكشف عن اهمية التقدم بالجانب السياسي من الحوار ·

وتبين بالنسبة للجانب الفني منه اهمية استكمال الدراسات الاولية ، واهمية ايجاد مناخ صالح عن طريق مضاعفة الاتصال بين الخبراء والتوعية الاعلامية التي تقدم الحوار لشعوب المنطقتين · وحددت متطلباتها على رسم السياسة العامة للحوار سياسيا وفنيا « بتحديد الاهداف السياسية التي يبغي الجانب العربي الوصول اليها ، والقضايا السياسية التي يطرحها للبحث مع ترتيبها بحسب الاولوية · والاتفاق على الاستراتيجية العربية في شتى مجالات التعاون ، وتحديد المشروعات التي تقدم للبحث » · وعلى صعيد التمويل اللازم « لتنفيذ هذه الاستراتيجية على المدى القصير وعلى المدى الطويل والتحديد الواضح لمصادر هذا التمويل ولاساليب الانفاق منه » · وعلى صعيد « تطوير الجهاز الكفوء القادر على النهوض بمتطلبات الحوار وتحقيق انتظام سير العمل » · وانتهت المذكرة باقتراح محدد لتوفير هذه المتطلبات ·

كما حرصت منظمة التحرير أن تتقدم بمذكرة اخرى تطلب فيها من الامانة العامة ورئاسة

الجانب العربي الاتصال بالجانب الاوروبي في ثلاث مسائل محددة تتعلق بالاحتلال الاسرائيلي في مجال وضع البيانات المشتركة على محك التنفيذ ٠

وقد عرضت المذكرتان للبحث في اجتماع وزراء الخارجية العرب في نطاق مجلس الجامعة خلال دورة سبتمبر (ايلول) ١٩٧٧ ووافق عليها المجلس ، واصدر قرارا بشأن التمويل وبشأن متابعة الحوار ٠٠

وبعد ٠٠٠٠

يتضح من هذا العرض ان منظمة التحرير الفلسطينية اتخذت من الحوار العربي الاوروبي موقفا مبدئيا يؤيد فكرة الحوار ويؤمن بضرورتها وسط الظروف المحيطة ٠ واعتمدت فيه اسلوبا واضحا يقوم على ايجاد الحقائق والتدرج في بلوغ الاهداف ،وانطلقت في ذلك كله من الايمان باهمية التضامن العربي والعمل العربي الموحد ، وحاولت انتطرح اسلوبها تجربة ناجحة في مجال التضامن العربي ٠ وما تزال تجربة المنظمة في الحوار مستمرة وكانت قد حققت حتى عام ١٩٧٧ بعض النتائج الايجابية لقضية فلسطين على الصعيد الاوروبي، ولكن لا يزال امامها ان تحقق الكثير في مجال الانتقال بالموقف الاوروبي الى مزيد من تأييد الحق العربي ، وفي مجال اقناع اوروبا الغربية بالتاثير على الولايات المتحدة الامريكية وتتطلع المنظمة والدول العربية على الخصوص الى اعتراف دول المجموعة الاوروبية اعترافا كاملا بمنظمة التحرير والى اتخاذ موقف حازم يدين الاحتلال الاسرائيلي والى تحرك اوروبي يقنع الولايات المتحدة ان تخفف من حدة تأييدها لاسرائيل ٠

واضح مما سبق ان موقف منظمة التحرير الفلسطينية من الحوار ينسجم مع المرحلة التي يمر بها النضال الفلسطيني كما يرى البعض ويطرح نموذجا جديدا في النضال السياسي يتفق مع مرحلة النضج التي وصلتها الثورة الفلسطينية ٠ ويبقى ان نعرض لمسار الحوار خلال عام ١٩٧٨ ولمستقبله على ضوء ما جرى في اجتماع اللجنة العامة الثالث الذي انعقد ببروكسل في اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٧ وما شهدته المنطقة العربية من احداث في اعقاب هذا الاجتماع كان لها تأثيرها العميق على العمل العربي الموحد ٠

ولعل اكبر ايجابية حققها هذا الموقف هو ان منظمة التحرير اصبحت بموجبه ، وكما قال احد المسؤولين العرب ، الممثل الامين للامة العربية في الحوار (٢٤) والمعبر الصادق عن ارادتها ٠

الحواشي

(١) يراجع ، للتعرف على العوامل المحددة ، التي انضجت فكرة الحوار العربي الاوروبي ، وللتعرف على العلاقات العربية الاوروبية : احمد صدقي الدجاني، **الحوار العربي الاوروبي** ، القاهرة ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ص ٣٣ – ٦١ ، ١٩٧٦ ٠

(٢) **المصدر نفسه** ، ص ٢٥ – ٣٢ ، حيث اوردنا اهم الاتصالات التي جرت ، وابرز الاحداث الخاصة بالحوار ٠

(٣) انظر الدجاني ، **مصدر سبق ذكره**، مجلد رقم ١ ، والمقتطفات هي من اقوال بعض المندوبين العرب في ذلك الاجتماع ٠

(٤) **مصدر سبق ذكره** ، في المتن ٠

(٥) الدجاني ، **مصدر سبق ذكره** ، جلسته يوم ١٩٧٤/١١/١٤ ، حديث الامين العام المساعد ٠

(٦) مثل المنظمة في هذا الاجتماع السيد عبد اللطيف ابو حجلة ، مدير عام الدائرة السياسية في المنظمة ٠

(٧) كان وفد المنظمة برئاسة كاتب هذه المقالة ، باعتباره عضوا في مجلس الصندوق والمجلس المركزي ، وبعضوية

الدكتور محمد ربيـــع عضـــو مجلس الصندوق ٠

(٨) الدجاني ، **مصدر سبق ذكره** ٠

(٩) **المصدر نفسه** ، ص ١٠٣ ، مـــن المؤتمر الصحفي لرئيس وفد فلسطين فـي اجتماع ابو ظبي ٠

(١٠) **المصدر نفسه** ، ص ٧٤ ، وكذلـك محاضر اجتماعات الحـــوار العربـــي الاوروبي ٠

(١١) من حديث لكاتب المقالة الـــى جريدة **المحرر** ، بيروت ، ٧ آب ، ١٩٧٥ ٠

(١٢) انظر الدجاني **مصدر سبـــق** ذكره ، ص ١٣٣ ، وكذلك**محاضـــر اجتماعات ابو ظبي** ، وتقرير وفد المنظمة عن الاجتماع ٠

(١٣) الدجاني ، **مصدر سبق ذكـره** ، الوثيقة رقم ١١ ، ص ٢٢٢ ٠

(١٤) **المصدر نفسه** ، الوثيقة رقم ١٠ ، ص ٢١٠ ٠

(١٥) **المصدر نفسه** ، الوثيقة رقم ١١ ، ص ٢٤٥ ٠

(١٦) من كلمة الافتتاح في اجتمـــاع ابو ظبي ٠

(١٧) صـدر قـــرار مجلس ادارة الصندوق في تشرين الثاني ١٩٧٥ ، وتلاه قرار اللجنة التنفيذية بتكليف احمد صدقي الدجاني بوصفه عضوا في مجلس ادارة الصندوق وعضوا في المجلس المركـــزي بمسؤولية الحوار ٠ وضمت وحدة الحوار د٠ نعيم خضر، ود٠ محمد ربيع والمهندس عدنان درباس ، والمهندس علي اليسير ، والسيد سعيد كمال ٠

(١٨) من تقرير مسؤول الحوار العربي الاوروبي عن اجتمـــاع لوكسمبورغ ٠ ويراجع مقال احمد صدقي الدجاني عـــن الاجتماع في **الاهرام** ، القاهرة ، ٦/١٥/ ١٩٧٦ ٠

(١٩) ملف اجتماع لوكسمبورغ ٠

(٢٠) **المصدر نفسه** ٠

(٢١) ملف الحوار في منظمة التحريـر الفلسطينية ٠

(٢٢) **تقرير اللجنة العربية للحـوار ، ومحاضر اجتماعات الحوار العربـــي الاوروبي** ٠

(٢٣) يراجع **ملف اجتماع تونس** ٠

(٢٤) جاء هذا القول في معـــرض التعليق على الكلمة المنظمة ، وشرح ممثل فلسطين فيها ، خلال اجتمـــاع مجلس الجامعة ، ١٩٧٧ ٠

الهلال الأحمر الفلسطيني

حملت حكومة الانتداب البريطاني بعض بذور تطورها الرأسمالي الى فلسطين ، حيث بدأ بانشاء الادارات المحلية ، ولما كانت هذه الادارات في حاجة الى كوادر محلية ، أولت مسألة التعليم جزءا من اهتمامها · ونتيجة للاوضاع الاقتصادية المتردية لمعظم السكان ، اقتصر دخول المدارس التبشيرية ، الباهظة التكاليف ، على عدد ضئيل من ابناء الموسرين ·

كان عدد المدارس الثانوية الكاملة ، عام ١٩٤٥ ، لا يتعدى الثلاثة ، ولم يتعد عدد الثانويات غير الكاملة ثلاثة عشر · اما ميزانية التعليم فكانت ٥٪ ، في حين بلغت ميزانية الشرطة ٢٦٪ · وقدرت ميزانية الصحة ، في افضل احوالها ، ٤٪ من ميزانية حكومة الانتداب ، رغم الامراض المداهمة ، وعلى رأسها الملاريا وامراض الاطفال ·

لقد كانت سياسة الحكومة ، صحيا ، مقتصرة على انشاء مستشفيات لخدمة الجالية البريطانية ، اما المستشفيات الخاصة فكانت مرتفعة التكاليف ، تتعدى كلفة الاقامة لليلة واحدة النصف جنيه فلسطيني · وفي مقابل هذا ، بدأت البلديات بانشاء مستشفيات تابعة لها، وقد ارتفع عددها حتى لم تخل منها مدينة · فبات الوضع الصحي ، عام ١٩٢٨ ، كالتالي :

عدد الاطباء الفلسطينيين ١٥٨ ·

عدد الاطباء غير الفلسطينيين ٦٥٥ ·

عدد الاسرة في المستشفيات الحكومية ٣٤٣ ·

عدد الاسرة في المستشفيات الخاصة ١٧١٧ ·

بيد ان عدد الاطباء الفلسطينيين ارتفع، في العام ١٩٧٣ ، الى ١٩٠ طبيبا · وفيما تشير تقارير حكومة الانتداب الى ان نسبة الاطباء ، في العام ١٩٤٨ ، كانت طبيبا واحدا الى ست مائة وستين مواطنا ، الا انها نسبة لاتشير الى واقع حقيقي ، اذ كان معظم الاطباء من اليهود المهاجرين الذين يعملون في مستشفيات يهودية ، ولا يدخلون القرى العربية · ولكن الوضع الصحي خالطه شيء من التحسن فيما بعد ، كما انحسرت الوفيات بين الاطفال ، فقارب ٧٦ في الالف مع العام ١٩٤٦ ·

ومع مجيء النكبة ، وما خلقته من شتات للشعب الفلسطيني ، تركزت المسؤولية الصحية في مخيماته في يد وكالة الغوث التي اتبعت سياسة حجب لمعوناتها عن الكثيرين ، بحكم انهم لا يحملون بطاقات اغاثة ، تمهيدا لتقليص خدماتها ·

ولعل ابرز ما يمكن ملاحظته في خدمات وكالة الغوث (الاونروا) هو التالي :

١ ـ عدم شمول الخدمات الصحية جميع اللاجئين ٠

٢ ـ تقتصر خدماتها الصحية على عيادات قصيرة الدوام ، بحيث لا تتجاوز اليومين في الاسبوع ٠

٤ ـ لا تشتمل معوناتها من الادوية الا على انواع محددة ٠

٥ ـ لا تشمل خدماتها بعض الحالات المرضية الخاصة بالقلب ، او العلاج بالاشعة ٠

٦ ـ عدم فعالية الوكالة اساسا ، اذ ما زالت المخيمات مرتعا للاوبئة والاوساخ ٠

ازاء هذا الوضع ، لم تجد الثورة الفلسطينية بدا من سد هذا النقص الكبير في الخدمات الصحية ، فانشأت حركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح » مؤسسة الشؤون الاجتماعية والخدمات الطبية ، والعديد من المراكز الصحية والعيادات ٠ لكن الانجاز الكبير كان « جمعية الهلال الاحمر الفلسطيني » ، التي انشئت في ١٩٦٨/١٢/٢٦ ، ثم استقلت كمؤسسة في المؤتمر الوطني للعام ١٩٦٩ ، واتخذ قرار باعتبارها جهازا صحيا للشعب الفلسطيني ، فوضعت « فتح » جميع مستوصفاتها ومستشفياتها تحت يد هذه الجمعية ٠

أما أهداف جمعية الهلال الاحمر ، فقد تحددت في نشرة لجنة الاعلام ، العدد الاول ، سنة ١٩٦٩ ، وهي :

١ ـ تجسيد الكيان الفلسطيني وشخصيته الوطنية في هيئة تعنى بالشؤون الصحية والاجتماعية للفلسطينيين ، على الصعيدين المحلي والعالمي ٠

٢ ـ رعاية المناضلين في الثورة ، بتقديم العناية الصحية والتجهيزات الاسعافية ، وانشاء المستشفيات والمراكز الطبية ، وتوفير سيارات الاسعاف ولوازمها ٠

٣ ـ رعاية شؤون الاسرى والجرحى والمعتقلين في السجون الاسرائيلية ، عبر تبادل التقارير بينها وبين جمعية الصليب الاحمر الدولي ، وهيئة الامم المتحدة ، لحفظ حقوق هؤلاء وفق المبادىء الدولية٠

٤ ـ رعاية شؤون الفلسطينيين في المناطق المحتلة ، صحيا ، ومعيشيا ، واجتماعيا ، والعمل على تأمين الاتصالات بين المقيمين في الداخل واخوانهم في الشتات ، عبر الصليب الاحمر الدولي ٠

٥ ـ تبني المسائل الاجتماعية والصحية والثقافية للفلسطينيين على النحو التالي :

أ ـ تأسيس مراكز صحية ٠

ب ـ انشاء مراكز اجتماعية تعتمدعلى بعض الانتاجات اليدوية كالحياكةوالخياطة والتطريز ، وتسويقها ٠

ج ـ تيسير سبل التعليم والتثقيف ،عبر انشاء مراكز ثقافية ، ومراكز محو الامية ٠

د ـ انشاء اندية رياضية ٠

٦ ـ اقامة دورات تمريض واسعاف ٠

٧ ـ توزيع المساعدات الدولية على اللاجئين ٠

٨ ـ المشاركة في حال حدوث كوارث محلية او خارجية ٠

هذا ، وقد بلغ عدد العيادات الطبية التي اقامتها جمعية الهلال الاحمر ، بعد سنة من تاسيسها ، اي في العام ١٩٧٠ ، ٧٦ عيادة ٠ ولهذه العيادات طابع خاص ، تحدد من كونها تجاوزا لعيادات الطب التجاري ، ولانها :

١ ـ اقيمت بمساعدة الجماهير التي وعت ضرورة البحث عن مخرج من ذلك ٠

التجاهل المقصود لحاجاتها الطبية من قبل هيئة الاغاثة ٠

٢ ـ وهي تعبير عن عمل اجتماعي سياسي تشارك فيه الجماهير ذاتها ٠

وعلى الرغم من الصعوبات التي تواجه مشروعا كهذا ، واولاها العفوية ، الا ان الامور انتظمت فيما بعد ، نتيجة للالتفاف الجماهيري على الجمعية ، ونتيجة لتدفق المساعدات العربية والدول الصديقة من بعثات طبية وادوية ٠ واهم من هذا كله ، هو الطابع السياسي الثوري للعامليسن فيها ، اضافة الى الازمات التي مرت ، وتمر ، فيها الثورة ، كالغارات الاسرائيلية او المواجهات المسلحة مع من يحاولون ضربها ، حيث تتكاثف الجهود في الالتفاف حول هذه المؤسسة ، حرصا على دورها الفعال والضروري ٠

ايلول ٠٠٠ والهلال الاحمر

كان اول التحديات التي واجهتها الجمعية هو الصدام بين المقاومة والجيش الاردني في ايلول ٠ ولمواجهة هذا الوضع انشأت الجمعية ٢٠٠ مركز اسعاف في المدن والمخيمات ، كما وزعت حقائب الاسعاف على جميع محاور القتال ، بما في ذلك سياراتها وكوادرها الطبية ٠ وجهزت قافلة طبية محملة بالادوية والتموين ، وتشتمل على ١٣٠ طبيبا ، و ٢٥٠ ممرضة وممرضا ، ٥٠ اختصاصية اجتماعية، ١٠٠ سائق ، ٣٥ اداريا ، وقد قسمت القافلة الى تسع فرق تغطي اربد وجرش والسلط وعمان والزرقاء والبقعة ، الا ان السلطات الاردنية استولت عليها ، ومنعتها من تأدية مهامها ٠ وقد خسرت الجمعية، نتيجة الاشتباكات والقصف ، جميع منشآتها ومراكزها :

أ ـ مستشفى الكرامة/عمان ٠

ب ـ مستشفى الشهيد عبد الرحمن عودة/اربد ٠

جـ ـ العيادات المركزية/الحسين ٠

د ـ مقر الجمعية في جبل عمان ٠

هـ ـ ١٤ سيارة اسعاف ٠

و ـ جميع مراكز الاسعاف ٠

لقد كان قدر الجمعية ان تبني المنشآت لتهدمها الحروب ٠ وآخرها كان مستشفى تل الزعتر ، الذي بلغت تكاليفه مليون ليرة لبنانية ، وادى مهامه مدة سنة ونصف السنة خلال الحصار ٠

الهيكل الاداري

عضوية الجمعية مفتوحة لجميع ابناء فلسطين ، ولجميع العرب المؤمنين بأهداف الثورة ٠ وينتخب الاعضاء ممثلين عنهم ليمثلوهم في المؤتمر العام للجمعية ، الذي يمثل اعلى سلطة ، وظيفته :

١ ـ محاسبة المكتب التنفيذي عن اعمال الجمعية ، خلال الفترة ما بين انعقاد مؤتمرين ٠

٢ ـ مناقشة وتعديل النظام الاساسي ٠

٣ ـ مناقشة تقرير المسؤول المالي ، والتصديق على موازنة السنوات المالية ٠

٤ ـ اقرار الخطة العامة للجمعية ٠

٥ ـ مناقشة ما يدرج في جدول اعماله٠

٦ ـ قبول استقالة ، او اقالة ، المكتب التنفيذي ٠

٧ ـ انتخاب المجلس الاداري العام ٠

٨ ـ انتخاب اعضاء المكتب التنفيذي الجديد للجمعية ٠

اما المجلس الاداري ، فهو السلطة الاعلى في الجمعية اذ يغيب المؤتمر ، ويتشكل من رئيس المؤتمر العام ، او احد نائبيه ، ومن أعضاء المكتب التنفيذي العشرة ، ومن عشرة اعضاء اخر ينتخبهم

المؤتمر ، ومن امناء سر المجالس الادارية للفروع ، وثلاثة اعضاء يرشحهم المكتب التنفيذي . **وصلاحيات** المجلس الادارى هي الاشراف على تنفيذ الخطط التي يضعها المؤتمر ، ومحاسبة المكتب التنفيذي والمطالبة بانعقادات طارئة للمؤتمر بعد موافقة ثلثي اعضائه ، وتعيين مكتب تدقيق لحسابات الجمعية ، وتحديد ما يتعلق بممتلكاتها وكيفية الحفاظ عليها ، ومن ثم استثمار اموال الجمعية ، وتعليق عضوية عدد من اعضاء المكتب التنفيذي . اما المكتب التنفيذي ، فهو السلطة الاعلى في غياب المؤتمر والمجلس الادارى ، **ويتشكل** من احد عشر عضوا ، **وصلاحياته** هي : ادارة شؤون الجمعية ، الاشراف ومتابعة تنفيذ الخطوط المرحلية للمجلس الادارى العام ، المقررة في المؤتمر العام . اعداد مشروع ميزانية كل سنة جديدة ، واقرار الوسائل الممكنة لتمويل الجمعية ، وكذلك الاشراف على الانتخابات في الاقاليم ، وتعيين ممثلي الجمعية في مجلس محافظي اتحاد جمعيات الصليب الاحمر وغيرها ، وتعيين مدراء الاجهزة ، ومدراء المستشفيات ، ومدقق ومحاسب عامين ، اضافة الى تعيين اللجان المؤقتة للفروع حين انتخاب اللجان الدائمة .

جهاز الشؤون الاجتماعية

بدأ عمل هذا الجهاز مع بداية تأسيس جمعية الهلال الاحمر الفلسطيني ، في ظروف مادية وبشرية غير مؤاتية .

وقد انتقل ، مع تطور المفاهيم والممارسة، من مرحلة الاكتفاء بتوزيع المعونات والمساعدات ، شأنه في ذلك شأن وكالة الغوث ، الى مفهوم يعتمد المشاركة الاجتماعية ، متوزعا مهامه كالتالي :

١ ـ دعم صمود الاهل في الارض المحتلة .

٢ ـ تقديم العون لكل المتضررين من العدوان العسكري .

٣ ـ الاهتمام بالاسرة الفلسطينية عبر التعليم والتأهيل المهني .

٤ ـ احياء التراث الفلسطيني .

٥ ـ تقديم المساعدات العينية للاسر المحتاجة .

وقد خص هذا الجهاز الطاقات النسوية باهتمامه ، لما يتصف به من مقدرة في محاكاة التطريز القديم ، وما يتصل من ذلك بالاثاث والالبسة ، فعمد الى انشاء معرض دائم للتراث الفلسطيني في العام ١٩٧٢ ، ويشتمل على اقسام عدة ، منها قسم الازياء الذي يتضمن ما امكن جمعه من اثواب قديمة للعرض فقط ، الى جانب ازياء موضوعة على نسق قديم ، وهي للبيع . وثمة قسم للمطرزات الخاصة بالاردان وما اليها ، وقسم اخر للتحف الفنية الصدفية منها والخشبية ، اضافة الى قسم خاص بالرسوم .

ومما لا شك فيه ، ان اهتمام جهاز الشؤون الاجتماعية بالمرأة ، قد هيأ فرصة مواتية لها لتلحق بالثورة ندا للرجل ، متكافئة معه وعيا ، ومشاركة اقتصاديا . اما قناة تواصلها هذا فكان ، عموما ، عبر معاهد مهنية انشأها الجهاز ، خاصة بالتعليم والتطريز والخياطة واللغات والسكرتارية والاعمال اليدوية . وقد بلغ عدد الخريجات ، في العام ٧٦ ـ ٧٧ ، ٣٢٠ فتاة .

وتجدر الاشارة ، ايضا ، الى ان جهاز الشؤون الاجتماعية ليس الجهاز الوحيد في القيام بمهام اجتماعية ، انما هناك مؤسسة الشؤون الاجتماعية واسر الشهداء ، التابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية ، والمشرفة ، بشكل اساسي ، على اعالة وتعليم ابناء شهداء الثورة الفلسطينية .

جهاز الخدمات الطبية

من الواضح ان جهاز الخدمات الطبية

هو الاكثر تماسا مع الجماهير ، والاكثر مشاركة لها في مشكلاتها ، ومنها ان هذه الجماهير تتعامل مع الجهاز كملكية خاصة ، وهذا ما يشكل عقبة امام تطبيق نظامه على نحو ذي جدوى · وحين تطالب الجماهير هذا الجهاز بتأدية دوره كاملا، ولها الحق في ذلك ، فانما تغفل عن بعض العقبات التي يعيشها الجهاز في شكل دائم ، واهمها ارتفاع نسبة الدوران بين العاملين (اي الالتحاق بالعمل والاستقالة منه في فترة وجيزة) وهذا يشكل عبئا في تهيئة كوادر وعاملين اكثر خبرة ، لان الفتر الزمنية القصيرة لا تسمح بذلك·

ويعود سبب الدوران الى عوامل ، منها : انخفاض المخصصات ، والوضع السياسي القلق ، والمشكلات الادارية على كل صعيد، وثمة عقبات أخرى يعيشها الجهاز ، تتلخص في نقص الاخصائيين الدائمين والمتفرعين ، وهو نقص عائد الى مسألة المخصصات ايضا ، ومسألة الوضع السياسي ، هذا ، اضافة الى نقص الامكانيات المادية ، ونقص الاجهزة والمعدات وقطع الغيار ·

دائرة الطب الوقائي

لا يتجاوز عمر هذه الدائرة ثلاث سنوات ، اذ جاءت نتيجة للحرب اللبنانية ، اثر غياب السلطة والفعاليات الصحية الرسمية · وكان هدف الدائرة هو توجيه الانظار الى المشكلات الصحية المتفاقمة ، عبر المسؤولين ، وعبر العمل الجماهيري الطوعي ·

وتقوم الدائرة بتوزيع منشورات للوقاية من بعض الاوبئة ، كالكوليرا مثلا ، أو الدعوة الى التلقيح ضد شلل الاطفال ، وقد بلغ عدد الاطفال الذين جلبهم اهلهم ، تلبية لنداء الدائرة ، ٧٠٠ الف طفل في العام ١٩٧٧ ·

الخدمات العلاجية

كان الاهتمام بالخدمات العلاجية من المهمات الاساسية المطروحة على الجمعية· اذ فرض ازدياد الاعمال الحربية توسيع المستشفيات وبناء مستشفيات جديدة ، وهنا استأثر العمل الجراحي بالحصة الكبرى من الخدمات ، وانعكس ذلك على الميزانية التي خصصت لاعمال علاجية أخرى ، اذ امتصتها اعمال الجراحة ·

كان الاهتمام محصورا في تجهيز مستشفى جراحي مركزي واحد ، لكن الواقع فرض اتجاها آخر ، يقضي بمد كل مخيم بمستشفى ، على ضوء تجارب سابقة قاصرة في عمان ، وفي بيروت ، على الرغم مما لاقى هذا التوجه من صعوبات في تأمين الكوادر المتخصصة ، انما تم تنفيذ ذلك ·

لقد تم تجهيز معظم المستشفيات المتواجدة في المخيمات ، ومعظم المراكز الطبية ، عبر مدها بالاجهزة الاساسية اللازمة للعمل الجراحي الطارىء . لتقوم هذه المراكز بدورها الى جانب المستشفى المركزي الجديد (مستشفى غزة) ، الذي لا يزال العمل فيه جاريا لرفع مقدرته الاستيعابية · كما تم تجهيز مستشفى « عكا » كمركز متخصص ببعض الجراحات · ثم بدأ الاهتمام يتوجه الى الاختصاصات الطبية الاخرى ، فانشيء مستشفى للاطفال (الناصرة) ،ومستشفى للتوليد والامراض النسائية في ١/١/ ١٩٧٨ · وهناك خطة لايجاد مركز خاص بالولادات السابقة لاوانها في مخيم « صبرا » ، ومركز للعزل ·

وتجدر الاشارة هنا الى ان ثمة خدمات علاجية لم يتم التطرق اليها بعد ،ونقصد بها تحديدا ، الطب النفسي · وليس مرد ذلك عدم الاهتمام ، بل النقص في وجود الاطباء النفسانيين · كما ان هناك اختصاصات اخرى لم يجر التطبيب بها

وفق ما تقتضيه ، مثل امراض الدم والغدد والامراض الجلدية ، اذ يجري تحويل حالات من هذا النوع الى مؤسسات خاصة، او الى مراكز في دول صديقة · ويضاف الى هذا نقص في التجهيزات المخبرية ، وما الى ذلك من أجهزة معقدة ودقيقة ، كلها امور قيد الدرس ·

أما المستشفيات العاملة ، والتي تعود حيازتها الى جمعية الهلال الاحمر ، فهي :

في لبنان : ٨ مستشفيات ، تتسع لـ ٤١٠ اسرة ·

في سوريا : مستشفى واحد ، يتسع لـ ٦٠ سريرا ·

في مصر : مستشفى واحد ، يتسع لـ ٢٠ سريرا ·

أما العيادات التابعة للهلال الاحمر ، فهي :

في لبنان : ١٤ عيادة

في سوريا : ٤ عيادات ·

في مصر : عيادتان ·

العلاقات العامة

منذ ١٩٦٩ تقوم جمعية الهلال الاحمر الفلسطيني بحضور كافة المؤتمرات الدولية والعربية ، التي تشارك فيها هيئات وجمعيات صحية ، وينطلق عمل الهلال على هذا الصعيد ، من عدة توجيهات :

١ ـ تمثيل واثبات الشخصية الفلسطينية الوطنية في المحافل الدولية ·

٢ ـ لفت الانظار الى الاوضاع الصحية للشعب الفلسطيني في الارض المحتلة ،وفي المخيمات ·

٣ ـ فضح الاساليب اللا انسانية للعدو الصهيوني التي يتبعها في معاملة السجناء الفلسطينيين ·

٤ ـ طلب الدعم لنضال الشعب الفلسطيني ، وحقه في العودة وتقرير مصيره ··

وتشكل هذه النقاط مرتكزا اساسيا لعمل جمعية الهلال الاحمر في الخارج ·

هذا ، وقد انشأت الجمعية عدة فروع لها في البلاد العربية ، وهي سوريا ، مصر ، الكويت ، قطر ، دولة الامارات ، ليبيا ، الجزائر · اضافة الى عدة جمعيات فرعية تؤازر عمل الهلال الاحمر في دول اوروبا الغربية ، والولايات المتحدة الامريكية · كما تقيم الجمعية شبكة واسعة من العلاقات مع جمعيات وهيئات دولية مختلفة ، وقد بلغ عدد الوفود الزائرة ٨٨ وفدا في الفترة ما بين العامين ٧٥ ـ ٧٧ ، منها اثنا عشر وفدا من جهات رسمية دولية · وتتضمن هذه الزيارات ، ايضا ، بعثات طبية ، اسهمت في حل العديد من المشكلات الطارئة ابان احداث المنطقة ·

جهاز التثقيف الصحي

لا يتجاوز عمر هذا الجهاز السنة ونصف السنة ، وقد استحدث بعد الاحداث اللبنانية نتيجة للاعتبارات التالية :

١ ـ وضع سياسة تعليمية صحية متكاملة ·

٢ ـ الحاجة المتزايدة الى الكوادر ·

٣ ـ الحاجة الى وضع برامج تعليمية للاطباء والممرضين في الجمعية ، من اجل رفع مستوى الكفاءة الفنية ، ودراسة المشكلات اليومية التي تعاني منها الجمعية ·

٤ ـ وضع سياسة للبعثات الى الخارج ·

وفي هذا السياق بدأ تجهيز مدرسة دائمة للتمريض في العام ١٩٧٧ ، ساهمت

في تجهيزها عدة جهات ، منها اليونيسيف ومن ثم بدأ تجهيز مدرسة اخرى في صور منذ ايلول ١٩٧٨ ، ويبلغ عدد طلابهـــا الآن ما يقارب المائة · ويقوم بالتدريـس فيها اطباء من الجمعية ، استنادا الـــى مناهج التمريض في الدول العربية ·

عبد العزيز اللبدي

مؤسسة صامد

جمعية « معامل ابناء شهداء فلسطين»، « صامد » ، اسم معروف وتجربة غنيـــة تملك كل امكانات التقدم والتوسع فـــي المستقبل ، كمؤسسة انتاجية اقتصاديـــة اجتماعية تابعة للثورة الفلسطينية ·

بين ١٩٦٨ ــ ١٩٧٨ تطورت « صامد » من هيئة ذات طابـــع اجتماعـي تأهيلي محدود ، الى مؤسسة تقوم بدور اقتصادي انتاجي ، اضافـة الى دورهـا التأهيلي · هذا التطور ، كان استجابة لتنامي حركـة المقاومة الفلسطينية ، وما وضعته التجربة من مهام وطنية واجتماعية ·

أولى المهام الاجتماعيـــة التي طرحت نفسها على الثورة الفلسطينية ، كانـــت رعاية اسر الشهـــداء ، حيث شكلت « مؤسسة الشؤون الاجتماعية ورعايـــة اسر الشهداء والاسرى » ، والتي كانـــت تطويرا وتجميعا للنشاطـــات الجزئيـــة والمحدودة ، التي بادرت بها جهـــات مختلفة ، وعلى الاخص « القطاع النسوي للثورة ، والعاملات منـــه فـي الشؤون الاجتماعية بصفة خاصـة » ، اللواتـي ، اولين الاهتمام للاناث من عائلات الشهداء بالدرجة الاولى ، ولذا نلحظ ان النشاط الانتاجي في البداية كان عبارة عن اعمال « الخياطة والتطريز » التي كانت تنتـــج في المشاغل التي انشئت في مخيمـــات الاردن ، او عبـــر نشاط منزلي حيـــث تستطيع المرأة ان تقوم بعمل منتج دون ان تضطر للانتقال الى المشغل ، وفـي هـذه الحالة ، كانت المؤسسة تقدم المـــواد اللازمة ، تشتري الانتاج باسعار تشجيعية وتسوقه عبر المعارض والنشاطات الخيرية المتنوعة التي تنظمها او تشارك فيها ·

بعد نجاح التجربة في الاردن ، وتواجد حركة المقاومة الفلسطينية وبشكل فعـال في الساحة اللبنانية اثر انتفاضة ١٩٦٩، شهدت المخيمات الفلسطينية في لبنـــان نشاطا متزايدا على غرار النشاط الـــذي قام في مخيمات الاردن · واذا كانـــت التجربة في مخيمات الاردن محكومـــة بالظروف والمهمات التي افرزتها حركـــة المقاومة ، وتحديدا مسألة رعاية اســـر الشهداء ، فالتجربـــة على الساحـــة اللبنانية ، كانت محكومة بظرف موضوعي خاص لم يكن من الممكن تجاوزه ، فقـد كانت هنالك مسألة التمييز ضد فلسطيني لبنان الذين كانوا مضطرين للحصول على « اجازة عمل » بما تعنيه هذه المسألة من « عدم مساواة فيالحقوق الاجتماعيـــة والاقتصادية » · واستراداا السياسيـــة ، الامر الذي حدد اطار العمل في مهمتيـن مركزيتين ، حل ما امكـن من مشاكل اسر الشهداء ومشاكل المواطن الفلسطيني على الساحة اللبنانية · وبالذات من ناحيـــة العمل ·

المهمات الجديدة ، فرضت نظرة ، وبالتالي سياسة جديدة للعمل و « بدأت تنمو فكرة خلق اطار مؤسسي واضح ، يوفر مجال التأهيل والعمل لاسر الشهداء ، ويفسح المجال لتشغيل ابناء المخيمات ، بالشكل الذي يوفر حلا لمشاكلهم الاقتصادية ، وفي الوقت نفسه يقدم خدمة للثورة الفلسطينية ·

لم يكن من الممكن انجاز الهدفين معا ، الا من خلال تطوير الوضع السابق ، وبشكل ثوري ، وخلق الاطار الاقتصادي التنظيمي الذي يستطيع انجاز الهدفين معا ، وكان ان اوكلت هذه المهمة في صيف ١٩٧٠ ، الى مؤسسة « صامد » ، اي « معامل ابناء الشهداء » والتي حددت اهدافها بـ « تأمين حياة حرة كريمة لابناء الشهداء وعائلاتهم ، وذلك بتأهيلهم وتشغيلهم كي لا يكونوا عالة على الثورة ، يأخذون ولا يعطون » و « تشغيل اكبر عدد ممكن من ابناء شعبنا في المخيمات » ولا يمكن تحقيق هذين الهدفين ، الا من خلال « خلق مشروع استثماري انتاجي ، يستهدف تأمين عائلات الشهداء ، بدلا من ان يكونوا عبئا على الثورة » · وبذلك وضع على عاتق « صامد » هدف بعيد المدى كانت تدرك انه « من المتعذر تأمينه في الوقت الحاضر ، الا انه سيتحقق في المستقبل القريب » وذلك حسب ما جاء في تقرير داخلي عن نشاط المؤسسة ومن اجل تحقيق هذا الهدف الذي انشئت من اجله ، بدأت « صامد » في تأسيس العديد من المعامل في المخيمات وفي فتح المعارض لتسويق منتجاتها ، من ضمن سياسة عنوانها « معمل في كل مخيم كخطوة اولى » · ساعد « صامد » على ان تخطو الى الامام بسياستها هذه ، وجود يد عاملة سبق لها ان مارست العمل او تعاونت في النشاطات التي سبقت قيام صامد » وتجديدا العمل مع القطاع النسوي ، الامر الذي قاد في البداية الى انتاج ، يتطلب يدا عاملة نسائية ، كالتفصيل والخياطة وحياكة الصوف · ومن ضمن سياسة « الاكتفاء الذاتي » بدأت « صامد » وبشكل متصاعد ، تؤمن نسبة لا بأس بها من الملابس التي تحتاجها الثورة ، الامر الذي فتح مجالا تسويقيا ثابتا امام منتجات « صامد » ، وفي الوقت ذاته ، امكن توفير مبالغ كبيرة على الثورة ، نظرا لانخفاض اسعار منتجات « صامد » بالقياس للبضائع الاخرى الموجودة في السوق ، رغم ان مستوى الجودة واحد ·

استلزم التوسع الذي شهدته «صامد» اعادة النظر في الجوانب الادارية والمالية والتنظيمية التي كانت تحكم عمل المؤسسة ، لكي تصبح اكثر تناسبا مع الدور الاقتصادي ـ الاجتماعي الذي انيط بها ، لذلك ، وفي صيف ١٩٧٢ ، تقرر انشاء « مجلس تنفيذي » للمؤسسة ، وتم فصلها نهائيا عن « مؤسسة الشؤون الاجتماعية لرعاية اسر الشهداء والمعتقلين » كما والحقت « بصامد » كافة المراكز المهنية ذات الصفة التأهيلية ، ولم تعد مهمتها في ضوء الوضع الجديد محصورة في تأهيل ابناء الشهداء فحسب ، بل تأهيل وتدريب اي فلسطيني يريد العمل داخل مؤسسة « صامد » · وبذلك اعطيت المؤسسة شخصية معنوية مستقلة ، وثبتت لها ادارة ، ذات صلاحيات واساليب عمل واضحة ومحددة · وفي الوقت ذاته تم توحيد وتركيز مختلف اوجه النشاطات الاقتصادية ، الامر الذي ادى الى استغلال افضل للامكانيات البشرية وغير البشرية ·

تعبيرا عن المرحلة الجديدة من نشاط « صامد » اتخذت ادارتها اجراءات تكفل تجاوز السلبيات التي لحقت بالعمل من جراء التوسع السريع في انشاء المعامل ، والمشاغل ، ولذلك اعطي الاهتمام المناسب للتنظيم الاداري ، والمراقبة الدورية ، واستيعاب مزيد من القدرات الفنية في قطاع الانتاج لتحسين مستواه ، ورسم

سياسة تسويقية تتناسب وخطة «صامد» بالتحول الى مؤسسة انتاجية ، تأخذ المعايير الاقتصادية في عين الاعتبار ،عند وضع المشاريع · وقد كان واضحا ان « صامد » بسياستها الجديدة هذه تفتح مجالا للاستثمار ، يفيد الشعب الفلسطيني اجتماعيا واقتصاديا ، ولا يتضارب هذامع هدف اجتماعي آخر الا هو رعاية اسر الشهداء وتلبية متطلباتها ، وفي الوقت ذاته يقلل من الاعباء المادية عن كاهل الثورة ، كون « صامد » قد اتبعت مبدأ تلقي القروض ، بدلا من المساعدات ، كما كان يحدث في السابق ، وهي مسألة القت على عاتق المؤسسة « مسؤولية الاعتماد الذاتي ، وتوسيع نشاطها من خلال ارباحها » ·

تم تسجيل المؤسسة لدى الدولة اللبنانية في ١٩٧٣/١١/١٥ ، بعد تلكوء وعراقيل رسمية ، على الرغم من انطباق شروط وزارة الداخلية اللبنانية على مؤسسة « صامد » ، اذ كانت الاعتبارات السياسية للنظام اللبناني ذلك الحين وراء التأخر الذي حصل ·

وضع للمؤسسة نظام داخلي يحدد اهدافها ، ووسائلها ، وقد حددت المادة الثالثة غاية الجمعية بالتالي :

« (أ) استيعاب اكبر عدد ممكن من ابناء وبنات شهداء الثورة الفلسطينية في مراكز مهنية ، تتبع الجمعية ، وذلك لتأهيلهم بمهنة شريفة تؤمن لهم العيش الكريم · (ب) استيعاب اكبر عدد ممكن من ابناء وبنات شهداء فلسطين ، ومن المتضررين في سبيلها ، للعمل في مرافق الجمعية · (ج) رفع المستوى المعيشي والثقافي والاجتماعي لاسر شهداء فلسطين وللجرحى والمتضررين من اجلها · (د) توفير السلع التي تنتجها الجمعية لابناء المخيمات واسر الشهداء · (هـ) التعريف بتراث الشعب الفلسطيني واعطاء الاولوية لازياء هذا الشعب في جميع المعارض والمناسبات · (و) العمل على تأمين مورد ثابت لاسر الشهداء والمتضررين · (ز) تشجيع انتاج ابناء شعب فلسطين بمختلف الوسائل » ·

اتت المادة الرابعة من النظام الداخلي لتحدد الاعمال التي ستقوم بها صامد لترجمة اهداف المؤسسة ، وذلك بـ « (أ) انتاج وتصنيع جميع السلع ذات الطابع الفلسطيني الفولكلوري · (ب) انتاج وتصنيع احتياجات اهالي المخيمات من ملبوسات وخلافها · (ج) انتاج وتصنيع احتياجات المعارض والاسواق الخيرية التي تقيمها الجمعية · (د) انتاج اية حاجيات او سلع تساعد على اعانة اسر الشهداء والمتضررين · (هـ) تشغيل ابناء وبنات شهداء فلسطين والجرحى والمتضررين واعطاءهم الافضلية على غيرهم » ·

امتلاك « صامد » لشخصية معنوية ، ولاهداف وسياسة عمل واضحة ، امكنها من التحول الى مؤسسة انتاجية ، حيث وسعت ونوعت انتاجها ، والذي اصبح يتسع لمجالات متعددة متجاوزة النشاط الحرفي الذي انطلقت منه ، نحو التحول الى بدايات متواضعة لصناعة فلسطينية ، امكنها من اجتذاب المزيد من اليد العاملة، خصوصا الفنية منها ، واتاح لها توسعها وزيادة حجم انتاجها من وضع الاسس العلمية للعمل الانتاجي ، وهو الامر الذي لم يكن ممكنا في ظل النشاط ذي الطابع الحرفي المحض ·

« صامد » وان امتلكت شخصية معنوية مستقلة ، باعتبارها مؤسسة اقتصادية انتاجية ، فهي جزء من الثورة الفلسطينية تتقدم بتقدمها ، ومهمتها الاستجابة لمتطلباتها الاقتصادية والسياسية· والتعبير عنها في اطار تخصصها · بالاضافة الى تصنيع ما يمكن تصنيعه من مستلزمات الشعب والثورة ، كانت « صامد » المجال الذي فتح امام العامل الفلسطيني ، الذي

حورب في قوت عيشه وعلى الاخص بعد الحملة التحريضية التي شنتها السلطات اللبنانية ضد تشغيل الفلسطينيين اثر حوادث ١٩٧٣ بين المقاومة والسلطة اللبنانية · وبعد سقوط « تل الزعتر » بادرت « صامد » وفي حدود امكاناتها ، لفتح المشاغل والمعامل ، في الاماكن الجديدة لمهجري تل الزعتر ، مقدمة بذلك خدمة اقتصادية اجتماعية سياسية للمهجرين ، وللثورة الفلسطينية ، في الوقت نفسه ·

كذلك فقد كانت « صامد » الاطار الذي استطاعت الثورة الفلسطينية من خلاله ان تترجم علاقات الاخوة والصداقة والتعاون التي تربطها بالعديد من الدول، وخصوصا بعض الدول العربية والافريقية، والتي هي بأمس الحاجة للمساعدات الفنية ، وخصوصا في القطاع الزراعي· ونلاحظ اثر المساعدات التي قدمت ، بالعديد من المزارع النموذجية والناجحة التي تديرها « صامد » في السودان ، والصومال واوغندا وغينيا ·

كذلك فقد استفادت « صامد » من علاقات الثورة الفلسطينية بالدول الاشتراكية ، والتي استقبلت العديد من البعثات الفنية الفلسطينية ، التي نظمتها مؤسسة « صامد » ، وقد كان للخبرات التي حصلت عليها تلك البعثات إثر حاسما في زيادة عدد الكوادر الفنية ، وبالتالي زيادة حجم المكننة في معامل المؤسسة ، والتي كان لها اثرها في تحسين وزيادة الانتاج كما ونوعا ·

وعلى هذا الصعيد ، فقد اوكلت لصامد مجمل علاقات الثورة الاقتصادية بالخارج سواء من خلال الاتفاقيات الاقتصادية الموقعة مع العديد من البلدان ، اوالمشاركة في المؤتمرات والمعارض الاقتصادية الدولية ، حيث كانت « صامد »ومنتجاتها تلقى كل اعجاب وتشجيع ·

« صامد » الآن

خلال الفترة القصيرة التي مرت على قيام المؤسسة ، يمكن القول انها قد قطعت شوطا بعيدا في تنفيذ البرنامج الذي وضعته لنفسها على المدى القصير ، لناحية ايجاد مؤسسة ذات هيكل اداري وتنظيمي واضح يصلح كقاعدة للعمل ، وقادر على التطور في ضوء ما افرزته التجربة الماضية من خبرات · وعلى الجانب الثاني فقد امكن تحقيق الشعار الذي رفعته صامد في بداية عملها ،«معمل في كل مخيم » والوعد الذي قطعته على نفسها بتحقيق قدر من الاكتفاء الذاتي للثورة وللشعب الفلسطيني ·

بلغ عدد العاملين في المؤسسة سنة ١٩٧٧ « ١٠٥١ » شخصا منهم « ١٥٧ » في الاقسام الادارية المختلفة من تأهيلية ومالية واعلامية وتسويقية ، في المشاغل والمعامل الصناعية يشتغل « ٥٢٩ » عاملا يتوزعون على « ١٥ » مشغلا ، بمتوسط قدره حوالي ٣٥ عاملا في المشغل الواحد، يختلف عدد العاملين من مشغل لآخر ، حسب طبيعته ، اكبر مشغل ويتخصص في انتاج الملابس ، يعمل فيه « ٨٤ » شخصا ، في حين يبلغ عدد العاملين في مشغل التحف الشرقية خمسة افراد فقط· المشاغل الصناعية تتوزع على المجالات التالية : الخياطة والملبوسات ، البطانيات ، الجلود الاثاث والموبيليا ، البلاستيك ، الحدادة والصيانة ·

تتبع المؤسسة سبعة مشاغل للتطريز يعمل فيها « ٣٣٦ » عاملة ، اكبر المشاغل يستوعب « ١٠٢ » عاملة · يضاف لعدد المتفرغين في مشاغل التطريز التالية للمؤسسة « ١٧٠٠ » سيدة غير متفرغة وتعمل بالقطعة ، ولا يعتبرن من القوة العاملة في « صامد » · واما العاملون في المجال الزراعي فقد بلغ ٢٩ شخصا ، يتوزعون على خمس مزارع تابعة للمؤسسة ·

بين ١٩٧٣ ـ ١٩٧٧ زادت القيمة الاجمالية للمباني والعقارات التابعة للمؤسسة من ٦٣ الف ليرة لبنانية الى

٤١٩ الف ليرة ، وأما العدد والالات فقد ارتفعت قيمة المبالغ الموظفة بها وخلال نفس الفترة من ٤٢ الف ل٠ل٠ الى ٨٥٠ الف ليرة ، كذلك ارتفعت قيمة المبيعات السنوية من ٥٦٧ الف ليرة سنة ١٩٧٣ الى ٦ مليون و ٢٤ الف ليرة سنة ١٩٧٧ ، وارتفت المشتريات ايضا خلال الفترة نفسها من ٢٢٤ الف ل٠ل الى ٤ مليون ليرة ٠

الاجور والمرتبات التي تدفعها « صامد» كانت تبلغ سنة ١٩٧٣ ، ١٥٢٫٦٨٦ الف ليرة ، ارتفعت الى مليونين و ٧٠٥ آلاف ليرة لبنانية سنة ١٩٧٧ ٠ موزعة كالآتي : ٥٤٣ الف ليرة للعاملين في الادارة ١٫٦٨٢ مليون ليرة للعاملين في المعامل والمشاغل ، و ٣١٤ الف ليرة للعاملين في الزراعة ، وما تبقى اي ١٥ الف ليرة لبنانية دفعت كأجور للعاملات بالقطعة في مجال التطريز ٠

في محاولة من « صامد » لتحسين قدرتها التنافسية في السوق الداخلي والخارجي ، ولضمان تسويق منتجاتها والحصول على المواد الاولية من مصادرها الرئيسية ، بادرت لانشاء شركة تجارية شبه مستقلة ، مهمتها تنظيم الاتصالات الدولية وعقد صفقات الشراء والبيع ٠

وادراكا من « صامد » لضرورة تطوير قدرتها الادارية والفنية ، ولكي تكون قادرة على انجاز الدراسات الضرورية للدخول في مجال تنفيذ الانشاءات والتجهيزات الكبيرة ، انشأت قسما للدراسات كنواة لعمل اوسع في المستقبل ، وليؤمن للمؤسسة حاجتها من الدراسات المطلوبة، سواء بشأن ما هو قائم الان او ما تخطط لعمله في المستقبل ٠ وفي هذا الاطار تصدر عن « صامد » مجلة شهرية ،وهنالك تخطيط وطموح بأن تصبح هذه المجلة ، مجلة تتخصص وتعنى بالشؤون الاقتصادية فيما يتعلق بالاقتصاد الفلسطيني داخل وخارج الوطن ٠

يتبع « صامد » قسم للانتاج السينمائي، قدم بعض البدايات الطيبة ، كفيلم « يوم الارض » والذي كان عبارة عن وثيقة تحاول ان تؤرخ وان تقدم الحدث السياسي سينمائيا ، وهو نموذج للعمل المتوخى من قسم السينما، اي خلق سينما ثورية تخدم النضال الفلسطيني ٠

بعد التوسع الذي شهدته المؤسسة وتنوع نشاطاتها كان من الضروري اعادة النظر بهيكلها الاداري ، بالشكل الذي يضمن تخصصا افضل ، فكان ان استحدث منصب نائب مدير المؤسسة ، وبدلا من مجلس تنفيذي واحد، ارتؤي اخيرا اعتماد ثلاثة مجالس تنفيذية ، للانتاج الصناعي وللانتاج الزراعي وثالث للانتاج السينمائي وكل مجلس يضم في عضويته المعنيين مباشرة ، ادارة وانتاجا ٠ ونظمت العلاقة بين هذه المجالس الثلاثة والادارة المركزية للمؤسسة بالشكل الذي يتيح اكبر قدر من التخصص وفي الوقت نفسه الانسجام بين الاقسام المختلفة ٠

ان وظيفة « صامد » في المستقبل ، كما يتصورها المسؤولون عن المؤسسة ، هي تأدية دور القطاع العام الفلسطيني ٠ ان « صامد » ، وهي تتوسع في نشر الورش والمعامل الصناعية الصغيرة في كافة الاماكن التي يتواجد فيها شعبنا ، وعلى الاخص المخيمات تدرك جيدا ان هذه الورش والمعامل هي البدايات الطبيعية والضرورية لقيام صناعة فلسطينية في المستقبل ، لان العنصر البشري المدرب ، هو اكثر العناصر اهمية في العملية الصناعية ٠ وهذا الغرض يتحقق من خلال مزيد من عمليات التأهيل والتدريب والتوسع في استيعاب اليد العاملة في القطاعات الانتاجية ٠

ان التجربة والخبرة التي تعطيها « صامد » للعاملين فيها ، انما هي في النهاية ذخيرة للمستقبل ، وهي مسألة

سياسية بالدرجة الاولى · خصوصـــــا وانها تتقاطع مع هدف اخر لا يقل اهمية ، الا وهو محاولة وقف النزف البشري الذي يتعرض له المخيم الفلسطيني يوميا ،حيث تتزايد الاعداد المهاجرة هنا او هناك بحثا عن فرصة عمل مناسبة ، ستحاول «صامد» ان تؤمنها ، وفي ذلك اسهام لا بأس به في الحفاظ على تجمعات الشعب الفلسطيني وعدم تفتيتها وبعثرتها اكثر ، وهو امـر ينطبق على فلسطينيي الداخل والخـــارج في آن واحد معا · وبالتأكيد فان «صامد» ستكون قادرة على انجاز هدفها هذا فيما لو تمكنت من ان تنفذ وعدا قطعته علـى نفسها بان تكون «معهدا غير تقليدي لاعداد ولتطوير الانسان العامل الفلسطيني » ·

وهي مهمة الجميع ·· وليس مؤسســـة « صامد » فقط ·

محمد حسنين هيكل :
حديث المبادرة
بيروت شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، ١٩٧٨

اثارت زيارة السادات لاسرائيل ، كانعطاف حاد وخطير ، في مجرى الصراع العربي ـ الصهيوني ، ردود افعال قوية ومواقف مختلفة على الصعيدين العربي والمحلي المصري ، وكذلك على الصعيد العالمي · واذ اتسمت مواقف وردود الافعال العربية ، الرسمية منها وغير الرسمية ، بالمراوحة بين مواقف التحفظ والمعارضة « الهادئة » وبين مواقف الرفض والادانة التامة لتلك الزيارة ، فأن المواقف الاخيرة ، تراوحت ، هي الاخرى، بين رفض وادانة الزيارة بحد ذاتها كـ « فعلة شائنة » وكـ « خيانة عظمى » وبين رفض وادانة الزيارة ، باعتبارهما الثمرة الطبيعية ، والمحصلة لنهج سياسي كامل ومحدد لكيفية ادارة الصراع العربي ـ الصهيوني ، وهو نهج له مقوماته وشروطه واسبابه ، التي شكلت ، بدورها، المقدمات والداخل التي مهدت لزيارة السادات لاسرائيل ·

وحول المسألة الاخيرة ، دار ويدور نقاش واسع في صفوف التقدميين والوطنيين العرب ، عقدت من اجلها ندوات حوار ، وكتب بصددها الكثير من المقالات والدراسات ، سواء على صفحات الصحف والمجلات ، او في مؤلفات مستقلة ·

لقد ابدى الكثير من قوى حركة التحرر الوطني العربية ، وخاصة المصرية منها رايها بطبيعة نهج وسياسة الانظمة العربية المعنية ، في كيفية ادارة الصراع ومواجهة العدو الصهيوني ـ الاميركي ، وثبتت آرائها ومواقفها تلك بكتابات ووثائق علنية ، منذ وقت مبكر ، سبق زيارة السادات لاسرائيل بسنوات ، بل ان بعضها يعود الى ما بعد الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ · ولم تضف تطورات الاحداث ومنها الزيارة ، الى تلك الاراء والمواقف جديدا ، سوى التأكيد على مصدافية ما ذهبت اليه سابقا ، في التحذير من ، وفي ادانة كامل نهج وسياسات المساومة و « السلام الاميركي » التي تدير به النظم العربية المعنية الصراع ، والمستند الى اوهام تحقيق « السلام العادل » عبر الولايات المتحدة الاميركية وركائزها العربية في المنطقة ، وعبر ادارة الظهر للاتحاد السوفيتي او معاداته ، وكذلك عبر تقديم المزيد والمزيد من التنازلات ، الى درجة الاستسلام والخضوع لشروط العدو الصهيوني ـ الاميركي ·

واذ تتحدد اهمية تلك المواقف ومصداقيتها ، بانطلاقها من مواقع وطنية وثابتة في ادانتها المستمرة لكامل النهج والسياسات التي ادت الى الزيارة ، وليس الزيارة فقط ، فأن ما يكتسب اهمية استثنائية في وظيفته اكثر من ذلك ، هو رفض ومعارضة الزيارة و « المقدمات والمداخل » التي مهدت لها ، من قبل اوساط من نفس « معسكر الزيارة » و « التسوية الاميركية » ، والتي دفعها الخلاف معه ، بسبب التفاصيل ، وربما لاسباب اخرى ، الى التمايز عن بقية

قوى ذلك « المعسكر » ، وتقدمها لابداء انتقادات هامة لتلك الزيارة ، وللنهج والسياسات التي ادت اليها ·

ضمن هذا الاطار يأتي كتاب « حديث المبادرة » لمحمد حسنين هيكل ، الذي صدر في الصيف الماضي في بيروت ·

وأهمية الكتاب ، لا تأتي من كون صاحبه ، هو من ابرز الصحفيين المصريين والعرب ، الذي يتصف بسعة المعلومات التي توفرها له شبكة علاقاته المحلية والعربية والدولية ، ولا من موقعه القريب ولفترة زمنية طويلة من صانعي القرار السياسي في مصر ، بل ان تلك الاهمية تأتي ، اضافة الى ذلك ، من كون هيكل يعتبر من ابرز واوائل منظري ومروجي الدعوة لـ « تحييد اميركا » والدعوة لـ « السلام الاميركي » ، بل ومن اشد المتحمسين لانتقاد الاتحاد السوفيتي والتشكيك بصداقته للعرب ·

ومن هنا يمكن القول ، ان كتاب «حديث المبادرة » هو بمثابة شهادة علنية هامة ، يدلي بها ابرز من روج ودعا لـ « السلام الاميركي » بعد ان « عدل » مواقعه ، لحظة البدء بالتطبيق الفعلي لتلك الدعوات في المنطقة ·

ولن يقلل من اهمية الكتاب ـ الشهادة، القول بأن صاحبه لم يتخل بعد عن جوهر نهج وافكار « المعسكر » الذي ينتمي اليه، بل على العكس من ذلك تماما ، فان هذا الرفض والاعتراض على الزيارة ومقدماتها ، وبصرف النظر عن طريقة « الادلاء » بتلك الشهادة ، هو دليل هام على افلاس هذا النهج ومأزقه ، حيث لا يعجز اقرب الناس اليه ، من الدفاع عنه او تبريره فقط ، عندما ينتقل الى الانجاز الفعلي بطريقة لا تتطابق مع الاوهام والتصورات التي افترضوها قبل ذلك ، وانما الانتقال الى مواقع نقده ومعارضة نتائجه ·

ماذا في « حديث المبادرة » ؟

يحافظ هيكل في هذا الكتاب على اسلوبه الصحفي المميز بطابعه « الروائي» وبحشد كبير من الاستشهادات المعروفة والتي يمكن العودة اليها والتأكد من صحتها ، اضافة الى استشهادات «خاصة» به ، حصل عليها من شخصيات «مرموقة» أو من جلسات سرية «وصلت اليه» ، وهي ما تحتمل التصديق او عدمه · والكتاب عبارة عن احاديث عن زيارة السادات لاسرائيل التي اصطلح على تسميتها « مبادرة السلام » يفتتحها الكاتب بتمهيد عن « المقدمات والوقائع والنتائج » يليها خمسة احاديث عن « المقدمات والمداخل » والاحداث التي مهدت للمبادرة ، ينتقل بعدها لكتابة خمسة احاديث اخرى لما يسميه «صباح ليلة الفرح » يسرد فيها وقائع واحداث الزيارة ثم يلقي نظرة جديدة على الناحية الاخرى » وهي عبارة عن قراءة في فكر وسياسة القادة الاسرائيليين ، ثم يختتم الكتاب بعدد من الاحاديث عن « الحوار الضائع » التي يعرض من خلالها مأزق المفاوضات المصرية ـ الاسرائيلية وطريقها المسدود !

وفي هذه الاحاديث ، يوجه هيكل نقدا، ليس فقط للمبادرة الساداتية ، « للتصور المصري للسلام » بل وايضا للتصورات العربية الاخرى لـ « السلام » وخاصة « جبهة الصمود والتصدي » · كما وانه يعود ، بنقده للمبادرة ، الى « المقدمات » التاريخية والمداخل المهدة لها منذ ثورة ٢٣ تموز (يوليو) ١٩٥٢ ، ولازمة الفكر السياسي المصري والعربي خلال تلك المرحلة ·

وفي سياق احاديثه يتطرق الى عرض موقف الشعب المصري من المبادرة الذي اصبح « مقبولا وبكل الرضا » (ص ٨٠)· "لا ان هيكل ، ورغم اعترافه بدور

الاعلام الساداتي فيخلق الاوهام التي تحولت « الى جرعات تخدير يذهب بالوعي وبالعقل » (ص ٨٥) ، فأن تفسيره لظاهرة « القبول والرضا » يستعير في احيان كثيرة ، نفس حجج ذلك الاعلام ، فيصب بالتالي ، في طاحونته ٠

اما الموضوعات الابرز في تلك الاحاديث التي تستوجب العرض والتوقف عندها فهي الحديث عن المبادرة ذاتها ، ثم طبيعة رؤية هيكل للموقفين الاميركي والسوفييتي من المبادرة ولدورهما في صراع المنطقة ٠

« المبادرة » تستنفد نفسها

بعد ان يعلن هيكل بأن « مبادرة السلام قد استنفذت نفسها كأنها « نيزك » تساقط من نجم بعيد » (ص ١٦٤) يؤكد انها « لم تحقق هدفها ، اكثر من ان الموقف عاد بعدها ـ وفي ظرف اسابيع ـ الى ما كان قبلها ، وهو انتظار الضغط الاميركي على اسرائيل يقنعها بالانسحاب وبحقوق الشعب الفلسطيني » (ص١٦٤) ولذلك فأن ما نتج عن المبادرة هو ان « الازمة ما زالت على حالها واسوأ » (ص١٦٥) ٠

أما على الصعيد الاسرائيلي فهي بمثابة مكسب كبير لانها في « حد ذاتها ابعد اثرا من اي شيء يلحق بها » (ص ٥٠)٠

ولتفسير سبب اعتبار الزيارة مكسبا كبيرا لاسرائيل ، رغم « فشل » المبادرة ، فأن هيكل ، وبعد رصده ومتابعته لسياسة ونهج الانظمة العربية المعنية ـ وخاصة نظام السادات ـ ومراقبته وكيفية ادارتها للصراع ، منذ حرب اكتوبر وحتى المبادرة يصل الى استنتاج هام يصيب به قلب تلك السياسة وجوهرها فيقول ان « بعض العرب ٠٠٠ يتصورون ان التنازلات الجزئية هي الطريق الى الحل ٠ والحقيقة ان التنازلات الجزئية ليست طريق الحل الا على منطق اسرائيل ٠٠ اي ان كل تنازل جزئي تحصل عليه اسرائيل معناه الاقتراب خطوة من التنازل الكلي ٠٠ » (ص ٩) ٠

اقام هيكل استنتاجه هذا على ركيزتين اساسيتين : اولهما ، مأزق نهج السادات وتهافته ،وخاصة منذ حرب اكتوبر وحتى فشل المبادرة ٠ وثانيهما ، التصلب والثبات في الموقف الاسرائيلي ، والاصرار على عدم اعطاء اي تنازل جوهري للسادات ، رغم التنازلات الكبيرة التي قدمها ٠ ووصلت ذروتها بزيارته لاسرائيل ٠ وهكذا اصبحت معادلة مأزق السياسة المصرية هي : اسفنجة ساداتية في مواجهة الصخرة الاسرائيلية !

لتوضيح ذلك وتفسيره ، يعرض هيكل مطولا طبيعة الموقف الساداتي قبل المبادرة وبعدها ، وما يقابله من لمواقف الاسرائيلية ٠ فمنذ اتفاقيات « الفصل بين القوات » التي عقدت بعد حرب اكتوبر على الجبهات العربية « كان العرب قد اعطوا وقدموا من الدلائل والتأكيدات والتنازلات ما لم يخطر على بال احد ،

حتى راسمي السياسة الاميركية في اكثر احلامهم جموحا وغرقا في الخيال » (ص ٢٦١) ٠ واكثر من ذلك ، فأن هيكل يتساءل « ما الذي اخذه العرب في مقابل كل ما اعطوه للولايات المتحدة ولاسرائيل وهو هائل هائل ٠٠٠ هائل الى غير حدود ؟! » (ص ٢٧٠) ٠

وتعني سياسة التنازلات هذه ، ان اسرائيل تحول ما تأخذه الى « حقائق سياسية » تزيد من تصلبها ، وتمنحها القدرة على تحويل ذلك مجددا ، الى عوامل قوة اضافية ، تستخدمها في الفترات اللاحقة من الصراع ٠٠ وهكذا !

وبهذه السياسة الساداتية تحقق « الهدف الاميركي باخراج مصر من الصراع » (ص ١٧٥) وانتزع « سلاح الرفض المصري » (ص ٢٣٤) ثم راحت

تلك السياسة تسير « بغيـــر بوصلة » (ص ٧٥) ٠

وبالتعاكس مع ذلك تماما ، وبمواجهته، يتصرف قادة العدو الاسرائيلي : المزيد من الثبات والتصلب في مواقعهم والمزيد مـــن الغطرسة : ففي صراع الشرق الاوسط : كما يقول مناحيم بيغن ـ هناك « ورقة واحدة رابحة ، وهذه الورقة هي الارض المحتلة ، وهذه الورقة في يدنـــا ولن نتركها لغيرنا الا على شروطنا » (ص ١٧٨) وليس امام العرب وسيلة ـ يضيف بيغن ـ « غير التوجه الى اسرائيل مباشرة وقبول ما نعرض عليهم » (ص ١٨٩) ٠ اما اذا ذهب العرب الى اسرائيل ، كما ذهب السادات ، فان بيغن يسخر بشكل مهين من ذلك في جلسة عمل مغلقة مـــع « مجموعة الرؤساء اليهود في الولايات المتحدة » حيث قال « كان مجيئه ـ السادات ـ بالنسبة لي انه نظر في شروطنـــا فاعجبته ، ومن ناحيتي فقد اعجبني ان شروطنا اعجبته » (ص ١٩٠) ٠

ان المقارنة المطولة التي يجريها هيكل بين منطق ونهج السادات ، وبين منطـــق ونهج اسرائيل وقادتها ، هي التي دعتـــه الى التأشير على الانحطاط والانحدار فـــي السياسة المصرية منذ حرب اكتوبر حتى الآن ، والتي كانت المبادرة فيها محطـــة « كشفت عربيا ٠٠ كشفت الافكار ٠٠ كشفت المواقف ٠٠ وكشفت القدرات » (ص ٦) ، وهي التي جعلته ايضا يتساءل ، امـــام الدنيا كلها ، مندهشا « هل هناك فـــي الدنيا من يقبل بالتعامل على اساس السلام مع دولة لا تعرف حدودها ولا نعرف مـــن هو شعبهـــا » (ص ٢٨٧) ٠

لقد بدا هيكل وهو يعرض سياســـــة السادات والمبادرة التي نتجت عنها ،وكأنه يستعير منطقه والفاظه ممن كان يعارضهم من الوطنيين والتقدميين العرب والمصريين الا انه عندما يتطرق الى قضايا اخرى في احاديثه ، يبدو وكأن قوة الجذب لمعسكره ومواقفه القديمة ، كانت اقوى من قدرته في التمرد عليهـــا ٠

المبادرة والدور الاميركي في الصراع

في تناوله للدور الاميركي والسياسة الاميركية في المنطقة ، يتخذ هيكل موقعين في النظرة اليهما : الاول ، استخدام مـــا يراه من « سلبيات » لتوجيه المزيد من النقد والادانة لسياســـة السادات ومبادرته ٠ الثاني ، العودة للترويج للدور الاميركي في الصراع ، لـ « اقتناعه » بامكانيـــة توجيه « الضغط » على اسرائيل ٠

من الموقع الاول ، يرى هيكل ان هدف عزل مصر واخراجها من الصراع هـــو هدف اميركي واسرائيلي ترافق مع بداية الصراع في المنطقة ،وقـــد استطـــاع « كيسنجر » ان يصيغ للادارة الاميركيـــة خطورة وحيوية هذه المسألة على الشكـــل التالي : اذا ظلت مصر فكرة وتيـــارا وحركة تاريخية ، فانه سيكون في حاجـــة اليها لحل ازمة الشرق الاوسـط ، واذا استطاع ان يحول مصر الى حدود ـ وتعداد سكان ٠٠٠ فان مصر هي التي ستكون في حاجة اليه لحل ازمة الشرق الاوسـط » (ص ١٧٥) لذلك فان الكل يـــرى « ان اخراج مصر من حلبة صراع الشـــرق الاوسط يغير موازينه » (ص ١٧٧) ٠ ومن هنا فان ادراك القيادة الناصريـــة لهذه الحقيقة ، حال دون تحقيقها ٠

وحينما كان هيكل ، يسهب ويفصل في « المقدمات والمداخل » التاريخية للمبادرة، ويبرز ايجابيات السياسة الناصرية ـ وذاك في معرض رده على منتقديها ـ وقـــف متسائلا « اليس استبعاد التوازن الدولي في المنطقة يؤدي الى بعض ما نرى فـــي المنطقة الان ، كمسرح مستباح للنفـــوذ

الاميركي ؟٠٠ اليس استبعاد السلاح السوفيتي في المنطقة يؤدي الى بعض ما نرى اليوم من استبعاد السلاح اساسا كعنصر من عناصر الحل لما نسميه ازمة الشرق الاوسط ؟ » (ص ٦١) ٠ ومن الموقع الآخر ، الذي يتناول فيه الدور الاميركي في صراع المنطقة ، يحاول ان يلقي باللوم والمسؤولية على السادات وحده مبرئا السياسة الاميركية من ذلك ، فرغم انكشاف الدور الاميركي في تشجيع السادات « وترتيب » زيارته الى اسرائيل فأن هيكل يعتقد بأن « الولايات المتحدة فوجئت ولم تفاجأ في الوقت ذاته بزيارة القدس » (ص ١١٩) ٠ بل ان « الرئيس كارتر كان يشعر بقلق ، لان العملية على النحو الذي تمت به سوف تؤدي الى **استبعاد دور سورية والى تعقيد المشكلة الفلسطينية باكثر مما هي معقدة** » (ص ٥٠) ٠

ورغم ان هيكل نشر في كتابه نصوص الاتفاقيات التي عقدت بين الولايات المتحدة واسرائيل ـ كشرط اسرائيلي لتوقيع اتفاقية سيناء ـ والتي تظهر بوضوح التطابق في مصالح البلدين ، والتعهدات الاميركية بالدعم والاسناد الكاملين لاسرائيل ، فأنه رغما عن ذلك ، يعلن صراحة « انني واحد من الذين يعتقدون ان الولايات المتحدة تستطيع ان تمارس بعض الضغط على اسرائيل ٠ ولكن الضغط لا يتحرك وحده ومن تلقاء نفسه . وانما هو يتحرك بفعل ضغوط اخرى عليه هو نفسه ، وهذه الضغوط مصدرها عربي ودولي » (ص ٢٠٧) ٠ وكذلك فان « اهتمام السعودية بالصراع العربي الاسرائيلي هو الذي يؤدي الى ادخال عنصر الضغط الاميركي على اسرائيل » (ص ٢١٧) ٠

وهنا يطفو على السطح ، الخلل الكبير والتهافت في منطق هيكل حول « الضغط الاميركي » و « الدور السعودي » بذلك ٠ فاذا كان هذا الضغط قد توقف بسبب المبادرة التي صمتت ازاءها «دول الصمت» كما يقول هيكل نفسه ، فلماذا لا يتحدث عن عدم وقوع هذا الضغط قبل المبادرة ؟ بل طيلة الفترة التي استلم السادات بها السلطة في مصر وخاصة بعد حرب تشرين ؟ واذا كان الاعتراض هنا على فقدان عناصر الضغط العربية والدولية وفقدان التوازن ، بسبب تفريط السادات بها ، فلماذا لم يتحقق هذا الضغط ابان فترة حكم عبد الناصر ؟ والا فما هي الشروط التي يفترضها هيكل للدور الاميركي وضغوطه ؟ لقد اجاب السادات على ذلك قبل هيكل ، فتوجه الى القدس ٠ ولما خابت آماله هناك ، عاد ليمارس لعبة الوهم مجددا ، بانتظار الضغط الاميركي !

هيكل والموقف السوفييتي

في الفصل الذي خصصه هيكل في كتابه للحديث عن موقف الاتحاد السوفييتي من المبادرة وعن دوره في صراع المنطقة، يتغافل عما اعترف به في اكثر من مكان من احاديثه ، عن اهمية السلاح السوفييتي ، وعن التوازن الدولي في المنطقة الذي يسببه وجود الاتحاد السوفييتي فيها ومنذ البدء وضع لحديثه عنوانا مثيرا اسماه « الاتحاد السوفييتي افكاره ومشاعره » ، خلاصته « ان الاتحاد السوفييتي كان يشعر بالمرارة في حلقه وعلى طرف لسانه » (ص ١٣٣) ٠ وسبب ذلك يعود الى انه ، بمبادرة السادات «واجه » نكسة سياسية محققة في الشرق الاوسط » (ص ١٤٢) ، حيث « اضاع الهيبة فضلا عن ضياع الرصيد ٠٠ وفوجيء بالتطورات الاخيرة ولم يملك غير متابعتها بشعور بالبلاهة لا يستطيع مداراة تعبيره عن وجهه » (ص ١٤٤)٠ ورغم ذلك فان هيكل يرى ، ان الفهم

المستجد للصراع العربي الاسرائيلي ، لم يمنع الاتحاد السوفييتي من « تقديم اقتراحات لا تختلف كثيرا عن مضمون زيارة القدس » (ص ١٣٥) ثم يضيف « لا اظن ان الاتحاد السوفييتي خائف من نجاح في الشرق الاوسط لا يشترك في صنعه » (ص ١٤٢) ·

هذا العرض « الكاريكاتوري » لموقف السوفييت ، الواضح في تناقضاته ، لم يتعمد هيكل عدم ذكر اية كلمة فيه عن حقيقة وجوهر موقف الاتحاد السوفييتي وسياسته من الصراع في المنطقة ، والتي تنشر ويؤكد عليها باستمرار ، بل انه تحدث عنه بشماتة قبلية ، فقد فيها « رصانته » ، ثم راح يحمله قسطا متساويا من المسؤولية فيما يجري : « ان الاتحاد السوفييتي مسؤول عما حدث مسؤولية الآخرين ، فقد كانت له اخطاؤه القاتلة وكان له اسلوبه الغليظ بالكلمات والتصرفات » (ص ١٤٤) ·

والمفارقة هنا ، ان هيكل الذي كان يشير في احاديثه الاخرى وهو ينتقد سياسة السادات ، الى هدف اميركا بابعاد السوفيات من مصر والمنطقة ، بل ووضعه هذا الهدف في رأس قائمة تعداد التنازلات « الهائلة » التي قدمها السادات ، فانه هنا ، يقوم باعادة الاعتبار للموقف الاميركي بالنسبة للموقف من الاتحاد السوفييتي فيقول « كانت الولايات المتحدة تعتذر لنفسها بأنها تريد دوره (اي الاتحاد السوفييتي) لكن اصدقاءه العرب هم الذين لا يريدون (؟) ··وخرج بعض العرب لمطاردته خارج حدود الاقليم العربي وكأنهم موكلون بمطاردته حيث يكون ، وكأنها حرب صليبية ضده » (ص ١٤٤) ·

هكذا يبدو هيكل مرة اخرى ، شديد الارتباك والتخبط ، بل وتعمد السذاجة ، والا فما هي مصلحة السادات المباشرة ، في معاداة السوفيات وابعادهم من مصر ،دون اشتراط ذلك والالحاح عليه من قبل الولايات المتحدة ، حيث تضعه في رأس اهدافها في المنطقة ؟

ماذا اراد هيكل ان يقول في احاديثه ؟

اذا ما استثنينا الوظيفة الهامة التي تؤديها انتقادات ومعارضة هيكل للمبادرة ولنهج السادات وسياسته ، فان مواقفه الاخرى من اميركا والاتحاد السوفييتي ودول « الصمود والتصدي » ، تؤدي وظيفة معاكسة لذلك تماما · فهل اراد هيكل ان « يوازن »في مواقفه ام انه اعتبر ما تحدث فيه برنامجا صالحا للعمل وادارة الصراع ؟

في الصفحات الاخيرة من كتابه قال « ان سنة او سنتين هي فترة كافية لتغيير اوضاع العالم العربي ، ولخلق موازين جديدة فيه » (ص ٢١٠) · بيد ان هيكل الذي كشفت له المبادرة ،المواقف والافكار والقدرات ، اوصلته الى الاستنتاج بأن « القوة العربية على فرض وجود الكفاية فيها لا تستطيع ان تفرض السلام لانها لا تعرف اي سلام تريد » (ص ٢٧٨) ، ذلك لان الاختلاف كبير بين « القيم السائدة » ، ومراحل التطور والمواريث والحضارة ، خاصة وان اسرائيل « تملك قرابة عشرين قنبلة نووية » (ص ٢٨٧) ·

ربما لم يكن هيكل يرمي الى تصوير « الطريق المسدود » ، ولا الى رسم افاق سوداء ، لمستقبل الصراع العربي – الاسرائيلي ، الا انه عرض افكاره « بامانة » وعلى الاخرين ان يفكروا ! لكن الحقيقة غير ذلك · وهذه الحقيقة تكمن في جوهر المنهج الفكري والسايسي لهيكل ومدرسته · فهو اذ ينتقد مبادرة السادات ونهجه وسياسته ، لا يستطيع او لا يريد ان يرى النهج والسياسة الاخرى ذات الطابع الوطني والديمقراطي ، والتي لا تمثلها النظم العربية القائمة بالضرورة ·

فالنهج النقيض هو السياسة الوطنيـــة الصلبة التي تربط صراعها ضد اسرائيل بحليفها الاساسي الولايـــات المتحـــدة الاميركية ، وكذلك ركائزها في المنطقـــة العربية · السياسةالوطنية التي تقيـــم تحالفا قويا واستراتيجيا مع حلفائهـــا واصدقائها في العالم وخاصة الاتحـــاد السوفييتي ، وتستخدم كل اشكال النضال الفاعلة ،بما فيها المواجهـــة المسلحـة النظامية والشعبية ، والتي تمثل المقاومـة الفلسطينية المسلحة نموذجا لها ·

وهذا الذي لا يستطيع ان يقوله هيكل لاسباب عديدة ، كان قـد اكـد عليـــه باحاديثه ، وبشكل غير مباشر ، حين اكـد على انحدار وانحطاط نهـــج السادات ، كنموذج للسياسة العربية السائدة ،وهكذا فاننا بهذا التأكيد ، وبتلك «الشهادة » في مبادرة السادات ، نستطيع ان نرى الوجه الآخر لكتابه « حديث المبادرة » !!

حليم احمد

صادق العظم :

زيـــارة السادات وبؤس السلام العـادل ·

بيروت دار الطليعة ، ١٩٧٨

قبل زيارة السادات الى اسرائيـــل ، اصدر ـ صادق جلال العظم ـ كتابـــه « سياسة كارتر ومنظرو الحقبة السعودية» حاول فيه اعطاء وجهة نظر مخالفة ،لتلك التي راح يروج لها ، دعاة « الحقبة » ، فيما يخص السياسة الامريكيةفي منطقتنا· ولم يخرج في حينه ـ وكالعادة ـ عـــن حدود واطار المساجلة · وفي الوقت الذي كان قد عمد فيه الى كشف ابعاد «النظرية» التي يقف ضدها ، ظل يتعثر واصابـــه العجز عن اعطاء ملامح متكاملة ، لنظريته او لنظرته · ولعله كان قد احس بالنقص الذي عانت منه محاولته الاولى · والدليل ما يفعله هنا في كتابه الجديد « زيـــارة السادات ، وبؤس السلام العادل » ·

فالزيارة ، وما حدث بعدها من ردود فعل ومواقف ، وما اثارته من تصورات واحاط بها من تحليلات · اضافت ـ على ما يبدو ـ معطيات جديدة كانت غائبة ، اوضحت جوانب جديدة من الصـــراع الدائر في المنطقة ، ومن وجهة الاحداث ، واتجاهها ، في الوقت ذاته عملت هـــذه « الزيارة » كحدث خطير ، وفريد مـــن نوعه ، على اظهار مواقف كافة القـــوى على السطح · فبقدر عنف الخطوة التـي اقدم عليها ممثل النظام المصري ، وبقدر « سفورها » اتجهت ردة الفعل المضادة في الاتجاه المعاكس لتكشف عن كـــل مخزونها ، ومدخراتها ، وما عندها ·

اما العظم ، واذ يضع نفسه في موقع « المقتنص » للكل ، ويذهب من هنا للعب لعبته ، فانه لا يسلم هو الاخر من قانون « الحدث » بل يقع ضمن اسره ليبادر من جهته لاطلاق كل ما في جعبته · وليجـــد نفسه مضطرا لدخول الميـدان بمنطـــق ، وتوجه ، من قرر خوض معركة فاصلة ·

وانطلاقا من نفس الفكرة التي انطلـق منها في كتابه الاول ، والقائلة : ان ما جرى ويجري من ترد في اوضاع حركة التحرر العربية ، هو نتيجـــة لصيرورة طويلة ، يعمد هنا الى تحليل حدث « زيارة السادات الى اسرائيل » · في حين يأخـذ هذه المرة وجهة التدليل بالملموس علـــى واقع « التردي » في هذه الحركة وفـــي الواقع العربي عموما · فيعمد الى تقصي

مواقف القوى الممثلة لهذه الحركة ـ او بعضها ـ من « الزيارة » والكيفية التي واجهتها بها ، محاولا بذلك ملاحقة جذور حالة العجز وخلفيته ، عبر مناقشة ومساجلة شملت ، العديد من القوى الوطنية ، والحركات ، والكتاب والمفكرين الوطنيين ، والانظمة ـ خاصة منها تلك التي سعت لـ « الصمود والتصدي » للخطوة الساداتية ٠

واذ يعمد « العظم » الى اجراء جردة في المقالات ، والبيانات ، والتصريحات الصادرة عن الاحزاب والقوى ، والمؤتمرات ، والقادة السياسيين ، فانه يفعل ذلك من خلال موشور يحدد اطيافه مسبقا بالتالي :

١ ـ ان مواقف هذه القوى قد انطلقت من محاكمة خطوة « السادات » باعتبارها « نوعا من الشذوذ الشخصي المفاجيء عن الخط الوطني السليم ، او نوعا من الارتكاب الفردي لخطيئة قومية بحق الامة تستدعي الادانة الاخلاقية لشخصه والتنديد الادبي والوطني ـ الخطابي في مجمله ـ بقراره ـ ص ٧ ـ ٨ » وان كل ما صدر عن هذه القوى ظل دون المطلوب الذي يحدده الكاتب قائلا « ذكرت اكثر من مرة انه عند القيام باية محاولة مهما كانت اولية ومتواضعة ـ لتقديم تحليل يتصف بشيء من الجدية لزيارة السادات الاسرائيلية ، لا بد من العودة بها الى خلفيتها التاريخية والسياسية ، او بتحديد اكبر لا بد من ارجاعها الى الاتجاه العام الذي سيطر تدريجيا وتصاعديا على تلك الخلفية وحدد بصورة متعاظمة ، ملامحها الرئيسية ، توجهاتها الحاسمة ـ ص ١٦ ـ ١٧ » وهو يرى ان هذه الخلفية قائمة في « الهزيمة العسكرية والسياسية الكبيرة التي لحقت بحركة التحرر العربي وقواها وانظمتها في حزيران ١٩٦٧ ، ونما بفضل جملة الانهيارات الوطنية التراجعات التحررية التي جاءت متتابعة في اعقاب الهزيمة ونتيجة لفعلها التفجيري ٠ كما استمد الاتجاه المذكور مقدارا كبيرا من القوة والحيوية نتيجة انفضاح مسؤولية حركة التحرر العربي بقياداتها وتنظيماتها، وانظمتها عن تراكم العفن وتزايد عوامل الانحلال والتفكك ليس في جسمها وجسم مؤسساتها وجيوشها فحسب ، بل جسم الامة المنخور اصلا ـ ص ١٧ ـ ٠»

٢ ـ بعد هذا التحديد لجذور « خطوة السادات » التي ترفض الادانة الشخصية لتلقي اللوم على حركة التحرر وعلى « جسم الامة المنخور اصلا » مع كل ما يتضمنه هذا الرأي من « قدرية » يرفضها العظم ويعاديها ٠ ينطلق الكاتب الى تأكيد رأيه منطلقا من اعتبار كل ما هو قائم على جبهة قوى التحرر ٠ وليدا مريضا لجسم منخور ومريض وبعد ان يؤكد بان الردة قد انتصرت وعهد الثورة ولى يؤكد جازما « ان جميع المحاولات التي برزت خلال السنوات العشر الماضية للتصدي لهذا التيار الجارف وتطويق مضاعفاته السلبية والتخفيف من الآثار المدمرة للانهيارات الوطنية والتحررية التي تلازمت مع صعوده قد اخفقت ـ ص ١٨ » ثم ان هذه المحاولات « لم تكن سوى عقبات صغيرة ومعيقات مؤقتة ما لبث ان جرفها التيار اليميني ـ الامريكي الصاعد عربيا وازاحها من طريقه بدون كبير عناء وبدون دفع ثمن يذكر او تكبد اية خسائر مهمة ـ ص ١٩ » ، وهو لا ينسى هنا ان يذكر ايضا « القوى العربية الوطنية والتحررية والثورية ان تعترف بشجاعة ان هذا الاتجاه السياسي اليميني ـ الامريكي الصاعد عربيا (بقيادة تحالفات طبقية محلية واقليمية مسيطرة تقف على رأسها بورجوازيات الكومبرادور والبترو دولار) قد تحول تدريجيا وعلى امتداد السنوات العشر الاخيرة الى تيار جارف ـ ص ١٨»

ولا يعني هذا التذكير ان الكاتب يتخلى عن اعتقاده بوقوع قوى حركة التحرر تحت طائلة وتأثير « التيار الجارف » المضاد ، الامر الذي يدعونا للتساؤل عن هوية تلك

القوى التحررية والثورية « الفتية » التي يذهبلتذكيرها · يؤكد ذلك سعيه اللاحق لاثبات رأيه ، مطبقا على (منظمة التحرير الفلسطينية ـ الحركة الوطنية اللبنانية ، منظمة العمل الشيوعي ـ الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين · عدا عن قوى جبهة الصمود والتصدي ، ومنظمات فلسطينية اخرى ···) يجعل منها هدفا لاثبات واقعة سقوط هذه الحركة في حبائل المرحلة السوداء الحالية ، وتيار الردة الجارف ·

٣ ـ ينطلق في محاكمته هذه من اتجاهه للربط ما بين مساعي الحل السلمي السابقة على زيارة السادات ، ومواقف هذه القوى منه ومن مشروع « الدولة الفلسطينية » وكيف اصبحت مطلبا « وطنيا » بعد ان كانت « مؤامرة امريكية » · واذ يلاحق السلسلة حلقة حلقة ، باتجاه الانهيار فانه يعيد الى الذاكرة تباين المواقف ، وتراجعها ، لا على صعيد الانظمة وحسب ، بل على صعيد حركة المقاومة وفصائل حركة التحرر الوطني ايضا ·

ذلك هو جوهر ما يريد « صادق العظم» ان يقوله في كتابه هذا · ان حالة التردي عامة وان ليس ثمة امل في شيء · وان الموقف من زيارة السادات اسطع دليل ، بدلالة واقعة موقف كافة القوى من هذه الزيارة · واخيرا فان « الرافضين » لها ليس لهم حق الرفض ، لانهم جزء من العوامل العميقة التي ادت اليها ، وانها « فعل امة منخورة » · لا فعل فرد او نظام ·

وعلى العموم فان مثل هذا الرأي قد يطرح ، وقد يكون له صدى ، كما ان احساسا بواقع الهزيمة وضخامتها قد يكون قائما وبعمق وسعة في اوساط عديدة من الجماهير وبين مناضلين ومثقفين تقدميين ، يلتقون مع العظم في تشخيصه « للحالة » والجهر بها · ولكن الكثيرينمن هؤلاء وحتى في اوساط تلك القوى التي يجعل العظم منها هدفا لنقده وهجومه · قد لا يلتقون معه في النتائج التي يصل اليها والايحاءات والحلول التي يطرحها ·

واذ يذهب العظم الى اسقاط معظم الفكر والممارسة السياسية التحررية العربية ، فانه يضع نفسه بذلك امام واجب هو شرط لاعطائه حق الاسقاط هذا ـ ذلك هو واجب عدم الاسهام في تعميق حالة التدهور والانحطاط · وهذا بالضبط ما تؤديه اية محاولة شبيهة بمحاولاته لا تعطي الحلول · ولا تشخص العلل بدقة · ولا تمتاز تبعا لذلك بالجدية والعمق والشمول اللازم والضروري في حالة كهذه · ان حالة التردي يجري الشعور بها عادة من قبل الجماهير مثل حالة الصعود · والدليل على ذلك الموقف الذي تعبر عنه هذه الجماهير في مرحلتنا · والمهم ليس عكس هذا الاحساس وتعميمه بحالته الفجة ، بل بلورته وتعميقه ، ونقله من مملكة الحس الى مملكة الادراك ، لا العمل على تشويهه وحرف مسار تطوره الطبيعي والحتمي ·

فهل عمل العظم على الارتفاع بهذا الحس ؟ هل سعى الى اغنائه ؟ هل نقله خطوة الى الامام ؟ · علينا لكي نجيب على هذا السؤال ان نلاحق الكاتب محاولين استقصاء ما اضافه، نظريا، لهذا الحس عدا عن دعوته الى ضرورة اصلال النهج العلمي في دراسة خطوة السادات ونظامه ، باعتباره وليدا طبيعيا لما سبقه وابنه الشرعي ـ وهذا ليس انجازا لا يعرفه احد ـ نعم لقد حاول ان يعطي تحليلا لطبيعة « الانظمة العسكرية ذات المنشأ البرجوازي الصغير » (١) · لم يتميز بأية ميزة عن العديد من التحليلات التي رأت منذ سنوات بعيدة ان هذه الانظمة عاجزة عن السير قدما في طريق الثورة ، وانها تحمل في احشائها عناصر

---

(١) ترد هذه المحاولة في ما لا يزيد على صفحة واحدة من الكتاب (ص ٤٤ ـ ٤٥) ·

الارتداد ـ الذي يرى العظم ان السادات خرج منها ـ وحاول ان يرى وضع المقاومة الفلسطينية من منطلق « ان العجز في مواجهة حملات التطويق والابادة المتنوعة الاشكال والمستويات التي شنها اليمين العربي ـ بدعم اسرائيلي ضمني وغير مباشر احيانا ، وبتدخل اسرائيلي عسكري مكشوف ومباشر ومتمم في احيان اخرى ـ هي المسؤولة عن انتقال الثورة الفلسطينية من الدعوة لتحقيق اهدافها الوطنية عن طريق حرب التحرير الشعبية الطويلة الامد الى الدعوة لتحقيق اهداف اخرى مختزلة عن طريق احلال « السلام العادل والدائم والمشرف » ـ ص ٤٩ » . ولسنا ندري كيف تخلى العظم هنا عن موضوعه « الامة المنخورة » ؟ لماذا يا ترى لا يعيد الى هذا السبب حالة المقاومة الفلسطينية ما دام قد اقره وتبناه من البداية ، ام انه يرى الشعب الفلسطيني ، ليس من هذه الامة ؟.

لقد حاول في موضع اخر الرد على دعاوى ضغوط « اللوبي » الصهيوني على الادارة الامريكية معتبرا اياها ترددا لصدى ما تشيعه الاوساط الاعلامية الامريكية . ويعود لتفنيد الوهم الشائع حول امكانية الضغط والتاثير التي يملكها العرب من خلال « البترول » على امريكا ، مؤكدا « غياب اية سيطرة حقيقية تمارسها التحالفات الطبقية العربية الحاكمة ، الموالية كليا للولايات المتحدة والملتحمة مصلحيا معها ، على قوة الاموال العربية والبترول العربي ـ ١٢٣ » ، وهو يسعى طويلا لكي يثبت هذه الحقيقة . ثم يعود محاولا الكشف عن طبيعة السياسة الامريكية متهما العقل العربي بعدم القدرة على استيعابها « يبدو لي ان العقل السياسي العربي ، بشكل عام ، يجد صعوبة « بنيوية » ـ هنا يعود الى العلة الاصلية من جديد ـ في استيعاب سياسة ديناميكية مائعة وملتبسة كهذه ـ ص ١٤٣ » في حين يكشف لنا عن طريقته هو في فهم واستيعاب هذه السياسة « يشكل هذا الخيط الثابت في السياسة الامريكية جزءا اساسيا من استراتيجية عامة تعمل ليس على فرض الترتيبات اللازمة في « الشرق الاوسط » بهدف تسوية الصراع العربي الاسرائيلي بصورة نهائية ومتوازنة نوعا ما ، بل تعمل على احتواء هذا الوضع المتفجر والتحكم بمجرياته قدر الامكان وتهدئته حين تستدعي المصلحة ذلك ، حتى يتحقق الهدف الاستسلامي المشار اليه اعلاه ، وتتطلب عملية التهدئة المذكورة ابقاء التوتر الذي يولده الصراع تلقائيا في مستوى ملائم من الارتفاع او الانخفاض بما يتناسب مع متطلبات عملية تنفيذ السياسة الامريكية في السيطرة على منطقتنا ويخدم الحاجات العملية لتلك السياسة . انها استراتيجية برغماتية مرنة قابلة للتكيف مع الظروف الطارئة والتلاؤم مع تقلبات الاحداث المستجدة ، والاهم من ذلك انها اثبتت عن نجاح باهر خلال السنوات العشر الماضية ـ ص ١٤٠ » وهذا على اية حال رأي ، قد يحمل بعض الصحة يأخذ فيه العظم دليلا ومقياسا لتفسير المواقف الامريكية من القضايا العربية ، وللتدليل على « قصور العقل السياسي العربي » في مواجهتها .

وهو يلخص اخيرا اراءه قائلا « اكدت في مطلع هذه الدراسة ان انتقال الوطن العربي من « المرحلة الناصرية » الى مرحلة « الحقبة السعودية » عبر هزيمة حزيران ١٩٦٧ وبفعلها (وليس عبر وفاة عبد الناصر او بفعلها) انطوى على قيام التيار اليميني ـ الرجعي ـ الامريكي الصاعد عربيا بتدمير جميع الضوابط الوطنية والكوابح التقدمية التي كانت حركة التحرر العربي قد ارستها بالنسبة لاي تعامل مع العدو الاسرائيلي والامبريالي في المنطقة . من ضمن هذا السياق يمكننا القول ان زيارة السادات شكلت دلالة كبيرة وهامة على انتهاء التيار اليميني الرجعي من عملية الدمير المذكورة ، بعد ان حقق اهدافه منها ، وعلى انجازه الناجح لمهمات احكام سيطرته

السياسية (بعد سيطرته الاقتصادية) على الحياة العربية ومقدراتها ، كما شكلت الزيارة دلالة على طبيعة المستقبل الذي تعمل القوى الممثلة لهذا التيار على صنعه للوطن العربي عموما ــ ص ٢٣٢ » ٠

هذه هي بوجه عام التصورات الرئيسية التي يتضمنها كتاب العظم عن السياسة الامريكية وعن الواقع السياسي العربي ٠ ولنتساءل الان ، هل يتناسب حجم هذه الاستخلاصات والاراء مع حجم النقد الموجه للواقع العربي ولواقع حركة التحرر العربية ؟ ٠

سنعمد للاجابة على هذا السؤال ، الى تسجيل ملاحظاتنا ، من دون الدخول في الجزم والقطعية التي اتبعها الكاتب في عرض تحليلاته وارائه ٠ وعلى العموم فان منهج صادق العظم وموقفه ، يحتاج الى تقييم ــ ولو اولي ــ وذلك واجب من الواجبات التي تفترضها المرحلة ، كما صورها العظم في كتابه ٠ ويستلزم ذلك ــ على ما نرى ــ اجمال ملاحظاتنا في النقاط التالية :

١ ــ ان « صادق جلال العظم » ابتداء من كتابه الشهير (النقد الذاتي بعد الهزيمة) وفي مجمل كتاباته اللاحقة ظل يتبع منهجا نقديا ، يتميز بالجذرية الشاملة ٠ والتي تصل الى حد التجريد ، المميز لموقف « المثقفين » من هواة النقد ، وطلاب الكمال المطلق في كل عمل ، هذا مع اختلاف كون كتابات « العظم » تتجلى بالذكاء والجدية التي يكشف عنها ما تتضمنه هذه الكتابات من ادلة على الجهد

غير ان هذا كله لم يمنع هذه الكتابات من ان تنتهي الى القول : بأن ثمة تخلف وعجز « بنيوي » وتاريخي ، عجز في الوعي وفي تركيبه ، يتجلى في الملمات والمواقف الحاسمة والصعبة منعكسا على السلوك والموقف السياسي في الوطن العربي ٠ واذا كان هذا الحكم قد تركز على الانظمة العربية في « النقد الذاتي بعد الهزيمة » بصورة اساسية ــ وان لم تسلم البنية بمجملها من النقد ــ وتركز على تيار معين ومحدد في « سياسة كارتر ومنظرو الحقبة السعودية » فانه يعود ليتخذ صفة الاطلاق في هذا الكتاب ٠ ان اقوالا مثل « جسم الامة المنخور اصلا » وان العقل السياسي العربي « يجسد صعوبة « بنيوية » في استيعاب سياسة ديناميكية مائعة وملتبسة كهذه » برغم انها ترد عرضا ، وما بين السطور ، فانها تمثل في الواقع ، الخلفية التي تحكم موقف الكاتب ،وتحدد زاوية نظره ٠

٢ ــ وليس هنالك من ينكر بحال ، اهمية وضرورة مثل هذا الاتجاه ، في معالجة قضايانا الملحة والراهنة ٠ على العكس من ذلك ، فان مثل هذا المنهج في النظر والتحليل ، مفيد من حيث اثره في تعميق الوعي بالاحداث ، وبالاتجاهات السائدة والمتصارعة في الواقع العربي ، انه يظل عندما يطرح بالطريقة التي يطرحه بها « العظم » محصورا في اطار الحس ٠ وعلى الاغلب فانه يؤدي الى تعميق نزعة الاستنكاف والعزوف عن المبادرة ، وذلك بسبب من افتقار هذا المنهج الى الاهتمام بالاسباب العميقة ، افتقاره الى اية محاولة للبحث في مصادر العجز البنيوي ،

والمرض اللاصق بجسم وعقل الامة ، من اين اتى ، وهل ثمة علاج له ام لا ؟ ٠ ان العظم يختار دائما النتائج ليسلط عليها هجومه ، في حين يترك الاسباب وراءه محولا اياها الى « شتيمة » قدرية تنتهي في اغلب الاحيان لتترجم بصيغة : هذه هي النتائج سوداء كما ترون وذلك ليس بالامر المستغرب « فالجسم منخور اصلا » والعقل معطل وعاجز « بنيويا » ٠

وبفعل وقوع « العظم » تحت اسر هذا المنهج فانه لا يسلم في اغلب الاحيان من الخطأ ومن استسهال اعطاء الاحكام القاطعة ، والمطلقة ، واخيرا فهو يبتعد عن الديالكتيك ، وينحو غالبا الى التجريد والميكانيكية ٠ ان النظرة الديالاكتيكية

تستوجب اخذ الظواهر بكل عناصرهـــا ومكوناتها لا قطعها عن مسار صيرورتهـا او اجتزاء هذا المسار ٠

٣ ــ ولن ينفي هذا التقدير الـــذي عرضناه حول منهج العظم بوجه عـام ، وحول منهجه الذي اتبعه في كتابه « زيارة السادات وبؤس السلام العادل » كما سبق وقلنا ، اهمية بعض الافكار الواردة فـي كتابه الاخير وفي مجمل كتاباته الاخرى ٠ ولكن من الضروري الانتباه الى الاخطـاء المنهجية والاخطار المترتبة عليها والناجمة عنهـا ٠

نذكر ذلك انطلاقا من اتفاقنا مـــع « العظم » على خطورة المرحلة ، وضخامة المصاعب التي تلقيها على عاتق الحركـة التحررية العربية والقوى الثورية فـــي الوطن العربي ، الامر الذي يتطلب مـــن مفكري هذه الحركة وقادتها انتباها اكبـر لوسائلهم ونشاطهم النظري والعملـي ٠ ولعل جبهة النظرية هي اليوم الجبهـــة الاكثر مسؤولية وخطورة ، فعليها يتوقف الشيء الكثير في مجال تقرير وجهة سير الصراع واتجاهاته اللاحقة ٠

ومن ابرز مهمات هذه الجبهة واكثرهـا الحاحا ، مهمة بناء وعي مضاد لحالـة التدهور والردة الطاغية ، الامر الـذي لا يمكن تحقيقه من دون العودة الـــى الجذور والى المكونات البنيوية والتاريخية بغية فحصها وتشخيص مصادر عللها ٠ لقد اكد العظم على ولادة مرحلة السادات من رحم النظام الناصري الذي ولد وهو يحمل في احشائه عوامل الردة والتراجع ٠ لكنه نسي ان يلاحظ بأن «مرحلة الناصرية» هي الاخرى وليد وثمرة نضال طويـــل تعود بداياته الى بواكير عصر النهضـــة في الوطن العربي ، وان الاجابة بأن الاصل « منخور » لا تجيب على شيء ولا تتـــرك سوى الحيرة والاستسلام لـ « عدالـــة البؤس » ٠ وعدا عن اهمية هذه المسالة فان ثمة ضرورة ملحة لان يجري الكشف عن آلية العلاقة التاريخية والآنية ، فضلا عن العلاقة المستقبلية القائمة بين واقعنـا والعالم ، من منطلق البحث عن مستجدات الصلة مع الغرب والتطورات الحاصلـة على هذه الصلة ، استنادا الى العلـــم والوقائع ٠

ومثل هذه المهمات لا يمكن انجازهـــا فعلا بسيادة منطلق تبسيطي كذلك الـــذي يحسم « العظم » به الامور قائـــلا : ان « السادات » هو التطور الطبيعي والحتمي لـ « عبد الناصر » وعبد الناصر ما هـو الا التطور الطبيعي والثمرة الطبيعيـــة لجسم متخور اصلا ٠٠٠ الخ ٠

٤ ــ ان السياسي يحدده الاقتصادي ، ولهذا فان اعطاء حكم عن السياســـة الامريكية مثلما يفعل صادق العظم ، يظـل قابلا للاجتهاد ، ولن يكتسب قيمة فعليـة اذا لم يرتكز الى تحليل مكونات هـــذه العلاقة على صعيد آلية وطبيعة ارتبـاط التبعية الاقتصادية القائم بين الانظمـــة العربية والامبريالية الامريكية ٠ وليـس يكفي في هذا الميدان التقاط ظواهر عامـة والتعكز على اراء مبعثرة وشائعة لاعطاء وتكوين احكام سياسية خطيرة كتلك التي يطلقها العظم ٠

واذا كان العظم يأمل ــ وهو يأمل كمـا يتأكد من كتاباته ــ بأن يسهم في اغنـاء نظرة قوى حركة الثورة في الوطن العربي، فانه بهذا يلزم نفسه بشروط اكثر قسـوة من تلك التي حددها لنفسه في كتابه هذا ٠

ولهذا ، وبسبب قسوة الظروف الراهنة، فان كتاب « صادق العظم » الاخير ، يفتقد الى الكثير من القيمة التي احتواها مثـلا كتابه « النقد الذاتي بعد الهزيمة » مـــن حيث ايقاظه للوعي وتوجيهه وجهة ناقدة ٠ والسبب ، هو التهاب والحاح مهمة صياغة عناصر البديل على صعيد الوعي مـــن جهة ، وحساسية وخطورة الايحاء بافتقاد الامل بشيء ، في وقت يبدو فيه الظـلام مطبقا ، والحاجة الى شعاع نور اثمن مـا يمكن تقديمه ، وعلى قاعدة سليمة ٠

امير حيدر

المقاومة الفلسطينية

الحوار الفلسطيني ـ الاردني

المصالحة الفلسطينية ـ الاردنية التي تمت في قمة بغداد بعد ان اعلن الملك حسين استعداده للتعامل مع منظمة التحرير بقلب مفتوح ، وجدت مجراها العملي في المناقشات الفلسطينية الداخلية ثم في الحوار العلني · فحين اجتمع المجلس المركزي في دمشق (١١/٢٣) كان على رأس جدول اعماله بحث موضوع الحوار مع الاردن ، واعلن الفاهوم بعد انتهاء المناقشات ، ان المجلس وافق على بدء الحوار على قاعدة قرارات القمة العربية في بغداد ، وقرارات قمة الجزائر والرباط · وصدرت في جو هذه الموافقة على بدء الحوار ثلاثة تعليقات فلسطينية · فقد اعلن خالد الفاهوم بصفته رئيسا للوفد الفلسطيني الذي سيتوجه الى الاردن ان « الهدف من المفاوضات هو وضع حد للخلافات الهامشية القائمة بين الجانبين، وتعبئة الجهود والموارد العربية من أجل احباط اتفاقيتي كامب ديفيد » · واعلن زهير محسن بصفته عضوا في الوفد المحاور ، انه يسجل « بارتياح تقديرنا البالغ للموقف الوطني الذي عبر عنه الاردن مؤخرا ، فيما يتعلق بالتطورات الاخيرة التي شهدتها المنطقة ، ونتطلع الى بناء علاقات تعاون ايجابي عميق مع الاردن » · ومن جهتها اعلنت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في بيان صدر عن اجتماع لجنتها المركزية ، موافقتها على مشروع الوحدة الوطنية الفلسطينية، مع تحفظ على بند الحوار مع الاردن · وقالت الجبهة انها « تعتبر العلاقة مع الاردن هامة واساسية ، ولكن ليس من خلال النظام بل من خلال العمل الجاد بين صفوف الجماهير » ، واكدت الجبهة انها تحتفظ بحقها في الممارسة حسب قناعاتها ·

وقد وصل الوفد الفلسطيني الى عمان يوم ١١/١٥ ، وكان مكونا من خالد الفاهوم رئيسا ، ومحمود عباس وخالد الحسن (فتح) وزهير محسن (الصاعقة) وعقد مع الوفد الاردني برئاسة مضر بدران رئيس الوزراء ثلاثة اجتماعات ، تخللها لقاء مع الملك حسين ، وصدر عن المحادثات بيان مشترك ·

اعرب الفاهوم بعد الجلسة الاولى من المفاوضات عن « تقدير منظمة التحرير لموقف الاردن والملك حسين من التطورات الاخيرة في المنطقة » · وقال زهير محسن بعد الجلسة الثانية (١١/٢٦) ان التعاون مع الاردن « سيأخذ في الاعتبار مستقبلا، الظروف الداخلية للاردن ، وكذلك الظروف الاقليمية ، كما سيكون محدود النطاق » واكد ان « اي بحث بوجود عسكري فلسطيني هو خارج عن الموضوع » · واوضح ان « المحادثات تستهدف فقط مضاعفة التنسيق والتعاون لمواجهة نتائج اتفاق كامب ديفيد واحباطها » · اما محمود عباس فقد سجل تفاؤله

بالمحادثات وارتياحه لها بتصريح قال فيه « ان اول منطلقات الحوار مع الاردن هو احساسنا العميق والصادق واحساس الاخوة في الاردن العميق والصادق ايضا بالمصير المشترك ... يضاف الى هذا ، الحاجة الى رابطة قوية لمستقبل الشعبين الشقيقين » . وقال « لا نتصور اننا سنجد في هذا الحوار اية عقبات ،والروح الايجابية التي قابل بها الملك حسين الوفد عززت الامل لدينا باننا مقبلون على مستقبل مشرق مليء بالامل » .

ثم عقدت جلسة مفاوضات ثالثة صدر بعدها بيان مشترك (١١/٢٨) اكد على :

ـ رفض مقررات كامب ديفيد .

ـ التصدي لمشروع الحكم الذاتي .

ـ تاكيد مبدأ « سيادة الدولة الاردنية على ارضها وشعبها ، واستقلالية العمل الفلسطيني داخل منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني » .

وذكر مصدر اردني بعد صدور البيان انه تم الاتفاق على « تشكيل عدة لجان مشتركة تجتمع في عمان بعد اسبوع ، لبحث المسائل التي لم تتم تسويتها بعد ». ونقلت وكالات الانباء عن احد اعضاء الوفد الفلسطيني دون ان تذكر اسمه ، ان « المنظمة قررت عدم التدخل في الشؤون الداخلية للاردن ، وان تطالب بالحفاظ على استقلالها في مواقعها وقراراتها » . واضاف « اتفق الجانبان على جميع المسائل السياسية التي جرى بحثها » .

وصدر رد الفعل الاول على المفاوضات بعد انتهائها من الجبهة الشعبية ، التي طالبت في بيان علني « باقفال باب الحوار مع الاردن » انسجاما مع موقفها المقر من قبل لجنتها المركزية (١١/٢٩) ، وحين اجتمعت اللجنة التنفيذية (١٢/٤) برئاسة ياسر عرفات لدرس نتائج الحوار ، لم يصدر عنها اي بيان او تصريح حول الموضوع ، ولكن جريدة « السفير » اللبنانية اجرت مقابلات مع ست منظمات فدائية اوضحت موقف كل تنظيم من مبدأ الحوار ومن نتائجه، ونشرت هذه المقابلات يومي ١٤ ، و ١٢/١٥ ، واظهرت موافقة كافة التنظيمات مع مبدأ الحوار ، مع تفاوت في طرح الشروط والاصرار عليها ، باستثناء الجبهة الشعبية .

موقف فتح

تحدث هاني الحسن عضو المجلس الثوري لحركة فتح عن المباحثات فقال : ان حركة فتح توافق على فتح الحوار مع الاردن بدليل مشاركة اعضائها في الوفد، وان هذا الحوار لم يبدأ الا بعد موافقة جميع فصائل المقاومة عليه ، وذلك من خلال الموافقة التي تمت في اجتماع المجلس المركزي على وثيقة الوحدة الوطنية . وعدد هاني الحسن ثلاثة مبررات لقرار قبول التفاوض هي :

١ ـ ان افشال كامب ديفيد يعتبر المهمة الراهنة لكل الثوريين العرب .

٢ ـ ان مشاركة الاردن لمنظمة التحرير بتوزيع المال (اشارة لقرار قمة بغداد بتشكيل صندوق مشترك بين الاردن والمنظمة لدعم صمود الاراضي المحتلة) ، افضل بكثير من ان يشارك السادات في « بلير هاوس » .

٣ ـ اذا استمر الاردن بالتزامه بقمة بغداد والوقوف ضد كامب ديفيد ـ وهذا ما يشك به البعض ـ فهذه خطوة هامة لافشال كامب ديفيد .واذا ما نكث الاردن بعهده ـ وهذا ما يعتقده كثيرون ـ فاننا سننتقل الى موقف المجابهة .

وحدد هاني الحسن ثلاثة شروط تضعها « فتح » للحوار :

١ ـ استمرار الاردن في عدم المشاركة في اتفاقات كامب ديفيد ٠

٢ ـ استمرار الاعتراف الاردني بمنظمة التحرير كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني في كل اماكن تواجده ، مع الترجمة العملية لهذا الموقف ٠

٣ ـ اقدام الاردن على توفير المتطلبات العملية للعلاقات مع منظمة التحرير الفلسطينية وخاصة على صعيد الاتصال مع شعبنا في الارض المحتلة بمختلف الوسائط ٠

وقيم هاني الحسن نتائج المفاوضات بقوله انها سجلت اربع نقاط هامة هي :

١ ـ الحصول على اقرار اردني جديد لمواجهة كامب ديفيد ومقاومة مؤامرة الحكم الذاتي ٠

٢ ـ اتفق على تأجيل بحث العلاقات المستقبلية مع الاردن ٠

٣ ـ اتفق على مبدأ الافراج عن المعتقلين السياسيين ٠

٤ ـ اتفق على انشاء عدة لجان للتنسيق ٠

وحول نقطة السيادة « التي نالت اكبر حيز من الجدل » قال هاني الحسن « وردت في البيان المشترك الصيغة التي تتحدث عن سيادة الدولة الاردنية وعن استقلالية عمل منظمة التحرير كممثل شرعي وحيد٠

ونحن طبعا لسنا ضد السيادة بمعناها القانوني ، ولكننا مع التمسك بالمعنى الشمولي لما ورد في الجزء الآخر من النص والذي يتحدث عن منظمة التحرير وحقها في تمثيل شعبها ٠٠٠ ان سيادة الاردن مترابطة مع هذا الفهم القائم على وحدة تمثيل الشعب الفلسطيني » ٠ واضاف «ان الفقرة المذكورة قد لقيت تفسيرات متناقضة من كلا الجانبين ، وهي مسألة جوهرية تحتاج الى جلاء وتاكيد ، ومجال ذلك سيكون في جولات المفاوضات المقبلة » ٠

موقف الجبهة الديمقراطية

حددت الجبهة الديمقراطية موقفها بلسان امينها العام نايف حواتمة الذي اكد ان موقف الجبهة كان دائما « مع الحوار على قاعدة الترجمة العملية الملموسة لقرارات الجزائر والرباط وبغداد (قرارات القمم العربية) » ٠ وكشف حواتمة النقاب عن ان الحوار الفلسطيني ـ الاردني تمخض عن وثيقة سميت « اطار العمل المشترك » وهي وثيقة لم تنشر رسميا حتى الآن ، وقال ان ما جاء في هذه الوثيقة يبرز رفض السلطة الاردنية الاعتراف بمضمون قرارات القمم العربية حول القضية الفلسطينية ٠ وحدد حواتمة ستة شروط للحوار مع الاردن هي :

١ ـ حق منظمة التحرير في التواجد السياسي والتنظيمي في صفوف ثلث شعبنا في شرقي الاردن ٠

٢ ـ الحق في الانطلاق المسلح من الاراضي الاردنية ٠

٣ ـ المنظمة هي الممثل الوحيد دون مشاركة السلطة الاردنية في تقرير مصير شعبنا ٠

٤ ـ اطلاق المعتقلين في السجون الاردنية ٠

٥ ـ العفو العام عن جميع كوادر الثورة ٠

٦ ـ حرية الجماهير الفلسطينية في الاردن في الانخراط بصفوف الثورة ٠وفي نقاشه لنتائج الحوار ، سجل حواتمة ان الوثيقة التي توصل اليها الوفد المفاوض تتناقض مع الشروط التي وضعها، وهي تنص على :

١ ـ حرمان المنظمة من العمل في صفوف شعبنا ، تحت شعار خضوع المواطنين للقوانين والسيادة ٠

٢ ـ حرمان المنظمة من اي عمل مسلح ينطلق من الاردن ٠

٣ ـ الزج بالمنظمة والاردن للعمل المشترك تجاه المشاريع والحلول السياسية المقترحة ٠

٤ ـ مشاركة الاردن للمنظمة في الاراضي المحتلة ٠

٥ ـ النص على اعتماد السياسة الاردنية في العلاقات الدولية ٠

ومن الواضح ان ملاحظات حواتمة هنا تنطلق من وثيقة «اطار العمل المشترك» التي لم تنشر رسميا حتى الآن ٠

موقف جبهة التحرير العربية

واكدت «جبهة التحرير العربية» بدورها تاييدها لمبدأ الحوار بقولها على لسان امينها العام عبد الرحيم احمد الذي قال ان « موقفنا من مسالة الحوار مع النظام الاردني نابع من وجدانية الموقف الفلسطيني المتمثل باجماع كل فصائل الثورة (اشارة لاتفاق الوحدة الوطنية)، كما ان اتفاقات كامب ديفيد فرضت على القوى الرافضة لها ان تلتقي وتتحاور ٠

وحصر عبد الرحيم احمد شروط الحوار مع الاردن ببندين :

١ ـ رفض اتفاقات كامب ديفيد ونتائجها ٠

٢ ـ تاكيد الالتزام بمقررات القمم العربية لجهة الاعتراف بالمنظمة كممثل شرعي وحيد ٠

وذكر ان طبيعة المرحلة تفرض « ان نؤجل بعض المسائل والامور التي نراها ضرورية لاقامة علاقات مقبولة مع النظام الاردني » ٠

وفي تقييمه للنتائج اعتبر ان « ما تحقق في الجولة الاولى للحوار بداية طيبة » ٠

موقف الجبهة الشعبية ـ القيادة العامة

سجلت الجبهة الشعبية ـ القيادة العامة بلسان امينها العام احمد جبريل ، المرتكزات التي ترى انها تشكل قاعدة العلاقات التاريخية بين الشعب الفلسطيني والنظام الاردني ٠ واوضحت ان الجبهة، قررت الموافقة على فتح الحوار مع الاردن على ضوء تلك المرتكزات ، ولكن ضمن ضوابط اهمها :

١ ـ الارتكاز على اللقاء السوري ـ العراقي واستثمار العلاقات النامية بين الجماهيرية الليبية والاردن ٠

٢ ـ ان نضع وبشكل مسبق في حسابنا كل مستويات الطرح بحديها الادنى والاعلى استكمالا لمقومات هذا الحوار ، آخذين بالاعتبار ترك عاداتنا القديمة ،ونبذ السلوكية الدونكشوتية ، والذهاب الى الصيد ببندقية وخرطوشة واحدة ٠

وذكرت الجبهة انها لا تستطيع ان تخفي حذرها بل ارتيابها بانه بدون هذه الضوابط ٠٠٠ نجد انفسنا وبشكل اوتوماتيكي نعمل ونصب في طاحونة الملك حسين ومن يلتقي معه من الفلسطينيين بغية تمرير التسوية الاستسلامية ٠

أما بشأن تقييم نتائج المباحثات ،فترى الجبهة انها « لا تتعدى التبادل في الافكار، مع تغليفها بالعواطف المتبادلة » ٠وذكرت « ان هناك بعض النقاط الجديرة بالبحث والاهتمام ونحن بصدد تقييمها بدقة » ٠

موقف الصاعقة

وقالت منظمة الصاعقة بلسان أمين سرها زهير محسن ، انها « في هذه المرحلة مع مبدأ الحوار بقناعة تامة ، ونعتقد ان الظرف الراهن يوفر فرصة مثالية لاجراء حوار ناجح ومثمر مع الاردن في خدمة استراتيجية العمل الوطني المرحلي الذي يتركز حول مناهضة اتفاقيات كامب ديفيد ٠

واعتبرت الصاعقة في تقييمها لنتائج

المفاوضات بانه امكن للمرة الاولى تحقيق نتائج مشجعة وافضل مما كان يتوقعه الكثيرون » وتعتبر ان ما انجزه الوفد في عمان خطوة جيدة كبداية لتطوير العلاقات ... ونعتقد ان متابعة الحوار يمكن ان تؤدي الى خطوات اخرى اكثر تطورا ، والى ضمان انسجام الاردن بصورة افضل واكثر ثباتا مع العلاقات الجديدة بين سوريا والعراق ومنظمة التحرير » .

ومن الجدل الذي دار حول المباحثات قالت الصاعقة « لقد حاولت بعض الاطراف الفلسطينية المعارضة او المتحفظة على الحوار مع الاردن ، التركيز على اثارة المسائل الخلافية التي يصعب حلها الآن ، والتي نحن من جانبنا لا نستعجل وضع حلول لها في الوقت الحاضر » . وختمت الصاعقة قائلة ان « هذا لا يعني اننا تنازلنا للاردن عن شيء ، او انه تنازل لنا ، وانما يعني ان هذه المسائل موجودة في ملف العلاقات الاردنية ـ الفلسطينية لكي تبحث في المستقبل في مناخ افضل » .

موقف الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

امام موافقة المنظمات الخمس السابقة على مبدأ الحوار ، واختلافها في تحديد شروطه وضوابطه ، وتقييم نتائجه ، انفردت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بلسان امينها العام ، بتأكيد موقفها المعلن مسبقا ، والداعي الى رفض الحوار مع النظام الاردني من حيث المبدأ . قالت الشعبية : « نحن غير موافقين على الحوار ، وناضلنا من أجل حذف اي فقرة في البرنامج السياسي يمكن الاستناد اليها لاقامة مثل هذا الحوار مع النظام الاردني، وعندما اقرت الفقرة سجلنا ... تحفظنا على ذلك كما سجلنا كافة تخوفاتنا المشروعة » .

وعددت الشعبية اسباب رفضها لمبدأ الحوار بما يلي :

١ ـ لان مؤامرة التسوية مستمرة ... والقوة الاساسية التي تستند اليها الامبريالية في المراحل القادمة لعملية التسوية هي النظام الاردني .

٢ ـ ان عودة المقاومة لساحة الاردن بهدف تعبئة الجماهير الفلسطينية ... لا يمكن ان يتم الا من خلال النضالات الجماهيرية .

٣ ـ ان الاسس والشروط والمواصفات التي وضعت نظريا سيجرى الحوار على اساسها لن تتوفر عمليا في ظل الوضع القائم .

واعلنت الشعبية رفضها للوثيقة التي اسفرت عنها المفاوضات فركزت على الفقرات التالية :

ـ الفقرة التي تنص على احترام القوانين الاردنية .

ـ البند القائل بـ « تجنب ما من شأنه ان يعطي العدو اي مبرر لتنفيذ مخططاته ضد الاردن » .

ـ البند الذي ينص على « التشاور » المباشر والسريع حول المعلومات والعروض السياسية التي يتلقاها اي من الجانبين .

ومع استمرار هذا الحوار وصل الى عمان يوم ١٢/١٥ وفد فلسطيني برئاسة حامد ابو ستة عضو اللجنة التنفيذية وعضوية محمود عباس وعضوين اخرين . وقالت مصادر فلسطينية ان الوفد سيقوم بمهمة متابعة القضايا العالقة وليس بمهمة التفاوض .

وبانتظار تجديد التفاوض ذكر المصدر ان لجنة رباعية من فصائل المقاومة ،تقوم بصياغة ورقة عمل فلسطينية على ضوء الملاحظات التي ابدتها المنظمات على نتائج مباحثات عمان « وتكون ملزمة لاعمال اية وفود تتابع الحوار مع السلطة الاردنية » .

العمليات الفدائية

واصلت المقاومة الفلسطينية عملياتها

الفدائية بالداخل بنفس الوتيرة المرتفعة التي حافظت عليها في الاشهر السابقة · ومن ابرز العمليات التي تمت واعترفت بها اسرائيل :

☐ ٣ عمليات فدائية انجزت في الذكرى الاولى لزيارة الرئيس المصري انور السادات الى القدس المحتلة · تم في العملية الاولى (١١/١٩) تفجير سيارة عسكرية كبيرة قرب اريحا وقتل في الحادث ٤ اشخاص وجرح ٣٥ · وتم في العملية الثانية تفجير عبوة ناسفة في حيفا ادت الى جرح شخصين ، اما العملية الثالثة فقد تمت في القدس، ولكن البوليس استطاع العثور على القنبلة قبلانفجارها وتمكن من اتلافها · وقامت اسرائيل في اليوم التالي (١١/٢٠) باعتقال العشرات من الفلسطينيين للتحقيق معهم ، فيما اعلنت واشنطن تنديدها رسميا بهذه العمليات ووصفتها بانها « عنف مجنون ليس هناك ما يبرره » ·

ونفذ الفدائيون عمليتين جديدتين يوم ١١/٢٦ ، الاولى في مستوطنة كريات اربع قرب الخليل حيث فجروا احد الابنية الرئيسية في المستوطنة ، والثانية فيالقدس المحتلة ، حيث ادي انفجار عبوة ناسفة عند موقف سيارات خاص لنقل الجنود الى اصابة شخص بجراح · وقامت اسرائيل على اثر العمليتين بحملة اعتقالات جديدة في اوساط المواطنين ·

وفي ١٢/١٢ قام الفدائيون بوضع متفجرتين داخل مستوطنتين اسرائيليتين في الضفة الغربية ، الاولى في مستوطنة شيلو والثانية في مستوطنة كريات اربع · ويلاحظ في هذه العمليات الاخيرة انها تتم داخل المستوطنات الاسرائيلية ، في الوقت الذي يركز فيه الاعلام الاسرائيلي على ان هذه المستوطنات واحة امان لساكنيها ·

وقد كان من النشاط البارز الذي قام به الفلسطينيون الى جانب العمليات العسكرية ، التظاهرات التي نظموها فيمدينة اوسلو بالنرويج يوم ١٢/١٠ بمناسبة تسليم بيغن ومبعوث السادات سيد مرعي جائزة نوبل للسلام · وقد وفدت هذه المظاهرات من مختلف المدن الاوروبية ، وشارك بها طلبة فلسطينيون وعرب ، وشغلت بضجيجها الصحافة العالمية عن التغطية الواسعة لانباء تسليم الجائزة ·

وفي هذه الاثناء عادت اسرائيل من جديد الى سياسة نسف منازل عائلات الفدائيين الفلسطينيين الذين يتم اعتقالهم او توجه لهم تهمة المشاركة بالعمل الفدائي، او مهمة حماية الفدائيين وعدم التبليغ عنهم ، وهي سياسة كانت قد توقفت عنها خلال الاشهر الماضية بعد ان مارستها بكثافة في سنوات الاحتلال الاولى للضفة الغربية وقطاع غزة · ففي ١٢/٣ نسفت منزلين لفدائيين سجينين يواجهان تهما بتنفيذ عمليات عسكرية قبل عام · وقد بادر ياسر عرفات فورا الى ارسال مذكرة احتجاج حول الحادث الى كورت فالدهايم امين عام الامم المتحدة طالبا توزيع المذكرة على اعضاء مجلس الامن (١٢/٥) · وفي اليوم التالي (١٢/٦) اعلن ناطق باسم الامم المتحدة ان « فالدهايم قلق من قيام اسرائيل بتهديم منازل يملكها مواطنون عرب فيالضفة الغربية » · وقامت في اليوم نفسه مظاهرات في رام الله ضد سياسة نسف المنازل ·

يوم التضامن

احتفلت الامم المتحدة يوم ١١/٢٨ ، بيوم التضامن مع الشعب الفلسطيني ، والذي يصادف ذكرى صدور قرار تقسيم فلسطين عام ١٩٤٧ · واصدرت كل دول العالم (باستثناء واشنطن وتل ابيب) بيانات وجهتها الى الامم المتحدة تحيي نضال الشعب الفلسطيني وتدعو لاستخلاص حقه · وتلقى ياسر عرفات

رسائل عديدة بالمناسبة من رؤساء بعض الدول العربية وبعض الدول الاشتراكية ، كما وجه رسالة خاصة بالمناسبة الى فالدهايم ·

اما على الصعيد الفلسطيني فقد شهدت الضفة الغربية مسيرات عدة ،واغلقت المدارس ابوابها ، وحدثت عدة صدامات مع سيارات البوليس الاسرائيلي في المدن الرئيسية · اما في بيروت فقد جرى تنظيم مهرجان خطابي حاشد في جامعة بيروت العربية ، خطب فيه الاخ ابو عمار·

وكان عرفات قد افتتح يوم ١١/٢٠ بدمشق مؤتمر الاتحاد العام لعمال فلسطين والقى فيه كلمة اكد فيها ان المنظمة « ستقاوم اقتراح الحكم الذاتي بشدة » وقال « لسنا ضد السلام ولكننا نريده سلاما عادلا يرتكز على الحقوق الوطنية الكاملة والثابتة للشعب الفلسطيني » · واكد انه لا بد من التنسيق والتضامن مع حلفائنا الحقيقيين في المنظومة الاشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفياتي » ·

ملحق

فيما يلي النص الرسمي الذي نشرته صحيفة « النهار » البيروتية في ١٢/١٨/ ١٩٧٨ لمشروع « اطار العمل المشترك » الذي توصل اليه الوفد الفلسطيني في مباحثات عمان ، والذي اشار اليه قادة المقاومة في احاديثهم المنشورة حول موقفهم من المفاوضات ونتائجها :

اولا ـ المبادىء العامة

١ ـ ان منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني وبالتالي فان الاردن يتعاون معها بهذه الصفة في سبيل تأمين الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني على صعيد العمل داخل الارض المحتلة وعلى الصعيدين العربي والدولي ·

٢ ـ ان اكثر المتضررين من العدوان الصهيوني هم الشعبان الاردني والفلسطيني مما يرتب عليهما مسؤولية العمل المشترك لتوجيه النضال والدعم العربيين في اتجاه نصرة هذه القضية لمواجهة العدوان الصهيوني ومخططاته ·

٣ ـ يرتكز العمل السياسي المشترك بين الاردن ومنظمة التحرير الفلسطينية على اساس قرارات قمتي بغداد والرباط خصوصا في ما يتصل بتحقيق مفهوم السلام العادل الذي يقتضي الانسحاب الشامل من الاراضي المحتلة بما في ذلك القدس العربية ، واستعادة الحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني بما في ذلك حقه في العودة وتقرير المصير واقامة دولته المستقلة فوق ترابه الوطني ·

٤ ـ تلتزم منظمة التحرير الفلسطينية باحترام القوانين الاردنية وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للاردن · وان جميع المواطنين في الاردن متساوون امام القانون ، وان اي نشاط سياسي في المملكة يخضع لهذه القوانين والمؤسسات الاردنية ·

٥ ـ تؤكد الحكومة الاردنية على استقلال المنظمة وعدم التدخل في شؤونها وحرصها على ابتعاد المنظمة عن اية تأثيرات من شانها الانتقاص من استقلالها ·

٦ ـ يؤكد الجانبان اهمية بناء القدرة العربية ويعملان من اجل تحقيقها في اطار قرارات قمة بغداد ·

٧ ـ رفع مستوى تمثيل المنظمة في الاردن بما يتماشى مع متطلبات التنسيق المشترك ·

٨ ـ تجنب ما من شانه ان يعطي العدو الصهيوني اي مبرر لتنفيذ مخططاته ضد الاردن ، واتخاذ اللازم من الاجراءات ·

وانطلاقا من المبادىء السابقة يعمل الطرفان في المجال السياسي على :

١ ـ التنسيق على اعلى الدرجات في العمل السياسي في المجالين العربي والدولي على اساس قمتي الرباط وبغداد نصا وروحا ·

٢ ـ التشاور المباشر والسريع حول المعلومات والعروض السياسية التي يتلقاها اي من الجانبين في شكل رسمي او غير رسمي بهدف تحديد موقف مشترك في سائر المجالات المتصلة بالصراع العربي ـ الاسرائيلي وقضية فلسطين ·

٣ ـ التشاور المسبق لتنسيق المواقف وتكامل التحرك في مجال النشاط السياسي في الساحات العربية والدولية والامم المتحدة والمنظمات الاقليمية ·

٤ ـ بذل الجهد المشترك من اجل المحافظة على وحدة الموقف العربي والتزامه بمقررات الرباط وبغداد · واتخاذ الوسائل العملية في المجالات الدولية المختلفة لجعل مقررات الرباط وبغداد هي البديل العملي من اتفاقي كمب ديفيد ونتائجهما ·

٥ ـ العمل على وقف الهجرة اليهودية الى اسرائيل وتشجيع الهجرة اليهودية المعاكسة من اسرائيل الى الخارج ·

ثانيا ـ في المجال الاعلامي

يتم تخطيط الاعلام المشترك وتنفيذه بهدف مساندة العمل السياسي المشترك على النحو الاتي :

١ ـ تعميق التناقضات لدى العدو الصهيوني وزعزعة ثقة العدو في مستقبل اجياله ·

ب ـ كشف المخططات الاسرائيلية والعمل على احباطها ·

ج ـ تعبئة الجماهير الفلسطينية في الارض المحتلة بما يحقق دعم الصمود ، واحباط مشروع الحكم الذاتي الذي يكرس الاحتلال ·

د ـ تاكيد البديل السياسي من مقررات كمب ديفيد كما طرحته مقررات قمة بغداد ·

مكافحة الاعلام الصهيوني والاسرائيلي ·

ربط الامن الاوروبي بالسلام والاستقرار في الشرق الاوسط ·

تحييد أصدقاء اسرائيل وكسب اصدقاء جدد للقضية العادلة ·

ربط المصالح الاقتصادية الغربية لتحقيق السلام العادل في المنطقة وفق المفهوم العربي له ·

ثالثا ـ في الأرض المحتلة

أ ـ احباط الحكم الذاتي الذي يكرس الاحتلال ·

ب ـ وقف الهجرة والنزوح ·

ج ـ تحويل الطاقات العربية عن العمل في مؤسسات العدو الانتاجية الى العمل في مؤسسات الضفة والقطاع والقدس ·

د ـ توفير الامكانات المالية والمادية اللازمة لبناء واقع انتاجي فلسطيني ذاتي ·

هـ ـ تحسين مستوى الخدمات والمرافق العامة ·

و ـ تشجيع المؤسسات الجماعية ذات الاهداف الوطنية وتطويرها ·

ز ـ الربط الدائم بين الضفة وغزة كوحدة وطنية واحدة بما فيها القدس ·

في المجال التنفيذي :

انشاء لجان مشتركة متخصصة لوضع البرامج موضع التنفيذ ·

بلال الحسن

المناطق المحتلة

كان من نتائج اتفاقيتي كامب ديفيد ، ان شهدت المناطق المحتلة ، تحديدا اكثر وضوحا في المواقف ، مشفوعا بتخوفات المرحلة الجديدة ، سواء بالنسبة لموقف سكان المناطق المحتلة او بالنسبة للموقف الاسرائيلي ، فقد غدا الموقف العام لسكان المناطق المحتلة موحدا ، بعد ان غابت ، تحت وطأة خطورة الحدث ، وجوه فريق « الولاء المزدوج » وفريق الولاء لسلطات الاحتلال ، وانصهرت جميع الشرائح الاجتماعية والتيارات السياسية المختلفة في موقف موحد ضد مشروع الادارة الذاتية ، ومع م٠ت٠ف كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني ، واخذت عملية فرز المواقف تسير في اتجاه جديد : اتجاه « الاعتدال » او « التصلب » في الموقف ضمن الموقف العام الواحد المؤيد لمنظمة التحرير ، خلافا لما كان عليه الوضع سابقا حين كانت تتحكم في عملية فرز المواقف ، اطراف ثلاثة ، وان تباينت في قوتها ونفوذها ، سلطات الاحتلال ، النظام الاردني ، و م٠ت٠ف٠

اما الموقف الاسرائيلي فقد غدا هو الآخر يتسم بوضوح اكثر وحدة اشد ٠ ولعل « التقرير الاولي » للجنة المدراء العامين خير شاهد على ذلك ، فضلا عن الاستمرار في سياسة خلق الوقائع الجديدة ومصادرة الاراضي وهدم البيوت ، ووضع مشاريع استيطانية ضخمة لمرحلة الاعوام الخمسة القادمة تستهدف بكل وضوح وصراحة تهويد اكبر قدر من الاراضي الفلسطينية المحتلة منذ العام ١٩٦٧ ، تحت غطاء مشروع الادارة الذاتية الذي كانت سلطات الاحتلال تدعو اليه منذ مطلع السبعينات ، وتحققت دعوتها ، مع الهزيمة الواضحة لاول دولة عربية في كامب ديفيد ٠

عبرت جماهير المناطق المحتلة عن موقفها تجاه مشروع الادارة الذاتية في سلسلة المؤتمرات الوطنية المتتالية التي عقدت في اماكن متعددة من الضفةالغربية وقطاع غزة (انظر شؤون فلسطينية ، المناطق المحتلة ، عدد ٨٤) وكان اخرها مؤتمرا نابلس ورام الله ٠ ففي السابع من تشرين الثاني عقد مؤتمر جاهيري في كلية النجاح في نابلس اشترك فيه قرابة خمسة آلاف شخص ، على رأسهم رؤساء البلديات والمجالس المحلية ، وممثلون عن الطوائف الروحية والاتحادات المهنية والعمالية ، كما اشترك فيه مندوبون عن الحركة الوطنية في قطاع غزة ، برئاسة الدكتور حيدر الشافي رئيس الهلال الاحمر في القطاع ، وهاجم المؤتمرون بشدة اتفاقيات كامب ديفيد ، وشنوا هجوما عنيفا على الرئيس السادات الذي وصف في المؤتمر بلقب « بلفور الجديد » ، كذلك ترددت في المؤتمر عبارات ، اعتبرتها وسائل الاعلام الاسرائيلية بمثابة مؤشر لمسار الموقف الفلسطيني نحو التصلب ، فضلا عن انها « استفزاز » لمشاعر الاسرائيليين مثل عبارة ضرورة «العودة الى يافا وحيفا » المنسوبة الى رئيس بلدية رام الله ٠ ويبدو ان اعصاب عضو الكنيست شموئيل تواييانو (داش) لم تتحمل مثل هذه العبارات ، فقدم اقتراحا

عاجلا الى الكنيست (دافار ، ٧٨/١١/٨) لمناقشة ما اسماه بـ « التفوهات الشاذة» في مؤتمر نابلس ، ضاربا مثلا عليها : التعرض للرئيس السادات والتفوه بكلام « خطير » كالعودة الى يافا وحيفا ٠

الى جانب ذلك عقدت الحركة العمالية الفلسطينية مؤتمرا في مدينة رام الله في اوائل كانون الاول الماضي ، اعلن فيه المؤتمرون رفض الحركة العمالية الفلسطينية لمقررات كامب ديفيد ، والتمسك بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني (قرارات المؤتمرين في آخر التقرير) ٠

استمرارا للتحرك الجماهيري ضد مشروع الادارة الذاتية ومجمل سياسة الاحتلال ، جرت مؤخرا سلسلة من التظاهرات الوطنية ، رفع خلالها المتظاهرون الاعلام الفلسطينية ، وسط شعارات تندد باتفاقيتي كامب ديفيد ، وتشيد بمنظمة التحرير الفلسطينية ٠ ففي التاسع عشر من تشرين الثاني ، جرت تظاهرات طلابية في رام الله ضد مشروع الادارة الذاتية ، واصطدم المتظاهرون خلالها بقوات من الجيش الاسرائيلي ٠ كما عمت المنطقة الشمالية من الضفة الغربية مناشير موقعة باسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين تدعو السكان لـ « التصدي بالقوة » (هآرتس ، ٧٨/١١/٢٠) ضد تنفيذ مشروع الادارة الذاتية ٠ وفي مناسبة « يوم التضامن العالمي مع شعب فلسطين » في التاسع والعشرين من تشرين الثاني عادت التظاهرات الوطنية وعمت عددا من مدن وقرى الضفة الغربية مثل رام الله وخلحول وبيرزيت ومخيم الجلزون ٠

التحرك الاميركي في الضفة الغربية

وسط المد الوطني العام في الاراضي الفلسطينية المحتلة منذ العام ١٩٦٧ المتمثل في سلسلة المؤتمرات والانتفاضة الشعبية، وتمحور الشرائح الاجتماعية المختلفة في موقف واحد موحد : رفض اتفاقيات كامب ديفيد وتأييد م٠ت٠ف ، تحركت الادارة الاميركية في محاولة منها لجمع شمل القوى « المعتدلة » والتوفيق بينها وبين الموقف الاسرائيلي ، وارسلت لهذا الغرض السناتور روبرت بيرد زعيم الكتلة الديمقراطية في الكونغرس الاميركي الى القدس للاجتماع بعدد من شخصيات الضفة الغربية ٠ وقد اجتمع بيرد عند مطلع كانون الاول الماضي في مبنى القنصلية الاميركية في القدس العربية بخمسة من الوجوه التقليدية : انور نسيبة من القدس ، طوني بقرجيان مدير وكالة الغوث في القدس ، حكمت المصري من نابلس ، الياس فريج من بيت لحم ، والمحامي عزيز شحاده من رام الله ٠ ومن الجدير بالذكر ان بيرد وجه الدعوة الى ١١ شخصا ، بيد انه لم يوفق بالاجتماع الا بالرموز الآنفة الذكر بعد ان رفض الآخرون الاجتماع به ٠ ووفق ما ذكرته المصادر الاسرائيلية ، حاول بيرد في الاجتماع دفع هؤلاء للتفاوض حول مصير الضفة الغربية « بناء على رغبة الرئيس الاميركي » واعدا اياهم بدعم اميركا لحل القضية الفلسطينية بجوانبها المختلفة ٠ واعرب الخمسة امام بيرد عن معارضتهم لاتفاقيتي كامب ديفيد ، موضحين انه « يجب ، من اجل حل قضية الشعب الفلسطيني في جميع اماكن تشتته ، اشراك م٠ت٠ف في المفاوضات »٠ وشن الخمسة هجوما عنيفا على سياسة اسرائيل تجاه المناطق المحتلة ومشروع الادارة الذاتية بالذات ٠ فقد اوضح حكمت المصري أن « من يعرض مشروعا كهذا يعيش في الوهم ، ويضلل الآخرين » ، كما قال عزيز شحادة « منذ البداية ، ونحن نشك في نوايا اسرائيل ، ويتضح الآن اننا لم نكن على خطأ ، اذ لا تتوفر هنا رغبة صادقة لمحاولة مواجهة القضية المؤلمة ٠ بل تتوفر محاولة لخداعنا وخداع العالم » ٠ اما الياس فريح

فقد تساءل بعد اشادته بالسياسة الاميركية ، امام بيرد : « كيف يمكن الحديث حول الحكم الذاتي والتحدث في الوقت نفسه حول استمرار قيام الحكم العسكري ومواصلة الاستيطان في الضفة برمتها · كل من يتابع ما يجري في الضفة يرى ان النشاط الاستيطاني لم يتوقف، ولو ليوم واحد » · (انظر معاريف ، ٧٨/١٢/٣) ·

لم ينجح بيرد في محاولته الرامية الى خلق مجموعة من الزعامة التقليدية للتفاوض باسم الفلسطينيين ، لسببين اساسيين : الهوة التي تعمقت كثيرا عقب مشروع الحكم الذاتي بين الفهم الاسرائيلي للمشروع وبين الموقف العام لفئة الزعامة التقليدية ، وتعاظم نفوذ وقوة م·ت·ف في المناطق المحتلة ، حيث اصبحت مواقف جميع الشرائح الاجتماعية تستمد موقفها منها ، وان تفاوتت في الطرح ، من الموقف العام لمنظمة التحرير·

وقد واجهت جمعية الصداقة البريطانية العربية ـ على الرغم من الاختلاف في الاهداف مع السناتور الاميركي ـ ما واجهه بيرد ، حين ارسل اربعة رؤساء بلديات : بيت لحم ، الخليل ، رام الله ونابلس ، عند اوائل تشرين الثاني ، الى الجمعية برقية اعربوا فيها عن اسفهم لعدم تمكنهم من تلبية الدعوة التي وجهتها اليهم للاشتراك في حوار في البرلمان البريطاني حول قضايا الشرق الاوسط ، اعتقادا منهم ان الدعوة يجب ان توجه بالاصل الى م·ت·ف المثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني ·

ولم يحد عن هذا الموقف وفق المصادر الاسرائيلية ، سوى رئيس بلدية غزة رشاد الشوا الذي لبى الدعوة ، وتوجه الى لندن وزار اثناء جولته عاصمتين عربيتين ، بيروت وعمان ، وفي الاخيرة اجتمع بالسفير المصري هناك · وقد امتنع الشوا عقب عودته عن الادلاء باية تصريحات صحفية ، الا ان الصحف الاسرائيلية نقلت على لسان المقربين منه انه « لا يعارض بشكل قاطع فكرة اقامة حكم ذاتي في المرحلة الاولى في قطاع غزة » ·

الفهم الاسرائيلي لمشروع الادارة الذاتية

لعل « التقرير الاولي » للجنة المدراء العامين التي شكلتها الحكومة الاسرائيلية عقب التوقيع على اتفاقية كامب ديفيد برئاسة الدكتور بن اليسار المدير العام لمكتب رئيس الحكومة ، يعتبر خير مؤشر لمسار الموقف الاسرائيلي نحو المزيد من التطرف والتعنت ، ويعطي صورة ادق واوضح عن الفهم الاسرائيلي لمسألة مشروع الحكم الذاتي ·

ففي اواخر شهر تشرين الثاني ،توصلت اللجنة الى تقرير اولي لها يعتمد خمسة مبادىء تحدد معالم الموقف الاسرائيلي تجاه الحكم الذاتي ، وتتلخص هذه « المبادىء » بالتالي : (١) الاستيلاء والسيطرة على مليون دونم من الاراضي وكذلك السيطرة على منابع ومصادر المياه في الضفة الغربية ، (٢) الاستمرار في النشاط الاستيطاني اليهودي وتشكيل مجالس اقليمية يهودية فيمناطق الحكم الذاتي يسري عليها القانون الاسرائيلي ، (٣) بقاء الحكم العسكري بشكل محدود ، بعيدا عن التجمعات السكانية العربية، (٤) حظر قياممجلس تشريعي، (٥) حظر النشاط الامني والسياسي ضد اسرائيل ·

لا تحتاج هذه « المبادىء » الى مزيد من الشرح للتوصل الى الاستنتاج القائل بانها اسوأ من الاحتلال الحالي الذي يزعم ان المناطق المحتلة هي « مناطق محتفظ بها » لحين التوصل الى سلام ، وذلك لكونها تهدف الى تخليد احتلال ما هو « محتفظ به » سلفا قبل او مع تحقيق السلام · الا ان ما يثير الاهتمام والدهشة، وربما ايضا التقزز ، هو التبريرات السخيفة التي تمسحت بها لجنة المدراء

العامين بالنسبة للاستيلاء على مليون دونم من اراضي الضفة الغربية وقطاع غزة ومصادر المياه · فقد اوصت اللجنة بضرورة الاستيلاء على مليون دونم من « اراضي الدولة » في الضفة الغربية وقطاع غزة ، على ان تكون هذه الاراضي تحت « وصاية دولة اسرائيل » باعتبارها اراض كانت تابعة للتاج الهاشمي (الضفة الغربية) ، وبما انه « ليس هنالك ثمة سبب لان تكون الادارة الذاتية التي ستقام ، الوريث للتاج الاردني » ، فان الواجب يتطلب من دولة اسرائيل الاستمرار في الاحتفاظ بهذه الاراضي الى ان تجد لها حلا في مفاوضات بين المورث والوريث !

اما بخصوص الاحتفاظ بمصادر المياه في الضفة الغربية ، فلم يلجأ المستدراء العامون في تقريرهم الى سلاح الوراثة ، بل الى سلاح قلما يخطر على بال ، فقد ادعوا انه يتوجب على « دولة اسرائيل » الاستمرار في الاحتفاظ بمصادر المياه في الضفة بسبب « الخوف على مصادر المياه داخل الخط الاخضر » اي داخل الكيان الاسرائيلي · ويكمن الخوف هنا من احتمال ازدياد نسبة الملوحة في مياه « اسرائيل » الجوفية ، في حال سيطرة العرب على مياههم الجوفية · وكأن عامل الخوف هذا قانون يبيح للمجتمعات البشرية الاحتفاظ بمصادر مياه الغير ، للحفاظ على مستقبل عذوبة مياههم الجوفية ·

الى جانب ذلك اعاد تقرير اللجنة التمسك بمصادر المياه الى عامل خوف آخر ، اكثر عقلانية ، يتمثل في الخشية من احتمال اغلاق الحكم الذاتي لمصادر المياه في وجه المستوطنات القائمة ، او التي من المقرر اقامتها مستقبلا ·

ومن الجدير بالذكر هنا ، ان اسرائيل قدمت الى الادارة الاميركية دراسات حول موضوع مصادر المياه في الضفة الغربية ، واشارت المصادر الاسرائيلية الى ان الولايات المتحدة الاميركية ، نظرت بعين العطف والتفهم لمطالب اسرائيل بمصادر المياه في الضفة الغربية ·

النشاط الاستيطاني ومصادرة الاراضي وهدم البيوت

على الرغم من المفاوضات مع مصر ، استمرت سلطات الاحتلال الاسرائيلية في نشاطاتها المعهودة داخل الاراضي العربية المحتلة · وقد اتسمت هذه الفترة بازدياد وتيرة الاستيطان في الاراضي السورية والفلسطينية كتعويض عن الوتيرة التي خمدت تماما في الاراضي المصرية · ففي الاراضي السورية جرى الاحتفال في الثالث عشر من تشرين الثاني الماضي ، بتدشين مستوطنة كيشت رسميا ، بالقرب من الحشنية في هضبة الجولان · وكانت المستوطنة قد اقيمت قبل اربعة اعوام ونصف بصورة « غير شرعية » · وارتأت سلطات الاحتلال اضفاء صفة « الشرعية » عليها في هذه الفترة · وتحتوي المستوطنة في الوقت الحاضر على ٤٨ وحدة سكنية تضم ٣٠ عائلة · ويجري العمل لتوسيعها · واشار المتحدثون في الاحتفال الى ان « الاستيطان في البلاد يعين الحدود » وان المستوطنة اقيمت على اراضي سبط منسى! (منشية) ·

تاتي اقامة هذه المستوطنة عقب القرار الذي اتخذته الحكومة الاسرائيلية بتكثيف الاستيطان في المناطق المحتلة · وكانت اللجنة الوزارية لشؤون تكثيف المستوطنات برئاسة رئيس الحكومة مناحيم بيجن قد خصصت في الحادي والثلاثين من تشرين الاول مبلغ ٦٠٠ مليون ليرة لهذا الغرض، وتوطين ٦٠٠ عائلة يهودية اخرى في مستوطنات الضفة والجولان · الى جانب ذلك عقد في التاسع من تشرين الثاني اجتماع في مكتب وزير الزراعة اريئيل شارون اشترك فيه مسؤولون عن وزارة الدفاع تمخض عن قرار يدعو الى البدء باقامة

٩٠٠ وحدة سكنية ، واستكمال شق طريق رئيسية بين السهل الساحلي والاغوار عبر منطقة نابلس ، واقامة عدد من المستوطنات في الضفة الغربية ، وتعزيز الاستيطان القائم في الاغوار وهضبة الجولان بالمباني الجديدة ٠

اما فيما يتعلق بالنشاط الاستيطاني خلال فترة الاعوام الخمسة القادمة ـ (اي خلال فترة الحكم الذاتي) فقد كشف النقاب مؤخرا عن خطتين استيطانيتين تهدفان الى تهويد اكبر قدر من الاراضي الفلسطينية المحتلة منذ ١٩٦٧ ٠ تعتمد الخطة الاولى ، المسماة بـ « الخطة الاساسية» الخاصة بقسم الاستيطان التابع للوكالة اليهودية ، على اقامة ٨٤ مستوطنة في الضفة الغربية ، بتمويل يصل الى ٥٤ مليون ليرة ٠ ومن المقرر ، وفق هذه الخطة توطين ٢٧ الف عائلة يهودية فيمستوطنات جديدة و ١٦ الف عائلة في المستوطنات المقترح اقامتها و ١١ الف عائلة في اطار خطط التكثيف ٠ اي ان الخطة ترمي الى غرس قرابة ربع مليون مستوطن يهودي خلال فترة الاعوام الخمسة القادمة في الضفة الغربية ٠ وربما تكون هذه الخطة الطموحة خير تفسير لرغبة اسرائيل في الاحتفاظ بمليون دونم من اراضي الضفة خلال فترة الحكم الذاتي ٠

اما الخطة الثانية ، فتتعلق بقطاع غزة ، وتخص الوزير شارون ٠ وقد وافق عليها كل من رئيس الحكومة مناحيم بيغن ، ووزير المالية سمحا أرليخ ،وتعتمد على اقامة مدينة يهودية في قطاع غزة ، كتعويض عن مستوطنة يميت في الاراضي المصرية ٠ ومن المقرر لهذه المدينة الجديدة، وفق الخطة ، احتلال منطقة تبلغ مساحتها ٥ر١٤ الف دونم تقع بين خان يونس ورفح ٠

الى جانب الخطط الاستيطانية المستقبلية ، استمرت سلطات الاحتلال في الاستيلاء على مزيد من الاراضي العربية في الضفة الغربية متذرعة بالحجة الواهية المعهودة ، حجة الامن ٠ فقد استولت في النصف الاول من شهر كانون الاول الماضي ، على مساحات واسعة من الاراضي في منطقتي الخليل وبيت ساحور ، ففي الخليل تم الاستيلاء على اراضي ملاصقة لمستوطنة كريات اربع تخص في معظمها الشيخ محمد علي الجعبري ، وذلك لخدمة اغراض تكثيف المستوطنة ٠ وفي بيت ساحور تم الاستيلاء على اراضي بالقرب من مستوطنات غوش عتسيون بغرض تكثيف الاستيطان هناك ودعمه ٠

وفي غضون ذلك اثيرت قضية مصادرة ٢٤٠٠ دونم في بيت ايل واراضي واسعة اخرى في طوباس امام « محكمة العدل العليا » الاسرائيلية ٠ وقد غصت قاعة المحكمة بالعرب واليهود من فئة المستوطنين لسماع قرارها بأمر المصادرة ٠ وقامت ـ لطات الامن بمنع اعداد كبيرة من العرب من دخول القاعة ، من بينهم كريم خلف رئيس بلدية رام الله وابراهيم الطويل رئيس بلدية البيرة ، مما تسبب بحدوث اشتباك بالايدي مع قوات الشرطة ٠ وقد دافع « محامي الدولة » عن « شرعية » أمر المصادرة على اساس ان « تاريخ دولة اسرائيل مليء بنماذج من الحالات التي تشكل فيها المستوطنات عاملا هاما للغاية في الفهم الامني ٠ واقيمت المستوطنات في بيت ايل وطوباس لاغراض عسكرية ، وتعتبر عاملا مهما في التشكيل الامني للجيش الاسرائيلي وللمنطقة » ٠

وبناء على هذا « الفهم » لم ير في مصادرة الاراضي ما يتناقض والمواثيق الدولية او حتى مع اتفاقيات كامب ديفيد٠

وقد اجلت المحكمة اصدار حكمها ، المعروف سلفا ، الى موعد « لاحق » وتمشيا مع سياستها الرامية الى خلق واقع جديد على انقاض الواقع الاصيل ، قامت سلطات الاحتلال مؤخرا بهدم منازل عربية ففي الثالث والعشرين من تشرين الثاني فوجيء العرب القاطنون في

جبل المكبر بجرافة يصحبها عدد من المسلحين اليهود تتجه نحو بيت يخص مواطنا عربيا لتقوم بهدمه بصورة « وحشية » كما ذكر السكان العرب لمراسلي الصحف ، دون انذار مسبق بالامر بعملية الهدم وقد اعترف المتحدث باسم « ادارة اراضي اسرائيل » ردا على الاسئلة التي وجهت اليه بهدم المنزل ، الا انه كذب الادعاء القائل بوجود اسلحة **بايدي المرافقين لآلة الهدم ، ومع ذلك عاد ، تحت ضغط الاسئلة ، وناقض نفسه بالقول ، حين تساءل : « من في هذه الايام وفي الظروف القائمة اليوم في البلاد لا يسير مسلحا ؟ »** ·

وفي الثالث من كانون الثاني اقدمت سلطات الاحتلال على هدم منزل آخر ، بحجة ان لصاحب البيت ابن معتقل بتهمة تصفية العميل عبد النور جنحو من رام الله · وقد واجه اهالي القرية عملية الهدم بالتظاهرات ضد قوات الاحتلال التي هرعت الى البلدة وفرضت عليها حظر التجول ·

لا يقتصر النشاط التوسعي في الاستيلاء على الاراضي ومياهها الجوفية لتسخيرها لاغراض الاستيطان ، تمهيدا لاقتلاع السكان الاصليين والقذف بهم بل يتعدى ذلك ويمتد الى الاماكن المقدسة ، كما حدث مؤخرا للحرم الابراهيمي . ففي اعقاب « تقسيم » الحرم عقب الاحتلال الى قسمين ، احدهما خصص للعرب ، والآخر لليهود ، اخذت انظار غلاة المستوطنين تصبو نحو « القسم » الغربي · ففي الحادي والعشرين من تشرين الثاني ، قام حوالي ٧٠٠ مستوطن من كريات اربع بمحاولة للتوسع في « القسم الاسلامي » حسب تعبير الصحف الاسرائيلية . ولم يكف هؤلاء عن « احتلالهم » الا بعد تدخل قوات من الجيش ؟

نص قرارات مؤتمري نابلس ورام الله

مؤتمر نابلس : في السابع من نوفمبر الماضي عقد في كلية النجاح في نابلس مؤتمر وطني حضره معظم رؤساء البلديات والمجالس المحلية وممثلون عن الغرف التجارية والمهنية والعمالية والاندية الخيرية والطوائف الروحية · وكذلك عدد من الشخصيات الوطنية من قطاع غزة ·

واقر المؤتمرون بالاجماع القرارات التالية :

اولا ـ ان هذا المؤتمر ان هو الا امتداد طبيعي لمواقف الرفض الجماهيري لاتفاقيات كامب ديفيد وملحقاتها ، التي عبر عنها شعبنا في مؤتمراته الشعبية المقرة ، والتي كان على رأسها المؤتمر الشعبي في القدس ··· وقد اجمعت هذه المؤتمرات الشعبية على رفض نتائج كامب ديفيد جملة وتفصيلا وعلى علاتها ومن اساسها ·

ثانيا ـ ان رفض شعبنا لهذه الاتفاقيات ليس رفضا لتفصيلاتها فحسب ، وانما رفض لها كمنهج استسلامي فرضته القوى المعادية لشعبنا وامتنا · لقد اجمعت الامة العربية على رفض هذه الصفقة التي انجزها نظام السادات لانها بعيدة كل البعد عن تحقيق الحد الادنى لمصالح شعبنا العربي الفلسطيني وامتنا العربية ، وحتى ان فيها تفريط بالتراب الوطني المصري ، انتقاص من سيادة مصر على ارضها ·

ثالثا ـ بناء عليه فان المجتمعين يرون ان افضل رد على هاتين الاتفاقيتين هو ليس مجرد الرفض فقط ، بل لا بد من :

١ ـ على المستوى الفلسطيني الالتفاف الجماهيري حول م·ت·ف ، والتأكيد على ضرورة الوحدة الوطنية ·

ب ـ على المستوى العربي ، التفاف كل القوى الوطنية الرافضة لنهج السادات في برنامج عمل موحد ، لافشال هذه المؤامرة وحشد الطاقات والجهود من اجل تحقيق السلام العادل ·

جـ ـ على المستوى العالمي ، لا بد من تعزيز التعاون مع كل اصدقاء شعبنا ، وعلى رأسهم منظومة الدول الاشتراكية والدول الوطنية المتحررة ، ومع كل القوى المعادية للاستعمار ٠

رابعا ـ ان مشروع الادارة الذاتية التي خصتنا به اتفاقية كامب ديفيد ان هو الا محاولة لاستلاب حقوق شعبنا العربي الفلسطيني ، واضفاء الشرعية على استمرارية الاحتلال ، لهذا فاننا نؤكد من جديد رفضنا لمشروع الادارة الذاتية شكلا وموضوعا ٠

خامسا ـ اننا من هذا المؤتمر نحيي ميثاق العمل الوحدوي الذي تم الاتفاق عليه بين سوريا والعراق ، ونطالب القطرين بضرورة الاسراع بتنفيذ ما جاء في هذا الميثاق ٠

سادسا ـ اننا نطالب كل الانظمة العربية بضرورة تحمل التزاماتها التاريخية في هذه المرحلة المصيرية من تاريخ شعبنا وامتنا ٠

وانا نحي جماهير شعبنا في الداخل والخارج ، ونذكر شهداءنا الذين قدموا ارواحهم على مذبحة الشرف فداء لوطنهم»٠

المؤتمر العمالي الفلسطيني في رام الله

في اوائل كانون الاول الماضي ، عقدت الحركة العمالية الفلسطينية مؤتمرا في مدينة رام الله ضم جميع النقابات العمالية في الضفة الغربية ٠ واعلن المؤتمرون تمسكهم بالمبادىء التالية :

« اولا : التاكيد على ما جاء في بيان الاتحاد العام لنقابات العمال في الضفة الغربية ٠

ثانيا : التاكيد على ما جاء في مقررات مؤتمر القدس الوطني العام وكافة المؤتمرات الشعبية الاخرى التي عقدت في بيرزيت وبيت لحم وغزة ٠

ثالثا : التاكيد على وحدة وموقف الطبقة العاملة في المناطق المحتلة كطليعة نضالية لشعبنا الفلسطيني في نضاله الوطني من اجل حقه في العودة وتقرير المصير ، وبناء دولته الفلسطينية المستقلة بقيادة م٠ت٠ف ٠

رابعا : ان الطبقة العاملة في المناطق المحتلة ترفض رفضا قاطعا مشروع الحكم الذاتي الذي يكرس الاحتلال الاسرائيلي ، وينظم بقاءه ، ولا يتمشى مع أماني وتطلعات الشعب الفلسطيني وحقوقه المشروعة ٠

خامسا : ان المؤتمرين يؤكدون على رفضهم لكل الاصوات المشبوهة التي تروج لمشروع الحكم الذاتي ، وتعتبرهم اعداء حقيقيين لشعبنا الفلسطيني ٠ كما وان المؤتمرين يرون ان رابطة قرى الخليل هي احدى اشكال خلق قيادات بديلة لشعبنا التي يجب مقاومتها ٠

سادسا : يؤكد المؤتمرون على ان م٠ت٠ف٠ هي الممثل الشرعي الوحيد لشعبنا الفلسطيني في كل اماكن تواجده ٠

سابعا : يؤيد المؤتمر قرارات مؤتمر الصمود والتصدي العربية والميثاق المنبثق عن اللقاء السوري العراقي ، ويطالب العراق بالانضمام الفوري لجبهة الصمود والتصدي ، ويطالب الجبهة بضرورةتعزيز العلاقات ورفعها الى مستوى التحالف الاستراتيجي مع قوى التحرر في العالم والمعسكر الاشتراكي وعلى رأسه الاتحاد السوفياتي ٠

ثامنا : اننا نحيي جماهير الشعب المصري الشقيق وطبقته العاملة ، وحركته الوطنية التقدمية في نضالها ضد النظام الساداتي الخائن ٠

تاسعا : اننا نطالب مؤتمر بغداد باتخاذ خطوات عملية ضد النهج الاستسلامي في العالم العربي وعلى رأسه نظام السادات ٠

عاشرا : ان المؤتمرين يشجبون الدور الاردني المشبوه في محاولاته تمثيلشعبنا الفلسطيني بديلا عن م٠ت٠ف٠

حادي عشر : ان الطبقة العاملة الفلسطينية في الارض المحتلة ترى ان البديل الحقيقي لمواجهة وقبر كافة الاشكال التآمرية هو النضال الجاد والشاق بمختلف اشكاله ، وتنظيم الجماهير الشعبية وتحقيق الوحدة الوطنية ضمن جبهة وطنية تقدمية مناضلة » ٠

عبد الحفيظ محارب

اسرائيليات

١ ـ الموقف الاسرائيلي في مفاوضات السلام

السابع عشر من كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٨ ، هو الموعد المحدد حسب اتفاقات كامب ديفيد ، لتوقيع معاهدة السلام بين مصر واسرائيل ٠ وحتى قبل حلول هذا الموعد بأسبوع ، ما زالت هناك مسائل معلقة ، لم يجر الاتفاق عليها بعد بين البلدين ، ربما ستؤدي الى تأجيل عملية التوقيع على معاهدة السلام الى اجل غير مسمى ٠ وفي هذه الاثناء ، يبذل وزير الخارجية الاميركي ، سايروس فانس ، جهدا خاصا ، في التنقل ما بين اسرائيل ومصر ، في محاولة لانهاء المفاوضات السياسية ، وايجاد مخرج للقضايا المعلقة ، قبل الموعد المقرر ٠

وكانت الحكومة الاسرائيلية قد صادقت بتاريخ ٧٨/١١/٢١ ، على مسودة معاهدة السلام مع مصر ، بالصيغة التي تم الوصول اليها في محادثات «بلير ـ هاوس» في واشنطن ، اعتمادا على صيغة حل الوسط ، التي اقترحها الرئيس الاميركي كارتر (دافار ، ٢٢ /١١/ ٧٨) ٠ واهم ما تتضمنه مسودة المعاهدة تلك ، المقدمة التي تقول ان اتفاقات كامب ديفيد يجب ان تكون اساسا للسلام ، ليس فقط بين مصر واسرائيل ، وانما ايضا بين اسرائيل وكل من جاراتها العربية الاخرى التي تكون مستعدة للتفاوض معها من اجل السلام ، وفقا لذلك الاساس ٠ وان الطرفين مقتنعان بأن الاتفاق بينهما ، خطوة هامة في السعي الى سلام شامل في المنطقة ، وفي التوصل الى تسوية شاملة للنزاع العربي ـ الاسرائيلي ٠

وتنص المعاهدة ، كما نشرت في المصادر الاسرائيلية ، على انهاء حالة الحرب بين اسرائيل ومصر ، والتزامهما باقامة سلام بينهما ، وكذلك استعداد اسرائيل للانسحاب الى الحدود الدولية في سيناء ، واعترافها بالسيادة المصرية على كل شبه الجزيرة٠ وقد وردت تفاصيل الانسحاب في ملحق خاص وخرائط مرفقة ، ذكر فيها ان الاشارة الى قطاع غزة خارج الحدود الدولية لسيناء ، لا يعتبر تحديدا لمركزه ٠ كذلك تتحدث المعاهدة عن التزام الطرفين بانشاء علاقات سلام بينهما ، جرى تفصيلها في ملحق خاص ايضا ٠ كذلك تتطرق الى التزام مصر بالامتناع عن اعمال ارهابية ضد اسرائيل ، والعمل على منعها ٠ وهناك بند خاص ايضا حول ترتيبات الامن بين الطرفين ، ودور الامم المتحدة بموجب المعاهدة ٠ وقد ارفق هذا البند بملحق خاص حول الترتيبات العسكرية في سيناء ٠ وبالنسبة للممرات المائية ، فان المعاهدة تضمن حرية الملاحة

في قناة السويس ومضائق تيران وخليج العقبة · وحسب النص فان الاتفاق بين البلدين لا يتأثر بتقصير او عمل اي منهما في علاقاته مع طرف آخر ، ونصوص المعاهدة هي المفضلة في حال وجود تناقض بينها وبين اتفاقات اخرى · والنقلة الاخيرة التي تشير اليها ، هي التزام الطرفين بحل النزاعات بينهما الناشئة عن تطبيق او تفسير المعاهدة بواسطة المفاوضات او التحكيم (ملخص عن النص الكامل لمسودة المعاهدة · هآرتس ٧٨/١١/٢٦) ·

لقد طالبت مصر بادخال تعديلات على موضوعين اساسيين ضمن المعاهدة : الموضوع الاول يتعلق بالربط بينها وبين مسألة بدء تطبيق الحكم الذاتي في الضفة الغربية وقطاع غزة ، حيث يطالب المصريون تحديد موعد لاجراء الانتخابات لمؤسسات الحكم الذاتي ، اقصاه كانون الاول ١٩٧٩ · ويجري هذا التحديد في رسالة خاصة مرفقة بالمعاهدة · والموضوع الثاني ، هو تعديل البند السادس الذي يمنح المعاهدة افضلية على باقي معاهدات مصر مع العالم العربي ، خاصة معاهدة الدفاع العربي المشترك · وحسب المقترحات المصرية الاخيرة التي حملها فانس الى اسرائيل ، فأن مصر تراجعت عن المطالبة بتعديل هذا البند في مسودة المعاهدة واكتفت بحذفه والاشارة اليه في رسالة مرفقة بها · بالاضافة الى ذلك، فهي تطالب الان باعادة فحص المعاهدة بعد مضي خمس سنوات ، وعدم تبادل السفراء بينها وبين اسرائيل ، حتى تشكيل مؤسسات الحكم الذاتي (رأ ، ٧٨/١٢/١٤) ·

وكانت الحكومة الاسرائيلية ، قد رفضت في قرارها الصادر في ٧٨/١١/٢١ موضوعي « الربط » وتعديل البند السادس في المعاهدة ، الذي يمنحها الافضلية على باقي معاهدات مصر ، كما ذكرنا ، معلنة عن استعدادها للتوقيع على معاهدة السلام مع مصر ، بالصيغة التي تم الوصول اليها في محادثات واشنطن · وجاء في هذا القرار ايضا ان الحكومة الاسرائيلية مستعدة لبدء المفاوضات بشأن اتفاق حول بدء تطبيق الحكم الذاتي الاداري في الضفة الغربية وغزة ، بعد التوقيع على معاهدة السلام بينها وبين مصر دون تحديد لوقت (دافار ، ٧٨/١١/٢٢) ·

وقد عادت الحكومة الاسرائيلية واكدت رفضها المطالب المصرية في جلسة خاصة عقدتها في تاريخ ٧٨/١٢/١٥ ، اثر زيارة فانس الى المنطقة ، محملة مصر مسؤولية فشل المفاوضات حتى الآن ، ومتهمة الولايات المتحدة بالانحياز الكامل لها ·

وقد شرح وزير الخارجية الاسرائيلي دايان ، موقف حكومته بقوله : « ان اسرائيل تعارض مبدئيا طلب مصر تحديد ربط ملزم بين مواعيد محددة لاخلاء سيناء واقامة علاقات ديبلوماسية منتظمة. وبين المتقدم في مجرى اقامة الحكم الذاتي · ان المصريين يطالبون بجدول زمني صعب ، تبدل اسرائيل بموجبه الحكم العسكري بادارة محلية في اطار الحكم الذاتي ، خلال تسعة اشهر» (دافار، ٧٨/١١/١٩) · واضاف دايان انه «حتى في كامب ديفيد جرى الاتفاق على ادارة مفاوضات بشأن صلاحيات الادارة المحلية حتى يتوصل الاطراف الى اتفاق · ومن يستطيع المراهنة على حل جميع المشاكل خلال هذه الفترة ؟ فالحديث يدور حول صلاحيات الادارة الذاتية ومشكلة المستوطنات والاراضي ومركز المستوطنات اليهودية المجاورة للقرى العربية ، ومشاكل القضاء والمياه وما شابه · اضافة الى ذلك هنالك مشكلة القدس والامن الداخلي والحرب ضد « فتح » في المناطق · يجب التوصل الى اتفاق بشأن جميع هذه المواضيع قبل الانتخابات لمؤسسات الحكم الذاتي » (المصدر

نفسه) · وعلق رئيس الحكومة بيغن على مطالب مصر بقوله : « اننا نعارض كل جدول زمني ··· بالنسبة لتطبيق الحكم الذاتي من اجل السكان العرب في الضفة الغربية وغزة · لسنا على استعداد لادخال قوة من الشرطة المصرية الى غزة، او اي مكتب ارتباط مصري [كما طالبت مصر] » (معاريف ، ٧٨/١١/٢٠) · وعدد بيغن شروط اسرائيل الثلاثة ، التي « لا تستطيع التراجع عنها ، بالنسبة لتطبيق الحكم الذاتي في الضفة والقطاع بقوله ··· اولا ، بقاء الجيش الاسرائيلي في هذه المنطقة كما اتفق عليه في اطار كامب ديفيد ، ثانيا ، ضمان امن اسرائيل ثالثا ، استمرار الاستيطان اليهودي في المنطقة » (المصدر نفسه) ·

٢ مخاوف السلام لدى الاسرائيليين

يلاحظ انه كلما طالت المفاوضات السياسية بين مصر واسرائيل ، حول تحقيق معاهدة السلام بينهما ، تزداد مخاوف الاسرائيليين وشكوكهم بجدوى السلام يوما بعد يوم · وهذه المخاوف ليست من نصيب المعارضة فقط ، التي تشهد انهيار سياستها في المناطق المحتلة ، خاصة في سيناء ،وانما داخل التكتل الحكومي ايضا ، الذي يشهد خلافات وصراعات حادة بين اعضائه · فالنائبة المعارضة غيئولا كوهين من ليكود، بادرت الى تشكيل « وسط المخلصين لمبادىء حركة حيروت » ، وهدف اعضائه الاطاحة ببيغن وافشال محادثات السلام الجارية ·

ومن خلال الوقوف على اراء كبار السياسيين والكتاب من مختلف الفئات الحزبية في اسرائيل ، يمكن التعرف على بعض دوافع ترددهم وخوفهم من السلام المرتقب مع مصر ·

اولى هذه الدوافع هو الخوف من ان يكون اتفاق السلام مع مصر ، والانسحاب الكامل من سيناء ، سابقة بالنسبة للجبهات الاخرى · وقد اعلن وزير الدفاع الاسرائيلي عيزر وايزمان ، امام الرئيس كارتر ان السادات يخطيء اذا كان يعتقد ان « سابقة سيناء » يمكن تطبيقها على الجبهات الاخرى (نقلا عن يوسف حاريف، معاريف ، ٧٨/١١/١٧) · كذلك تحدث وزير الخارجية السابق يغال الون حول مخاوفه ازاء هذا الموضوع بقوله : « كيف ستكون ردة الفعل في العالم ـ خاصة في دول صديقة ـ اذا اعلن الرئيس الاسد يوما ما انه على استعداد للتوقيع على السلام ، في حال انسحاب كامل على غرار سيناء · سنجد انفسنا في ضائقة صعبة وماذا سنفعل اذا انضم اليه الملك حسين ايضا ، وطالب بالسلام مقابل الضفة ؟ ان هذا الامر يمكن ان يحدث ، خاصة وان تاييد الولايات المتحدة مضمون لهم ··· اضف الى ذلك ان هنالك استراتيجيين عرب ، يعتقدون انه ليس من سبيل للقضاء على اسرائيل ، الا بواسطة تحجيمها الجغرافي ـ استراتيجي ، وبعد ذلك ترك خيبة الامل الاسرائيلية تفعل فعلها في المعنوية القومية ، من اجل زيادة النزوح وتقويض المجتمع · عندئذ ما عليهم سوى انتظار الساعة الملائمة ، سياسيا واستراتيجيا ، لتوجيه الضربة الاخيرة · اننا بطبيعتنا ذوو نفس قصير ، ولا ندرك معنى النفس الطويل ـ الذي يعتبر ميزة قومية للعرب · الله مع الصابرين ـ يقول العربي ـ وقليلو الصبر كالكافرين · انهم يراهنون على المجرى التاريخي الذي يعمل لصالحهم ، سواء من الناحية السياسية او من ناحية التكاثر الطبيعي لدى العرب في اسرائيل والمناطق ، ثم من ناحية الضعف الذي بدأت ملامحه تظهر في المجتمع اليهودي في اسرائيل » (من مقابلة معه ، ملحق هآرتس ، ١٩٧٨/١١/١٧) ·

والعامل الثاني هو الخوف من الحكم الذاتي · لقد تحول مشروع الحكم الذاتي ، بفعل اتفاقات كامب ديفيد ، من

مشروع دائم ، حسب الصيغة الاسرائيلية الاولية ، الى مشروع مؤقت لفترة خمس سنوات · « لقد اصبح واضحا بالنسبة لجزء كبير من الاسرائيليين ، ما سيؤدي اليه الحكم الذاتي ··· انه الدولة الفلسطينية في الطريق » (اهرون غيفع ، دافار ، ٧٨/١١/٢٠) · واكبر المتخوفين من هذا الاحتمال ، هم زعماء المعارضة بيريس ورابين وغيرهم ، الذين بدأوا يراهنون على امكانية فشل المفاوضات حول تطبيق هذا المشروع في المستقبل · وقد اعلن رئيس الوزراء السابق رابين ، انه « اذا استطاعت اسرائيل ، الاصرار على مواقفها السياسية في هذه المفاوضات ، حتى اذا لم يتحقق اتفاق في سنة ١٩٨٠ ـ فانها لتستطيع الوصول الى سنة ١٩٨١ دون مجابهة حامية مع الولايات المتحدة · وذلك لسبب بسيط ، وهو ان انتخابات الرئاسة في الولايات المتحدة ستجري في سنة ١٩٨٠ » (يديعوت احرونوت ، ٧٨/١٢/١)

ان فشل المفاوضات اذا كان سيريح البعض ، فانه حسب رأي البعض الآخر ، سيلحق ضررا باسرائيل على صعيد علاقاتها مع الولايات المتحدة ومصر ، خاصة بعد توقيع معاهدة السلام · لذلك فان اسرائيل معنية على لسان رئيس حكومتها بيغن ووزير الخارجية دايان ، بالبدء فورا بالمفاوضات حول تطبيق الحكم الذاتي ، فورا بعد توقيع معاهدة السلام مع مصر ، وان كانت لا توافق على الالتزام بجدول زمني للتطبيق · وما يقلق اسرائيل في الاساس هو معارضة السكان الفلسطينيين في الداخل لمشروع الحكم الذاتي · « فاذا استمر عرب المناطق في معارضتهم هذه ـ وهذه الامكانية قائمة حتى اذا وقع السادات على معاهدة السلام ـ فان اسرائيل لن تستطيع تشكيل « المجلس الاداري » وفق انتخابات في المناطق · وثمة شك كبير اذا كانت الليبرالية التي ستتبعها اسرائيل حسب فكرة دايان ، ستحررها من الضغط المصري ـ الاميركي المشترك ·

« ان عدم اقامة الحكم الذاتي يعني عدم تحقيق احد المركبات الاساسية في اتفاقات كامب ديفيد · ولا يمكننا الافتراض ان اية خطوة اسرائيلية فردية، على غرار تقليص وجود الحكم العسكري في المناطق المدارة ، ستعتبر بمثابة ملء للفراغ » (فولص ، هآرتس ، ٧٨/١١/٢٤) ·

والمخرج الوحيد في رأي الكاتب ، سيكون « ضغطا اميركيا على اسرائيل لتبديل موقفها من م·ت·ف· ، وكأنما لا وجود للحكم الذاتي ، دون استعداد المنظمة للسماح للنشيطين العرب المحليين بالمشاركة في تأسيسه » (المصدر نفسه)·

وما سيزيد المفاوضات تعقيدا ، هو انه بالاضافة الى معارضة الفلسطينيين في الداخل لاخذ دورهم في تشكيل الحكم الذاتي ، فان اسرائيل تواجه مشاكل كثيرة ومعقدة في نظرها ، من شأنها ان تؤدي الى فشل هذه المفاوضات ، واولها « التركيز على ضمان مستقبل المستوطنات في غوش عتسيون وغور الاردن ، وضمان المصالح الامنية الاسرائيلية في المنطقة ··· ثم ضمان « اسرائيلية » القدس الموحدة » (المصدر نفسه) · وقد تطرق احد اعضاء بلدية القدس والمسؤول عن شؤون القدس الشرقية سابقا ميرون بنبنيستي ، الى موضوع المفاوضات المقبلة حول الحكم الذاتي بقوله : « ليس سرا ان الاميركيين ··· اعدوا اقتراحات مفصلة حول صلاحيات الحكم الذاتي · ويمكن الافتراض ، انه عندما يحين الوقت لعرض هذه المقترحات ، ستطرح الحكومة الاسرائيلية مطالبها بشأن اراضي الدولة والمستوطنات ··· وحسب اسلوب الاميركيين سيتجاوزون هذه الامور ، مطالبين برد واضح حول المسائل الاخرى · والمشكلة هي ان هذه « المسائل

الاخرى، هي الاساس · لان طابع العلاقات المستقبلة بيننا وبين جيراننا الفلسطينيين سيتحدد ليس على اساس الواقع الاصطناعي في الجيوب الاستيطانية ومعسكرات الجيش ، وانما في مجمل القضايا اليومية للشعبين · وتشمل هذه القضايا : الجمارك والتخطيط والتصنيع والكهرباء والضرائب والنقل والزراعة والعملات والمصارف ، واعادة اسكان اللاجئين والمياه ، ثم تنقسل العمال والتجارة » (دافار ، ٧٨/١١/٢٤) · ويضيف بنبنيستي قائلا : « هناك سؤال جوهري ، من وراء هذه المسائل التقنية — هل نحن على استعداد فعلا للسماح للفلسطينيين بادارة شؤونهم بانفسهم ، واعتبارهم متساوين ، أم ان قصدنا هو اقامة بانتوستان ، الهدف منه تخليد الوضع القائم ، تحت ستار جديد » (المصدر نفسه) ·

٣ ـ الثمن الاقتصادي للسلام

رغم تفاؤل الكثيرين في اسرائيل ، من ان السلام سيحقق منافع اقتصادية جمة ، فان هناك قلقا كبيرا من الثمن الاقتصادي الذي ستدفعه اسرائيل مقابل السلام ، خاصة في السنوات الاولى بعد توقيع المعاهدة مع مصر · وستعتمد اسرائيل على الولايات المتحدة في تمويل حاجاتها الاقتصادية بعد السلام · وقد عدد شمعون بيريس العوامل التي تجعل ثمن السلام باهظا بالنسبة لاسرائيل ، فذكر ان الاقتصاد الاسرائيلي لا زال يتحمل العبء الاقتصادي لخمس حروب كبيرة ، خاضتها اسرائيل خلال الثلاثين سنة الاولى منذ قيامها · [كذلك] فان اسرائيل ملزمة بالحفاظ على الجهاز الامني بشكله الحالي ، حتى بعد تحقيق السلام مع مصر ··· وسيكلف نقل منشآت الجيش الاسرائيلي من سيناء الى النقب نحو ٤٫٥ مليارد دولار خلال ثلاث سنوات · وستستهلك هذه المنشآت جزءا كبيرا من اراضي النقب ، خاصة من الاراضي السهلية ، حيث يحتاج المطار الواحد مثلا الى نحو ٤٠ الف دونم من الاراضي السهلية ·· واخيرا ، ستضطر اسرائيل بعد اتفاقات كامب ديفيد ، الى اعادة تنظيم قواتها في الضفة الغربية وغزة · ومهما حدث ، سواء اقيم الحكم الذاتي ام لا ـ فان الوضع في هذه المناطق سيكون مختلفا تماما عما كان عليه في السابق · فاذا تم تطبيق الحكم الذاتي ، سيضطر الجيش الاسرائيلي الى اعادة تنظيم قواته · اما اذا لم يطبق ، فسنشهد فترة من عدم الهدوء السياسي ، وازديدا حدة المشاعر القومية لدى السكان ·· الامر الذي يلزم تشديد الاجراءات الامنية ، (يديعوت احرونوت ، ٧٨/١١/٢٤) ·

على اي حال ، فان كبار الخبراء الاقتصاديين في اسرائيل يعتقدون ان السنين الثلاث الاولى بعد توقيع معاهدة السلام مع مصر ، ستكون صعبة من الناحية الاقتصادية ، وربما يبدأ الانفراج بعد ذلك ·

٤ ـ السلام كمخرج

اذا كان هناك من يخشى السلام في اسرائيل ، او يتخوف من بعض نتائجه ، فان هناك ايضا من يخشى عدم تحقيقه في الوضع الراهن ، وبعد التطورات السياسية المتلاحقة في المنطقة خلال السنة الاخيرة · فدايان يقول ، من الافضل الوصول الى اتفاق سلام الآن ، على الانتظار سنتين او ثلاثا ، حيث تكون الظروف اسوأ بالنسبة لاسرائيل · « انني ارى ما يحدث في ايران وما حدث في اثيوبيا ، وانظر الى تزويد الطائرات والاسلحة الاميركية للسعودية . وانساءل : اذا اعلنا اننا لا نريد الاتفاق مع مصر الان ، هل نستطيع الاستمرار في العيش بهدوء ، والبقاء في المناطق بواسطة الحكم العسكري ؟ هل نستطيع الاستمرار هكذا جيلا او جيلين ؟ ام اننا بعد سنتين سنأسف على هذه الفترة حيث كان

السادات مستعدا للسلام ، وكارتر مستعدا لفرض علاقات طبيعية » (دافار ، ١٩/١١ /٧٨) · ان الوقت لا يعمل لصالح اسرائيل ، في نظر بعض السياسيين والكتاب الاسرائيليين ، اذ ان التطورات في العالم وفي الشرق الاوسط يمكن ان تكون لغير صالحها · واكثر ما يقلق هؤلاء هو تطور العلاقات الاميركية ـ العربية ، كما يدعون ، على ضوء المصالح الاميركية في العالم العربي ، الامر الذي بات يقلقهم ويدفعهم الى اتهام اميركا بالانحياز للعرب · « فالولايات المتحدة كدولة كبرى لها مصالح استراتيجية في الشرق الاوسط ومصالح قومية ايضا في الحصول على النفط من هذه المنطقة · ان علاقات اسرائيل ـ العرب ، تبدو عاملا هاما في تطور مركز الولايات المتحدة في المنطقة » (الياهو سلفطر ، هآرتس ، ٢٦/١١/ ٧٨) ·

لذلك يرى البعض ، وعلى راسهم دايان ووايزمان ، ان تنظيم العلاقات مع مصر، بواسطة توقيع معاهدة السلام معها ، امر ضروري بالنسبة لاسرائيل ·

حنه شاهين

قضايا دولية

كان الحضور الفلسطيني على الساحة الدولية خلال الشهر المنقضي (كانون الاول ، ١٩٧٨) كثيفا بصورة ملفتة وعميقة الدلالة في الوقت نفسه ·

لم يكن ذلك مجرد انعكاس لمنافسة احتفالية مثل « اليوم العالمي للتضامن مع الشعب الفلسطيني » ، انما كان بالاحرى انعكاسا للعلاقات المتشابكة السائدة على هذه الساحة الدولية بشكل عام ، والدور الذي تمثله القضية الفلسطينية على خطوط تقاطع هذه العلاقات الدولية بشكل خاص·

فنحن نلاحظ « حضورا فلسطينيا» ليس فقط في تطورات ازمة الشرق الاوسط المباشرة خلال الشهر المنقضي ـ بما فيها تطورات المفاوضات المصرية ـ الاسرائيلية والدور الاميركي فيها والتاثيرات والمؤثرات العالمية المحيطة بها ـ انما نلاحظ هذا الحضور في تطورات دولية اخرى ذات طابع حاد ، وان تكن ذات علاقة مباشرة بالقضية الفلسطينية ، مثل احداث ايران والتصاعد الذي بلغته ثورة جماهيرها الشعبية ضد النظام القائم بزعامة الشاه، ومثل التطورات المتصلة بالعلاقات العربية السوفياتية · ومثل الحلقة الجديدة من مواقف رومانيا ذات الطبيعة الخاصة فيما يتعلق بالصراع العربي الاسرائيلي ، الذي ظهرت في معارضة بوخارست بيان حلف وارسو في شقين ، احدهما يتعلق بتطورات الصراع العربي ـ الاسرائيلي ومحاولات « الحل المنفرد » بين مصر واسرائيل ، اذ اتخذت رومانيا ـ مرة اخرى ـ موقفا منفردا داخل حلف وارسو في صف اسرائيل ، حتى مذبحة « غويانا » البعيدة التي تمثلت في عملية « الانتحار الجماعي» لاعضاء جماعة « معبد الشعب » ادخلت فيها اجهزة الاعلام الاميركي ، والغربي عامة ، عنصر حضور فلسطيني !

وتتبع تطورات الاحداث على مدى هذا

الشهر كفيل بايضاح مدى كثافة «الحضور الفلسطيني » ، وايضاح دلالات هـــذا الحضور ومغزاه بالنسبة لكل موقع علـى خريطة العلاقات الدولية ·

فشل لكامب ديفيد

التطور الابرز الذي حمله شهر كانون الاول (ديسمبر) فيما يتعلق بالمحـاولات الاميركية ـ المصرية ـ الاسرائيلية للتوصل الى « معاهدة سلام » بين مصر واسرائيل، هو انقضاء موعد المهلة التي حددتهـــا اتفاقات « كامب ديفيد » لتوقيع هـــذه المعاهدة ، وهو يوم ١٢/١٧ ، اي اليـوم الذي يوافق مرور ثلاثـة اشهـــر علـى توقيع اتفاقات « كامب ديفيد » (كارتر ـ السادات ـ بيغن) ·

وقد انقضت الاسابيع السابقة على هذا التاريخ في شد وجذب بين « التفـــاؤل » و « التشاؤم » بشأن امكان التوصل الى اتفاق بين مصر واسرائيل · ولم يكن هذا الشد والجذب شأنا من شؤون الاعلام في الاطراف الثلاثة المشاركة في هذه المحاولة انما كان شأنا واضحا من شؤون الاطراف نفسها وممثليها على اعلى مستوى · اذ اخذت تصريحاتهم تتراوح بين « الامكان » و « الاستحالة » ·

فنجد ـ على سبيل المثال ـ ان الرئيس الاميركي كارتر صرح في يوم اجتماعـــه بمصطفى خليل رئيس وزراء مصر ـ الذي اوفده حاكم مصر أنـــور السادات الـى واشنطن لنقل وجهة النظر المصرية ـ بأنه غير راض ومستاء بسبب التقدم البطيء في المفاوضات المصرية ـ الاسرائيلية · ولكنه يؤكد في التصريح نفسه ان المعاهدة ستبرم مهما كانت الصعوبات · وقال : « انـــي مستاء نوعا ما ، ولكن النكسات لم تعـد اخطر من بعض الصعوبات التي واجهناها خلال الايام الـ ١٣ في كامب ديفيد · اني اعرف ان الرئيس السادات ومناحيم بيغن يريدان توقيع معاهدة سلام » · وقد ذهب كارتر في هذا التصريح الى حد كبير في تبسيط الامور اذ قال ان كلا الطرفين يثير العقبـــات « بسبب التفـــاوض عبـر الصحافة » · (١٢/١) ·

في اليوم نفسه (١٢/١) كانت القاهرة تنشر مضمون رسالة بعث بها السادات الى كارتر مع خليل على انه يتلخص في ثلاثة مباديء (الاهرام) :

ـ الربط بين المعـــاهدة المصريـة ـ الاسرائيلية والحكم الذاتي للفلسطينيين ·

ـ النوايا الصادقة لاسرائيل · ـ احترام اتفاقيتي « كامب ديفيد » ·

وبالاضافة الى هذه المباديء الثلاثـــة حددت رسالة السادات الى كارتر اربعة اجراءات ، لازمة لتنفيذ هذه المباديء :

☐ صيغة رسائل يتم تبادلها بين مصر واسرائيل تكون متطابقة ، تحدد بجـــدول زمني اجراء مفاوضات بعد شهر مـــن التوقيع والتصديق على المعاهدة المصرية ـ الاسرائيلية ، وتتناول خطوات قيـــام مؤسسات الحكم الذاتي الكامل في الضفة الغربية وغـزة ·

☐ تحديد موعد اجراء الانتخابات في الضفة الغربية وغزة على اساس ان يتـم التفاوض على الموعد المحدد لذلك ·

☐ يتم انهاء الحكـــم العسكـري الاسرائيلي بعد قيام مؤسسات الحكـــم الذاتي في الضفة وغزة بشهر واحد ·

☐ يتم تحديد فترة متفق عليها لتحقيق هذه الخطوات في اطار الاقتراح الاميركي، الذي نص على ان الفترة لا تزيد على عام واحد ·

بالمقابل قال موشي دايان وزير خارجية اسرائيل في حديث لصحيفة « يديعـــوت احرونوت » : « بصراحة لم اعد اعـرف

ما اذا كنا قد اقتربنا من السلام فعلا ، ولو كان الامر يتعلق بمجرد ابرام المعاهدة مع مصر لكنت اكثر تفاؤلا من ذلك بكثير. بيد ان معارضينا المصريين يصرون على عدم امكانية ابرام سلام منفصل ، واذا اشترط المصريون بنودا ملزمة تربط السلام مع مصر بحل وطني للمشكلة الفلسطينية فسوف تتعقد الامور بدرجة لا يسعني معها ان اجد ردا » · (١٢/١) ·

واللهجة التي يعكسها تصريح دايان هذا ، تنعكس بدرجة او بأخرى في تصريحات ومواقف المسؤولين الاسرائيليين على مدى الاسابيع التي سبقت الموعد الذي حددته اتفاقات « كامب ديفيد » لتوقيع المعاهدة المصرية ـ الاسرائيلية · الامر الذي يؤكد ان الاسرائيليين كانوا اكثر تصورا لطبيعة الصعوبات من الطرفين المصري والاميركي · ويؤكد ايضا ان اسرائيل قررت الالتزام الحديدي بما اعلنته قبل ذلك (وعلى لسان دايان ايضا) من انه يتعين على مصر ان توقع على مسودة المعاهدة كما هي او ترفضها كلية ·

وعاد الرئيس الاميركي للوقوع في خطأ تبسيط الامور ، عندما اصدر ، بعد اجتماع استمر ٣ ساعات مع مصطفى خليل رئيس وزراء مصر (١٢/٢) ، نداء مستعجلا من اجل استئناف « محادثات الصلح » بين مصر واسرائيل ·

اما رئيس الوزراء المصري فقال ان كارتر سيواصل دفع الجهود الاميركية الى الامام لكي يكون بالامكان استئناف المفاوضات المصرية ـ الاسرائيلية وتتويجها بنهاية سعيدة · وشدد على رغبة مصر في اقامة علاقة قوية بين « معاهدة السلام » وبين المشكلة الفلسطينية في الضفة الغربية وغزة ·

واللهجة التي عكسها تصريح خليل ـ وهي لهجة استمرت دون انقطاع تقريبا من جانب كل المسؤولين المصريين ـ توضح ان استراتيجية « الدبلوماسية المصرية » تعول بشدة على الدور الاميركي وعلى امكانية ممارسة واشنطن ضغطا على اسرائيل ، يحملها على تخفيف صلابة موقفها من المسألتين اللتين شكلتا في النهاية العقبتين الرئيسيتين امام الاتفاق على صيغة « المعاهدة » : (أ) الربط بين السلام مع مصر والحكم الذاتي للضفة الغربية وغزة ، (ب) عدم مقدرة مصر على منح الافضلية لالتزامات المعاهدة مع اسرائيل على التزاماتها التعاهدية مع الدول العربية (وخاصة اتفاقية الدفاع العربي المشترك الموقعة عام ١٩٥١) ·

في هذا الجو ـ وعند نهاية زيارة خليل لواشنطن ـ اعلن في العاصمة الاميركية رسميا (١٢/٥) ان وزير الخارجية الاميركي سايروس فانس سيزور مصر واسرائيل لاجراء محادثات مع السادات وبيغن تتناول وسائل استئناف « مفاوضات السلام » بينهما ·

وبينما قالت « وكالة انباء الشرق الاوسط » المصرية ان قرار كارتر بايفاد فانس الى المنطقة يدل على « تصميم الولايات المتحدة على تضييق وتسوية الخلاف القائم حاليا بين مصر واسرائيل»، قالت « اذاعة اسرائيل » ـ « ان زيارة فانس الى المنطقة تستهدف انقاذ مفاوضات السلام من الانهيار » · أما وزارة الخارجية الاميركية فقالت ان مهمة فانس هي « كسر الجمود » الذي يحيط بالمفاوضات المصرية ـ الاسرائيلية ·

في اليوم التالي للاعلان عن زيارة فانس كان موشي دايان وزير الخارجية الاسرائيلي يبدأ زيارة رسمية ـ هي الاولى لوزير خارجية العدو ـ الى سويسرا · وصرح (١٢/٦) بانه ليس على علم باي اقتراح جديد بحل وسط قد يحمله فانس لتسوية الخلاف المصري ـ الاسرائيلي · ونفى انباء اذيعت في القاهرة بان اسرائيل وافقت على جدول زمني

لاقامة الحكم الذاتي في الضفة الغربية وغزة مقابل موافقة القاهرة على المادة السادسة من المعاهدة والتي تعطي الاولوية للمعاهدة المصرية ـ الاسرائيلية على ارتباطات مصر الاخرى · وقال دايان ان تاريخ ١٢/١٧ الذي تحدد في « كامب ديفيد » « ليست له في الواقع اهمية خاصة ، وليس هناك ما يحول دون مواصلتنا المفاوضات بعد ذلك التاريخ والوصول بها الى خير نتيجة » ·

وسط هذه التصريحات والتصورات ، كان ابرز تصريح استوقف المراقبين بشدة ونال الكثير من الاهتمام والتحليل التصريح ـ الانذار الذي وجهه الرئيس الاميركي كارتر في حديث الى الصحفيين (١٢/٧) حيث قال ان عدم توصل مصر واسرائيل الى « معاهدة السلام » قبل الموعد النهائي المحدد لها في ١٢/١١ « سيكون امرا خطيرا للغاية وله مضاعفات عكسية بعيدة المدى » · واضاف « ان الولايات المتحدة تعتبر بوضوح الموعد النهائي للتوصل الى اتفاق بين مصر واسرائيل امرا مهما جدا جدا ، وربما اهم في هذه المرحلة مما يعتبره مناحيم بيغن رئيس وزراء اسرائيل والرئيس انور السادات » · واستطرد قائلا : «اذا تخطينا الموعد في ١٢/١٧ ··· فان هذا سيلقي شكوكا حول ما اذا كان المصريون والاسرائيليون سينفذون البنود الصعبة لمعاهدة السلام القادمة » ·

لقد حمل هذا التصريح بلهجته الانذارية عددا كبيرا من المراقبين الى القول بأنه لم يعد امام القاهرة وتل ابيب الا الرضوخ لرغبة الرئيس الاميركي ، خاصة وان كلا هذين الطرفين ينتظر الحصول على « ثمن » للمعاهدة في صورة مساعدات اقتصادية وعسكرية ضخمة ·

كما اضفى هذا التصريح على مهمة فانس ، قبل ان تبدأ ، طابع اللمسة الاخيرة التي تسبق التوقيع على المعاهدة ·

وبالنتيجة ، ساد جو يوحي بان توقيع المعاهدة اصبح امرا مؤكدا ، وفي غضون الايام العشرة الفاصلة بين اليوم الذي ادلى فيه كارتر بهذا التصريح وموعد المهلة التي حددتها اتفاقيات « كامب ديفيد » ·

ولكنه كان من الواضح ايضا ، ان كارتر يعبر عن شعوره بالاحباط نتيجة ما انتهى اليه انتصاره في « كامب ديفيد » من نتائج سلبية ، اكثر مما كان يستخدم سلاحا فعالا لتحويل تلك النتائج ·

وعشية موعد وصول وزير الخارجية الاميركي الى الشرق الاوسط نشرت صحيفة « الاهرام » المصرية (١٢/٧٨) مجموعة « تعديلات » تنوي مصر ادخالها على مطالبها لعقد معاهدة صلح مع اسرائيل وهي :

تبادل خطابات تكون لها قوة المعاهدة بالنسبة للبنود الرئيسية موضوع الخلاف وتوقعها مصر واسرائيل ، واميركا كضامن للتنفيذ ·

وحددت الصحيفة « النقاط الرئيسية موضوع الخلاف » فيما يلي : « (١) ايجاد الارتباط بين تنفيذ المعاهدة واقامة الحكم الذاتي في الضفة الغربية وغزة عن طريق تحديد مواعيد انتقال الحكم الذاتي لسكان الضفة وغزة وتحديد اختصاصات المجالس الجديدة لتعمل كحكومة تحل محل المجلس العسكري وليست مجرد مجالس بلدية ·

(٢) بالنسبة لاجراء الامن الوارد في المادة الرابعة من مشروع المعاهدة ، والذي يقسم سيناء الى ثلاث مناطق بحيث ينتهي الانسحاب من المنطقة الاولى خلال ٩ اشهر على الاكثر · فان مصر ترى ان الاجراءات الامنية المنصوص عليها في هذه المادة لا يمكن ان تدوم الى الابد لان الطرفين يمكنهما الدخول في مفاوضات بشأنها كلما رأى كل طرف ذلك · (٣) بالنسبة للالتزامات المصرية الخاصة بالمادة السادسة في مشروع المعاهدة ، فان مصر ترى انه لا داعي اطلاقا للفقرة الثانية الواردة في المشروع ، كما ان الفقرة

الخامسة لا يجب ان تفـــرض علينا اي اولوية ، ايمانا من مصر بانه طالما تـــم التوصل الى سلام حقيقي فليس هناك اي احتمال للحرب » ٠

وفي اليوم السابق لوصول فانس الـى المنطقة (بادئا بالقاهرة) استقبل الرئيس السوري حافظ الاسد في دمشق السناتور روبرت بيرد زعيم الاغلبية الديمقراطية في مجلس الشيوخ الاميركي ، وتسلم منـــه رسالة من الرئيس كارتر ٠ وكان بيـــرد يقوم بجولة في المنطقة كمبعوث لكارتـــر زار خلالها مصر واسرائيـــل والاردن والسعودية وسوريا ٠

وصرح مصدر رسمي سوري (١٢/٨) بان المبعوث الاميركي عرض على الرئيس السوري موقف الولايات المتحدة بالنسبة لتسوية مشكلة الشرق الاوسط ، وخصوصا موقفها بالنسبة لاتفاقيتي كامب ديفيد ٠ وان الرئيس السوري شـرح بـــدوره للسناتور بيرد « ان اتفاقيتي كامب ديفيد تتعارضان كليا مع قرارات الامم المتحـدة حول حل ازمة الشرق الاوســط » ٠ وان الرئيس الاسد اكد تمسك العرب باقامـــة سلام عادل ودائم في المنطقة يقوم علـــى الانسحاب الاسرائيلي من الاراضي العربية المحتلة واستعادة الشعب الفلسطيني حقوقه الثابتة ، بما فيها حقه في اقامـــة دولة مستقلة على ترابه الوطني ٠

وصرح المبعوث الاميركي نفسه بـــان الرئيس السوري « استمع باهتمام الـــى الرسالة التي حملتها اليه بوصفي مبعوثا خاصا للرئيس كارتر وزعيما للاغلبيـــة الديمقراطية في الكونغرس » ٠ ووصـف بيرد الرئيس السوري بانه « رئيس دولة عظيم » ٠

وتحدث السناتور بيرد عن جولتـــه فقال ان هدفها « حث الدول التي زارهـــا على الاشتراك الفعلي في مفاوضات السلام الجارية في اطار اتفاقيتي كامب ديفيد ٠ واشار الى ان الاتفاقيتين كانتـــا موضوع نقد عنيف من رؤساء الدول الذين اجتمع بهـم » ٠

وقد اكد هذا الجانب من تصريح بيرد ان الولايات المتحدة تشعر بان احدى نقاط الضعف الخطيرة التي تعاني منهـــا سياستها بين مصر واسرائيـل هي أخفاق السادات في اشراك اي طرف معه ٠

وعشية وصول فانس ــ وفي تل ابيب ــ اعلن مناحيم بيغن (١٢/٨) انـــه كـان مستعدا لتوقيع معاهدة السلام مع مصـر في الاسبوع الماضي ، وانه على استعداد لتوقيع المعاهدة في غضـــون اسبوعين ٠ واوضح انه انما يشير بذلك الى النـص الاصلي لمسودة معاهدة الصلح المصرية ــ الاسرائيلية كما اعد في ١١ تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي ٠

ونفى بيغن ان تكون تصريحات الرئيس الاميركي كارتر قبل يومين ــ بان عـــدم توقيع مصر واسرائيل على المعاهدة قبـل ١٢/١٧ سيكون امرا خطيرا للغايـــة ــ هي بمثابة انذار نهائي » ٠

مهمة فانس

بدأت زيارة فانس للمنطقة بوصوله الى القاهرة (١٢/٩) في رابع جولة له في الشرق الاوسط هذا العام ، مع ملاحظـــة ان اول جـولة تقتصـر عـلى الطرفيـــن المشتركين في المفاوضات المباشرة وهمـا مصر واسرائيل فقط ٠ وهو أمر له دلالته بالنسبة لطبيعة ردود الفعل التي تلقتهـا اتفاقات كامب ديفيد وسياسة الولايـــات المتحدة ومواقف السادات عامة من جانب الاطراف الاخرى العربية ٠

وفي البداية قالت مصادر دبلوماسيـة في واشنطن ان فانس سيقترح على مصر واسرائيل تمديد مهلة التوقيع على المعاهدة شهرا آخـر ٠

وصرح الرئيس الاميركي نفسه (امـام مؤتمر للحـــزب الديمقراطي في ولايـة

تنيسي) بانه « على ثقة من ان مصر واسرائيل ستوقعان قريبا على معاهدة للسلام في الشرق الاوسط على الرغم من التأخير والعوائق » · وقال ايضا « ان الطريق الى السلام في الشرق الاوسط صعب ومخيب للآمال بالتأخيرات والمآزق · ولكن بعد خمس سنوات من آخر الحروب وثلاثة آلاف عام من الكراهية والحقد اجدني على ثقة من ان دعاءنا سيستجاب، وستوقع قريبا معاهدة سلام عادل ودائم بين مصر واسرائيل » ·

وتكشف لهجة كارتر في هذا التصريح تراجعا عن « الانذار » الذي وجهه قبل ايام الى الطرفين المعنيين بضرورة ان يتم التوقيع فيحدود المهلة المحددة · فبدلا من تاريخ ١٢/١٧ حلت كلمة « قريبا » وهي كلمة مطاطة للغاية · وهذا التراجع بدوره يكشف عن شعور كارتر بضعف قدرات الولايات المتحدة على الحسم في هذه المسألة ·

صاحبت بداية محادثات فانس في القاهرة (١٢/١٠) انباء تفيد انه سيقوم بجولة مكوكية بين القاهرة وتل ابيب في محاولة لكسر جمود الموقف والتغلب على العقبات واستئناف المفاوضات ، وان فانس « لن يغادر المنطقة الا بعد الاتفاق على موعد توقيع معاهدة الصلح بين مصر واسرائيل ·

وقبل ان ينتقل فانس في اليوم التالي (١٢/١١) الى اسرائيل صرح في مؤتمر صحفي (حضره السادات ولم يدل بأي تصريح ورفض ان توجه اليه اية اسئلة) صرح وزير الخارجية الاميركي بانه يعتقد انه تم احراز تقدم فيما يتعلق بالعقبتين الرئيسيتين امام استئناف المفاوضات المصرية ـ الاسرائيلية ، « الا اننا لم نتوصل بعد الى مباحثات نهائية بشأن تلك المسائل » ·

وفي واشنطن (١٢/١٢) قال الرئيس كارتر ـ في مؤتمر صحفي ـ انه اذا لم تتوصل مصر واسرائيل الى احترام الموعد الذي حددته اتفاقات كامب ديفيد فان ذلك « سيخلق سابقة خطيرة » · واضاف « ان الرئيس انور السادات ، على استعداد فيما يبدو لانهاء المفاوضات في اسرع وقت ممكن ، واتمنى ان تتخذ اسرائيل الموقف نفسه » · كما اعلن انه لن يتردد في الدعوة الى لقاء قمة ثلاثي جديد « في حال فشل كل المحاولات الاخرى » ، ولكنه اكد ان الخلافات القائمة بين مصر واسرائيل « ذات اهمية قليلة اذا ما قورنت بالخلافات الكبيرة التي جرى حلها من قبل ·

ويمكن اعتبار تصريح كارتر هذا بمثابة اول اشارة الى ما اعتبره المراقبون ـ خلال فترة مهمة فانس في الشرق الاوسط وبعد النتيجة التي انتهت اليها ـ ميلا اميركيا الى الموقف المصري اكثر منه الى الموقف الاسرائيلي · وهو تقديم للموقف الاميركي يتناول موقف أميركا من شكل واسلوب التفاوض الاسرائيلي اكثر مما يتناول جوهر الموقف الاسرائيلي · ذلك ان الولايات المتحدة لم تعلن حتى بعد انتهاء مهمة فانس الى الفشل على يد اسرائيل تأييدا صريحا للموقف المصري بشأن قضيتي « الربط » و « الالتزامات العربية لمصر » ·

وفي القاهرة ـ في اليوم نفسه (١٢/١٢)، اعلن ناطق اميركي ان فانس حمل معه الى اسرائيل بعد ثلاثة اجتماعات مع السادات افكارا جديدة بشأن طرق حل عقدة المفاوضات · وسئل هذا الناطق عما اذا كانت « الافكار الجديدة » مصرية او اميركية فرد بقوله : « ان الافكار قد نشأت من المحادثات التي عقدت هنا » ·

لم يذع شيء كثير عن محادثات فانس في اسرائيل · الا انه فجأة في اثناء وجوده هناك (١٢/١٣) اعلن الناطق الاميركي جورج شيرمان ان فانس قرر قطع مهمته والعودة الى واشنطن في اليوم التالي ، وذلك نتيجة مكالمة تليفونية بينه

وبين كارتر · وامتنع الناطق الاميركي عن ذكر اسباب هذا القرار · وقال ان فانس سيسافر الى القاهرة ليعود منها الى واشنطن ·

وقالت اذاعة اسرائيل ان فانس « سيغادر صفر اليدين ودون ان يتمكن من الحصول على موافقة اسرائيل على المقترحات التي حملها من القاهرة » ·

ولم تلبث الحكومة الاميركية ان انسحبت من موقف تركيز الاهتمام الشديد على الموعد المحدد لتوقيع المعاهدة ، الى اعلان على لسان الناطق بوزارة الخارجية الاميركية (١٢/١٤) انها تؤيد « فترة راحة ·· لتعطي الفرصة لكل طرف لكي يفكر مليا في المواقف الجديدة لشركائه وان يقرر كيفية مواصلة المفاوضات » ·

في الوقت نفسه ، اشار الناطق الاميركي بما وصفه بابداء الرئيس السادات للمرونة المطلوبة ، وقال ان الاسرائيليين يرفضون ان يلزموا انفسهم حتى في المستقبل بتنظيم انتخابات خلال عام من أجل اقامة حكم ذاتي في الضفة الغربية وغزة· واضاف : « اظن ان من الصحة القول ان المسألة باتت الآن بايدي الحكومة الاسرائيلية » ·

واستطرد الناطق الاميركي قائلا : « لا اعرف ما ستفعله الحكومة الاسرائيلية · واذا قبلوا هذه المقترحات (التي حملها فانس من القاهرة) فسيكون هناك سلام على ما نفترض · اما اذا لم يفعلوا ذلك فاني بصراحة لا اعرف ما سيحدث » ·

كذلك اعلن الناطق باسم الخارجية الاميركية انه « لا يوجد اي تفكير حتى الآن في العودة الى مؤتمر قمة آخر » ، وان البيت الابيض لا يعرف ما ستكون الخطوة التالية او ما يجب ان تكون اذا لم تتحرك اسرائيل لانهاء مأزق المفاوضات ·

لم يكن قد بقي شيء يزيد التأكيد بأن اسرائيل قد فضلت البقاء على موقفها من نقطتي الخلاف : الربط والتزامات مصر العربية ، وان مهمة فانس انتهت بالفشل ، وانتهى كل امل راود اي من الاطراف في ان يتم توقيع المعاهدة في الموعد المحدد ·

الا ان القرار الذي اعلنه مجلس الوزراء الاسرائيلي في اليوم التالي (١٢/١٥) برفض « الافكار الجديدة » التي حملها فانس من القاهرة الى تل ابيب كان بمثابة اول تصدع من الداخل في البنيان الذي شيد في « كامب ديفيد »· لقد اعلن بيغن ان مجلس الوزراء الاسرائيلي رفض المقترحات الجديدة ، وان اسرائيل مستعدة للتوقيع على مسودة المعاهدة بصورتها التي اعدت في « بلير هاوس » ، وان مسؤولية الفشل في التوقيع على المعاهدة تقع على عاتق مصر· وان اسرائيل « ترفض كل المقترحات الجديدة ، وكذلك التفسير الاميركي لها »·

واوضح بيغن ان « مصر تقدمت بمطالب جديدة لا يمكن لاسرائيل القبول بها ، وهي ارجاء العلاقات الدبلوماسية بين مصر واسرائيل الى ما بعد اقامة الحكم الذاتي في الضفة الغربية وغزة ، واعادة النظر في معاهدة السلام خلال خمس سنوات ، وتعديل مادة تعطي المعاهدة المصرية ـ الاسرائيلية اولوية على التزامات مصر السابقة نحو الدول العربية ، وتحديد موعد لاقامة هيئات الحكم الذاتي في المناطق المحتلة ·

وتحدث بيغن عن الموقف الاميركي فقال انه كان موقفا منحازا ومرهقا · واضاف « ان لاسرائيل دورا مركزيا في حماية مصالح العالم الحر · واني لعلى ثقة من ان الولايات المتحدة ستفهم هذا وتبذل كل ما في وسعها لتعزيز موقفنا » ·

واكد ان الرفض الاسرائيلي اتخذ بالاجماع بموافقة جميع الوزراء ·

وصرح وزير الخارجية ـ ايان بقوله : « في التحليل الاخير لا اعتقد انهم (الاميركيون) سيفرضون تسوية على

اسرائيل ، اذ انه من المستحيل فرض اي شيء على اسرائيل » ٠

وقد كان تصريح دايان بمثابة استباق او استجلاب لردود الفعل ضد اي مبادرة للضغط على اسرائيل من جانب الادارة الاميركية ٠ وقد اثمر تصريحه فعلا ، اذ لم يلبث « مسؤول اميركي كبير » (يعتقد انه فانس نفسه) اعلن ان قرار استدعاء فانس للعودة الى واشنطن « لا يعني انه شكل من اشكال توجيه الضغط على اسرائيل » ٠

وساعد على استصدار التصريحات النافية لامكان حدوث ضغط اميركي على اسرائيل ما قاله السناتور بيرد امام مجلس الشيوخ اثر عودته من جولة في الشرق الاوسط (١٢/١٣) ، من ان الكونغرس لن يوافق على مساعدة الولايات المتحدة لاسرائيل الا في حال وقف اسرائيل الاستيطان ٠ اذ لم يلبث الناطق باسم الخارجية الاميركية هودينغ كارتر أن صرح في مساء اليوم نفسه بأن مساعدة الولايات المتحدة لاسرائيل غير مرتبطة بمشكلة المستوطنات ولا هي مشروطة بهذه المسألة٠ وقال ان السناتور بيرد توقف عن كونه مبعوثا للرئيس كارتر اثر عودته من الشرق الاوسط ٠ واضاف المتحدث انه منذ ٣٠ سنة والولايات المتحدة تتعهد بشكل اساسي الاحتياجات الامنية الاسرائيلية ، وهذا التعهد قائم بحد ذاته ٠

وجاءت تصريحات الرئيس كارتر (١٢/١٥) تعقيبا على فشل مهمة فانس اكثر ليونة بكثير من لهجته قبل اسبوع واحد ٠ فقد قال « توصلنا مع الرئيس السادات الى موافقة من جانبه على نص المعاهدة وان المسائل المعلقة المتبقية ستستكمل على وجه السرعة » ٠ وقال « ان واحدة من المسائل المهمة هي ما اذا كان من الضروري اولا وضع هدف بمطلب نهائي دون ان يحدد بضرورة تشكيل حكم ذاتي في الضفة الغربية وغزة بحلول نهاية عام ١٩٧٩ » ٠ واضاف : « انني شخصيا لا ارى كيف يمكن ان ينطوي ذلك على صعوبة للاسرائيليين خاصة وانه ليس امرا ملزما ، بل مجرد هدف يسعى اليه » ٠ وقال ان مسألة عقد مؤتمر قمة ثلاثي مرة اخرى هي احتمال قائم دائما ٠ « ولكن ذلك لن يكون الامر الذي افضله ، وانني بالتأكيد لن تكون لدي اعتراضات وسوف اشجع على عقد اجتماع بين الرئيس السادات ومناحم بيغن معا في اي وقت ٠٠٠ غير انني اعتقد بالنسبة لهما ان اعتزام الحضور الى هنا في اي وقت في المستقبل قد يكون خطأ لان لدي مشكلات دولية ملحة ٠٠٠ لقد وضعنا في الحقيقة قدرا غير عادي من الوقت والجهد في الشرق الاوسط ، انني لا استطيع اهمال مشكلات اخرى من اجل تحقيق هذا الهدف » ٠

وقد سئل كارتر عما اذا كان سيعيد تقييم السياسة الاميركية ازاء اسرائيل ، فأجاب : « لا ٠ ان سياستنا مع اسرائيل ومع الشرق الاوسط تقوم على ان امن اسرائيل امر حيوي للغاية وقدرتها على حماية ذاتها بصورة كافية وقدرة الشعب الاسرائيلي على العيش بسلام تعد امرا مهما جدا قبل اي شيء اخر يتعلق بالشرق الاوسط » ٠

واكد كارتر ان تصريحات بيرد لم تكن بتوجيه منه ، وان بيرد انما كان يتحدث « بصفته الشخصية » ٠

وتصريحات كارتر هذه تسد المنافذ تماما على التفسيرات ، التي شرعت بعد فشل مهمة فانس ، تسجل نجاح « الدبلوماسية المصرية » في خلق التناقض بين مواقف اسرائيل واميركا ٠٠ وتصوير هذا « التناقض » الزائف بأنه سينتهي الى ضغط اميركي يحطم ضلوع اسرائيل ! ٠٠

فلسطين في الامم المتحدة

بدأت الجمعية العامة للامم المتحدة مناقشتها للمسألة الفلسطينية (١٢/٥) في وقت تصادف مع ردود الفعل التي

نشأت عن حملة نسف منازل ابناء الشعب الفلسطيني التي قامت بها سلطات العدو الصهيوني في الاراضي العربية المحتلة ٠ ولهذا فان مذكرة رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، ياسر عرفات ، الى الامين العام للامم المتحدة كورت فالدهايم ضد هذه الحملة قد عممت على وفود الدول الاعضاء مع بداية مناقشة الجمعية العامة للقضية ٠

وفي اليوم التالي للمناقشة (١٢/٦) وافقت الجمعية العامة بأغلبية ١٠٠ صوت ضد ٤ (الولايات المتحدة واسرائيل وكندا وغواتيمالا) على قرار يندد باستمرار احتلال اسرائيل للاراضي الفلسطينية والعربية الاخرى ٠ ونص القرار على « ان السلام (في الشرق الاوسط) غير قابل للقسمة ، ويجب ان يستند الى تسوية شاملة في مؤتمر جنيف وباشتراك كامل من منظمة التحرير الفلسطينية » ٠ ونص كذلك على انه « طالما لم تجل اسرائيل عن جميع الاراضي الفلسطينية والاراضي العربية الاخرى ، ولم يحصل الشعب الفلسطيني على حقوقه الوطنية الثابتة ولم يتمكن من ممارستها ، فلن يتحقق اي سلام شامل وعادل ودائم »٠

ودعا القرار بالحاح جميع الاطراف المعنية للعمل على تحقيق تسوية شاملة لجميع جوانب المشكلة ٠ وهي اشارة واضحة الى ان تسوية « كامب ديفيد » ليست هي التسوية الشاملة التي يمكن ان تحقق سلاما عادلا ودائما ٠

واتخذت الجمعية العامة في الوقت نفسه ، قرارا اخر ، يتعلق بالتحديد بـ « المسألة الفلسطينية » ، ويرتكز على مناصرة « الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني بما في ذلك حقه في العودة وحقه في الاستقلال والسيادة الوطنية »٠ ونص على ضرورة اشتراك منظمة التحرير الفلسطينية في كل الجهود التي تبذل تحت رعاية الامم المتحدة والخاصة بالشرق الاوسط ٠ ونص القرار في هذا الصدد على ان « اية حلول لمشكلة فلسطين يجب ان تتم في اطار الامم المتحدة » ٠

والملاحظ ان الولايات المتحدة اتخذت موقفا هجوميا عنيفا ضد القرارين ، في الوقت الذي كانت تواصل فيه دورها بالنسبة للتسوية المصرية ـ الاسرائيلية بالزعم بأنها تهدف من ورائها الى تسوية شاملة ٠ وعلى الرغم من ان المندوب الاميركي في الامم المتحدة دافع ـ اثناء مناقشات الجمعية العامة ـ عن اتفاقات « كامب ديفيد » ، وذهب الى حد القول بأن هذه الاتفاقات بالنسبة للفلسطينيين « تتضمن حلا يعترف بحقوقهم المشروعة ومطالبهم العادلة ، ويتيح لهم حق المشاركة في تقرير مستقبلهم عن طريق المفاوضات التي تهدف الى حل المشكلة الفلسطينية من جميع جوانبها » ٠

كما يجدر بالملاحظة ان القرارين المذكورين للجمعية العامة ، والاعتراض الاميركي الحاد عليهما ، جاءا بعد ايام قليلة من احتفال الامم المتحدة باليوم العالمي للتضامن مع الشعب الفلسطيني (١١/٢٩) ، واعتراض الولايات المتحدة ايضا على هذا الاحتفال ، فان الولايات المتحدة قاطعت الاحتفال ، وقدمت « مذكرة احتجاج شديدة اللهجة الى امين عام الامم المتحدة على اقامة هذا الاحتفال » ٠

وقال هودنغ كارتر المتحدث باسم وزارة الخارجية الاميركية « ان هذا الاحتفال ينطلق من روح المواجهة ، ولا يساعد في البحث عن حل عادل للنزاع في الشرق الاوسط » ٠ (١١/٣٠) ٠

واوضح الناطق ان الرئيس الاميركي طلب من اندرو يونغ، رئيس الوفد الاميركي في المنظمة الدولية ، القيام ببعض المساعي لدى فالدهايم « لوضع حد لنشاطات اللجنة الخاصة بحقوق الفلسطينيين الثابتة ، المسؤولة عن تنظيم الاحتفالات بيوم التضامن » ٠

ولم يكن هذا الموقف الاميركي مختلفا كثيرا عن موقف اسرائيل التي احتج مندوبها في الامم المتحدة على الاحتفال ، واعلن ان الامم المتحدة بهذا « تمجد منظمة ارهابية » ، وان الاحتفال « يستهدف تدمير دولة عضوة في الامم المتحدة (اسرائيل) وان ذلك يعد خرقا لميثاق الامم المتحدة » ٠

وفي ١٢/١٥ اتخذت الجمعية العامة للامم المتحدة (اللجنة السياسية) ، قرارا اخر ، يدعو مجلس الامن لفرض حظر اجباري على امداد اسرائيل بالاسلحة ، او اية تجهيزات او مواد او تكنولوجيا نووية ٠ وعبر القرار عن « القلق العميق ازاء التزايد السريع والمستمر للقدرة العسكرية الاسرائيلية ، والجهود التي تبذلها اسرائيل من اجل الحصول على اسلحة ذرية ، واستخدام اسرائيل للقنابل العنقودية ضد مخيمات اللاجئين وضد الاهداف المدنية في جنوب لبنان» ٠ واعتبر القرار ان هذا التزايد في مقدرة اسرائيل العسكرية « يشكل تهديدا للسلام والامن الدوليين » ٠

وادان القرار اسرائيل لتكثيف تعاونها العسكري مع جنوب افريقيا ٠

وقد حصل القرار على موافقة ٧٢ دولة ومعارضة ٣٠، وامتناع ٣٧ عن التصويت٠ واخفقت الولايات المتحدة في الحصول على اغلبية لاقتراح تقدمت به يعتبر مسألة فرض الحظر من « المسائل المهمة » التي تستلزم الموافقة عليها الحصول على اغلبية ثلثي اعضاء الجمعية العامة الحاضرين ٠

وقد تابعت الولايات المتحدة حربها الدبلوماسية ضد قضية الشعب الفلسطيني على الصعيد الدولي في مجال اخر ٠ ففي رسالة من جيمس ليونارد المندوب الاميركي لدى وكالة التنمية الدولية التابعة للامم المتحدة (١٢/١١) هددت الولايات المتحدة بالتوقف عن المساهمة المالية (١١٥ مليون دولار) في برنامج التنمية التابع للامم المتحدة الذي تتولى تنفيذه هذه الوكالة ، اذا اتخذت قرارا بتقديم مساعدة الى الفلسطينيين ٠ واعرب المندوب الاميركي في رسالته عن اعتقاد حكومته بأن من شأن خطوة كهذه ان تؤدي الى وصول اموال الى منظمة التحرير الفلسطينية ٠ وقال ان مثل هذا القرار « محاولة غير مقبولة كليا لتسييس مساعدات الامم المتحدة وخاصة برنامج التنمية ٠٠٠ » ٠ وقال : « اود ان اكون واضحا تماما ٠ لن تقوم الولايات المتحدة بأية برامج طوعية تابعة للأمم المتحدة اذا كانت منظمة التحرير الفلسطينية هي التي ستحصل على المساعدات ، فمنظمة التحرير ليست عضوا في الامم المتحدة ، كما انها ليست وكالة متخصصة » ٠

وعلى الرغم من جسامة هذا التهديد الاميركي فان اللجنة الاقتصادية والمالية التابعة للجمعية العامة للامم المتحدة ، وافقت (١٢/١٣) على قرار يدعو برنامج الامم المتحدة للتنمية وسائر الوكالات الدولية الى تكثيف جهودها « من اجل تحسين الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية للشعب الفلسطيني ، وباقامة مشروعات محددة تخدم هذه الغاية ، دون المساس بسيادة البلدان العربية المضيفة ، والى تقديم اموال كافية لخدمة هذه الاهداف »٠

ووافقت اللجنة في هذا القرار على اقتراحات سابقة للمجلس الاقتصادي والاجتماعي للامم المتحدة طلبت بشكل محدد من وكالات المنظمة الدولية « التشاور والتعاون مع منظمة التحرير الفلسطينية في اقامة مشروعات المساعدة للفلسطينيين »٠

وقد تمت الموافقة على القرار بأغلبية ٩٣ صوتا ، ضد خمسة اصوات (الولايات المتحدة ، اسرائيل ، كندا ، مالاوي ، استراليا) ٠

وخارج الاطار الرسمي للدبلوماسية الاميركية ، واصلت الولايات المتحدة حربها الاعلامية ضد القضية الفلسطينية ، وبصورة اخص ضد منظمة التحرير

الفلسطينية · وجدت مناسبة لذلك حتى في مذبحة غويانا التي عرفت بحادث الانتحار الجماعي لجماعة « معبد الشعب » في مدينة « جونز تاون » في غويانا · فقد نسبت صحيفة « نيويورك تايمز » الاميركية (٢١/٣) الى محام يدعى تيموثي ستوين ـ محامي جيم جونز الزعيم الاميركي لتلك الجماعة ـ الزعم بانه كان لجونز علاقة مع منظمة التحرير الفلسطينية · ونسبت اليه تصريحا يقول فيه ان جيم جونز اشار عليه قبل موته ان يحول هذه الحسابات الى منظمة التحرير الفلسطينية ··· وربما فعل ذلك بنفسه قبل موته ·

على ان هذا الربط بين الجماعة المنتحرة وقوى سياسية خارجية قد شمل ـ في روايات الاعلام الاميركي ـ الى جانب منظمة التحرير الفلسطينية ، كلا من الاتحاد السوفياتي وكوبا وسوريا ايضا !

جائزة نوبل
·· ومظاهرة تاييد لفلسطين

تحولت مناسبة تسليم نصفي جائزة نوبل (١٢/١٠) الى مناحيم بيغن وممثل السادات (سيد مرعي) الى مظاهرة تأييد للقضية الفلسطينية · ولم تنعكس المظاهرة فقط في النشاط التظاهري الذي قام به مؤيدو القضية ، انما انعكست بدرجة كبيرة ، في اجراءات الامن التي لم يسبق لها مثيل من جانب الحكومة النروجية لحماية بيغن وممثل السادات ·

لقد اضطرت السلطات النروجية الى نقل مقر احتفال التسليم لاول مرة في تاريخ الجائزة من جامعة اوسلو الى قلعة قديمة (اكرشوس) تطل على مدخل مرفأ العاصمة « خشية تعريض حياة بيغن لاي خطر » · ونقل بيغن فعلا بطائرة هليكوبتر من مطار اوسلو الى القلعة ·

في هذا الوقت كانت مجموعات من الشباب المحتجين على تقديم الجائزة للارهابي بيغن ، والمؤيدين للقضية الفلسطينية ، قد ربطوا انفسهم بالسلاسل الى مدخل القلعة وارتدوا الكوفيات الفلسطينية ولطخوا انفسهم بلون الدم · واطلق فريق اخر من المتظاهرين في منطقة القلعة بالونات تحمل اعلام فلسطين ·

وفيما كانت الجائزة تقدم داخل القلعة، كان مئات المتظاهرين يلوحون بالاعلام الفلسطينية ويرددون « بيغن ارهابي » ·

وفي وسط اوسلو سارت مظاهرة ضخمة من عدة الاف ـ في درجة حرارة دون الصفر ـ تأييدا للثورة الفلسطينية ·

في اليوم التالي (١٢/١١) احتجت السفارة الاسرائيلية في اوسلو لدى حكومة النروج على بيان اصدره المتحدث باسم وزارة الخارجية النروجية ، بشأن مظاهرات التأييد للقضية الفلسطينية والاحتجاجات على منح جائزة نوبل لبيغن ، وكان من بينها احتجاجات من مسؤولين نروجيين ·

انتفاضة ايران

فيما اشتدت مظاهر الثورة الشعبية العارمة ضد شاه ايران ونظامه ، كانت انعكاسات التوقعات بسقوط هذا النظام وما تعنيه هذه التوقعات بالنسبة لواقع المنطقة وتطوراتها تجد بعدا يتعلق بالصراع العربي ـ الاسرائيلي في هذه التطورات ·

في حديث ادلى به ريتشارد هيلمز المدير الاسبق لوكالة الاستخبارات المركزية الاميركية (سي· اي·اي·) والسفير السابق للولايات المتحدة في طهران (٧٣ ـ ١٩٧٦) لمجلة « تايم » الاميركية (١٢/١٨) قال هيلمز : « ليست المصالح الاميركية والبريطانية والالمانية الغربية والفرنسية فقط هي المعرضة للخطر في ايران ، فالاسرائيليون ايضا لهم مصلحة ضخمة في ايران ونفطها · ومن المؤكد انهم يمكن ان يجدوا طريقة ما لمساعدة

الشاه » . كما قال هيلمز « ان المشكلة الحالية في ايران تقزم الى جانبها كل اعتبارات السياسة الخارجية الاخرى في الوقت الحاضر ، بما في ذلك مسألة التوصل الى اتفاق نهائي على معاهدة سلام مصرية ـ اسرائيلية » .

ويعد هذا الربط بين احداث ايران والعقبات التي تواجه محاولات التوصل الى « معاهدة سلام » مصرية ـ اسرائيلية ذا مغزى ، تدل عليه دعوة هيلمز المكشوفة لان يعهد الى اسرائيل بدور لمساعدة شاه ايران ضد الثورة الشعبية « بطريقة ما » .

في الوقت نفسه قالت صحيفة « فرانكفورتر الجمانيه » الالمانية الغربية (١٢/٩) ان اوساط الاقلية اليهودية في طهران بدأت تتحرك لدعم موقف الشاه ومناهضة المعارضة . وان بعض زعماء اليهود يتهمون اية الله الخميني الزعيم الروحي والسياسي للمعارضة الشعبية الايرانية ، بـ « اللاسامية » . وان المخاوف بدأت تنتاب الاقلية اليهودية في ايران (وهي اكبر اقلية يهودية في الشرق الاوسط واسيا كلها) حول مستقبلها . ونقلت الصحيفة الالمانية الغربية عن « مصادر مقربة من الوكالة اليهودية » ان اسرائيل بدأت تعد العدة لاجلاء الاف اليهود الذين يرغبون في مغادرة ايران ، وزادت بشكل ملحوظ مبعوثيها الى المدن الايرانية التي تتواجد فيها جاليات يهودية كبيرة .

وقد اعلن اية الله الخميني في باريس (١٢/١١) انه اذا عزل الشاه واقيمت في ايران الجمهورية الاسلامية فانها ستقطع العلاقات مع اسرائيل . وقال :« ان اسرائيل هي عدوتنا ، ولن تحصل منا على نفط ايراني » .

ويلاحظ ان اذاعة اسرائيل حرصت على اذاعة تصريح الخميني هذا بالتحديد وتكراره في نشراتها الاخبارية .

س.ك.

قضايا عسكرية

صفقات جديدة من الذخائر الهجومية لاسرائيل

تستمر الولايات المتحدة الاميركية في تزويد اسرائيل بمزيد من الاسلحة والذخائر ، خاصة المتطورة منها وذات الصفة الهجومية ، رغم كل ما يبدو على السطح الديبلوماسي الخارجي من خلافات في الرأي بين الدولتين حول عقد اتفاقية الصلح بين مصر واسرائيل .

فقد نشرت مجلة « انترناشيونال ديفنس ريفيو » (المجلة الدفاعية الدولية) في عددها الصادر في أيلول (سبتمبر) ١٩٧٨ ، اخبار صفقات جديدة عدة عقدت مؤخرا بين الولايات المتحدة واسرائيل تضمنت النوعيات والكميات التالية من الاسلحة والذخائر .

□ صفقة قيمتها نحو ٣٦ر٤ مليون دولار تشمل ١٠٠ قنبلة منزلقة من طراز « وول اي مارك ١ » ، و ١٠٠ قنبلة اخرى من الطراز نفسه ، ولكن من نوع « مارك ٢ » ذات المدى الابعد والاكثر دقة في التوجيه . وكلا النوعين حصل السلاح

الجوي الاسرائيلي من قبل على كميات منهما مماثلة تقريبا ، في السنوات التي اعقبت حرب ٧٣ والتي شهدت تدفقا هائلا من الاسلحة المتطورة الاميركية على الترسانة العسكرية الاسرائيلية ، خاصة الجوية منها ، ليكون السلاح الجوي الاسرائيلي اكثر قدرة على التغلب على الاسلحة الدفاعية العربية المضادة للطائرات والمضادة للدبابات ٠

والنوع الاول من هذه القنابل المنزلقة (وهي قنابل مزودة بأجنحة صغيرةوزعانف تجعلها تهبط ببطء سابحة في الجو نحو الهدف ، بواسطة توجيه تختلف وسائله من حيث نوعية تطوره) يبلغ وزنه ٤٩٩ كلغ ، وطوله ٣٤٤ سم وقطره ٣٨سم، ويتم توجيهه بواسطة كاميرا تليفزيونية مثبتة في مقدمة القنبلة ، تنقل صورة الهدف الى شاشة خاصة بمقصورة الطيار ومن ثم يوجهها نحوه حتى تصيبه ٠ وقد دخل هذا النوع من القنابل المنزلقة الخدمة بالسلاح الجوي الاميركي عام ٦٧ ، واستخدم خلال الحرب الفيتنامية ضد الاهداف الحيوية ، مثل بطاريات الصواريخ المضادة للطائرات والمصانع والجسور الخ ٠ أما النوع الثاني من القنابل المذكورة والمسمى « مارك ٢ » فيبلغ وزنه ١٠٦١ كلغ منها ٩٠٧ كلغ من المتفجرات ، وطوله ٤٠٤ سم وقطره ٤٥ر٧ سم ، ويوجه ايضا بكاميرا تليفزيونية ، ولكنه يختلف عن النوع الاول من حيث وجود جهاز الكتروني به يسمح للطيار بتثبيت صورة الهدف فيذاكرة الحاسب الالكتروني الملحق بالكاميرا ، ثم يبتعد بطائرته عن منطقة الهدف مناورا ضد الاسلحة الارضية المضادة للطائرات ، تاركا القنبلة متجهة بمفردها نحو الهدف ولكن مع استمرار رؤيتها على الشاشة الخاصة بالمتابعة الموجودة في مقصورته ٠ ومن الواضح ان النوع الاخير المذكور مقصود به تقليل درجة المخاطر التي تتعرض لها الطائرة نسبيا ، كما ان ثقل كمية المتفجرات الموجودة توضح ان هذه القنابل مخصصة للتعامل مع الاهداف الحيوية مثل بطاريات الصواريخ والجسور والمطارات ٠

وكلا النوعين يضمنان للطيار قدرة نسبية افضل في اصابة الاهداف المحمية حماية قوية بالدفاعات المضادة للطائرات، في حالة عدم تعرض الطائرة للاصابة من مسافة بعيدة نسبيا عن الهدف ٠

□ والصفقة الثانية التي عقدتها اسرائيل مع الولايات المتحدة ، تتعلق بنوع آخر من القنابل المنزلقة ، يسمى « ج ب يو ـ ١٥ » ذات التوجيه البصري الالكتروني مع توابعها من قطع الغيار واجهزة الاشغال والتوجيه الخ ، وتبلغ كميتها ١٠٠ قنبلة ، قيمتها مع توابعها المذكورة نحو ١٩ر٦ مليون دولار ٠ وستكون هذه الصفقة هي الثانية بعد الصفقة الاولى التي عقدت عام ٧٤وشملت ٢٠٠ قنبلة ٠ ويبلغ وزن المتفجرات التي توجد في كل قنبلة من النوع المذكور ٩٠٠ كلغ ٠ ويجري توجيه القنبلة نحو الهدف بواسطة كاميرا تليفزيونية مركبة في مقدمتها متصلة بجهاز نقل المعلومات ،الذي ينقل الى الطيار صور الهدف ، فيقوم بتوجيه القنبلة بصريا بالوسائل الالكترونية ٠ وهناك نوعان من هذه القنابل ، احدهما مصمم للاستخدام من ارتفاع كبير ، ولذلك فهو مزود باجنحة مستوية ٠ والثاني مخصص للاستخدام من ارتفاعات منخفضة او متوسطة ولذلك فهو مزود باجنحة صليبية الشكل ، والنوع الاخير هو الذي اشترته اسرائيل مؤخرا نظرا لانه يلائم تكتيكاتها الهجومية الجوية ، من حيث غلبة الطيران المنخفض او المتوسط عليها ، وندرة الطيران المرتفع بها ٠ وهناك طريقتان لاطلاق القنابل من النوع الثاني ، اي ذات الاجنحة الصليبية الشكل ، احداهما طريقة المسار المباشر التي يتم خلالها تحديد الهدف

وتوجيه القنبلة قبل اطلاقها ، حيث تطير سابحة على خط قريب من خط رؤية الشخص الموجه · والطريقة الثانية تعرف باسم طريقة المسار غير المباشر ، حيث يتم توجيه القنبلة نحو الهدف بعد اطلاقها من الطائرة المهاجمة بواسطة جهاز ربط او نقل المعلومات العامل بين الطائرة والقنبلة ، اي بين الكاميرا التليفزيونية الموجودة في مقدمة القنبلة والشاشة الموجودة في مقصورة الطيار ويجري التوجيه اثناء مسار القنبلة يدويا من واقع الرؤية البصرية ، او بضبط وتثبيت صورة الهدف وترك ذاكرة الحاسب الالكتروني توجهها ، ومن ثم يمكن للطائرة ان تبتعد عن منطقة الهدف · وتجري حاليا في الولايات المتحدة تطويرات على هذه القنابل بحيث تكون اجهزة ربط ونقل المعلومات الخاصة بها اكثر قدرة في المستقبل على مقاومة وسائل التشويش الالكتروني المضاد ، وليمكن ايضا توجيهها بالاشعة تحت الحمراء حتى يمكن استخدامها خلال الليل او في ظروف الرؤية الجوية الصعبة (ضباب وخلافه)، اذ ان طريقة التوجيه البصري الالكتروني لا تصلح الا نهارا وفي ظروف الرؤية الجيدة ·

□ والصفقة الثالثة ، ضمن الصفقات المذكورة آنفا ، تتعلق بشراء اسرائيل لمائتي صاروخ جو ـ ارض (يختلف الصاروخ عن القنبلة المنزلقة الموجهة بان له محرك دفع خاص به يزيد من مداه عن القنبلة) من طراز « شرايك » المضاد لاجهزة الرادار الارضية العاملة مع بطاريات الصواريخ المضادة للطائرات ، وذلك بهدف تدميرها وتعطيل فاعلية الصواريخ م/ط ·

والـ ٢٠٠ صاروخ « شرايك » الجديدة، التي تضمنتها الصفقة الاميركية ، الاسرائيلية الاخيرة ، تضم ١٠٠ صاروخ من نوع « أ ج م ـ ١٤٥ ـ ٩ » و ١٠٠ اخرى من نوع « أ ج م ـ ١٤٥ ـ ١٠ » ، وكلا النوعين تطوير للصاروخ « شرايك » القديم ، الذي حمل الارقام من ١ الى ٨، والتي كانت عرضة لوسائل التشويش الالكتروني السابقة وتتعطل قدرتها على متابعة البحث والتوجيه نحو مصدر الذبذبات الرادارية الارضية ، نتيجة لتوقف الرادار الارضي عن البث مثلا او تغييره للموجة التي يعمل عليها · وقد استخدمت الانواع الاولى من صواريخ « شرايك » حتى الرقم ٦ خلال الحرب الفيتنامية ، وكذلك خلال حرب الاستنزاف المصرية عام ١٩٧٠ ضد رادارات بطاريات صواريخ « سام ـ ٢ » و « سام ـ ٣ » · ولكنها لم تكن فعالة بالدرجة المطلوبة نظرا لنجاح الوسائل الالكترونية المضادة لها، او لمجرد أقفال الرادار الارضي الذي يكون رادار الصاروخ « شرايك » قد التقط ذبذباته وتوجه نحو مصدرها · أما الانواع الحديثة من « شرايك » فقد زودت بذاكرة الكترونية يتم تثبيت احداثيات الرادار المعادي بها فور التقاطها والمضي نحوه بغض النظر عن ايقاف الرادار من عدمه، حتى لا يطيش الصاروخ عن الهدف ، والمفروض فيها ايضا انها ذات قدرة افضل على التعامل مع الرادارات ذات الموجات المتغيرة · ولكن رادارات صواريخ « سام ـ ٦ » ذات الموجات الثلاثة المتتابعة التغير اثناء انطلاق الصاروخ ، قادرة على الاستمرار في توجيه الصاروخ « سام ـ ٦ » نحو هدفه وتشويش اتجاه صاروخ « شرايك » نحوها في الوقت ذاته ، وعموما فان اجهزة الرادار الحديثة ، ومن ضمنها الاجهزة السوفييتية تزود حاليا بشاشات خاصة توضح لها ما اذا كانت ذبذبات موجات رادارها قد التقطها رادار صاروخ معاد ام لا من مسافة كافية لاتخاذ اجراءات مضادة ، تشمل سرعة تحريك جهاز الرادار نفسه (بحكم انه يكون مركب على آلية ذات محرك دائر طوال وقت التشغيل القتالي) ، او اقفال الارسال او سرعة تغيير الموجات

الخ · وتلك قصة طويلة من قصص الحرب الالكترونية المستمرة من دون توقف ، منذ الحرب العالمية الثانية ، اي منذ ان استخدم البريطانيون الرادار لاول مرة عام ١٩٤٠ في نظام دفاعهم الجوي ·

هذا ، ومن المعروف ان صاروخ « شرايك » يبلغ طوله ٣٠٤ر٨ سم وقطره ٢٠ سم ووزنه ١٧٧ كلغ ، من ضمنها متفجرات تزن ٦٦ كلغ ، وسرعة الصاروخ ٢ ماك ، اي ضعف سرعة الصوت ، ومداه نحو ١٦ كلم · وتستخدمه طائرات «الفانتوم » و « سكاي هوك » و « كفير » الاسرائيلية ، في محاولاتها اسكات بطاريات الصواريخ المضادة للطائرات الموجودة لدى اجهزة الدفاع الجوي العربي ، التي اثبتت فاعلية كبيرة في حرب ١٩٧٣ ·

☐ اما الصفقة الرابعة فتتألف من ١٧٠ صاروخا جو ـ جو بعيدة المدى من طراز « أ يم ـ ٧ ف سبارو » تبلغ قيمتها ٢٤ر٢ مليون دولار · ويبلغ طول الصاروخ المذكور ٣ر٦٥ وقطره ٢٠ سم ووزنه ٢٠٠ كلم من ضمنها رأس متفجر وزنه ٣٠ كلغ ، ويستخدم في توجيهه الرادار نصف النشط (Semi — Radar Guidance) ويبلغ مداه نحو ٢٥ كلم · وهو تطوير للانواع السابقة من صواريخ « سبارو » من حيث تحسين التوجيه الراداري وقوة التأثير عند الاصابة والقدرة على المناورة ضد مناورات الطائرات التي لا تزيد قدرتها على المناورة عن ٧ اضعاف قوة الجاذبية الارضية ، وهذا معناه انه غير ملائم لمواجهة مناورات « الميغ ـ ٢٣) مثلا التي تستطيع ان تناور بقوة ٧ر٥ جاذبية ارضية · الا ان احدى مزايا الصاروخ الجديد انه يستطيع التوجه نحو طائرات تحلق اسفل الطائرة التي اطلقته ·

وعموما فأن هذه الصفقة تعني ان الطيران الاسرائيلي يسعى لزيادة قدرته على الاعتراض الجوي بعيد المدى ضد المقاتلات العربية الحديثة · وتستخدم طائرات « الفانتوم » وطائرات « ف ـ ١٥ » الاسرائيلية الصاروخ « سبارو » نظرا لامتلاكها رادارا كبيرا نسبيا قادرا على توجيهه الى المدى البعيد نسبيا (٢٥ كلم) ·

☐ والصفقة الخامسة ، والاخيرة ،التي اشارت اليها المجلة العسكرية المذكورة ، هي كمية جديدة من القذائف شديدة الانفجار الخاصة بمدافع الهاوتزر بعيدة المدى وذاتية الحركة الاميركية الصنع من طراز « م ـ ١٠٧ » عيار ١٧٥ مم ، التي يبلغ وزن الواحدة منها ٦٦ر٦ كلغ ، ويصل مداها الاقصى الى نحو ٣٢ر٦ كلم · وتبلغ قيمة الصفقة ١٤ر٢ مليون دولار · ومن المعروف ان الجيش الاسرائيلي استخدم هذه المدافع خلال حرب ٧٣ ، وقد دمرت بطارية منها في ضربة الطيران المصري الاولى يوم ٦/١٠ قرب القناة · كما استخدمها مرارا في قصف مدن وقرى الجنوب اللبناني ، خاصة خلال الهجوم الشامل الذي شنه في اذار (مارس) ١٩٧٨ · ومن المعروف ايضا ان لدى الجيش الاسرائيلي نحو ٦٠ مدفعا من النوع المذكور ، وان هناك عددا آخر متعاقد على توريده مع الولايات المتحدة لزيادة قدرة سلاح المدفعية الاسرائيلي على الرمي بعيد المدى · والمدفع « م ـ ١٠٧ » عيار ١٧٥ مم مركب على شاسيه دبابة ويبلغ وزنه الاجمالي ٢٨ طنا ، وسرعة سيره على الطرق ٥٦ كلم /ساعة، ومدى سيره على الطرق ٧٢٥ كلم بدون تزود جديد بالوقود ، ويتألف طاقمه من ٥ افراد ، وتتبعه عربة ذخيرة مماثلة في صفاتها وقدرات سيرها للمدفع ذاته · وتؤكد لنا نوعية وكمية هذه الذخائر دقيقة التصويب (القنابل المنزلقة الموجهة وصواريخ « شرايك ») ، وقذائف المدفعية الثقيلة بعيدة المدى ، التي تعاقدت عليها اسرائيل مع الولايات المتحدة أن الدولة

الصهيونية ماضية في شحن ترسانة اسلحتها الهجومية بسرعة وجدية تأهبا لضربتها « الوقائية » ، اي هجومها المضاد المسبق ، الذي تعد لتنفيذه ضد الجبهة الشمالية والجبهة الشرقية حال توصلها الى صلح منفرد مع مصر يسمح لها بحرية الحركة ضد الجبهات المذكورة ·

البحرية الاسرائيلية تدعم قوتها الضاربة ·

ذكرت موسوعة « جينز » للبحرية ، التي تصدر في بريطانيا سنويا ، في كتابها الجديد الصادر عن عام ١٩٧٩ ، ان البحرية الاسرائيلية طورت تسليح زوارقها الصاروخية من طراز « ريشيف » ، التي يوجد منها لديها ما بين ٦ و ٨ زوارق ، بحيث اصبح يشتمل على ٤ صواريخ سطح ـ سطح من طراز « هاربون » الاميركي الصنع ، فضلا عن الصواريخ السبعة الاصلية من طراز « غابرئيل » المطور ، والمدفعين الآليين « اوتو ميلارا » عيار ٧٦ مم والرشاشين من طراز « اورليكون » عيار ٢٠ مم · والمعروف ان هذه الزوارق تشكل القوة الضاربة الرئيسية في البحرية الاسرائيلية ، بالاضافة الى الاثني عشر زورقا من طراز « ساعر » · ويبلغ وزن الزورق فئة « ريشيف » بحمولة كاملة ٤٥٠ طنا ، وطوله ٥٨ مترا (٩ر٦٠ مترا في الزوارق الجديدة الزائدة عن السنة الاولى) ، وعرضه ٨ر٧ امتار وعمق غاطسه متران و ٤ر٠ ، وهو مزود باربعة محركات ديزل يبلغ اجمالي قوة دفعها ١٠٦٨٠ حصانا ، واقصى سرعة له ٣٢ عقدة (٥٩ كلم ـ ساعة) ومدى عمله بسرعة ٣٠ عقدة (أي ٦ر٥٥ كلم / ساعة) نحو ٢٤٠٠ كلم ، أما مداه في حالة السرعة الاقتصادية فيصل الى نحو ٧٢٠٠ كلم ·

والمعروف ان صواريخ « غابرئيل » السبعة التي يحملها الزورق فئة «ريشيف» هي من النوع المطور الذي يبلغ مداه نحو ٤١ كلم · واضافة ٤ صواريخ جديدة من طراز « هاربون » الى تسليح هذه الزوارق دون انقاص عدد الصواريخ « غابرئيل » او المدافع ٧٦ مم ، (وان كنا لا نعرف بدقة الكيفية التي ستوضع بها الصواريخ الجديدة على الزوارق) ، سيزيد كثيرا من قوتها النارية ويجعلها اقوى زوارق الصواريخ في العالم ، بل ربما الفرقاطات ايضا ! ذلك لان صواريخ « هاربون » ، التي حصلت اسرائيل منها على ١٠٠ صاروخ على الاقل ، يمكن ان يصل مداها الى نحو ١١٠ كلم ، وفي هذه الحالة تستخدم طائرة في تزويد الحاسب الالكتروني الخاص بالصاروخ بالمعلومات الخاصة بالهدف والارتفاع اللازم ، خلال مرحلة التوجيه الاخيرة التي تتم فيما يزيد عن مدى الافق ، بالنسبة للزورق الذي اطلقه · ويبلغ طول الصاروخ ٥٧ر٤ امتار وقطره ٣٤ سم ، ووزنه ٦٣٥ كلغ . منها ٢٢٧ وزن الرأس الشديد الانفجار ، ويتم توجيهه في المرحلة الاخيرة من رحلته بواسطة الرادار ذي الموجات المستمرة · ويمكن استخدام الصواريخ « هاربون » ليس فقط من فوق ظهر الزوارق او السفن الحربية الاخرى ،وانما ايضا بواسطةالطائرات أو من داخل الغواصات ايضا · واذا صحت معلومات موسوعة « جينز » هذه فأن الزوارق الاسرائيلية المذكورة ستكون بمثابة فرقاطات صاروخية قوية تستطيع الاشتباك بفاعلية مع اهداف بحرية تبعد عنها اكثر من ١٠٠ كلم ، واخرى تبعد عنها ٤٠ كلم، فضلا عن قدرتها على الرمي السريع بنيران المدافع من مدى يصل حتى ١٦كلم·

الامر الذي يقطع باهمية الدور الذي ستلعبه البحرية الاسرائيلية في اي حرب مقبلة ، خاصة بعد ان اصبحت تمتلك الغواصات الثلاث الحديثة من طراز « فيكرز » (والتي يمكنها أيضا استخدام صواريخ هاربون) ، وبعد ان تتسلم الـ ٢

« كورفيت » (سفينة حراسة صغيرة) الجاري بناؤهما في احواض « حيفا » ، والتي سيبلغ وزن الواحدة منها نحو ٨٥٠ طنا وستسلح بالصواريخ المختلفة والمدافع وبطائرة هليكوبتر مسلحة بالصواريخ (المضادة للغواصات غالبا)، وتعرف هذه « الكورفيت » حتى الآن بأسم « كيو ـ ٩ » · ولا شك ان ذلك كله سيزيد من حجم التحديات التي تواجهها البحريات العربية في كلا البحرين : الابيض والاحمر ·

تعديلات اسرائيلية فيطائرات «فـ١٦»

ذكر المراسل العسكري لصحيفة « جيروزاليم بوست » الاسرائيلية ، في ٧٨/١٢/١٣ ، نقلا عن مصدر وثيق الصلة بشركة ديناميكس الاميركية ، ان الطائرات المقاتلة من طراز « ف ـ ١٦ » الخمس والسبعون التي طلبت اسرائيل شراءها من الولايات المتحدة (ضمن صفقة الطائرات الثلاثية الشهيرة التي تضم ٥٠ طائرة « ف ـ ٥ اي » لمصر و ٦٠ طائرة « ف ـ ١٥ » للسعودية و ٧٥ طائرة « فـ ١٦ » و ١٥ طائرة « ف ـ ١٥ » لاسرائيل) سوف تزود باجهزة رادار وانظمة الكترونية اسرائيلية خاصة ، وان هذه التعديلات ستسمح للطائرات المذكورة باستخدام صواريخ جو ـ جو من صنع اسرائيلي · والارجح ان اسرائيل تريد من هذه التعديلات تقليل كلفة الطائرة نسبيا ، فضلا عن جعلها قادرة على استخدام صواريخها جو ـ جو قصيرة المدى من طراز « شفرير » للسبب ذاته · اذ ان الطائرة « ف ـ ١٦ » مزودة بجهاز رادار صغير نسبيا من صنع شركة « وستنغهوس » وزنة ١٢٣ كلغ يؤدي مهاما متعددة بالنسبة للبحث والمتابعة في القتال الجوي والهجوم الارضي ، ولما كانت الصناعة الجوية الاسرائيلية (شركة « التا ») تنتج بالفعل جهاز رادار مشابه من طراز « م ـ ٢٠٢١ » المتعدد المهام والبالغ وزنه مع الهوائي ١٢٠ كلغ ، فانه يكون اكثر اقتصادا استخدامه في طائرات « ف ـ ١٦ » ، خاصة وانه يستخدم على طائرات « الكفير » · وهو يستخدم في حالات الاعتراض الجوي ، والاشتباك الجوي عن قرب ، والقصف الارضي ، ويتابع تضاريس الارض ، ويقوم بالمسح الجوي · ويبحث عن هدفه تلقائيا ويعطي حاسبة الرماية معلومات عن بعد الهدف ، وهو مزود بآلة حاسبة ترقيمية ويعمل في جميع الحالات الجوية · وكان قد صمم اصلا خصيصا لطائرة « اريبه » الاسرائيلية المنوي صناعتها في المستقبل · ويمكن هذا الرادار الطائرة « ف ـ ١٦ » الاسرائيلية من استخدام صواريخ « شفرير » الاسرائيلية الصنع ، المخصصة لقتال المهارشة (القتال المتلاحم) بدلا من الصواريخ المماثلة تقريبا في القدرات من طراز « سايدوينذر » الاميركية التي تستخدمها الطائرة « ف ـ ١٦ » اصلا ·

(يبلغ مدى « شفرير » نحو ٥ كلم ويوجه بواسطة رأسه الباحث عن الاشعة تحت الحمراء) · والهدف الاسرائيلي من هذه التعديلات هو تقليل النفقات نسبيا ودعم الصناعة الجوية والالكترونية المحلية سعيا على طريق الاعتماد على الذات قدر الامكان ·

اسرائيل تبيع طائرات « نيشر » للارجنتين

قالت صحيفة « هآرتس » في ٧٨/١٢/٦ ان الارجنتين تسلمت الدفعة الاولى من صفقة تضم ٢٦ طائرة اسرائيليةالصنع من طراز « نيشر » (اي النسر) ، وتبلغ القيمة الاجمالية للصفقة ١٨٠ مليون دولار · وطائرة « نيشر » هي نسخة اسرائيلية مطابقة للطائرة الفرنسية المعروفة بأسم « ميراج ـ ٥ » ، التي كانت اسرائيل قد تعاقدت على شراء ٥٠ طائرة

منها من فرنسا ، ولكن الجنرال « ديغول » الغى الصفقة المذكورة عقب عدوان اسرائيل على مطار « بيروت » عام ٦٨ ، ثم بدأت اسرائيل في تصنيع هيكل الطائرة اثر حصولها على التصميمات الخاصة بها من مهندس سويسري اتهم بعد ذلك بالتجسس لحساب اسرائيل ، وزودتها بمحرك فرنسي من طراز « اتار ٩ سي » · وقد حلق النموذج الاول منها في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٩ ، ثم بدأ انتاجها عام ١٩٧٢ ، وشارك عدد منها في حرب ١٩٧٣، ويقال ان هناك ٣٠ طائرة منها ما زالت في خدمة السلاح الجوي الاسرائيلي حاليا ، وانه تم استخدام نحو ٤٠ طائرة من الطراز المذكور في حرب ١٩٧٣ ·

وقد اعتبرت طائرة « نيشر » مجرد مرحلة انتقالية مؤقتة على طريق تصميم وتطوير وانتاج الطائرة « كفير » ، التي طور هيكلها عن «الميراج» ، وعدل ليناسب تزودها بمحرك اميركي من النوع المستخدم في « الفانتوم » · ومن ثم اصبح الاستمرار في انتاج الطائرة « نيشر » الاقل تطورا من « كفير » امرا لا لزوم له، وبالتالي اصبح بيعها للخارج ضروريا للحصول على موارد مالية جديدة لدعم انتاج وتطوير الصناعة الجوية الاسرائيلية ، خاصة طائرات « كفير » وطائرات « ارييه » المنوي انتاجها في المستقبل · ولم تعترض الولايات المتحدة على بيع هذه الطائرة ، اي « النيشر » ، الى الارجنتين كما سبق لها ان اعترضت على بيع طائرات « كفير » الى احدى دول اميركا اللاتينية ، نظرا لعدم احتواء « النيشر » على محرك اميركي او معدات الكترونية اميركية ، منعا لمنافسة الصناعة الجوية الاميركية في اسواقها التقليدية ·

وفي الوقت ذاته فان الصفقة المذكورة تناسب الارجنتين من حيث قطع الغيار والصيانة نظرا لان سلاحها الجوي يضم ١٦ طائرة « ميراج ــ ٣ اي » ، فضلا عن سبع طائرات اخرى من الطراز نفسه تحت الطلب ·

محمود عزمي

يـزهار سـميلانسكي

خـربـة خـزعـة

اثارت هذه القصة ، عند صدورها عام ١٩٤٩ ، ضجة غير عادية في الاوسـاط الصهيونية التي رات فيها خطر انقلاب على الوعي الصهيوني العام الذي يدعي الحق على ارض فلسطين ، ويؤسس الدولة « بايد نظيفة » ، لان هذه القصة تظهر الوجه الآخر لهذا التاسيس وهو : تهجير شعب ، بايد قذرة ٠

تستند القصة « خربة خزعة » الى وقائع شارك الكاتب يزهار سميلانسكي فيها ، عندما كان ضابطا في استخبارات فرقة الجيش الاسرائيلي المكلفة بتهجير سكـان قرية « خربة خزعة » وتدمير بيوتها ٠ كان الكاتب شاهد عيان ومشاركا في العملية ـ كما اعترف هو بنفسه للرد على الذين اتهموه بالتضليل ـ من مرحلة التخطيط حتى انتهاء التنفيذ في خريف ١٩٤٨ ٠

ما هي خربة خزعة ؟ انها الاسـم المسـتعار لكـل القـرى التي تاسس المشـروع الصهيوني على انقاضها ٠ يقول الكاتب : « ما رأيته سبب لي صدمة ٠ وكانـت القصة ردة فعل كاتب » ٠ وعلى الرغم من ان دوافع تسـجيل الكاتب وقائع هذه الجريمة كانت دوافع اخلاقية من نوع « الشعور بالذنب » الا ان العملية التي تتعدى خصوصيتها لتسم الممارسة الصهيونية كلها بطابعها ، تصلح لتكون رمزا شديـد التطابق لعملية انشاء المشروع الصهيوني ٠ ومن الصعب ان يكون استدراج عذابات الجندي الاسرائيلي امام مشاهد التدمير والتهجير والاهانة التي هي من صنع يديه تعويضا كافيا عن الجريمة التي ارتكبها حتى لو كان فردا في مجموعة ، لان العملية الاسرائيلية كلها قامت على هذا النحو ٠

من هنا اهمية هذه القصة التي تطرح ، سواء كانت تدري او لا تدري ، الصميم الاسرائيلي علانية ٠ فالادب الذي يقول ما لا تقوله السياسة والاعلام قد اعلـن الفضيحـة ، فضيحـة « الشـرعية » الجهنمية المشـروطة بنفي الاخريـن ، التـي قامـت عليهـا اسـرائيل ٠ لذلـك ايضـا ، وبعـد ثلاثيـن سـنة مـن العمليـة ومن كتابتها في قصة ، ثارت الضجة من جديد على كل المستويـات الاسرائيلية ، الادبية والشعبية والسياسية ، بمناسبة اقدام التلفزيون الاسرائيلي على تحويـل

القصة الى حلقات تلفزيونية · سر هذه الضجة ان كل اسرائيلي سيرى وجهه الآخر على شاشة التلفزيون ، سيرى ما لم يره من قبل تحت حجاب غسيل الدماغ اليومي ، سيرى الى اي مدى لم يكن شرعيا ولم يكن نظيفا · وقد كتبت صحيفة « معاريف » : « ان هذه القصة تشكل شهادة دامغة على السلب والنهب والحرق والتدمير والتهجير الجماعي الذي مارسته المنظمات الصهيونية ضد العرب الفلسطينيين وقراهم التي دمرت لتسهيل الاستيطان اليهودي على انقاضها » ·

ونحن لا نخفي ان نشرنا الترجمة العربية لهذه القصة لا تحركه دوافع التعرف المجاني على الادب العبري ، بقدر ما نفهم ان علاقتنا به هي علاقة صراع · ولذلك تعامل هذا النص كوثيقة ادانة ، دون ان تجرفنا القوة الكامنة في الادب ، والقادرة على استدرار الدموع من عيون القتلة ·

ـ ١ ـ

صحيح ، ان ذلك كله قد حدث منذ زمن بعيد ، ولكنه ، ومنذ ذلك الوقت لم يتركني ، قررت ان اغمره في صخب الايام ، وان اقلل من شأنه وأثلم حده في دفق الاعمال ، بل ونجحت ، في بعض الاحيان ان اصل الى هزة كتف حصيفة ، معتبرا ان كل ذلك الامر لم يكن ، في نهاية المطاف ، رهيبا الى هذا الحد ، وشكرت نفسي على الصبر ، الذي كما هو معروف ، توأم الحكمة الحقة · ولكنني كنت اعود واستيقظ بين حين واخر من جديد ، مستغربا كم من السهل ان أغوى ، وان أضلل مفتوح العينين ، وانضم بكليتي الى هذه العصبة الكبيرة من الدجالين ـ المجبولة جهالة ، ولامبالاة دودية ، وانانية مستهترة مطلقة ـ مستبدلا حقيقة كبيرة بهزة كتف متذاكية لجرم قديم · فعزمت على ان لا اتجاهل الامور اكثر من ذلك ، وان كنت لم أحسم بعد ما هو المخرج ، اذ خيل الي انه سيكون من الافضل لي على اية حال ، ونظرا لذلك ، ان ابدأ وأروي ، بدلا من ان اخرس واصمت ·

يمكنني الرواية بالترتيب · ان ابدأ بأحد الايام المشرقة ، احد ايام الصحو الشتائية ، وان ادقق في وصف الانطلاق والرحلة ، حين كانت الطرق الترابية مرتوية بأمطار اليومين الاخيرين ، والاسيجة الشجرية المحيطة بالبيارات ، كانت داكنة ورطبة وارجلها ، كما هي دائما ، تلعقها قطعان قراص اخضر متشابك رطب · وحلت الظهيرة ، ظهيرة منعشة ممتعة التريث ، ولكنها كنهجها تدحرجت وامست اصيلا مكفهرا ، وكل شيء كان قد امسى من خلفنا منهيا ومنتهيا ·

ولكن ، قد يكون من الافضل لو انني ابدأ بشكل مغاير ، واذكر مباشرة ذلك الذي كان منذ البداية غاية اليوم كله ، « امر القتال » رقم كذا وكذا ، في كذا وكذا من الشهر ، والذي كان في ذيله ، في البند الاخير المسمى عرضا « متفرقات » ، منصوصا على طول سطر ونصف ، بأنه وان كان يتحتم علينا تنفيذ المهمة بحزم ودقة ، فلا بد من ، ومهما يكن من امر ، « عدم السماح بالتجاوزات ـ هكذا كان مكتوبا ـ وبالتصرف الاهوج » ، وقد جاء ذلك لكي يدلك حالا ، على ان وراء الاكمة ما وراءها ، وان كل شيء ممكن حدوثه (وان

كان مخططا له سلفا ومتوقعا) · ولا يمكن تقدير هذه الخاتمة النزيهة حق قدرها ، الا بعد ان تعود الى البداية ، وتستعرض فيما تستعرض ذلك البند الموقر « معلومات » ، الذي سرعان ما حذر من خطر متزايد لـ « متسللين » و « نوى عصابات » ولـ (وهذا تعبير رائع) مبعوثين « بمهمات معادية » ، وكذلك البند الذي يليه ، والاكثر وقارا ، الذي يتحدث بوضوح عن انه يتحتم علينا « جمع الاهالي ابتداء من النقطة الفلانية (انظر في الخارطة المرفقة) وحتى النقطة الفلانية (انظر في الخارطة نفسها) ـ وتحميلهم بالشاحنات ونقلهم الى ما وراء خطوطنا ، تسف البيوت الحجرية وحرق الاكواخ الطينية ، اعتقال الشباب والمشبوهين ، وتطهير المنطقة من « قوات معادية » والخ والخ ـ اذ يتضح الان بأية امال كبيرة وأية نزاهة عبىء الخارجون الى المهمة بعد ان القي على عاتقهم كل ذلك الـ « أحرقوا ـ انسفوا ـ اعتقلوا ـ حملوا ـ اطردوا » كي يهبوا ويحرقوا وينسفوا ويعتقلوا ويحملوا ويطردوا بأمانة كبيرة وبكل ما تحمله الحضارة بالذات من رزانة ، وهذا دليل على الرياح التي تهب ، وعلى الثقافة الجيدة ، وربما هذه الروح اليهودية العظيمة ايضا ·

وهكذا حدث عندما انطلقنا ذلك الصباح الشتائي البهي المنعش ، في طريقنا جذلين ، مغسلين ، شبعين ومهندمين جيدا ، وهكذا ، في هذه الريح الخفيفة ، نزلنا في المكان الذي نزلنا فيه ، بالقرب من القرية الفلانية ، التي لم تبد للعيان بعد ، فأرسل فصيلنا للالتفاف ، بينما ارسل الاخرون بعضهم للاسناد من الخلف وبعضهم لكي يدخل القرية · وكالمعتاد لا افضل من الانضمام الى الفصيل الملتف · وكان هذا الفصيل يتقدم في منطقة مجهولة ، ويوغل في الوجود المغتسل ، المطهر ، للحقول ، في ريح ناعمة نقية · في كروم بعضها محروث (قبيل المطر) وبعضها معشوشب (في اعقاب المطر الاول) ـ وجميل ان تغوص في شعاب مطينة ، بباحات تزلج من ماء راكد وأوحال رخوة ، الى ان يتدفق فيك صباك ، وان لم يعد الصبا تماما ، حيويا · حتى ان ثقل « صندوق العمليات » المعن في كف اليد تجريحا قد يتغير الان ويبدو وكأنه ليس الا مجرد شيء يخص السير في جماعة ، السير ، لنقل ، الى العمل ، او ، حتى ولو ، على سبيل المثال ، في سرب دوري مغرد · كنا نخوض في الوحل ، متحادثين ، لاعبين ومغنين ، بطمأنينة وانشراح ، وكان واضحا : لن تكون اليوم حرب بالنسبة لنا ، واذا كان ثمة من يتهيب امرا ، فلسنا نحن ، وليكن الهه معه ، اما بالنسبة لنا فانه يوم نزهة ·

كنا قد وصلنا بعد ذلك الى احدى التلال ، فرحنا نفرك ايدينا مستدفئين تحت سياج صبار ، مستعدين لان نتناول اي شيء من الطعام ، لو لم يجمعنا ذلك الرجل ، قائد الفصيل مويشي الفلاني ، وشرح لنا الامور ، والمنطقة ، والمهمة · وتبين لنا وفقا لذلك ان البيوت القليلة التي تلوح في منحدرات تل اخرى هي خربة ـ خزعة ، وان كل تلك البيارات والحقول من حولنا ما هي الا ملك للقرية تلك ، وان مياهها الوفيرة ، وارضها الطيبة ، وزرعها الرائع ، كان قد ذاع صيتها كما ذاع صيت اهلها ، اولئك الحقيرين ، هكذا يقولون ، الذين يساعدون العدو · جاهزون لكل اذى ، لو اتيحت لهم الفرصة فقط ، او ، على سبيل المثال ، لو انهم كانوا يصادفون اولئك اليهود ، لكانوا بالتأكيد يبيدونهم دون رحمة ـ هؤلاء هم ، وهذه خصالهم · وحين انعمنا النظر الى تلك البيوت ، الواقعة خلف اطراف تلك التلة ، تفصلنا عنها الاشجار والبساتين الوارفة ، وآبار المياه المتناثرة هنا وهناك · اكتشفنا انه لا توجد اية مشكلة في خربة خزعة كلها ، وانها لا تستوجب اي توسع اخر في الشرح فعلا · وفي الناحية المقابلة كانت ثمة اشجار جميز متفرقة ،

طاعنة في السن ، على ما يبدو ، ومزدهرة ، وكأنها فقدت كل ما يمت للنبات بصلة ، بل جماد ضخم · ثم عاد احدنا بعد ذلك ببرتقال فأكلنا ·

كنا قد اتجهنا منحدرين في اثلام بليلة ، رمادية ، لم يسعفهم الوقت لزرعها ، فدفعنا بوابة خشبية كبيرة في سياج طيني ، وصعدنا في طريق ضيق ، في جادات صباريـــة مفروشة بالروث ، رطبة الطحلب ، تشعب الخزام فيها والشاهترج ، ونباتات خصبة غير مزهرة تزرح تحت حملها الرمادي الرطب ، وتتوارى في مخبأ السياج ــ ثم عدنا وتسلقنا التلة التالية · ومن هنا كانت التلة مكشوفة امامنا ، فاتخذنا مواقعنا ، ونصبنا المدفع الرشاش وكنا جاهزين لان نبدأ · وبعد ان اخبرنا ذلك الذي كان ينكب على جهازه مستمعا متحدثا الى قمع اللاسلكي بنغمة طقوسية ، بأنه لا يزال لدينا ثمة وقت لساعة الصفر · بحثنا فوجد كل منا مكانه الجاف للجلوس او التمطط والانتظار بهدوء لبدء الامور ·

ومن كالجنود يعرف الانتظار ، اذ ليس من ساعة تمر ولا مكان لا يكون فيهما جنود ينتظرون وينتظرون · انتظار في المواقع ، انتظار في الهجوم ، انتظار قبيل اطلاق النار ، انتظار في توقف اطلاق النار ، ثمة انتظار متوتر مضطرب ، وثمة انتظار ممل ، يأكـل ويحرق كل شيء ، دونما نار او دخان ، ودونما حدود او نهاية · نعثر على مكان مـــا ونسويه ثم نتمدد وننتظر · واين لم نتمدد بعد ؟ ·

في السابق ، وفي اليوم الذي بدأنا ندخل القرى المحتلة فيه ، وما زال شيء يخدرك ، كان من الافضل لك ان تقف طيلة النهار او تمشي كي لا تجلس على تلك الارض ، التي هي ليست ارض حقول وانما بقعة تراب عفنة ، موبوءة بغضا ، بصقوا عليها اجيـالا ، واودعوها بولهم وبرازهم وروث ابقارهم وجمالهم ــ تلك البقع من التراب المحيطة بالاكواخ، المصابة بعث نفايا مساكن انسانية متراصة وحقيرة ، كل شيء كان قذرا ، وتمقت ان تأخذ شيئا بيديك ــ وفي ساعات ما بعد ظهر ذلك اليوم ، كنا جميعا متحلقين ، متمددين بملء قاماتنا منذ وقت طويل ، فوق ذلك التراب السقيم ، مضطجعين بارتخاء ، وبقلوب خالية ، ونضحك حتى الدموع احيانا ·

هه ·· ايام الواقع · كان لنا هناك ذات مرة قزم ، انقر الوجه داكنه ، اجعد الشعر صوفيه ، وكان يرفه عن قلوب الخلق بحركات غريبة من وجهه ، ويشوهه بشتى الاشكال المطلوبة لذلك ، وهو يلبس قميصا داخليا متسخا ، وللمرة الالف كان كمن يخابـــر باللاسلكي ، يخابر ويخابر بصوت اجش : « هل تسمعينني ؟ هل تسمعينني ؟ انا في التل انا في التل ، في ، في خربة ، في خربة ، واريدك ، وانتظرك ، هل تسمعينني ؟ حول ! »· فيستجيب الجمهور بسهولة له ويرد بقهقهة مستهترة ، كان الفزع من توقفها يطيل عمرها اكثر مما تحتمل ·

كلاب نفقت ونتنت ولم نكترث · ايام كاملة في الغبار المقفر والملل المنتن ، وفي الخطـر المتربص والقذارة التي لا خلاص منها · رابضون وننتظر الحدث الذي قد يأتي ، او اي شيء ما · لم يعد ثمة من حكيم واحد يعبأ برش نفسه اتقاء للبراغيث · نربض في حفرة ظليلة ونضجع · وحين تدور الشمس نرمقها بنظرة مؤنبة دون ان نحرك ساكنا · فلتتفجـر الشمس ولكنك لا تتحرك · وعندما تهب ريح بحرية عذبة في النهاية ، وترفع الغبار قليلا وتحرك ستائر قاذورات الغبار الخمسينية الغاضبة المعلقة ، يشتعل الرجاء الطيب فيـــك حالا · وسرعان ما ينصهر النحيب الحزين في اعماقك ، وتشرع في تذكر الفتيات · شيء ما يخصهن كلهن حيث هن · وشيء ما لواحدة منهن ــ الا ان الريح كانت وقبل ان تطوي

جناحيها ، تتحول الى تيارات متعكرة ، فتفسد بقوتها الجارفة ذلك النـزر القليـل مـن الجمال ـ ولا يبقى منه غير شيء من الكدر الملوث في النهاية · وسرعان ما تصبح ثمة حاجة لدينا للانتقام ، للتكسير والتحطيم ، وعلى الاقل للدوس بالارجل · كانوا يجلدون الجمل الذي يدور بالناعورة المصطكة المشرشرة حتى يباس اليد ، ويركلون ذلك العربـي العجوز الذي تبقى هنا فللا ليستخدم في سحب المياه ، والذي لشدة رغبته في ان يكون نافعا، ولكي لا يصبح في عداد الموتى ، كان يتشبث برسن الجمل ويدور معه سوية ، يدور ويدور ساعات طويلة ، هو والجمل معا · كانوا يطلقون النار على كلب ذاهل عشرات الطلقات الى ان يردوه قتيلا ، ينهالون على اي واحد بجدل مميت ، ثم يعودون ويسقطون في الملل والبطالة ثانية ، وفي وجبة طعام موحدة ومقيتة ، يقضمون ويفتتون ويقذفون العلـب الفارغة برمية يد ، بركلة قدم لتقريبها من الجحيم اكثر ، ويلحقونها بأعمال مشينـــة مماثلة ، وينتظرون الحدث الذي قد يقع ، قد يطرأ فورا ، فليحدث اي شيء ، والـى الجحيم ! ·

وحين كانت تحل الظهيرة ، وهي مغبرة عندنا ، وتغمز بنسغ حر متقطر في البعيد ، تغمز وتومىء الى اشياء ليست ، على ما يبدو ، من هذا العالم ، ولن تجيء اليك ، تتوقد بمتعة يوم تموزي على وجه ارض مترامية الاطراف ، مغبرة بالصفرة ، لا ظل فيها ولا مفر ، على عكس كل ما في الرطوبة تماما ـ وحين كانت الظهيرة تتوقد في طريقها ـ كانت الساعات تتهادى وتتهادى ، مستحيية ، وتتآكل حزنا كبيرا ، كما العدم ، الذي يزحف متثاقلا ، وينزلق فيساوي بين كل الاشياء ، حتى لتصبح كلها سواء ، مسطحة وتافهة ، فيفقد احدنا اعصابه ويقفز مهاجما من فوق التل يصرخ بالرجل عند البئر المعتصرة باحتكاك الناعورة دفقات دفقات متقطعة ، والدبابير تخوي على كل نقطة تنفلت منها ، ثم يصرخ ويكـــرر بثورة متصاعدة :

« أوخز النذل في مؤخرته ! فليدر ، فليتزحزح قليلا ، فليتزحزح ذلك القذر ! » ·

هكذا هي الانتظارات · واما ذلك اليوم الشتوي الرائع ، فوق تلك التلة المغروسة ، وكل ما حولنا كان اخضر ريان ـ لم تكن تلك سوى عسكرة لرحلة مدرسية ، حين لا ينبغـي عليك الا ان تبتهج وتحتفل بالساعات الجميلة ـ ومن ثم تعود الى البيت ، الى امك · كنا نضطجع ونستلقي على ظهورنا ، وعلى جوانبنا ، وملء قاماتنا ، وارجلنا تلوح في كـل اتجاه بحرية تامة ، والسنتنا تدور بارتياح ، تلهج وتجتر ثانية ، وكل ما ألقي على عاتقنا في هذه العملية ـ كان مهما كقشرة ثوم ، القرية التي هناك ، والمتسللون الذين فيهـا ، وكل ما اودعه الشيطان هنا معنا · فلسنا مدينين بشيء ، ولسنا ملزمين بشيء ، ولا مبالين بشيء ·

وبغض النظر عن اشياء كثيرة ، قد لا يكون كل ذلك الا برهانا اخر ، على ان هـــذه الحرب قد طالت ، في رأي الجميع ، اكثر مما يجب ، وقد آن الاوان ، ربما ، لان يأتـي اطفال اخرون لكي يكملوا اللعبة ، اذا ما استحال الامر دونها ·

وفي البساطة ذاتها وفي عدم الحيلة ذاته التي انبثقت فيها الثرثرة قبلا من خلال متعة التمدد الخالي ، سرعان ما ماتت وانتهت ، من خلال ما نسميه وباختصار : خواء القلب · بقينا متمددين وصامتين · الى مثل هذا الحد كنا نعلم علم اليقين ماذا سيقول من ، ومن سيقول ماذا ، وكيف سيلوي شفتيه حين سيقول ما سيقوله ، بل وما هي عادته في صمته ـ الى هذا الحد الذي كنت تسارع فيه فتوقظ الثرثار من جديد كي لا يصمت ـ لولا الكسل ·

وقد لا يكون ذلك ، بل لان الافكار تأتي من خلال التمرد العاطل وتتسلل ، ونحن نعرف : ان الافكار تبدأ ـ فتبدأ معها الامور ، وتبدأ المشاكل ، فالافضل ان لا نبدأ بالتفكيـــر · وبالمناسبة ، لقد كان اثنان منا او ثلاثة ، كما اتضح ، يغفون تماما · زيادة على ان احد الشباب ، كان ، وللمرة الثالثة او الرابعة ، قد شرع يغني بنصف صوت نصف مقطـع من اغنية واحدة ، وتوقف لانه لم يعرف اكثر من ذلك ، او لانه لم يرغب في قول المزيد · حتى ذلك الذي كان يلهو بالقاء الحجارة الصغيرة لمسافات قصيرة ، وكان قبل دقيقة واحدة من شروعه في لعبة القاء الحجارة الشهيرة على اصدقائه والتظاهر بالبراءة ، كان قـــد سئم وشبك يديه تحت رأسه هابطا الى الخلف ، وسرح بعينيه الشاخصتين الى اغصان شجرة العناب العجوز وفي السماء الواسعة المتلبدة عند قمتها تماما ثم ترتفع بتحليق قوي الى الاعالي المستعصية (والتي لم يعرها اي انتباه او يلتفت اليها !) ـ الى هـذا الحد ـ اصبح واضحا لنا فجأة ان لا امل لدينا · اننا لن نحظى بما كان ذات مرة · مرة ، منذ امد قريب · وان شيئا اخر من اساسه ، وقاتما ، مغروس في اعماق اعماقنا منـذ زمن بعيد ، ولا خلاص ·

اذا ما استمرت هذه الضجعة ـ اظننا سنبدأ بالاقتتال ·

ـ ٢ ـ

اقفل عامل اللاسلكي ، الذي كان قد استقبل « اقفل لربع ساعة » ، جهازه الذي كان يئز طيلة الوقت ، وانضم الينا متوجها بالسؤال الى شموليك :

« هل تعرف يا شموليك ؟ »·

انقلب شموليك على جنبه يستدير اليه برفعة من حاجبيه قائلا : « مم ؟ » ·

« ماذا تقول في هذه القوة الخارقة للحياة عند الحمار ؟ » ، قال عامل اللاسلكي ·

« وكيف عرفت ذلك ؟» قال شموليك ·

« لقد رميت في الامس واحدا ، بثلاث رصاصات ولم يمت ! » ·

« اين غرزتها ؟ » ·

« واحدة هنا في العنق ، وواحدة هنا في الراس تحت الاذن ، والثالثة بجانـــب العيـــن » ·

« وبعده ؟ » ·

«لم يمت · تابع سيره » ·

« هراء · هذا مستحيل » ·

« انني اقسم ! في الامس ، بالقرب من المعسكر · لقد خرجت لكي اجرب البندقية فرايته يتبختر عند السياج ، وحالا رميته » ·

« من اي مسافة كان ذلك ؟ » ·

« لا شيء ، عن قرب · عشرة امتار ، او ما يقارب ذلك » ·

« ولم يمت ؟ » ٠

« اين ! لقد تابع سيره ٠ وبعد ذلك سقط » ٠

« آه ! » ٠

« عندما اصيب في عنقه رفع رأسه ونظر الي ٠ كان الدم يتدفق منه كما لو كان يتدفق من صنبور ـ فماذا فعل هذا الحمار ـ لقد عاد يقضم العشب ٠ عاجلته تحت الاذن فقفز قفزة واحدة وظل واقفا ينظر الي ٠ لا ، لقد اثار ذلك غضبي ، فرميته في عينه ، من مسافة اقرب ، فسار في العشب عدة خطوات الى الامام ٠ ثم ، رويدا ، رويدا ، وبلا اية رغبة ، سقط وتمدد ٠ قوة حياة خارقة ، اليس كذلك ؟ » ٠

« رصاصة بندقية انجليزية كانت تنهيه فورا ، وببساطة ٠ هذه هي ميزتها ـ كالحديد »٠

« ولكن عن بعد كهذا عن قرب كهذا ! » ٠

« اما انا فقد رميت حمارا في مؤخرته ذات مرة فسقط فورا ٠ لقد خرجت له من مؤخرته مئانة ضخمة ، بينما دس رأسه في الرمل وسقط » ٠

« استغرب ذلك » ، انضم ثالث للحديث ، « اذ بالنسبة للجمل مجرد ثانية واحدة ويسقط ٠ يقلب العنق خلفه وهوب : يا لله ، سقط ٠ لماذا يكون الامر بالنسبة للحمار مغايرا اذن ٠٠٠ » ٠

ذلك الذي كان يغني بنصف صوت بين الفينة والاخرى ، حان وقته لمرة اخرى وشرع يغني بنصف صوت نصف المقطع الذي يعرفه ، وثمة من يرافقه بصيحة استحسان مفاجئة ٠ بطلنا ، قائد الفصيل مويشي ، التفت اليه وقال :

« لا تصرخ هناك ٠ اضطجع بهدوء » ٠

وانتصب قليلا على مرفقه لكي يضيف الى كلامه نظرة ٠ وما دام الامر كذلك فقد نظر الى ساعته قائلا :

« ما الذي دهاهم هناك ، متى سنبدأ ؟ » ٠

« ما الذي يسوؤك هنا ؟ » اجابه واحد من خلال نومه دون ان يفتح عينيه ٠

« على العموم ، كنت انظم الامور هنا بشكل مغاير » ، قال مويشي ، ثم استوى آخذا اول عود يصادفه يشير به من حولنا : « كنت ازرع لهم الالغام » ٠ لم يعترضه احد ٠ تحمس مويشي قائد الفصيل :

« سيكون ذلك رائعا ، انظروا ، فاذا كانت القرية هناك ولا يستطيعون الهروب اليها ، فالى اين يهربون ؟ قبل كل شيء الى هناك ٠ حسنا ٠ وهناك نزرع لهم الغاما قافزة ٠ أعرابي واحد يتفجر وعشرة ينبطحون على الارض ٠ وفورا يغير الاخرون اتجاههم ويندفعون الى هنا ، الينا ، الى فوهة المدفع الرشاش هذا مباشرة ، ويقعون في الشرك بكل بساطة ! »٠

« هذا صحيح ! » نهض النائم جالسا ، « هيا بنا ، ولماذا لا ؟ » ٠

« لا ادري ! لقد قرروا ان يكونوا نباتيين ٠ ان نطردهم الى التلال وهذا كل شيء ٠ غدا

يعودون مرة اخرى · ومرة اخرى نطردهم بعد غد · وفي النهاية نعقد اتفاقا : ثلاثة ايام هم هنا ، وثلاثة ايام في التلال ، ثم يتعلق الامر بمن يعاف اللعبة اولا » ·

« لم تعد هذه حربا ، انها لعبة اطفال » · ادلى برأيه النائم الذي كان قد تمطى لتوه ، وهو شاب جميل الشعر اشقر الشارب ، وكوفيته حمراء معقودة حول عنقه بنفس الاهمال المنسجم مع المشهد ، ويبدو عليه جيدا ان امه كانت لا تزال قبل اشهر قليلة توبخه بشدة كلما كان يعود الى البيت متأخرا ·

« اين تلك الايام » ، قال شخص نحيف · غابي ، وهو من اولئك الذين نشأوا بيننا والنظارات الشمسية فوق انوفهم ، شعورهم لم تمشط مرة ، ووجوههم لم تغسل ، ويسيل المخاط من انوفهم ، فينشقونه الى ان تهرع الاصابع والاكمام بكامل طولها للنجدة ، وينهمكون ابد الدهر بآلة ما (وكان رامي المدفع الرشاش هذه المرة ، قالها منهيا بيده كمن يرمي شيئا غير ذي قيمة خلفه · والى ماذا ترمز كلماته اذا لم تكن الى اننا قبل شهر او شهرين ، فقط ، كنا نفرك ايدينا مستدفئين في كنف سياج الصبار قبل الانطلاق ، والسكوت الذي كان يسود عندها كان سكوتا اخر · سكوت لئلا يخرج الصوت فينفضح امرنا ، لئلا يخرج الخوف ويصرخ فيكبل ايدينا وارجلنا ، وبأن الحظ الذي انقذ حياتك حتى اليوم لن يخونك هذه المرة ، وانه كان يسخر منك حتى الان ـ سكوت ما قبل المعركة المخجل المتوتر ، والتعلات الصغيرة والملتوية لتجاهله ـ فكم جميل ورائع ان نجلس اليوم ونقول باهمال : اين تلك الايام ، مجازا لـ : آه لقد مرت الايام العظيمة ·

وبالطبع ، فاننا لم نجتهد لتفسيرات مختلفة · حتى ولو لم نبدأ · ولم نسمع مما قاله سوى : وبعد ، ما هذه الجلسة العبث ـ الامر الذي سرعان ما عبرت موافقتنا الصريحة عليه بالنظرة التي رمقنا بها بطلنا مويشي ، والمشكلة انه كان لا يزال مستلقيا على ظهره ويمضغ البسكويت ، ويعتصر عينيه في وجه السماء المتوقدة فذهبت نظرتنا عبثا · وسرعان ما اتضح لنا ان لا شيء يستحثنا · كما اتضح ان الحياة تأخذ مجراها سواء كان ذلك على هذا النحو او ذاك · فمن حالفه الحظ يستلقي على ظهره ويتمتع بعالمه ، ومن لم يسعفه فانه لا يدين لاحد بشيء ، حين يلفه النسيان ويكون كمن لم يكن · فأي يوم جميل يجالسنا · وهذا السهل يمتد امامنا · لقد انجذبنا اليه فجأة وكنا ننعم النظر فيه بتثمين شهواني ، كمن يثمن مهرة اصيلة ·

« كم من الدونمات هنا ؟ » قال غابي ·

« بضعة الاف طيبة » ، اجابوه · وسرعان ما رحنا نمنحها ما شئنا من مقاييس ، متحدين الاف وعشرات الالاف من الدونمات هنا وهناك بخبرة وبساطة ، معبرين ببرمة شفتين واسعة حولها · فنذكر ونتذاكر امورا تتعلق بالاراضي الثقيلة ، والثقيلة نوعا ، وفي النزاز والسلاج ، وتصريف المياه والري بشكل عام · بل وافترض احد ان ثمة في هذه الارض مستنقعا ، وفي المستنقع بطا ، وسنصطاد البط ، ونقطع رأسه وننتفه ثم نشويه على السفود ، ثم نحضر القهوة وعدة فتيات ، ونغني ونبتهج ونستمتع بالحياة · ومن تحتنا ، كانت الارض مقسمة بالاسيجة الشجرية الى مربعات واسعة وضيقة ، منقطة هنا وهناك ببقع خضرة داكنة ، وهنا وهناك مكورة بقمم الاشجار الكروية ، وبالتلال الموشحة بزهر « الصفير » ، وبالقسائم المحروثة هنا وهناك ـ كان السهل مفروشا بالسكينة ، ولا يخجله شيء ، ولا اثر لآدمي على الارض ، ونشيد أرض خصبة يرنم بالازرق والاصفر

والبني والاخضر وبكل ما بينها ، تستدفىء في شمس الاصيل ، ترنو الى نور وذهب والى قلبها المرتعش خصبا · وتنزف ·

« فليأخذهم الشيطان » ، قال غابي ، « اية اماكن جميلة لديهم ! » ·

« كانت ! » اجابه عامل اللاسلكي ، « انها الان لنا » ·

« على مكان كهذا » ، قال غابي ، « كان شبابنا يقاتلون كمن لا اعرف ماذا ، وهؤلاء يهربون ، انهم لا يحاولون حتى القتال ! » ·

« دعنا من هؤلاء الاعراب ـ انهم ليسوا رجالا » ، اجاب عامل اللاسلكي ·

« سأخبرك ماذا » ، قال غابي ، « انك بقدر ما تراه جميلا لديهم الان ـ فانه ، عندما نأتي الى هنا ، سيكون اجمل الف مرة ·· ثق بذلك ! » ·

« اين ! لقد كان شيوخنا يكسرون رؤوسهم ذات يوم من اجل قطعة ارض ـ اما اليوم ، فاننا نأخذها بسهولة ! » قال عامل اللاسلكي ، وعاد الى جهازه ، وهو يفرغ خاطره ، على ما يبدو ، ويفكر في امور شتى وشذر ·

تعاظمت الشمس ، واعتدل النهار في السهل · لن اعرف لماذا تملكني شعور بالوحدة المقيتة فجأة · كان من الافضل لو انني تركت كل شيء في تلك اللحظة وذهبت الى البيت ، المعارك ، العمليات ، المهمات ، كانت كلها غريبة عني · وكل اولئك العرب القذرون ، المتسللون لاحياء نفوسهم القاحلة في قراهم المهجورة ، اصبحوا مقيتين مقيتين الى حد الغضب ، فما الذي نريده منهم ، اي دخل لنا ، لشبابنا وايامنا العابرة ، بقراهم المقملة المبقعة ، المقفرة ، الخانقة ، فاذا ما كان قد تبقى لنا ان نحارب ، فتعالوا نحارب وننهي حربنا · واذا ما كانت الحروب قد انتهت فدعونا نذهب الى البيت · لم يعد ثمة طاقة على الاحتمال لا هنا ولا هناك · هذه القرى الخاوية اصبحت تثير الاعصاب · لقد كانت القرى ذات مرة ، شيئا ما نهاجمه ونحتله ، بالاقتحام · واليوم ما هي الا خواء فاغر فاه يصرخ صراخ صمت بائس ومشؤوم على السواء ·

هذه القرى الخاوية ، سيأتي اليوم الذي تبدأ فيه بالعويل · تمر بها ، فتلقاك فجأة ، وبكل براءة ، ودون ان تعرف من اين ، عيون جدران ، وساحات وازقة خفية ترافقك دونما حديث · صمت دمار مهجور · فتنقبض كليتاك · وفجأة ، وفي عز الظهيرة او قبل الغروب تبدأ القرية التي كانت قبل لحظة فقط مجرد وشي اكواخ مقفرة ، يلفها صمت اليتيم ، صمت قاس ونحيب جنائزي يفطر القلب ـ تبدأ هذه القرية ، الكبيرة البائسة ، وتغني غناء الاشياء التي فارقتها روحها ، اشياء ادمية عادت الى جمادها وتوحشت ، غناء نذير كارثة مفاجئة ساحقة كان قد تجمد وظل كلعنة توقفت على الشفاه ، وخوف ، يا اله العالمين ، خوف مروع يصرخ من هناك ، وبريق هنا وهناك ، بريق ثأر ، يدعو الى الحرب، واله انتقام يطل ! ··· هذه القرى الخاوية ··· الست مذنبا حقا الى حد ما هنا ، ام ماذا ؟ اشباح ضخمة لاشياء لم يصدق موتها في البارحة بعد ، متشابكة ، هامدة ، مطوية ، متلاصقة ، كسؤال يطرح نفسه ، او ملاحظة جانبية ، كتلك التي لا بد ان نبدي بها شيئا ما عن شيء ليس هو اياه ، ليس هذا البتة ، الذي يترك فيك تجهما كريها ، كنوع من الشفقة على متسول ، مشوه قذر ، لا تثير الا الغضب وانقباض النفس ، الذي لا حل له الا التخلص منه ، وان تنتزع نظرة غاضبة وتقذف بها هذه القرية ، تلك التي

ما اسمها ؟ تلك التي امامنا ، وان تترجم هذه النظرة الى لعنة واضحة ، بحيث تكون في نهاية الامر ، هي الوحيدة التي تسمع مدوية ، وبمتعة بالغة ، الى الحد الذي يتذوق فيها كل سامع لها طعم متعته النابعة من ذاته ، فلكل علته ، اذ ان اللعنة ، كما هـــو معروف ، لها منتفعوها ٠

— ٣ —

كان الامر قد وصل ٠ فصيلنا يفتح النار على اسفل القرية وعلى البيوت العالية المواجهة لنا ٠ فصيل الاسناد الذي في المؤخرة يفتح النار على دائرته ، والفصيل الثالث يتمركز في اعلى القرية ومن هناك يسيطر عليها ٠ وسرعان ما فتح المدفع الرشاش فمه ونطق بعدة صليات ، برقة ، كما لو لم يكن من شأنها ان تؤذي ، كما لو كانت رماية للتسلية ٠ في البداية ، كشط شبابيك بيت مبيض بالكلس (كلس عربي ضارب الى الزرقة) ، ومصراع اخضر ، ومن ثم طبل على بيت طيني عال ، وسرعان ما خوت النيران على طول زقـــاق واسع ، ثم خرجت وقفزت متناثرة على واجهات الجدران والاسوار وبين الاشجار ، التي كانت الشمس قد بدأت تغسلها من داخل رؤوسها الكثيفة ٠ (وكانت هذه المرة تختلف تمـــام الاختلاف عن مرات سابقة ، حين يفتح مدفعك الرشاش نيرانه ، وينسيك للحظة خوفـــك السابق ، كي يعطي الاشارة للخوف الاخر بالاغارة ، الخوف الاساسي ، خوف ها — هو — ذا قادم حقا ، والذي كل ما هو آت بعده ثمل بالسكر والخدر) ٠

انهينا كركرا واحدا ، وبدأنا الثاني ٠ لم يجبنا احد ٠ كانت خراطيم نيراننا تقطـــع الهواء الذي كان ينسكب ويطير خلف مسيلها بأزيز حاد ، ثم ينسد فجأة ويعود الـــى صمته ، دون ان يعرف انه قد وصل الى نهايته ٠ رجلنا ، مويشي ، اخذ المنظار اليـــه لاستطلاع الامور ٠

« رائع » ، قال مويشي ، « لقد فاجأناهم تماما ٠ اضرب الى اليمين قليلا ٠ تلـــك البيوت ٠ صباح الخير يا جمعة ٠ يهود جاؤوكم الى القرية ! » تابع مويشي بمتعة ٠

كنا نستلقي على بطوننا ونشهد المسرحية ونستمتع ، واصابات غابي تزيدنا انفعـــالا كحكمة مويشي ، وأعيننا تجول المنطقة علها تقع على صيد ٠

وكنا الان نسمع طلقات فصيل الاسناد من الناحية الاخرى ، التي كانت تشكل ما يسمونه « نيران متقاطعة » رائعة ٠ « ثمة ما يدغدغهم هناك في حواصلهم قليلا ، ها ٠٠ ها » ، قال شخص ما ٠ ودون ان انتبه بدأت استرجع فجأة كيف كان ذلك عندنا ، في البيت ٠ قبل ايام ليست بالبعيدة ، وقبل ايام بعيدة ، بعيدة جدا ، بل ومن خلف عتبة صمت طفولة بعيدة — حين كانت الطلقات تلعلع فجأة ، طلقات من الحدود ، وطلقات من خلف البيارات، طلقات من التلال البعيدة ، طلقات ليل ، او طلقات ما قبل الفجر ، واشاعات ، وتعتيم اضواء ، وثمة ما هو كبير وجدي يهدد ويقلق ، وجري ، واسرار ، واصغاء متوتر ، واشباح ظلالية تخرج بالبنادق ، غريبة وطقوسية ، تركض في منحدر الطريق ، واصوات متوترة وشخص ما يهشها ويأمرها بالصمت — وسرعان ما كان يرتسم لي بدقة ووضوح ، كيف انه في نفس البيت ، ذلك البيت الابيض المزرقاوي والنافذة الخضراء ، يعتدل الان شخص ما فوق ما كان يفعله في خوف مفاجيء ، ثمة من يتوقف في البيت الطيني عـــن اكله ، وثمة من يهمس في مجموعة البيوت الى اليمين من كان يحدثه في هذه اللحظة :

ـ اطلاق نار ! ـ قشعريرات تدب ، امعاء تغثى بما حوت ، ام ما ترتعب حتى الموت ، تخرج ، تجمع اطفالها بوخزة قلب يكاد يتوقف · كيف يحل سكون الشلل الذي تتركه الحيرة « ربما ليس نحن ، عطفك اللهم ! » المشهورة ، كيف تتوقف الصلاة في لحظة ما في الفراغ ، لحظة طويلة قديمة خفية تتأرجح قبل ان تحسم ، وفي قلب كل واحد وقلوبهم كلهم معا ، يدق طبل ـ التكوين ويصرخ : خطر ، خطر ، خطر ! فيتجاهلون ، ثم يضطرون لان يفكروا من جديد ويتخذوا القرار الحاسم بسرعة ، فازيز الرصاص يقرر بحزم : العملية تبدأ ! ·

« كان من الافضل لو قصفناهم بعدة قذائف هاون » ، قال شموليك الذي التمعت فيه شرارة المعركة وكان جاهزا لاضرامها ، وبدا كمن كان يسمع عويل انقضاض القذيفة ، ورعد غبار اصابتها ، ومن دون ان يكلف نفسه جهد كلمة واحدة ألغى مويشي عرضه القتالي هذا بهزة رأس خفيفة وانعقاد حاجبين · الا ان شموليك لم يهدأ · اخذ المنظار اليه وألقى نظرة من حوله ، وهو يدير مفاتيح الاتجاه الى الاعلى والى الاسفل ·

« لا ارى شيئا هناك » ، قال ، وستكون النتيجة اننا نحتل قرية خاوية ! » ·

« اعطني المنظار » ، هكذا اجابه مويشي ولم يضف · فعقد شموليك يديه حول ركبتيه متسكعا بعينيه بين رفاقه ، عله يجد من هو اكثر دماثة ·

« هيي ، غابي ، قال شموليك فجأة وهو يميل على عامل اللاسلكي المتكىء على جهازه · « ماذا دهاك ؟ » قال غابي ·

« لا شيء · مؤسف ان لا تكون رفقلي الان هنا » ·

« أتفتقدها ؟ » ·

« هووو » ·

ومرر يده في الهواء كمن يمسد جيدا جميلا خلسة ، يغمره شعر كثيف عطر يتحدر فوقه ، يدغدغ ويشع دفئا ، وسحب سيجارة بأصابعه المتسخة بهزة ثرثارة من علبته التي كانت قد اقتطع في رأسها هلال صغير بقدر ما يسمح بولادة سيجارة واحدة فقط ، ثم اشعلها من خلال تأملات ودخان كثيف ·

« اهلا ! » صاح شموليك فجأة بالعربية ، حين تبدد الدخان الكثيف الذي نفث ، « اليكهم هناك ، انهم يهربون ! » واشار بيده في اتجاه الكروم قرب التلال التي تكبل البساتين ارجلها على طول حدها · وبمشقة فائقة ، بسبب المنطقة المبترة والخلفية المخططة للتلال ، استطعنا ان نكتشف ، مواصلين خط اصبعه الممدودة ، ثلاثة اشباح سرعان ما اختفت بين الاشجار ·

« أمنذ الان يهربون ؟ بهذه السرعة ؟ وبدون اية طلقة ؟ » ·

« ثق ان اوائل الهاربين هم اكبر الانذال » ·

« سأخنثهم ! » قال غابي · على الرغم من ان الهدف كان ان نتركهم يخرجون ليس الا · اذ انهم كلما اكثروا من الخروج بأنفسهم كلما قلت المشاكل عندما ندخل القرية وتبدأ كل تلك العملية الحقيرة المترتبة على طردهم ·

« يهربون ... حتى ولا طلقة واحدة ، أنذال ! خنثهم ! » قال شموليك الذي كان يهتاج اكثر فأكثر ٠

فحرف غابي المدفع الرشاش واطلق عدة صليات ، بينما كان مويشي الذي يستكشف بالمنظار يوجهه ٠ كنا كلنا نتركز في نفس البقعة الفارغة من الارض ، والتي تحدها التلال من هذه الناحية ، وصفوف اشجار تبتعد وتتزاحم من الناحية الاخرى ٠ مجموعة اخرى من الاشباح اطلت ٠ اشباح ظلالية كانت تتحرك متباعدة ، ربما كانوا قد اندفعوا ، الا ان اندفاعهم هذا كان قد تلاشى باتساع المنطقة ، وتحول الى نوع من تخبط الدودة التافه٠

« ارم الان » ، قال شموليك ، « خذ الى اليمين قليلا » ٠ « لم تصب » ، قال مويشي من خلال المنظار ، « الى اليمين اكثر والى اعلى ٠ الان ! ارم الان ! » ٠

تحمسنا ٠ شرارة الصيادين الكامنة في كل انسان كانت الان قد توقدت فينا بقوة ٠

« اليك هناك ايضا ! » زأر احدنا وهو يدل على حقل اخر كانوا يركضون فيه كالنمل ، اشباح كثر ، والذين كان اندفاعهم العيي يتبدد اكثر كلما كان الحقل اكبر ٠ اخذت المنظار الي ورأيتهم ٠ مجموعة خلف مجموعة ، ربما عائلة خلف عائلة ، وربما متساوي الجهد في الهرب خلف متساوي الجهد في الفرار ، رباع وخماس وسداس ، وفرادى ، ونساء باديات جيدا بمناديلهن البيض فوق لباسهم الاسود ، واللواتي كان جريهن يبطؤ ، على ما يبدو ، تعبا واختناقا ، الى مشي لحظة ، ثم يستحث ويستحث ويعود لان يكون جريا ثقيلا ، فيه من التضحية بكل القوى والنفس اكثر مما فيه من السرعة لاثبات ان ما من جهد الا ويبذل كي يكون جريا ٠ لكي تفلتن من يد القدر ٠ وفي نفس اللحظة كانت مجموعة اخرى من ثلاثة تظهر وهي تصعد التل بوضوح ٠

« اليك هناك ! » صحت مرشدا غابي :

« الف ومئتان الى يمين الشجرة المنفردة ! يمكن اصطيادهم جيدا ! » ٠ ولسبب ما ، وفي نفس اللحظة تغثيت ، ويدي لا تزال ممدودة في نشوة السكر في اتجاه الهاربين الذين اكتشفتهم ٠ احسست وكأن شخصا ما يصرخ في داخلي صراخا مغايرا ، كعصفور جريح ، وبينما كنت لا ازال مفاجأ من هذين الصوتين ، اطلق غابي في اتجاههم عدة صليات ، فقال مويشي : « فلتذهب الى الجحيم ! انك لا تحسن اصابة شيء ! » ٠ وبكثير من الدهشة احسست بانفراج ما ، ربما كان هكذا : « فليخطىء آخ ، فليخطئهم ! »٠ وسرعان ما نظرت حولي كي لا يكون ثمة من كان قد ضبطني ، بما بدا وكأنني أفسدت ، ثم عدت حالا اجيل عيني في ذلك الممر في الحقل ، متتبعا تلك الاشباح الذاهلة ، التي كانت تتخبط وتحاول الخروج منه والارض لا تتسع لها ، الا اذا أفلحت في الوصول الى ما وراء تلك التلال ، عبر ذلك الافق ٠

« أصبت ! » صرخ ٠غابي

« اين ؟ » احبطه شموليك ثاقب البصر ، « اعطني الرشاش ، مويشي ـ فليعطنيه للحظة ! » ٠

« اما انا فسأخنث هؤلاء هناك بالبندقية ! » ٠ قال احدنا ، اريبه ، وركع على ركبتيه ، مصوبا بندقيته بدقة وأصمنا بانفجار غير متوقع ٠ قفز حالا واطلق ثانية ٠ والصياد كان بكامل قوته واتقاده ٠ الى ان قام مويشي وقال :

« كفوا عن هذه الضجة · انتم ابطال انتم · انكم تحسنون الرماية كما عجوزي · كفوا وكفى » ·

وعندها قال أرييه : « بالتأكيد ! فليعطني الرشاش لحظة وسترون ! » ·

وهذا ما قاله شموليك ايضا فغضب غابي جدا · وعلا الصراخ · ودعوا للشهادة العالم كله · موقع الشمس في السماء ، ودائرة السلاح ، ولون التلال والنباتات والحقول ، وكون الهدف متحركا ، والبعد الذي يتراوح بين الالف ومئتين والتسعماية متر ، وتذاكروا ، ودقوا الاصابع في الفراغ ، مرة الى الاعلى واخرى الى الوجوه مباشرة ، وبسخرية وتفنيد وبحرفية وبانتصار للعدل الاوحد العظيم – والتي ركع أرييه وربض نتيجة لها كلها خلف المدفع الرشاش ، والجميع ابتعدوا ، وهم يحتجون ويتشبثون بآرائهم ، وافسحوا مكانا ، ومويشي اختار له بالمنظار مجموعة من اربعة رجال كانوا قد وصلوا لتوهم حافة التلال ، واطلوا بثيابهم الداكنة جيدا ·

« هيا ، هذا هو » ، قال مويشي ، خمس صليات وعليك ان تخنث واحدا منهم على الاقل » ، قال والصق منظاره بعينيه · اما نحن فكنا نزم اعيننا اثره ، زم ما قبل الطلقة الاولى · واولئك الاربعة قبالتنا ، والذين كانت قواهم قد خارت في هذه اللحظة بالذات تماما فحولوا جريهم الى سير بطيء منحن ، انحدروا واحدا تلو الاخر الى بطن واد صغير ، وواحدا تلو الاخر صعدوا خارجين منه ، وحين صعد الاخير توالت الصلية الاولى ، والاربعة شوهدوا يسقطون · الا ان ثلاثة منهم نهضوا وانطلقوا بجري زاحف في اتجاه مخبأ الشجيرات القديمة ·

« واحد لصفر ! » صاح شموليك وانحنى قليلا اجلالا لغابي · وفي اللحظة نفسها نهض الرابع وراح يجري هو الاخر خلف رفاقه ·

« استنا يا قديش ! » ، قال غابي لشموليك بالعربية وانحنى قليلا في اتجاهه ·

تتابعت عندها الصلية الثانية ، ثم تبعتها الثالثة · سقط الاربعة على البعد كلهم · شخص ما كان قد اختنق في داخلي · الزمن توقف للحظة وكل شيء كان غير مهم · تطاولنا بأعناقنا كي نحسن الرؤيا ، لكي نرى جيدا · مويشي لم يقل شيئا · وفجأة نهض اثنان وجريا ، وقبل ان نستوعب ما الذي حصل قفزا وغابا بين الشجيرات · ثم قام اخر وجرى · وحين قام الرابع انهمرت الصلية الرابعة ، تقوس للحظة ، مكث قليلا وانتصب ، صلية خامسة · لم يركض ، ولكنه مشى · ثم قرر على ما يبدو ان يزحف · وفجأة راح يتدحرج وابتلعته الحشائش · لم يكن ثمة معنى لاطلاق النار اكثر · المباراة لم تحسم · كان الامر كله قد اتسخ ولم يعد ثمة رغبة في الجدل · شعرت انه لا يمكن لي الا ان اقول كلمة ، فقلت :

« اتركوهم وشأنهم – على اية حال لن تصيبوا ··· عبثا ··· مؤسف ··· » وتلعثمت كلماتي ، الا ان احدا لم ينتبه ·

« فليذهبوا الى الجحيم » ، قال أرييه موجزا · نهض وهو ينفض عنه كريات التراب وعوالق اخرى · الا ان عامل اللاسلكي اخرجنا من الغم حين اخبرنا بأنهم ارسلوا لنا سيارة واننا سوف ننطلق بها لنفتش الاكواخ التي في البيارات والكروم ثم ندخل القرية ·

ـ ٤ ـ

كنا نسير على رسلنا في الاعقاب الموحلة للجيب ، الذي ابرز كل مقدرته اللولبية في القفز على اربع من فوق تلك الحفر كلها والاوحال الكثيرة ، التي اجبرت بعد كل تلك الاجيال الهادئة المتعاقبة من الاقدام العارية وحوافر الحمير ، ان تحمل ندبين ينزفان وحلا وصمتا ، على امتداد طولها · اطلاق النار لم يعد يسمع ، اللهم الا برهة هنا وبرهة هناك ، عرضا ، ولو انك كنت هنا وحدك ، وتوقفت عن السير ، ثم اصغيت قليلا لكنت بالتأكيد تسمع كيف كانت شفة الارض تتمصمص ، وتشرب وترضع وتلعق الماء بهدوء ، وكيف كانت بقايا احزان الخريف الجاف المروع تختفي وتتهدد باستسلام كالاغفاء اثناء الرضاعة ·

واخيرا ، وحين اعتدلت الطريق وهدأت من كل تعرجهاتها ومراوغات تبخترها ، السافرة شبرا فتحجبه شبرين بأسيجة من صبار وسنط ، واغصان مغروسة ومتداخلة في ثنايا سلك شوكي قديم صدىء ، واصبحت وبكل بساطة طريقا ترابيا يؤدي الى السهل ـ توقفت سيارة الجيب ، والمدفع الرشاش المثبت فوقها كان من المفروض ان يؤمن الطريق الممتد بطوله الى الامام ، بينما ننطلق نحن وندخل الاكواخ والباحات لتفتيشها · ونظرا لذلك ، فليس اسهل عليك من ان تتجاهله ، ببساطة ، تنكره ـ فما كان يهمني هو ان الامر قد بدأ · كنت اتوق الى ساعة تبدو لي فيها الامور على غير ما تبدو للجميع · بالنسبة لي ، يريحني ان اكون مع الجميع ، واكره ان اشعر خلاف ذلك ، ولا اريد ان اكون مميزا عن الجميع بأي شيء · ففي النهاية دائما خيبة امل كبيرة · وكل صدع تافه يتكشف ويفغر فاه ويشرع بالصراخ · امسكت نفسي وخرست ·

كان يبدو انه لم يسكن تلك الاكواخ احد منذ زمن ابعد مما يكون بالامس او أول من امس · محاصيل خوف وغلال اشاعات سوء حصدت ارتباكا في غير اوانه ، وتخبط دودة سارعت الى استباق حتفها · نركل الخوخة التي تتوسط البوابة الخشبية الكبيرة في اسوار الطين ، وندخل الباحة المربعة التي تتوسط كوخا على ضلعها من هنا وكوخا آخر على ضلعها من هناك · احيانا ، وحين كانت اليد تطال والفرصة تواتي ، بادر هؤلاء واضافوا كوخا طينيا فوق سقف بيت البئر ، ثم شذبوا كرما او كرمين واقاموا لهم عريشة ، بل واحضروا الحجارة الاسمنية ، التي ليست في حاجة الى تبييض ، وان كانت اطرافها غير متقنة الصنع كلها على الاقل ، شجيرات فلفل وباذنجان خريفية تنتنت الى الاسفل بين الاعشاب ، وتعفنت عند الصنبور ، وورود برعمت في جمهرة اعشاب دنيا توحشت وتطاولت، ومسارب مدت الى مكان داخل الكرم · ركلة اخرى واستعراض لا مبال داخل دار خلت من ساكنيها ، ومخزن تراكم الغبار فيه فوق بيوت العنكبوت الجاذبة كما لو كانت دهنية · جدران حرصوا على تزيينها بشتى الوسائل ، مسكن مبيض بالكلس واسع الافريز مدهون بالازرق والاحمر للزينة ، في اعلى الجدران اصاغر مجد معلقة ، بقايا اهتمام سقطت على الارض ، وآثار حكمة ـ نسائية ـ بنت لها ـ بينها ، وتحرص على تفاصيل كثيرة فات اوانها ، نسق كان مفهوما لشخص ما ، وفوضى وجد فيها شخص ما رجليه ويديه لراحته ؟ بقايا اوان جمعت واحضرت حسب الحاجة والمناسبة ، ترتبط بافراح واحزان خاصة جدا ، وغريب لا يفهمها ، ابلاء تتكشف عن تعودها ، انماط حياة فقدت معناها ، كد صار الى نقيضه ، بكامة كبيرة ، وممعنة حطت على الحب والضجيج ، والكد ، والآمال ، والساعات الجميلة وغير الجميلة ـ جثث لن تصار الى قبرها ·

الا اننا كنا قد تعبنا من مشاهدة مثل تلك الاشياء ، ولا قبل لنا لمثلها · نظرة واحدة · وخطوة ـ خطوتان تكفيان للباحة ، للبيت ، للبئر ، للماضي وللحاضر وصمتهما المصغي · ولو أن ثمة شاعوبا مهملا او طورية صالحة ، او مفتاح مواسير مهماوجيدا ـ كانت لا تزال تغري برفعها ، وتقييمها باليد ، تقييم ابتياع واقتناء ، وتقييم اشياء تجعل ان تكون في مكانها ، بل وتثير الرغبة احيانا ، وبالمناسبة ، في اخذ موتور البئر والانابيب ، خمس انشات ، والقرميد من اعلى ، والاجر من اسفل ، والالواح الخشبية (قدائما لها ثمة استعمال في فنائنا) ـ ونقلها الى البيت ، وثمة متعة مدغدغة جدا في اقتناص المتعة السهلة ، والاثراء دفعة واحدة ، بان ترفع مشاعا وتجعله ملكا لك ، ان تغتصب لنفسك ، وسرعان ما راحت المشاريع ترتسم ، منها وبها ، وقد اصبح واضحا ما الذي يمكن فعله في كل ذلك وكيف ـ لو لم نكن حتى الآن في كثير من القرى ، وجمعنا ورمينا وحرقنا ودمرنا الى ان عافت نفوسنا ذلك ـ فنأخذ الطورية حالا او الشاعوب المناسب المتروك ، ونرميه على الارض بازدراء ، او نصوبه على ما امكن من الاشياء التي سرعان ما كانت تتناثر قطعا مهشمة ، فنتحرر من الاهانة في عدم استعماله ـ بدمار ملموس ، مرة واحدة والى الابد ، فينعدم صمته وينقطع ·

وفي المقابل ، فاننا عندما ابتعدنا ووصلنا الى الكروم المحاذية للقرية ، مثلت لنا الشواهد في الباحات والبيوت التي كانوا قد هجروها قبل وقت قصير · فالفراش كان لا يزال ممدودا ، والنار بين الاثافي لا تزال تتداخن ، والدجاج ينبش النفايا برهة وكأن شيئا لم يكن ، ثم يفر زاعقا كالذبيح · كلاب تستروح مرتابة ، تقترب ولا تقترب ، تنبح ولا تنبح ، والادوات التي كانت في الحديقة لا تزال بكامل انهماك حياتها · والصمت لم يأت بعد الا كالذهول والدهشة ، وكأن الامر لم يحسم بعد ، وقد يعود الى سابق عهده ·في احدى الباحات كان ثمة حمار يقف منتصبا ومن فوقه اكداس ، تنقلب وتسقط على الارض ، فرش والحفة ملونة ، كان طبل الرعب قد دق اثناء تحميلها الخاطف « ها هم يغشونك ! » وصرخ : الى الجحيم كل شيء ، اهربوا ! وفي الفناء المجاور ، حيث كان ثمة حاكورة خضروات في طرفه ، اشتال بطاطس مدللة متللة جميلة ، كانت لدانة تربتها واخضرارها الناصع تدعوانك وتدعوانك لان تعود الى البيت بسرعة وتعكف على زراعة البطاطس الجميلة ـ في ذلك الفناء المجاور كان ثمة خروفان يلتصقان ذاهلين في زاوية السور ، حائرين تماما (شاهدتهما بعد ذلك يثغيان فوق سيارتنا الشحن ، وجرة المياه الضخمة كانت تنكفيء على العتبة ، تنضح بقايا مياهها مستسلمة في بركة نصفها داخل الغرفة والنصف الآخر خارجها · وبعد هذا الفناء مباشرة كانت ثمة قطعة ارض محروثة حديثا ثم تليها ضواحي القرية ·

وما ان خرجنا الى الطريق ، حتى رأينا جملا محملا بالادوات المنزلية والفراش قبالتنا ، ورسنه مقطور الى برذعة حمار يسير امامه ، محمل هو الآخر بالادوات المنزلية ، وغرابيل كبيرة واكداس ثياب ، كان يقف ويقضم من الاعشاب التي كانت تحت سياج السنط بمتعة فائقة ، وهو يغوص في خصبها بازدراء كامل لشريكه في الحبل ، الذي كان يرفع رأسه الصغير الى قمة عنقه برعب ، ثم ينتحي به الى الخلف ما استطاع ، كما لو كان يتفادى صداما ، ثم يقذف من داخله غرغرةحقد، ورغاء فزع ، وهو يندف رائحة عرق جمال دهنية كريهة · تحفز لمشهد الجيب حالا للتحرك والالتفاف والهرب ، لولا حبل الرسن المشدود الى برذعة الحمار ، فراح يشده ويهزه بقوة متزايدة ، الا ان الحمار لم يعر ذلك الاضطراب الابلي انتباها ، ولم يلتفت الى شيء ، سوى تغذية نفسه بشهية · قفز شاؤولنا حالا

وراح يغرغر للجمل غرغرة منيخة لكل ركبه ، ويربت له على عنقه المائل بانتصاب الـــى الخلف ، بماسورة البندقية مهدئا ، والجمل يتمسك باللغة المفهومة لديه ، فيغرغر ويصب جام غضبه ، وهو ينوي الركوع على قائمتيه الاماميتين ، مزبدا باكيا محتجا ــ الا انه كان قد اطل علينا في تلك اللحظة من بين السياج الكثيف عربي يخرج باسطا يديه في اتجاهنا ويتقـدم نحونـا ٠

« يا خواجا » ، قال العربي ، الذي كان ابيض اللحية قصيرها ، وهو لا يزال يسير ٠

رفع شاؤول بندقيته في وجهه حالا وصاح بنا : « انظروا من جاء ! » ٠

« يا خواجا » ، عاد الرجل وكرر بصوت من قرر وليكن مهما يكن من امر ٠

« الله يعطيك ، يا خواجا » ٠٠٠

« يا الله ! » قال شاؤول وهو يسحب الاقسام ٠

« يا خواجا » ، انتحب العجوز وهو يبسط يديه بتعاقب ويشير الى الجمل ، متنفســا بصعوبة ، رعبا وليس عن وهن به ، « الجمل يا خواجا ، ناخذ الجمل ونذهب ! » وكان قد اصبح اثناء حديثه الى جانب بهيمته ويتشبث بحزام بطنها بيده السمراء المتيبسة ٠

« ماذا يخلط » ، قال شاؤول لمويش الذي كان يجلس في مؤخرة الجيب ٠ وسرعان مـا تراجع الجيب حتى وصل الجمل بادبارة واحدة عصفت بالجمل حتى قطع الحبل المشدود الى برذعة الحمار (الذي اضطرب للحظة لسقوط الاشياء عن ظهره ثم عاد الى الاعشاب الممضغة في اعماق السياج الشجري بهدوء) فنفض العجوز من مكانه بخبطة مفاجئة ، الى حد انه استدار مع كل رعبة قائلا للجمل كلمة كان بالفعل يستحقها ، ثم عاد والتصق برجله متحولا الى جزء منه ، يتأمل الجيب الذيكان يرهصه صدرا الى صدر ، بقلب واجف ٠

« من انت ، ماذا انت ، من اين انت ، وماذا تريد ؟ » كانت كلها تتلخص في الكلمـة الوحيدة التي قالها مويشي له« ايش ؟ » بنبرة منغمة وتكعيك باهم واصبعين ٠

« الجمل ، يا خواجا ، الاغراض ٠٠ ناخذها ونذهب من هنا ، الله يبارك فيكم ٠ ناخذ الجمل ونذهب ٠٠٠»

« اسمع يا ختيار ! » قاله له مويشي ٠

« اي نعم يا خواجا ، الله يعطيك يا خواجا » ، رغا العجوز متزلفا وكان مستسلمـا ومخلصا ومؤملا ومصليا وجاهزا لاي شيء ٠

« عليك ان تختار » قال مويشي : « نفسك او الجمل » ٠

« خواجا ! » ارتعب العجوز ٠

« يا نفسك يا جمل ! » اصر مويشي ساحبا نبراته وحاجبين « وعليك ان تفرح لاننا لا نقتلك » ٠

« خواجا ! » ، كان العجوز قريبا من البكاء ، وضع يده على قلبه ، « الله » ، حاول ان يقول ، « بحياة الله » ، ــ اقسم فجأة وضرب على صدره الاشيب ، كما لو كانت تنقصـه كلمة واحدة كبيرة شارحة ومقنعة ٠ « احنا رايحين ــ رايحين » ، قال العجوز ، « ومـا

معنا شي، والكل ظل هون ، اشار الى الارض من حوله او على بيت معين ، « شوية هدوم وكسوة » ، تسارع لسانه عله يستطيع حشر الكثير من الشرح بقليل من البقاء وبسط كفيه كانسان امام ربه ٠

« يا لله ! » حكم مويشي : « امشي ٠٠ ياالله ! »

« طيب ! » قال العجوز ، « طيب ماشين » ، وانحنى قليلا باذعان اقرب الى صدمة القلب ثم تراجع عدة خطوات ، « ماشين ٠٠٠ يا خواجا » ، عاد وتوقف وهو يحاول ان يقول ذلك مرة اخرى ٠

اطلق اريبه النار فوق رأسه ، فتقيأ العجوز واصطكت ركبتاه ، استدار وتحسس الهواء بيديه لحظة ثم تهادى ثانية ٠ كان يبدو اننا كنا جميعا شركاء في امتعاض ما ، او ان ثمة افكارا مختلفة كانت قد راودتنا ٠ الا ان اريبه قال حينئذ :

« اسمح لي يا مويشي ، الافضل ان انهيه هنا ٠ ما حاجتك الى هذه الجيفة ؟ وليعرفوا ولو مرة اننا لا نلعب » ٠

« فلتجلس انت هنا بهدوء » ،قال مويشي ٠ التفت العجوز ليستمع الى النقاش ، وقد خيل اليه ان ثمة ترددا في الامر قد ثار لدينا ، قد يكون فرصة يستغلها ، استدار نحونا ، طاقية صغيرة على رأسه ، لحيته بيضاء وقفطانه مخطط مفتوق على صدره الاشيب ٠ استدار وبسط يديه متمتما : « يا خواجا ٠٠! »

« امشي ! » ــ صرخ مويشي بصوت ليس بصوته ٠ ومشى العجوز ٠ وصل الى مفترق الطريق وانحنى فيه ٠ واختفى ٠ وبدا للحظة وكان عبئا قد نزل عن كاهلنا ٠

« هل رأيتم كهذا ! » قال غابي ونظف انفه ٠

« ما كنت ادعه يذهب هكذا ٠٠٠ وله من الوقاحة مع ذلك ان يأتي ويطلب » ، قال اريبه٠ « تصوروا يهوديا في مكانه وعربا في مكاننا ! ٠٠٠ اين ! لكانوا ذبحوه ببساطة » ٠ وكان يبدو عليه ان عنده ما يقول اكثر مما قاله مائة مرة ، ولكنه همس بدلا من ذلك شتيمة بفحيح افعى ٠

« ما الذي نفعله بهذا الجملوبالحمار ؟ » قلت ٠

« فليختنق هذا الجمل وهذا الحمار » ، قال مويشي ، ثم سرنا قدما ٠

كنا نلتف حول القرية من جنوبها ، ونصعد التلة حين تكشف السهل على حين غرة عن يميننا ، في بواكير ضوء النهار الشتوي ، المنجلي اخيرا ، اللازوردي المتذهب ، الجارف كريح متقاطعة ، كبحر يمد ، فيتدفق خضرة وسمرة وصفرة ، بقع فرح واتساع صدر ، فسيفساء حقول ، مسالك خطوها ــ بساط حكمة فلاحين نسيج اجيال ، سرنا قدما ٠

« اقول لكم ان ذلك خطأ » ، تمتم اريبه ٠

« ماذا ؟ » قال مويشي ٠

« اننا تركنا ذلك العجوز » ٠

« دعك منه ذلك العجوز » ، اجابوه ٠

« دعك ، دعك » ، احتج اريبه ، الامر عندكم هكذا بسيط ، وانا اقول لكم انه خطـــا وسوف تذكرون ما اقول ! »

حين توقفنا في ظل جميزة ضخمة ، ممتلئة ، غير مستديرة المحيط ، بل مكتظة كنجمـــة غير متساوية الأطراف ، وكل اوراقها المتساقطة تتعفن تحتها ، ترقســـط الارض بطحالب صغيرة ، بخواتم نور صغيرة ، ــ كانت القرية قد اصبحت مكشوفة من تحتنا ، باحـــات باحات · بعضها بيوت حجرية واكواخ طينية في غالبها ، وهاوية اسفنجية لصمت هائل ، حتى ان اصواتنا ، وطلقة هنا وطلقة هناك ، ونهيق حمار في مكان ما ، والتي تمزقت كلها الى صيحات ، وكذلك ازيز جهاز اللاسلكي ــ غاصت كلها كذرات صغيرة فيها سرعان ما اختفت دونما اثر · شرعنا في تقشير انفسنا من ثياب الشتاء الدافئة ، وتدبرنا امرنـــا لراحة ، بينما كان مويشي يستكشف السهل امامنا ، وليس لاستقصاء جمالـــه بالطبع ، اشعلنا السجائر ، اكلنا البرتقال وثرثرنا بشتى الامور ، وكنت لا ازال اشعر جيدا كـــم غريب انا هنا ، وينكرني مكاني ·

« يهربون ، يهربون » ، قال مويشي ، « شدوا العربات ، وحملوا الجمال ، ويهربون »·

« انذال » ، قال شموليك ، « لا دم فيهم للاقتتال » ·

« اين ! » قال يهودا ، وهو ديك يافع ويسعى للظهور كأحد الديكة العتيقة في المزرعة ، يفخر بالفلاحة ، والمدحلة المهدة ، والمحراث القرصي ، والمازوت ، ولشدة الثقة بالنفس فانه لا يجهد نفسه بلفظ « الراء » الا كما يلفظ « الحاء » : « الاصح واضح » ، قـــال يهودا ، دونما تنميق ــ « ليس لهم اي قدرة على الصمود ! » نفخ شفتيه دافعا ذقنه الـــى الامـــام ·

وهنا صعقنا صوت انفجار قوي مفاجيء وعمود دخان ابيض تعالى من اسفل القريـــة باضطراب (وسرعان ما طغى الصمت يطمس الضجة ، وليس المفاجأة ·)

وحين نظرنا الى مويشي ، قال ان فرقة التدمير قد باشرت عملها · اما نحن ، فاننـــا مقبلون على انهاء مهمتنا ·

« كل ما هنالك ؟ يعني ــ اننا لم نفعل اليوم شيئا ! » قال غابي كابحا نفسه ، وحـــرر المدفع الرشاش ·

تتابعت في الحال قذيفتان ضخمتان بدتا كما لو كانتا مثانتين تنتفخان بسرعة قصـــوى وتنفجران ، يندفع عالم من الصمت المدوي ويعود فينصب في حفرة كبيرة كانت قد افرغت، غير ان صوت القذيفة كان بالنسبة للهاربين كتدفق الماء الى بيت نمل ، حيث كنت تستطيع وبلا منظار تمييز ارتباك متزايد ، واندفاع مستعجل ، وكانت تسمع اصوات بعيدة واصوات اخرى من القرية التي كانت حتى الان ساكتة ، اصوات عويل ، واصوات فزع وبعـــض الطلقـــات ·

والآن وبعد ان تدبرنا امرنا بمثل هذه الراحة في ظل الجميزة ، وزن مويشي الامـــور وارتأى انه من الافضل لنا ان نغادر هذا المكان ونتجه الى مسلك صغير بالذات ، كـــان مسيجا باشجار عناب متقصفة ، كانت قد اعوجت اغصانها التي تبقت بشكل غريـــب وتشعبت في الفراغ باشواكها الكثيفة واوراقها القليلة · وصلنا نهاية الشعب فوجدنا هناك قناة صغيرة محفورة بعرض الطريق تركت مهدمة من جانبها ، فائـــارت السخرية مـــن

سذاجتهم ، وذكائهم العسكري ، بل من وجود حافريها الاحمق كله · وبينما كنا لا نزال نسخر من ذلك ، والى الامام من هذه القناة قليلا ، في طرف الطريق الواسع ، التي مر بها الهاربون على ما يبدو ، حيث كان يتلوها من الجانب الآخر كرم بحافة ترابية مغروس رأسها بالصبار ويتلوها جرف واد عميق ، معشوشب الضفتين ـ وعلى شفا الجرف كان ثمة شبحان يجلسان كبومتين فوق غصن ، اسودان ، متكربلان ، قطعة واحدة ، رأسا وجسما ·

قفزنا ، اثنان او ثلاثة اليهما ولكننا سرعان ما جفلنا واقفين لما رأينا : عجوزين طاعنتين في السن ، ترتديان ثوبين زرقاوين وتوشحان بمنديلين اسودين ، وتربضان جامدتين ، منكمشتين حتى الفزع ، كانتا مسخين تفوح منهما رائحة القبور المعدة لهما ، شيء لا آدمي ، نتن حتى الغثيان ، عيونهما صدفية زرقاوية في تغضن الوجه المتعفن ، وتنظران الى المجهول امامهما ، ربما بفزع شال ، ربما ببله سخيف ، كانتا قد جرتا حتى هنا ، على ما يبدو ، بقوة اقربائهما بين الجيف والمخدات والسلال والامتعة ، وهنا ، ومن خلال ذعر مفاجيء ،او في خضم الفوضى ، تساقطتا ، او دفعتا ، وتركتا ، معرضتين للشمس كخلدين في عز الظهيرة ، كعاهة خبيثة اودعوها عقر البيت على الدوام وتكتشفت على حين غرة بكل فظاعتها ـ وها هما امامنا · وما الذي تفعله بهما ـ اذا لم تبصق عليهما بقرف وتنسل دون ان تنظر اليهما . ثم تولي هاربا من هنا بعيدا ـ فزعا !

« هاكم ، هاكم ، اقول لكم » : قال شموليك وتلوى ساخرا ·

« ستموتان » ، قال الفلاني شلومو ·

« فليأخذهما الشيطان » ، قال ارييه ·

« انه الرعب ! » قال شلومو ·

« كنت افرغ فيهما رصاصتين رأفة بهما وانهيهما » ، قال ارييه ·

« ستموتان ، انظر ، لن تستطيعا الحياة » ، كرر شلولو وقال ·

ودون ان نلتفت الى الخلف ، تابعنا طريقنا صاعدين يسارا ·

ترجمها عن العبرية
توفيق فياض

جدول بالعمليات العسكرية

لقوات الثورة الفلسطينية من ١٨/٩ - ١٣/١٢/١٩٧٨

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر الرقم	البلاغ العسكري التاريخ
١	٧٨/ ٩/١٨	١١ر٣٠	البيرة ـ احد باصات العدو العسكرية	هجوم	قنبلة	عشرة جنود بين قتيل وجريح	اعطاب الباص ، وقتل وجرح (١٠) من افراد العدو	ـ	ـ	ـ	٧٨/١٢٤	٧٨/ ٩/١٨
٢	٧٨/ ٩/١٧	١٦ر٠٠	القدس ـ مكتب مخابرات العدو في شارع اوريهودا	تفجير	عبوات ناسفة حارقة	(٢)	(٥) تدمير وتصدع جدران المكتب واعطاب سيارة تابعة له	ـ	ـ	ـ	٧٨/١٢٥	٧٨/ ٩/١٨
٣	٧٨/ ٩/١٨	١٢ر٠٠	القدس ـ داخل احد باصات شركة ايجد	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	(١)	(٤) تدمير الباص ، وقتل السائق وجرح اربعة آخرين بينهم خبير المتفجرات	ـ	ـ	ـ	٧٨/١٢٦	٧٨/ ٩/١٨
٤	٧٨/ ٩/١٨	٥ر٠٠	القدس ـ الشبكة الرئيسية لكابلات الهاتف	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة		تدمير وقطع كافة الكابلات ، اصابة بعض معدات الورش المجاورة باضرار	ـ	ـ	ـ	٧٨/١٢٧	٧٨/ ٩/١٩
٥	٧٨/ ٩/٢٠	١٢ر٠٠	حيفا ـ مستودع ذخيرة عائد لجيش العدو في شارع بن يهودا	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	عشرة افراد بين قتيل وجريح	تدمير واتلاف كميات كبيرة من الذخائر ـ تدمير شاحنتين عسكريتين واعطاب ثالثة ـ تدمير المستودع تدميرا تاما ، واصابة المستودعين المجاورين باضرار بالغة	ـ	ـ	ـ	٧٨/١٢٨	٧٨/ ٩/٢٠
٦	٧٨/ ٩/٢١	٢٠ر٤٥	القدس ـ احد باصات شركة ايجد المعدة لنقل المتطوعين الاجانب	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	ـ	تدمير الباص تدميرا تاما ـ اعطاب احدى سيارات الشرطة المكلفة بمرافقة الباص ـ اصابة ثلاثة افراد بجراح	ـ	ـ	ـ	٧٨/١٢٩	٧٨/ ٩/٢١
٧	٧٨/ ٩/٢٢	٦ر٣٠	القدس ـ موقف سيارات العدو في باب الخليل	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	ـ	خسائر مادية لحقت بسيارتين فقط	ـ	ـ	ـ	٧٨/١٣٠	٧٨/ ٩/٢٢

					مخابرات العدو في شارع شعاري متنور رقم (٧)	موقوتة						
٩ ـ	٧٨/ ٩/٢٧	١١ر١٥	القدس ـ مدخل سينما اوريجيل في شارع هيلل	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	(١)	(٢)	بالنيران	ـ	ـ	٧٨/١٣٢	٧٨/ ٩/٢٨ وقع بعض الاصابات في صفوف رجال الشرطة والحرس المدني ـ تدمير احد المحلات تدميرا كاملا ـ تدمير ما لا يقل عن عشر واجهات لمحلات تجارية ـ تدمير سيارتان، واعطاب اكثر من خمس سيارات
١٠ـ	٧٨/ ٩/٢٩	٩ر٠٠	بئرالسبع ـ محطةالبنزين التي تزود سيارات العدو العسكريةبالوقود	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	ـ	ـ	بالنيران	ـ	ـ	٧٨/١٣٣	٧٨/ ٩/٣٠ اصابة ثلاثة من افراد العدو ـ نشوب حريق كبير في المحطة وتدمير شاحنتين
١١ـ	٧٨/ ٩/٢٩	١١ر٠٠	عسقلان ـ احد مراكز التموين لسيارات العدو العسكرية والاستراحة الملحقة به	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	جرح ما لا يقل عن سنة (٦) من افراد العدو		بالنيران	ـ	ـ	٧٨/١٣٤	٧٨/ ٩/٣٠ تدمير جزء كبير من مبنى مركز التموين
١٢ـ	٧٨/ ٩/٣٠	١٦ر١٥	رفح ـ اسفل سيارة احد ضباط الامن ، امام مركز الشرطة	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	اصيب اثنان من افراده		بالنيران	ـ	ـ	٧٨/١٣٥	٧٨/١٠/ ١ تدمير السيارة تماما واصابة مبنىالشرطة باضراركبيرة
١٣ـ	٧٨/ ٩/٣٠	٨ر١٥	الخليل ـ بالقرب من حاجز الشرطة امام مركز البريد	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	ـ	ـ	بالنيران	ـ	ـ	٧٨/١٣٦	٧٨/١٠/ ١ اكتشف العدو العبوات وفجرها في مكانها
١٤ـ	٧٨/ ٩/٣٠	٢١ر٢٠	القدس ـ شارع هرتسل ـ موقف الباصات	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	ـ	ـ	بالنيران	ـ	ـ	٧٨/١٣٧	٧٨/١٠/ ١ اصابة الموقف باضرار ، وتحطيم زجاج بعض الابنية المجاورة
١٥ـ	٧٨/ ٩/٣٠	مساءا	ايلات ـ الاهدافالعسكرية جنوب ايلات	قصف	صواريخ	ـ	ـ	بالنيران	٢	٣	٤ ٧٨/١٢٨	٧٨/١٠/ ٢ اصابة الاهداف العسكرية ووقوع خسائر بشرية ومادية ـ قتل وجرح عدد غير محدد من افراد العدو

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر	تاريخه
١٦ـ	٧٨/١٠/١	١٥ر٦	القدس ـ بنك تفحوت	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	ـ	تدمير واجهة البنك ـ تحطيم واجهات عدد من المحلات التجارية وتصدع جدرانها ـ تدمير وأعطاب عدة سيارات	ـ	ـ	ـ	٧٨/١٣٩	٢ /١٠/ ٧٨
١٧ـ	٧٨/١٠/٢	١٥ر٧	دورا ـ مكتب العمل	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	(١) ـ	اصابة احد حراس المكتب ـ وقوع اضرار بالغة بداخله واتلاف محتوياته	ـ	ـ	ـ	٧٨/١٤١	٣ /١٠/ ٧٨
١٨ـ	٧٨/١٠/٣	١٥ر١٠	مستوطنة يميت جنوب مدينة رفح	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	ـ ـ	اكتشفت العبوات وتم تفجيرها على الشاطىء	ـ	ـ	ـ	٧٨/١٤٢	٣ /١٠/ ٧٨
١٩ـ	٧٨/١٠/٣	مساءا	نابلس ـ احد الباصات التابع لاحدى الشركات السياحية	هجوم	قنبلة حارقة		اصيب الباص باضرار بالغة واندلعت النار في داخله	ـ	ـ	ـ	٧٨/١٤٣	٥ /١٠/ ٧٨
٢٠ـ	٧٨/١٠/٥	٩ر٠٥	القدس ـ بناية تستخدم للتحقيق مع المواطنين الفلسطينيين	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	ـ ـ	اكتشفت العبوات قبل انفجارها بوقت قليل	ـ	ـ	ـ	٧٨/١٤٤	٥ /١٠/ ٧٨
٢١ـ	٧٨/١٠/١١	١٥ر١٧	مدينة معلوفا ـ المحطة المركزية للباصات	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	ـ ـ	اكتشفت العبوة من قبل خبراء المتفجرات	ـ	ـ	ـ	٧٨/١٤٥	١٢/١٠/ ٧٨
٢٢ـ	٧٨/١٠/١٢	١٨ر٢٠	الرملة ـ سوق الخضار المركزي	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	ـ ـ	اكتشفت العبوات قبل انفجارها بقليل	ـ	ـ	ـ	٧٨/١٤٦	١٣/١٠/ ٧٨
٢٣ـ	٧٨/١٠/١٣	٨ر٠٥	كريات اربيه ـ مصنع الزيوت	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	اصابة سبعة من افراد العدو	تدمير واحراق قسم من المصنع	ـ	ـ	ـ	٧٨/١٤٧	١٣/١٠/ ٧٨
٢٤ـ	٧٨/١٠/١٧	١٥ر٧	القدس ـ احدى شاحنات	تفجير	عبوات ناسفة	اصابة اثنين من افراد	تدمير الشاحنة كليا	ـ	ـ	ـ	٧٨/١٤٨	١٧/١٠/ ٧٨

[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible] العدو	[illegible]	[illegible] موقوتة	[illegible]	[illegible]	[illegible] – احتراق محتويات المكتب وتصدع جدرانه	–	–	–	[illegible]	[illegible]
٢٦ـ	٧٨/١٠/٢٦	٢٠ر٨	بئرالسبع ـ احدىواجهات العرض لاحد حوانيت السوق الرئيسي	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	قتل وجرح عدد غير محدد من أفراد العدو		تدمير وتصدع عدد من جدران الحوانيت وتحطيم واجهاتها	–	–	–	٧٨/١٥٠	٧٨/١٠/٢٦
٢٧ـ	٧٨/١٠/٢٦	٣٠ر٢١	تل ابيب ـ ساحة الكانتري كلاب	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	قتل وجرح ما لا يقل عن خمسة		تحطيم زجاج لثلاث واجهات قريبة من مكان الانفجار	–	–	–	٧٨/١٥١	٧٨/١٠/٢٧
٢٨ـ	٧٨/١٠/٣٠	٢٥ر٢٠	مستوطنة رامات جان ـ موقف سيارات في بناية تابعة لمخابرات العدو	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	–	–	تدمير واحراق عدد كبير من السيارات التابعة لمخابرات العدو ـ احراق مستودع للوقود ـ احراق محتويات الطابقين الاول والثاني	–	–	–	٧٨/١٥٢	٧٨/١١/ ١
٢٩ـ	٧٨/١١/٥	٣٠ر١٠	تل ابيب ـ محطة الباصات المركزية الواقعة في شارع هاعالياه	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	غير محدد	غير محدد	تضرر عدد من الباصات التابعة لشركة ايجد	–	–	–	٧٨/١٥٣	٧٨/١١/ ٦
٣٠ـ	٧٨/١١/١٤	٥٠ر١٩	القدس ـ موقف باصات شركة ايجد في شارع تلبيوت ٠	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	–	–	اصابة عدد غير محدد من افراد العدو ـ تحطم عدد من السيارات المجاورة لمكان العبوات ٠	–	–	–	٧٨/١٥٤	٧٨/١١/١٥
٣١ـ	٧٨/١١/١٩	٠٥ر١٢	يافا ـ مكتب مخابرات العدو مقابل سينما الحمرا ٠	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	–	٤	تصدع جزء كبير من مدخل وجدران المكتب ـ تحطم زجاج اكثر من(٨) محلات تجارية في المنطقة ٠	–	–	–	٧٨/١٥٥	٧٨/١١/٢٠
٣٢ـ	٧٨/١١/١٩	٣٠ر١٥	القدس ـ داخل احد باصات العدو المتوجهة الى القدس ٠	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	٤	٢٧	تدمير الباص تدميرا تاما ٠	–	–	–	٧٨/١٥٦	٧٨/١١/٢٠

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر	تاريخه
٣٣ـ	٧٨/١١/١٩	١٤ر٠٠	القدس ـ الوسط التجاري الواقع بين شارعي الملك جورج ويافا ٠	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	ـ	اصابة عدد غير محدد من افراد العدو ـ تدمير مداخل ثلاث محلات ، وتحطم زجاج عدد آخر منها ٠	ـ	ـ	ـ	٧٨/١٥٧	٧٨/١١/٢٠
٣٤ـ	٧٨/١١/٢٥	٢٢ر٤٠	مستوطنة « الكامبيادا » ـ الشارع الرئيسي ٠	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	غير محدد	قتل وجرح عدد من المستوطنين الصهاينة ـ تدمير وتصدع جزء كبير من مدخل وجدران المبنى القريب لمكان العبوة ـ تحطم عدد من السيارات الواقفة في الشارع ٠	ـ	ـ	ـ	٧٨/١٥٨	٧٨/١١/٢٧
٣٥ـ	٧٨/١١/٢٦	١٢ر٠٥	كريات اربع ـ السوبر ماركت ٠	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	غير محدد	مقتل وجرح عدد غير محدد من افراد العدو ـ تضدع جدران السوبر ماركت وانهيار بعضها ـ اتلاف معظم محتويات السوبر ماركت ٠	ـ	ـ	ـ	٧٨/١٥٩	٧٨/١١/٢٧
٣٦ـ	٧٨/١١/٢٦	١١ر٠٥	القدس ـ سيارة صهريج عسكرية محملة بالوقود داخل مستودعات العدو العسكرية بالقرب من مدرسة عين هاريم ٠	تفجير	عبوات لاصقة حارقة	اصابةعدد من جنود العدو	اندلاع النيران بسيارة الصهريج ٠	ـ	ـ	ـ	٧٨/١٦٠	٧٨/١١/٢٨
٣٧ـ	٧٨/١١/٢٧	٨ر١٥	يافا ـ السوق المركزي ٠	تفجير	عبوات ناسفة حارقة	ـ	اصابة عدد غير محدد من افراد العدو بجراح ـ تدمير محل تجاري واندلاع النيران فيه ـ اتلاف محتويات المحلات	ـ	ـ	ـ	٧٨/١٦١	٧٨/١١/٢٨

٣٩ـ	٧٨/١٢/ ٩	٨ر٤٠	تل ابيب ـ احد المباني الرئيسية في شارع ارلو بروف	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	غير محدد	غير محدد	وقوع عدد من الاصابات في صفوف العدو ـ تدمير جزء كبير من المبنى ـ تصدع عدد من جدران المباني المجاورة ٠	ـ	ـ	ـ	٧٨/١٦٣	٧٨/١٢/١٠
٤٠ـ	٧٨/١٢/١٢	١٤ر٠٥	مستوطنة « شيلو » ـ احد المحال التجارية في السوق المركزي ٠	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	غير محدد	غير محدد	اصابة عدد غير محدد من المستوطنين ـ تدمير المحل التجاري تدميرا تاما ٠	ـ	ـ	ـ	٧٨/١٦٤	٧٨/١٢/١٣
٤١ـ	٧٨/١٢/١٢	١٤ر٥٥	كريات اربع ـ السوبر ماركت ٠	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	غير محدد	غير محدد	اصابة عدد كبير من افراد العدو المتواجدين داخل السوبر ماركت ـ اتلاف جزء كبير من محتوياته ـ تصدع احد جدران المبنى ٠	ـ	ـ	ـ	٧٨/١٦٥	٧٨/١٢/١٣

اعترافات العدو

٧٨/١٢٤ صرحت اذاعة العدو قائلة : « القيت أليوم قنبلة « دفاعية » على سيارة باص كانت تنقل جنودا في مدينة البيرة، لم تقع اصابات ، ولم تحدث اضرار ، انفجرت القنبلة على الشارع» (راا الساعة ١٣ ، ص ٣٨٦ الاحد ١٩٧٨/٩/١٧، العدد ١٥٨٦) ٠

٧٨/١٢٥ صرحت اذاعة العدو قائلة : « وجد غرض مشبوه في الباص ، وقام خبير المتفجرات بتفجيره في ساحة خالية، وتبين من التحقيق ان الغرض كان عبارة عن راديو ٠»

(راا الساعة ١٣ ، ص ٣٨٦ الاحد ١٩٧٨/٩/١٧ العدد ١٥٨٦) ٠

٧٨/١٢٨ صرحت اذاعة العدو قائلة: « بأن الانفجار وقع في مخزن للخردة ٠ وأدى الى اصابة اربعة عمال بجروح (٠٠٠) »

(راا الساعة ١٣ ، ص ٤٧١ الاربعاء ١٩٧٨/٩/٢٠ ، العدد ١٥٨٨) ٠

٧٨/١٣٤ صرحت اذاعة العدو قائلة : « انفجرت عبوة ناسفة موقوتة في المحطة المركزية في اشكلون « عسقلان » ولم يصب احد بأذى » ٠

(راا الساعة ٩ ، ص ٦٧٤ الجمعة ١٩٧٨/٩/٩ ، العدد ١٥٩٥) ٠

٧٨/١٣٨ صرحت اذاعة العدو قائلة : « اكتشف زورق حراسة تابع لسلاح البحرية الاسرائيلية بعد ظهر امس سفينة مخربين تابعة لمنظمة فتح » ٠

(راا الساعة ١،٣ ، الاحد ١٩٧٨/١٠/١ ص ١٦ العدد ١٥٩٦) ٠

٧٨/١٥٠ صرحت اذاعة العدو قائلة : « وقع انفجار في سوق بئر السبع صباح اليوم ولم تقع اصابات واوقف عدد من المشبوهين » ٠

(رأا الساعة ١٠ الخميس ١٠/٢٦/ ١٩٧٨ ص ٣٥٧، العدد ١٦١١) ٠

٧٨/١٥٢ صرحت اذاعة العدو قائلة : « صعق السكان في رامات جان مساء امس من انفجار حدث في خزان بنزين لاحدى السيارات وقد اشتعلت النيران في ثلاث سيارات مجاورة ايضا ولا يعرف حتى الان سبب هذا الانفجار » ٠

(رأا الساعة ٩ الثلاثاء ٩٧٨/١٠/٢١ ص ٤٦٦ ، العدد ١٦١٥) ٠

٧٨/١٥٥ صرحت اذاعة العدو بالعملية قائلة : (٠٠٠) في الانفجار الذي حدث في يافا جرح شابان جراحا طفيفة نتيجة انفجار مادة مشبوهة قرب سينما الحمرا ٠

« رأا٠ الساعة ١٩ر٠٠ الاحد ١٩٧٨/١١/١٩ ص ٣٢٨ العدد ١٦٣٠ » ٠

٧٨/١٥٦ صرحت اذاعة العدو بالعملية قائلة : (٠٠٠) سقط اليوم اربعة قتلى في باص ايجد بالقرب من « متسبيه يريحو » وهناك اكثر من ثلاثين جريحا نقلوا الى مستشفى هداسا ومستشفى شعاري تسيدك ٠

« رأا٠ الساعة ١٩ر٠٠ الاحد ١٩٧٨/١١/١٩ ص ٣٢٨ العدد ١٦٣٠ » ٠

٧٨/١٥٧ صرحت اذاعة العدو بالعملية قائلة : (٠٠٠) في القدس اكتشفت شحنة ناسفة كانت مخبأة داخل سجادة ملقاة على الرصيف في مفترق الشوارع يافا ـ الملك جورج ـ شتراوس٠

« رأا٠ الساعة ١٩ر٠٠ الاحد ١٩٧٨/١١/١٩ ص ٣٢٨ العدد ١٦٣٠ » ٠

٧٨/١٥٨ صرحت اذاعة العدو بالعملية قائلة : (٠٠٠) شحنة صغيرة من المواد الناسفة انفجرت الليلة الماضية في « الكامبيادا » (٠٠٠) وكان هناك شخص من مستوطنة « الون شيوت » يدعى يعقوب ميدان اصيب باصابة طفيفة بقدمه ٠

« رأا٠ الساعة ١٧ر٠٠ الاحد ١٩٧٨/١١/٢٦ ص ٤٤٦ العدد ١٦٣٥ » ٠

٧٨/١٥٩ صرحت اذاعة العدو بالعملية قائلة : انفجرت عبوة ناسفة قبل نحو ساعة في السوبر ماركت في كريات اربع ولم تقع اصابات ٠ الا ان الانفجار تسبب بأضرار بسيطة (٠٠٠)

« رأا٠ الساعة ١٣ر٠٠ الاحد ١٩٧٨/١١/٢٦ ص ٤٥٣ العدد ١٦٣٥ » ٠

٧٨/١٦٠ صرحت اذاعة العدو بالعملية قائلة : في معسكر حربي قرب عين مكارم القريب من القدس شبت امس النار في شاحنة بنزين فأصيب جندي بحروق بسيطة ٠

« رأا٠ الساعة ٧ر٠٠ الاثنين ١٩٧٨/١١/٢٧ ، ص ٤٧٢ و ٤٨٠ العدد ١٦٣٦ » ٠

٧٨/١٦٤ ١٦٥ صرحت اذاعة العدو بالعملية قائلة : انفجرت عبوة ناسفة قرب سياج مستوطنة ستيلو ولم يصب احد ، ولكن حصلت اضرار بسيطة ٠ وقبل فترة قليلة انفجرت عبوة ناسفة موقوتة في سوبر ماركت في كريات اربع ، ولم تحصل اصابات هناك (٠٠٠) ٠

« رأا٠ الساعة ١٨ر٠٠ الثلاثاء ١٩٧٨/١٢/١٢، ص ٢٢٤ العدد ١٦٥٠ »٠

محمد قدورة